منهجية

التعريف بالإسلام

الأصول، المقاصد، التحديات

إعداد: جوتيار بامرني

مقدمة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدًا إلا الله، وكفى بالله حسيبًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا ﷺ عبده ورسوله، بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة، وتركنا على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فصلوات ربي وسلامه عليه وعلى آل بيته وأصحابه، وعلى كل من سار على هديه واستن بسنته إلى يوم الدين، وبعد:

فإني أسأل الله العظيم أن يعلمنا ما ينفعنا، وينفعنا بما علمنا، ويستخدمنا لدينه ولا يستبدلنا.

دعوة الأنبياء عليهم السلام عمومًا، ثم دعوة النبي ﷺ خصوصًا، ودعوة صحابته رضي الله عنهم وأتباعه قامت على منهجية قويمة، أساسها العلم والبصيرة في الدين، ودعوة الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، وكان لذلك أثر في إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

ومن هنا كان لا بد من إعداد الدعاة وتأهيلهم والاهتمام بالبناء المنهجي السليم في الدعوة إلى الله تعالى؛ حيث إنه لا بد للداعية أن يكون:

١- متبعًا للمنهج الرباني والهدي النبوي في الدعوة إلى الله تعالى، انطلاقًا من قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٢- أن يكون لديه البصيرة الكافية المناسبة لدعوته ومجتمعه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

٣- أن يكون لديه الحكمة الدعوية المأمور بها في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

إنَّ الدعاة أحوج ما يكون إلى معرفة منهج دعوي قويم في زمنٍ كَثُرَتْ فيه الإخفاقات، وانتشرت فيه السلوكيات المذمومة والممارسات الخاطئة، ولذلك جاء هذا البحث؛ ليعرض مجموعة من القضايا المنهجية، التي وقع الخلل فيها ما بين إفراط أو تفريط، بل قد يصل الأمر في بعض تلك القضايا إلى جهل بعض من الدعاة بها، أو الجهل بآليات تطبيقها فكان الضرر على الدعوة.

وبالتتبع واستقراء الواقع، فإننا نجد في أيامنا هذه أن عزوف المسلمين – عن الدعوة عمومًا، وعن التعريف بالإسلام لغير المسلمين خصوصًا – قد انتشر بصورة مقلقة للغاية، كما نجد قلة في الخبرات حتى من الذين يعملون منذ سنوات في التعريف بالإسلام؛ بل قد تحصل أضرار على الدعوة من بعضهم، فيرتكب الداعية أخطاء كبيرة، أو يقع في إخفاقات لقلة خبرته، وعدم تأهُّلِه على الجانب الشخصي.

فالداعية أو المُعرِّف بالإسلام يحتاج خلال مسيرته التعليمية والتربوية أن يستعين بأهل العلم وبكتبهم ممن عُرِفُوا

بالاستقامة والفضل وحسن العقيدة؛ حتى يكون على بصيرة فيما يدعو إليه وفيما ينهى عنه... كما أنه بحاجة إلى تطوير مهاراته الشخصية والتقنية، ورفع مستواه في المجالات المختلفة ليتخصص بمرور الزمن في واحدة منها؛ لِتَجِدَهُ بعد ذلك إما مبدعًا في تفنيد شبهات الملاحدة، أو تجده قد تخصص في الحوار مع النصارى، وقد لا يصلح لا لهذا ولا لذاك، ولكنه مبدع في العناية بالمسلمين الجدد وتعليمهم وتثبيتهم، فيكون كل واحد من هؤلاء قادرًا على عرض جمال الإسلام ومحاسنه وقيمه وتشريعاته بمهارة عالية بحسب ما قدره الله له ووفقه فيه، "فكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لهُ"(١).

وبما أن هناك تحدياتٍ وفرصًا ومجالاتٍ دعوية كثيرة تحتاج إلى الاستعداد لها استعدادًا علميًّا ومهاريًّا وسلوكيًّا يليق بالبضاعة العظيمة التي عندنا؛ لنبتكر ونبدع ما يُنَاسِب الواقع ويواكب العصر والتقنية بضوابط شرعية، مع مراعاة ما هو من الثوابث والأصول التوقيفية (٢)، وما هو متجدد ومحل للمواكبة والاجتهاد، فلا غنى عن دراسة هذا التخصص وتنمية مهاراتنا فيه، مع كثرة ممارسة ما نتعلمه لتصل الدربة عندنا إلى البراعة.

كما أنه من الواجب على بعضنا أن يفكر في وقت مبكر برفع سقف أهدافه من مُعَرِّف بالإسلام، إلى مُعَرِّفٍ ومُدَرِّبٍ وصاحب مشروع يُشارك من خلاله في نقل الخبرات إلى مجتمعات ولغات أخرى بمنهجية مرتبة توفر الوقت والجهد، والاجتماع على هذه المنهجية وتلك الأصول بضبط الأولويات، مع إنشاء معيار في الممارسة والتطبيقات الدعوية، ثم الاستمرار في تطوير تلك الممارسات في ميدانه ليصبح التأهيل لهذا الثغر شجريًّا متناميًا حول العالم بين المسلمين.

ولذا كان هذا البحث في هذا العلم لنُبَيِّنَ في بدايته المفاهيم والمصطلحات المتعلقة به، وأهمية التعريف بالإسلام والدعوة إلى الله، ومنهجيتها، وأصولها، وفضلها، وحكمها، وثمرتها، ومقاصدها.

وهذا جمع وإعداد لتجاربنا المتواضعة، وتجارب من سبقنا في الخير وتعلمنا منهم، وهي لا تعبر عن توجه بعينه؛ بل هي لأهل الإسلام عامة، ولأرباب الدعوة خاصة.

ولم نستطع أن نتطرق إلى تفاصيل الموضوع في جوانبه كلها، فشأن تأهيل الدعاة والاخفاقات التي تحصل كبير يحتاج إلى دراسات أكثر عمقًا وتأصيلًا وتخصصًا، وفي هذا البحث سَعَيْتُ ألَّا أدخل في تفاصيل كثيرة حتى أركز على الأساسيات، ويكون الكلام موجزًا بقدر الإمكان من غير كثير شرح وتطويل؛ ليَسهُل فهم ما هو ضروري، ويُعطي قدرًا كافيًا من المعرفة في الجانب المنهجي والتأصيلي لهذا المجال، كما أنني تجنبت كثرة التعريفات، واقتصرت على ما تدعو إليه الحاجة وبإيجاز، وأرجو أن تكون هذه الدراسة كافية ليبني المُعَرِّف بالإسلام عليها ما يحتاجه للمراحل القادمة لتخصصه، ويكون مُهَيَّئًا ليصبح من أهل هذا التخصص.

وبما أن الإخفاقات والخلل في القضايا المنهجية المتعلقة بالدعوة تقع بين إفراط وتفريط في مجال التعريف بالإسلام، وكذلك في مجال تأهيل الدعاة على هذه المهام العظام، رأيت أن أضع يدي على الجرح، وأبحث عن حلول لمشاكل تأهيلية، وميدانية، محاولًا أن أجد لها حلولًا بترتيب الأولويات؛ سواءً كان ذلك في منهجية العمل في الميدان، أو في منهجية تأهيل هذه الفئة.

وعليه، فإنه لا بد للمعرفين بالإسلام من التمتع بالقدرة على الإبداع والابتكار في منهجهم الدعوي؛ وذلك بسيرهم

---

(١) صحيح البخاري ١٠٧٤.

(٢) إنَّ المضمون الدعوي توقيفي لا تصرُّف فيه، أما الأساليب والوسائل فإنَّهما اجتهاديتان؛ ولذا تتعدد طرق النَّاس في تبليغ دين الله تعالى.

في طريق ونهج مستقيم مدروس مُخطَّط له، يؤدي لا محالة إلى نتائج أفضل، في وقت وجهد أقل.

- **وتأتي أهمية هذه الدراسة في الآتي:**

١- إيجاد أرضية خصبة؛ لجعل التدريب الدعوي احترافيًّا وممنهجًا.

٢- تأهيل معرفين بالإسلام قادرين على نقل الخبرات إلى بلدانهم ولغاتهم؛ ليصبح التدريب الدعوي شجريًّا متناميًا بين المسلمين في جميع أنحاء العالم.

٣- أهمية معرفة المعرِّفين بالإسلام لمقدمات علم التعريف بالإسلام وأصول الدعوة؛ ليستوعبوا مواضيعه وأصالته وحكمه، ومصادره التي يستقي منها.

٤- حاجة المعرف بالإسلام إلى معرفة مصطلحات الدعوة ومفاهيمها، ومعرفة الفرق بينها؛ حتى لا يختلط الحابل بالنابل، ويعرف الكل دوره وتخصصه.

٥- معرفة ووعي عن أهمية، وفضل، وحكم تعلُّم فنون التعريف بالإسلام؛ حتى يُحفزوا للتصدُّر له.

٦- امتثال أمر الله تعالى للدعوة، والسير على هدي ومنهج النبي ﷺ فيها.

٧- احتياج المعرف بالإسلام الشديدة إلى المنهجية التي تعينهم على رفع مستواهم، وتنمية قدراتهم، والارتقاء بهم.

٨- تآلف المعرفين بالإسلام والدعاة، واجتماعهم وتماسك مجتمعهم، والبعد عن التفرق والتحزب والتشتت؛ من خلال التفاهم على تلك القضايا قبولًا وعملًا.

٩- حاجة الدعاة إلى تلك القضايا المنهجية التي تعين الدعاة على تنمية عقولهم وسلوكياتهم وبناء أخلاقهم، والارتقاء بهم، وبناء مهارات التفكير الجديدة لديهم.

١٠- حاجة الدعاة إلى التعامل الصحيح مع النصوص والمواقف الدعوية، وإدارتها بطريقة سليمة، وحاجتهم إلى التفكير المنظم المنضبط في حل مشكلاتهم.

١١- حاجة الدعاة إلى ما يعصمهم من الهجمة الشرسة والفتن والشبهات والشهوات، التي تهدف إلى النيل منهم ومن دعوتهم، واصطياد المواقف واستعمالها في محاربة الدعوة.

إذن، فهذه الدراسة تشكل في مجموعها رؤية منهجية للمعرفين بالإسلام، وتمثل دعوة للدعاة عمومًا إلى التلاقي على مجموعة من القضايا؛ التي تشكل في مجموعها رؤية منهجية لهم، ودستورًا للفكر والممارسة؛ بحيث تزداد مساحة الصواب والفاعلية، وتقلُّ مساحة الخطأ والإخفاق.

إن الاجتماع على هذه القضايا من شأنه أن يضبط الأولويات في مسيرة الدعوات؛ لئلا يكون ضرهم أكثر من نفعهم، وإخفاقاتهم أكثر من نجاحاتهم، وتكون الفاعلية والاحترافية أكثر، ونصل إلى معيار للرشد في الممارسة والتطبيقات.

- **تساؤلات البحث:**

يحاول الباحث أن يجيب من خلال هذا البحث عن التساؤلات الآتية:

ما هو مفهوم منهجية التعريف بالإسلام؟

ما هي أهداف التعريف بالإسلام؟

وما هي مستنداتها وضوابطها الشرعية؟

وما جوانب القصور التي تلحق منهجيات تأهيل المعرفين بالإسلام... والتي يمكن للمراكز الدعوية أن تسدّها وتصوِّبها؟

ما أهم الأخلاق الذي لا يقبل عدم توفرها في المعرف بالإسلام.

ما هي المواد العلمية التي يحتاجها المعرف بالإسلام وما أهدافها.

- **الدراسات السابقة:**

رغم فيض الكتب العامة في مجال الدعوة وتأهيل الدعاة، إلا أنني لم أستطع العثور على دراسة تخصُّصية وافية تناولت منهجية التعريف بالإسلام وأصوله لغير المسلمين كمادة مستقلة ذات شمولية وتركيز، مغطية الجوانب الأساسية المتخصصة بين التأصيل لتأهيل الدعاة، والبحث عن آليات تحويل مقتضياتها إلى إجراءات عمل تنفيذية.

ولكني مع ذلك تمكنت من العثور على بحثين نافعين والمؤلفات التي تطرقت – بشكل أو بآخر – إلى جزئيات من الموضوع، ولكنها لم تتناولها بصورة شمولية عامة كمادة مستقلة كما يجب، إلا أني قد استفدت منهما أيما إفادة في إعداد هذا البحث، والتي أستعرضها فيما يلي [٣]:

١ – التعريف بالإسلام: المفهوم – الأهداف – الموضوعات – الشواهد. للشيخ الدكتور عبد الرحمن السيد جويل، وهو بحث مقدم إلى اللجنة العلمية في الهيئة العالمية للتعريف بالإسلام بالمدينة المنورة، وقد عرض هذا البحث ثلاثة موضوعات، هي: مفاهيم، وشواهد، وموضوعات التعريف بالإسلام، (يقصد بمواضيع الدعوة فحوى الرسالة – إلامَ ندعو غير المسلمين بالضبط). وأرى أن هذه الموضوعات يجب أن تُقدم في أبحاث مستقلة منفصل بعضها عن بعض؛ وذلك حتى لا يتشتَّت الداعي المعرِّف بالإسلام، أو المتدرب، أو الطالب الجامعي الناظر فيها.

٢ – التعريف بالإسلام. للشيخ د. عبد الله بن محمد الغامدي، رسالة دكتوراه، وهو كتاب مميز في التخصص بقلم باحث صاحب خبرة طويلة في هذا المجال، وقد استعنت بكثيرٍ من فوائده وخبراته في بحثي. ولكنه أيضًا مثل الدكتور جويل، عرض في هذا البحث أربعة موضوعات هي مواد تحتاج إلى أن تكتب أبحاثًا مستقلة، وهذه الأربعة الموضوعات هي: أساليب ووسائل التعريف بالإسلام، وموضوعات التعريف بالإسلام (يقصد بمواضيع الدعوة فحوى الرسالة – إلامَ ندعو غير المسلمين بالضبط)، وصفات المعرف بالإسلام، ومنهجية التعريف بالإسلام. وأرى أن هذه المجالات حقيق بها أن تدرس في أبحاث مستقل بعضها عن بعض؛ وذلك حتى تكون أكثر تركيزًا، وحتى يستفيد منها الداعي المعرف بالإسلام أكبر فائدة.

- **منهجية البحث:**

هذا البحث ذو طبيعة خاصة نظرًا لموضوعاته التي تتشعب ويتفرع بعضها عن بعض، فإننا أثناء تناول مسألة الدعوة بصدد رصد ظاهرة معينة وما يدور حولها من مشكلات وحلول، ثم النظر في هذه المشكلة وتتبعها ووضع حلول لها؛ ولذلك كان من المناسب أن أستخدم المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك للإحاطة بالموضوع من زواياه العديدة، وللخروج من الدراسة بأكبر فائدة إن شاء الله.

وقد قمت في هذا البحث بالآتي:

١. كثرة التواصل مع أهل العلم والاختصاص؛ وذلك لتحقيق أكبر استفادة.

(٣) ننصح الدعاة والداعيات بقراءة هذه المصادر الخمسة؛ لما فيها من منافع ترافقهم في مسيرتهم.

٢. حرصت أن يكون البحث ثريًّا بآي القرآن الكريم وأحاديث النبي المصطفى ﷺ، وعمدت إلى الرجوع الدائم إلى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ في استنباط القواعد والأحكام.

٣. عزو الآيات المستشهد بها للسورة، وتخريج الآية برقمها عقب كل آية.

٤. الرجوع إلى كتب التفسير بالمأثور خاصة للبحث في معاني الآيات واستنباطاتها، والتعويل على كتب العلماء في صياغة البحث ومسائله.

٥. الاستشهاد بالأحاديث الصحيحة فقط، وتجنُّب الاستشهاد بأحاديث ضعيفة.

٦. تجنُّب ذكر الخلاف في المسائل الفقهية.

٧. الاستفادة من كتب، ومقالات، ودراسات معاصرة لأهل التخصص، مع مراعاة الأمانة العلمية والتوثيق في نسبة الفكرة، أو النص، أو البحث لأصحابه.

- **الصعوبات التي واجهت الباحث:**

لقد تمثلت صعوبة البحث في أمرين:

الأول: أكبر صعوبة في البحث أن غالب من رجعت إليهم ممن كتب شيئًا في هذا المجال لم يعِش التجربة كاملة، ولم يخض تجربة دعوة الأجانب في البلاد غير الإسلامية بكاملها، وإنما جاؤوا من خلفية أكاديمية غير عاملة في ميدان التعريف بالإسلام على أرض الواقع، ولم يعش في بلد غير مسلم لفترة طويلة.

الثاني: ندرة الرسائل والدراسات والبحوث الجامعية، والمؤلفات التي تناولت منهجية التعريف بالإسلام، وآليات تحويل التجارب إلى منهجيات وإجراءات.

- **هيكل الدراسة (خطة البحث):**

جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وسبعة أبواب، وخاتمة، وفهرس المراجع والمصادر، وفهرس المحتويات.

هذا، وقد حاولت تقصِّي موضوعات هذا البحث ولم أدخر سعيًا حتى بلغت الجهد، فما كان في هذا العمل صوابًا فمن الله تعالى، وإن كانت الأخرى فإني ملتزم في الجملة بما عليه السلف، أُقِرُّ ما يُقرُّون، وأدين بما به يدينون، وكما قيل دائمًا في قاعدة الحق: "إذا صح الحديث فهو مذهبي"، فإن أخطأت في تحرير بعض أصولهم، أو فهمتها على غير وجهها، فأستغفر الله من ذلك، وأرجع عنه في حياتي وبعد مماتي، والقول ما قالوا؛ فقولهم أعلم وأسلم وأحكم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

جوتيار بامرني

المدير العام لأكاديمية الصحابة لتأهيل الدعاة

تمهيد

مفهوم المَنْهَجية

المنهج هو: الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقائق المختلفة والمتنوعة، في علم من العلوم قائم بذاته، أو في عدة علوم بينها رابط يمس الحقيقة العلمية. ويتم تحديد المنهج بواسطة طائفة من القواعد العامة التي تحدد خطوات القياس العقلي والتحليل المنطقي؛ حتى يصل الإنسان إلى نتيجة معلومة.

والمنهج في الدعوة هو: الخطة الكلية والنظام الذي يحدد الإطار العام لكل جوانب الدعوة، وهو الذي يجمع كافة جزئيات قضاياها، وينسِّق بينها لتتكامل وتحقق ما يراد منها على الوجه الصحيح.

ونظرًا لأن منهج الدعوة في قضايا وموضوعات الدعوة، فإنه منهج رباني – كله من عند الله تعالى –، وقد جاء مفصلًا في الكتاب والسُّنَّة، ولا مجال فيه لاجتهاد مجتهد، أو رأي بشر.

فالدعوة إلى الله تعالى بما تحمل بين ثناياها من العقائد، والعبادات، والمعاملات، والأخلاق، وما تضمنته من أخبار الرسل والأمم السابقة وأحوال الآخرة، هي ذات طريق واضح ومنهج مُبيَّن، تُدركه الفِطَر النقية والعقول الواعية والنفوس المستقيمة والبصائر المستنيرة. فهو منهج ظاهر، وطريق بارز، يلامس قلوب البشر جميعًا.

وأما منهجية الدعوة فهي: جماع للطرق التي يسلكها الداعية، والوسائل والأساليب التي يستخدمها في تبليغ مادة الدعوة إلى الله للناس كافة. ويُشترَط نُبْل الوسيلة ونبل الأسلوب؛ لتحقيق هذه الغاية النبيلة.

ويلخص الدكتور عبد الله الغامدي ذلك بقوله: "تُعرَّف المنهجية الدعوية بأنها: مجموعة الأساليب، والوسائل، التي يستخدمها الداعية في شرح قضايا وموضوعات الدعوة إلى الله، والمستمدة من المنهج الدعوي الرباني"(٤).

وهناك تعريفات كثيرة، ولكن يكفينا للمعرف بالإسلام هذا القَدْر.

ويتمثل المنهج الرباني للدعوة إلى الله في قوله تعالى:

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٢].

وأما المنهجية الدعوية في القرآن: فقد جاءت في صورةِ قواعدَ كُليةٍ وأُسسٍ عامة؛ لكي يتَّخذ المسلمون منها الوسائل والأساليب لتوضيح منهج الإسلام وقضاياه بما يتلاءمُ مع ظروف الزمان والمكان، قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وهذه الآية توضح أنَّ من يسلك سبيل الدعوة إلى الله ينبغي له أن يأخذ بالأساليب التالية: الحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن، فهذه هي الأساليب التي أشار إليها القرآن الكريم إشارةً موجزةً دون تفصيل.

---

(٤) التعريف بالإسلام، د. عبد الله الغامدي، ص٣٨٨-٣٨٩.

أما عن المنهجية في السنة: فقد ورد العديدُ من الأحاديث التي تعلقت بمنهجية الدعوة إلى الله تعالى، سواء كانت توجيهًا من النبي ﷺ، أو فعلًا دعويًّا قام به، وهو إمام الدعاة، وسيدهم. ومن الأحاديث الموضحة لذلك ما يلي: حديث حذيفة؛ حيث قال: حدثنا رسول الله ﷺ: "إنَّ الأمانة نزلت من السماء في جَذْرِ قلوب الرجال، ونزل القرآن فقَرَؤوا القرآن، وَعَلِموا مِنَ السُّنَّة"(٥).

والحديث يوضِحُ أحد أهم الأساليب في استخدام الكتاب والسُّنَّة؛ كمصدرين رئيسين في عرض قضية دعوية ما، فعادة ما تأتى آيات القرآن موجزة، ومحددة لحكم ما، أو لقضية ما، فيلجأ الداعي إلى السُّنَّة ليفصِّل ما أُجمِل في القرآن، فتتضح الصورة العملية للحكم، أو يفسر ما كان غامضًا أو استشكل على البعض من المدعوين.

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "ليس المؤمن بطعان ولا بلعان، ولا الفاحش البذيء"(٦). والحديث يدلُّ على منهجيته في الدعوة إلى الله تعالى؛ حيث يبتعد في دعوته عن الطعن في الآخرين، أو لعنهم، أو وصفهم بما لا يليق من القول؛ مما يدلُّ على الحرص على حسن القول، وعدم التَّعَرُضِ للأشخاص بالأذى، حتى وإن كانوا أهلًا لذلك.

وعن ابن مسعود قال: "كان النبي ﷺ يتخوَّلُنا بالموعظة في الأيام، كراهة السآمة علينا"(٧). ويبين ابن حجر فائدة مهمة في هذا الحديث فيقول: "وفيه رفق النبي بأصحابه، وحسن التوصل إلى تعليمهم، وتفهيمهم؛ ليأخذوا عنه بنشاط لا عن ضجر ولا ملل"(٨).

وروى أنس رضي الله تعالى عنه، عن النبي ﷺ قال: "يَسِّروا ولا تُعسّروا، وبشِّروا ولا تُنَفِّروا" (٩).

وهي إحدى القواعد الهامة والممثلة للأساليب والوسائل في ذات الوقت، **فالتيسير** يمثل الأساليب، **والبشر** يمثِّلون الوسائل للمنهجية الدعوية.

كما أن منهج السلف الصالح في الدعوة يقوم على أن الأساليب والوسائل لها حكم الغايات، فغاية الدعوة وهدفها شريف ومشروع، وكذلك يجب أن تكون أساليبها ووسائلها؛ لذلك فمبدأ "الغاية تبرر الوسيلة" مبدأ مرفوض في منهج الدعوة الصحيح، واستخدام الوسائل والأساليب مرتبط بالحكمة التي تضع كل أسلوب، وكل وسيلة في موضعها الصحيح (١٠).

لذا يجب على كل داعية إلى الله تعالى أن يكون على حذر من التلبيسات الباطلة والشُبَهِ الباهتة، فنحن كما أننا مأمورون باتباع النبي ﷺ في العقيدة والعبادة والسلوك؛ بل وفي قضايانا الاجتماعية، كذلك يجب علينا متابعته ﷺ في منهجه في الدعوة إلى الله تعالى وطريقته في التبليغ، وأن نبدأ بما بدأ به، وأن نركّز على ما ركز عليه، وألا نجعل من منهج الدعوة إلى الله تعالى محلًّا للاجتهاد والأخذ والرد، ونُحْدِث لهذه الدعوة أصولًا وقوانين جديدة من عند أنفسنا لم

---

(٥) أخرجه البخاري ٧٢٧٦.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، ٦/٣٩٠ برقم: ٣٨٣٩.

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ١/٢٥، برقم: ٦٨.

(٨) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د. ط، ١٢/٥٣٢.

(٩) أخرجه البخاري ٦٩.

(١٠) الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب وأعلامها من بعده، المطوع، ط٣، ١/٣٨.

تثبت عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه رضوان الله تعالى عليهم، فنجعل من أمر التوحيد مثلًا والدعوة إليه أمرًا ثانويًّا فرعيًّا، ونزعم أن المصلحة تقتضي ذلك(١١).

وهذه المنهجية قائمة على الاعتدال، وأساسها الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، وعمادها اللين والرفق في غير ضَعف، وفي الوقت ذاته الجدال بالتي هي أحسن للإقناع وإقامة الحجة، ثم الجِلَاد لمن كابر وعاند. ولكن دون إكراه ولا قهر، فمن آمن فله ما لنا وعليه ما علينا، ومن اختار دينه فلا حرج على أن يكُفَ عن المسلمين يده ولسانه قال تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦] (١٢).

(١١) البصيرة في الدعوة إلى الله، العنزي، ط١، ١/٤٥.

(١٢) وسطية الإسلام ودعوته إلى الحوار، آل نواب، د. ط، ١/١٧.

مفهوم التعريف بالإسلام:

التعريف بالإسلام يعتبر أول مرحلة من مراحل الدعوة إلى الله تعالى، فهو جزء من الدعوة وليس كل الدعوة. وهو مصطلح مركب من مضاف ومضاف إليه: التعريف، والإسلام.[١٣]

ومفهوم التعريف بالإسلام كمصطلح مركب هو: العرض والبيان لعقائد وتشريعات الإسلام لغير المسلمين؛ عن طريق بناء تصور صحيح، أو تصحيح تصور خاطئ، أو إزالة شبهة[١٤].

إن مصطلح التعريف بالإسلام مصطلح جديد، تُطرح عناصره بشكل عام ضمن المواضيع المرتبطة بعلم ومهارات دعوة غير المسلمين إلى الله.

ومفهوم التعريف بالإسلام يتعلق بمنهجيات ومعارف ومهارات متخصصة لعرض وتبليغ الإسلام لغير المسلمين.

وذلك بأن يتم عرض الصورة الصحيحة للإسلام بدون الدعوة الصريحة لاعتناقه، إذ إن من يقتنع بالإسلام – بعد معرفته المعرفة الحقيقية – قد لا يحتاج أن يدعوه أحد لاعتناقه، والمحصلة أن التعريف بالإسلام لكل ذي عقل يتضمن الدعوة إلى اعتناقه، ولو لم يتم التصريحُ بذلك.

يُعد التعريف بالإسلام علمًا متفرعًا من علوم الدعوة إلى الله، يتم طرح أبوابه ومباحثه بشكل عام ضمن مباحث وعلوم الدعوة إلى الله تعالى في الأقسام الأكاديمية والأبحاث ذات العلاقة بعلم الدعوة، ومع زيادة الهجمة على الإسلام، وتنامي مظاهر العداء، وظهور اليمين المتطرف، واتخاذ البعض من الهجوم على الإسلام، وتشويه معالمه مادة انتخابية، ومع الانفجار والانتشار المعلوماتي والإعلامي والتقني والإلكتروني والفضائي والسبراني؛ برزت الحاجة الماسة للاهتمام بهذا المجال.

- **الفرق بين أهداف التعريف بالإسلام، وأهداف الدعوة إلى الله:**

أما أهداف التعريف بالإسلام المرجوة من المعَرِّفين به تتلخص في: إزالة تصور خاطئ عن الإسلام، وبناء الصور الصحيحة عنه، والتحييد أو النصرة من المعرَّفين بالإسلام، فإن حصل الإسلام فخير كبير ولله الحمد والمنة.

وأما أهداف الدعوة إلى الله فتتلخص في: دخول الناس في الإسلام، والتزام أوامره ونواهيه، وتحكيم شرعه.

- **المستهدفون:**

المستهدفون من التعريف بالإسلام – ابتداءً – هم غير المسلمين، ويدخل معهم المسلمون الذين نشؤوا في المجتمعات غير الإسلامية؛ لما حصل لهم من الجهل بالإسلام، والصبغة غير الإسلامية التي اصطبغ بها أكثريتهم.

أما المستهدفون من الدعوة إلى الله فهم كل الناس، سواء كانوا من المسلمين بمراتبهم، أو من الكفار بأنواع كفرهم.

والمطروح المعرفي في التعريف بالإسلام: يركز حول أصول الإسلام بشكل أساسي، والتطرق إلى رد الشبهات عنه.

أما المطروح في الدعوة: فهو يشمل كل أمور الإسلام عقيدةً وعبادةً وشريعة.

---

(١٣) تأهيل المبتعثين للدراسة في البلاد غير الإسلامية للتعريف بالإسلام، د. عبد الرحمن السيد جويل تحت عنوان، (بتصرف).

(١٤) تأهيل المبتعثين في البلاد غير الإسلامية للتعريف بالإسلام، عبد الرحمن السيد مصطفى رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية ١٤٣٥هـ.

والتعريف بالإسلام يهتم جدًّا بالإقناع العقلي للمعرَّفِين، أما بالنسبة لنوعية الخطاب في الدعوة إلى الله؛ فيتنوع ما بين الخطاب العاطفي، والوعظ، والترهيب، والترغيب، والأسلوب الحماسي، وكذلك العقلي.

مع التنبيه إلى أن قيام الحجة، وبراءة الذمة مقترنة بالتعريف قبل الدعوة، فإذا عرف الإنسان الإسلام قامت عليه الحجة، أما إذا قيل له ادخل في الإسلام وهو لا يعرف عن الإسلام إلا اسمه فلم تقم عليه الحجة بَعْدُ أمام الله.

وقبول التعريف بالإسلام لا يعني دخول المعرَّف بالإسلام فيه، بل لا بد من النطق بالشهادتين، أما لو نطق المدعو للإسلام بالشهادتين رغبة في الدخول في الإسلام – حتى ولو لم يعلم من الإسلام إلا اسمه أو شكله – فقد دخل في الإسلام.

– وليس كل الناس لهم القدرة على التعريف بالإسلام وذلك من الناحية العلمية، أما من نواحٍ أخرى: كنشر مقاطع دعوية، وتوزيع كتب، والإنفاق على الدعوة والدعاة، فالكل يستطيع أن يجد لنفسه مشروعًا يخدم فيه.

– أما الدعوة إلى الله فيستطيع أن يقوم بها كل أفراد المجتمع، كلٌ بما يعلم، وعلى قدر الاستطاعة.

والدعوة إلى الإسلام مفتقرة إلى التعريف، فهي أولى خطوات الدعوة إلى الله، والتي لن تُقْبَلَ – حقيقة – إلا إذا تم التعريف الحقيقي بها، فبدونها قد تخفق الدعوة إلا إذا كتب الله تعالى لها النجاح، وكذلك يمكن أن تُقبَل ولكن تحُوطُها الشبهات التي تُزَعزِعُ أفرادَها.

المواضيع المطروحة في التعريف بالإسلام

هل التعريف بالشيء يعني الدعوة إليه؟

من حيث المضمون والمواضيع المطروحة، فإن مواضيع التعريف بالإسلام تدور حول التعريف بأصول الإسلام وقضاياه الأساسية، وبناء التصورات والجواب عن الشبه حول ذلك. بينما يتسع المضمون في الدعوة ليشمل الأصول والفروع وجميع مسائل الإسلام؛ بما فيها: التشريعات، والأحكام، والعقائد، والروحانيات، وعبادات القلوب، والجوارح، والتزكية، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

لماذا التعريف بالإسلام أولًا، وليس الدعوة المباشرة؟

إن ذلك له عدة أسباب؛ منها:

- هناك بلدان تُجَرِّم الدعوة إلى الدين، فلا بد أن نُعَرِّف ولا ندعو مباشرة، أو أن بعض الشعوب لا تقبل الدعوة المباشرة، وتشعر أنها عمل تبشيري إملائي، وليس تعريفًا بدينك وثقافتك.

فمثلًا وأنا في ألمانيا في مركز دعوي أستطيع أن أرسل خطابًا إلى مدارس وجامعات ومراكز شرطة، وأعرض عليهم زيارة مسجدنا للتعرف على أنشطتنا، والتعرف على الإسلام والمسلمين وعلى المسجد وثقافتنا، ويكون هناك مواعيد وبرنامج يُقدم لمجموعات، ويتم التعريف بالإسلام بطريقة يقبلونها ويشكروننا على ذلك. أما إذا قلنا لهم تفضلوا لندعوكم إلى الإسلام؛ فعندئذٍ سيكون رد فعلهم سلبيًّا، ولا يمكن أن يقبلوا دعوتنا، وسيعتبرونها عملًا تبشيريًّا.

- التعريف بالشيء لا يعني الدعوة إليه: فبالرغم من كون التعريف بالإسلام هو الخطوة الأولى التي تسبق الدعوة، إلا أنه قد تصبح الدعوة الصريحة غير مُستطاعة لظروف سياسية، أو اجتماعية، أو نحوها.
- قبول المعرفة بالإسلام وحده لا يعني الدخول في الإسلام، بينما قبول الدعوة يكون بالدخول في الإسلام.
- من حيث الخطاب والأسلوب، فإن التعريف بالإسلام يكون بالخطاب العقلي والحوار والجدال بالحسنى، بينما الدعوة أشمل حيث تكون بهذا الأسلوب وبغيره، كما قد تكون في بعض الأحيان بقوة السلطان وهيبته.
- كل معرِّف داعية وليس كل داعية معرِّفًا. فالدعوة إلى الله بمعناها العام يستطيع أن يقوم بها كل أفراد المجتمع، ولا تستلزم من الداعية إلا أن يكون عالمًا بما يدعو إليه، بينما التعريف بالإسلام يستلزم تكوينًا ومهاراتٍ إضافية للمعرِّف يستطيع معها أن يحُسِن النقل والتعريف، وأن يملك الإقناع والقدرة على رد الشبهات عن الإسلام [١٥].

بعد هذا التقديم الموجز، فإني سأقسم البحث إلى ١٢ فصلا، على النحو التالي:

- **المقدمة.**
  - **الفصل الأول: تأهيلُ الدُعاة للتعريف بالإسلام**
  - **الفصل الثاني: الخطاب الدعوي للمعرف بالإسلام**
  - **الفصل الثالث: الداعي المُعَرِّف بالإسلام**
  - **الفصل الرابع: صفات المعرِّف بالإسلام**

(١٥) التعريف بالإسلام، الدكتور عبد الله الغامدي، دار القبس ١٤٣٩هـ، ص٥٣ (بتصرف).

- **الفصل الخامس: حاجات المُعَرِّف بالإسلام**
- **الفصل السادس: الدعوة إلى الله: حكمها، وثمرتها، وأهدافها، وأهميتها، وفضلها ومعوقاتها**
- **الفصل السابع: أهداف التعريف بالإسلام ودعائمه**
- **الفصل الثامن: شبهات تعرقل واجب الدعوة، واعتراضات**
- **الفصل التاسع: المُعرَّف بالإسلام (المدعو إلى الله)**
- **الفصل العاشر: قضايا منهجية متعلقة بفقه الدعوة**
- **الفصل الحادي عشر: مقاصد الدعوة**
- **الفصل الثاني عشر: أصول الدعوة**

- **تحت كل فصل جملة من المباحث، والمطالب، والفروع.**
- **الخاتمة.**
- **فهرس المراجع والمصادر.**
- **فهرس المحتويات.**

الفصل الأول: تأهيلُ الدُعاة للتعريف بالإسلام

المبحث الأول: مفهوم تأهيل الدعاة وحقيقته

المطلب الأول: المقصود بتأهيل الدعاة

نقصد بتأهيل الدعاة: أنه مجموعة من البرامج تحتوي على معلومات وأفكار ومهارات، تُعْرَض بطريقة منظمة ومستمرة، تهدف إلى جعل الداعية ذا أهمية وأهلية وصلاحية للقيام بهذا العمل الجليل.

وتأهيل الشخص بنفسه، أو تأهيله بواسطة غيره، كلاهما ينتهيان إلى ما نريد الإشارة إلى أهميته؛ وهو صلاحية ذلك الشخص لذلك العمل.

ومن هنا جاء الاهتمام بهذا العلم بحيث نضبط المصطلحات، والمفاهيم، والممارسات، والصفات، والوسائل التي تسهم في إخراج منهجية ومِهَنيَّة صحيحة.

المطلب الثاني: أهم احتياجات الدعوة

ومن أهم احتياجات الدعوة تأهيل كل من يريد أن يتصدر لتعريف غير المسلمين بالإسلام تأهيلًا مبنيًّا على قواعد وأسس ومهارات تضع لهم حجر الأساس؛ لرفعهم إلى مستوى أفضل، والتدرج في توجيههم التوجيه الصحيح منذ البداية؛ لئلا تضيع أعمارهم كلها في ممارسات قاصرة، أو بمجال لا يستطيعون الإبداع فيه، فمجالات الدعوة متعددة، ومتطلباتها ومهاراتها كثيرة، ولا يمكن لداعيةٍ واحدٍ أن يُلِمَّ بكل متطلبات الدعوة، ولكن لا بد أن تكون لديه المنهجية الواضحة المستقيمة، ومن ثم يَختار تخصصًا دعويًّا ومجالًا من مجالات الدعوة يُبدِع فيه ويتقن مهارته. وقد تتراكم خبرته مع مرور الزمن ويصبح مدربًا لدعاة آخرين، أو على الأقل يرافق عددًا من الدعاة، ويساعدهم لتنمية مهاراتهم العملية في الميدان.

وهناك جهات – كأكاديمية الصحابة – يتم فيها تأهيل الدعاة على أسس الدعوة عمومًا، وعلى المهارات الأساسية التي ينطلق منها المعرِّف على وجه الخصوص؛ مثل منهجية التعريف بالإسلام، والتي يكتسب من خلالها مهارات الحوار مع أصحاب الأديان الأخرى، ومهارات دعوة الملاحدة وإبطال شبهاتهم حول الإسلام، ومهارات عرض جمال الإسلام وتشريعاته ومحاسنه، وكذلك مهارات التعريف بالقرآن الكريم، ومهارات التعريف برسول الله ﷺ، ومهارات العناية بالمسلمين الجدد؛ فيأخذ من هذه المسارات ما لا يسع المعرِّف الجهل به، ثم يختار هو بنفسه مجالًا من المجالات، ويطور نفسه فيه، ويمارسه ويصبح بمرور الزمن وكثرة التطبيق بارعًا فيه بإذن الله.

والداعية المؤَهَّل علميًّا وتربويًّا ومنهجيًّا ومهاريًّا هو أحق بالدعوة من جهةٍ، وأقدر عليها من جهةٍ أخرى، وأكثر تأثيرًا في الميدان الدعوي من جهة ثالثة.

ويكفي من ثمرة تأهيل الداعية: تحقيق البصيرة المأمور بها في قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

فإذا استكمل الدعاة ما يحتاجون إليه من علمٍ، وعملوا بما علموا، وصحَّت نيتهم ومنهجهم، ومارسوا الدعوة بكثرة، وطمعوا في الأجر العظيم، وأحسَنوا عرض دعوتهم؛ تحقَّقت أهدافُهُم بإذن الله.

وإنما يَدخُل النقصُ على الدعوة بفَقْد أحد هذه الأمور، فقد يكون الداعية غير متمكنٍ من العلم الذي يدعو إليه، أو

أنَّ نِيَّتَهُ فيها خللٌ، أو يكون منهجه مخالفًا للكتاب والسنة بوجهٍ من الوجوه، أو أنَّه لا يستطيع استمالةَ الناس إلى دينِ الله؛ لضعفٍ في تحصيله أو مهارته أو همته. ومن هنا جاء برنامج صناعة (أو تأهيل) المعرِّف بالإسلام؛ ليؤكدَ ويُبْرِزَ معالم تأهيل الدعاة المعرفين بالإسلام، واحتياجاتهم العلمية والتربوية والمنهجية، ومن ثم المهارية التي لا يمكن بغيرها أن يتقنوا القيام بواجب الدعوة إلى الله.

المطلب الثالث: التأهيل للتعريف بالإسلام من أولويات العصر

- **لماذا يعد تأهيل الدعاة للتعريف بالإسلام من أولويات هذا العصر؟**

من جهل شيئًا نَفَر منه أو خافه أو لربما عاداه. ومعاداة الإسلام المسماة بـ(الإسلاموفوبيا) في العالم في ازدياد، والإعلام الفاجر وبعض الحكومات والجهات التي تنشر الرذيلة والظلم في العالم – والتي أعلنت الحرب على الفطرة – لا يناسبها نقاء الإسلام ونشره كأسرع ديانة تدعو إلى خالقها وإلى الفطرة السليمة، فجندوا الجند وأنفقوا المليارات لرسم صورة ذهنية مغلوطة؛ لِيُحَالَ بين شعوبهم وبين التعرف على جمال الإسلام، ذلك الدين الذي ارتضاه الله للناس؛ ولذا على كل المسلمين – كلٌّ حسب تخصصه – أن يصرف جهده وماله للتعريف بالإسلام.

وهنا تأتي الحاجة إلى تنمية مهارات وخبرات عدد كبير من المخلصين بإتقان وتفرغ؛ لنُبَيِّنَ حقيقة الإسلام بطرق ووسائل متجددة بوصفه دين الرحمة الذي يصلح لكل مكان وزمان، وأنه الدين الخاتَم للبشرية، ولِنُبَدِّدَ مخاوف الآخرين بِأُولَى الخطوات وهي: التعريف بالإسلام؛ وذلك بعرض الصورة الصحيحة له، ثم نأتي بالخطوة التي تليها وهي الدعوة الصريحة للدين. وفي بعض الحالات لا ندعو إلى الإسلام دعوة صريحة، وإنما نُعَرِّف به، ثم الذي يقتنع يُسلم، والذي لم يقتنع فلربما يقتنع في فرصة أخرى وقد أُقِيمَت عليه الحجة.

وحتى يكون الخطاب الدعوي مفهومًا ومنضبطًا وصحيحًا؛ فعلينا تأصيل هذا التخصص، وتأصيل تطبيقاته للدعاة المعاصرين، وأن نؤهلهم بمواد ووسائل ذات منهجية مرتبة. فمن المؤسف أن التعريف بالإسلام إلى الآن لم يحظَ بالاهتمام الكافي من قبل الجهات الأكاديمية أو الحكومات الإسلامية على مر الزمن، وحتى الذين بدؤوا بالاهتمام لم يعطوه الاهتمام المنهجي اللائق به كتخصص مستقل يحتاج إلى دراسة منهجية شرعية جادة وتأصيلية لتتم صناعة متخصصين ومتفرغين لهذا الثغر.

ولذا قمنا بتقديم هذ المشاركة التأصيلية والتنظيرية فيما يتعلق بمنهجية تأهيل المعرفين بالإسلام ولكن بطريقة سهلة وموجزة، أدعو الله أن تكون مدخلًا نافعًا يصلح للاستعداد إلى المراحل القادمة، وأن يُحَصِّل المُعَرِّف بالإسلام من خلاله بصيرة وتصورًا إجماليًّا لهذا الفن قبل أن يَدخل إلى تفاصيله العلمية والعملية والمنهجية.

ولا شك أن صناعة المعرفين بالإسلام من أهم عوامل قيام الدعوة واستمرار إمكانيتها، فهم بإذن الله تعالى الضمان – بعد توفيق الله – في نجاح الدعوة.

المطلب الرابع: لماذا نحتاج إلى تخصص مستقل لتأهيل الدعاة؟

ذلك، لأن الدعوة إلى دين الله عبادة عظيمة ومن أَنْفَسِ الأعمال، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

وتأهيل الدعاة للتعريف بالإسلام يقوم على أصول راسخة، ومنطلقات ثابتة، وملامح ظهرت في مناهج الأنبياء في الدعوة عامة، واكتمل بدر تمامها في دعوة خاتمهم ﷺ خاصة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠

وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

وفي ضوء هذه الأصول، بقي أهل السنة والجماعة بهذا الواجب قائمين وعن الإسلام منافحين، ينشرون علمًا ويحققون توحيدًا ويتبعون آثارًا ويربون أجيالًا. وكان الدعاة في أول أمرهم يتلقون علم الدعوة وعملها بمشافهة الشيوخ والممارسة بحضرة الكبار، ولم تقم حاجة إلى إفراد علم الدعوة بالتصنيف والتأليف والدورات وإقامة برامج طويلة لكسب المهارات، أما في زمننا هذا فنحتاج إلى نظام منهجي يعتمد على التراث، وينتفع بعلوم العصر فيجمع بين الأصالة والمعاصرة [١٦].

إن أكثر من ١٥٠ ألف شخص يموتون يوميًّا [١٧] على غير الإسلام. فما هو واجبنا تجاههم؟ وما موقف الإسلام منهم؟ وكيف نصل إلى أكبر عدد ممكن منهم، ونعرفهم رسالات ربنا؟ وكيف نصل إلى الأهداف المرجوة بعلم ومهارة وأقل جهد وكلفة؟ كيف نُعرف بالإسلام بطرق صحيحة، ونقدم لغير المسلمين ما شرعه الله بطرق ووسائل وأساليب تواكب العصر، وتُبَلِّغ الإسلام إلى أكبر عدد ممكن من البشر؟

هنا نقول: يجب أن يتخصص في ذلك عدد كافٍ من رجال ونساء الأمة، فهذه المهمة تستحق مَنْ يأخذها على عاتقه، بل من الواجب شرعًا أن نتعاطاها بمهنية عالية، فتأخذ حقها من الوقت والجهد والعلم والمعرفة والمهارات والمال، مع استشعار أهمية ومكانة تلك النعمة التي أنعم الله بها علينا وشرفنا بها، وحينئذٍ سنكون على أتم استعداد لبذل الغالي والنفيس من أجل أن نبدع فيها.

ولا غرو أن تخصص التعريف بالإسلام لا يقل أهمية عن تخصص الفقه والعقيدة والسيرة والتفسير واللغة، ومن ثَمَّ يجب أن يتم تدريسه كعلم مستقل له أقسامُه في الجامعات والأكاديميات والمراكز الدعوية، وأن تُقام له المؤتمرات، وتُرْصَدُ له الميزانيات لإقامة القوافل الدعوية التي تَسْتَهْدِفَ مشارق الأرض ومغاربها.

يسأل الكثير: أليس رأس المال أولى في الحفاظ على المسلمين من الإلحاد في ظل هذه الهجمات الشرسة على أهلها؟

والجواب هو: التوازن بين هذا وهذا. نحن نعيش في زمن نحتاج فيه إلى: الحفاظ على المسلمين بصد الهجمات المتوالية من أعداء الإسلام من ناحية، وبتعريف غير المسلمين بجمال الإسلام من جهة أخرى... وقد يصل الأمر أحيانًا إلى محاولة إقناع المسلمين أنفسهم ببعض قضاياهم الكبرى، بل قد يقتنع المسلمون أكثر بدعوة المسلم الغربي لهم بسبب انبهارهم بالنموذج الغربي، أو ما يسمى بـ(عقدة الخواجة) فيصبح هو سببًا في ثباتهم وليس العكس. وكلا الأمرين منافعه عظيمة وفضلهما أعظم، وَلِكُلِّ ثغرٍ منهما أهلَه ومتخصصوه.

وإذا كان المسلمون أكثر من ملياري شخص، ويحتاجون إلى الدعوة فيما بينهم، فنحن كذلك مسؤولون أمام الله عن بقية البشرية وهم ستة مليارات على غير ملة الإسلام، ومن حقهم أن تَبْلُغَهُم رسالة ربهم بأفضل الطرق الممكنة.

---

[16] من مقدمة كتاب الدعوة إلى الله: التعريف والتأصيل، أ. د. محمد العواجي، ص٦ باختصار وتصرف.

[17] وفقا لتقارير منظمة الصحة العالمية، يتم تسجيل ما يقرب من 56 مليون حالة وفاة سنويا، مما يعني 153 ألف حالة وفاة كمتوسط في اليوم الواحد.

المبحث الثاني: أهداف تأهيل الدعاة وأركانه، ومجالاته، وأهميته، وأنواعه

المطلب الأول: أهداف تأهيل الدعاة

لا بد أن نحدد أهداف تأهيل الدعاة بوضوح للاستفادة منها، وإذا لم يكن لدينا قدرٌ كافٍ من الأهداف، فلا يمكننا أن نشرع في التأهيل؛ لأننا سوف نواجه على الدوام أسئلة تعوقنا: لماذا؟ وما الغاية؟ وكيف؟

فالعاملون في الحقل الدعوي يلزمهم تنمية أنفسهم وتطويرها ليقولوا قولًا سديدًا، ويؤدوا عملًا سويًّا متقنًا.

ولذا لا يقاس النجاح في التدريب بحسن التأهيل نفسه فقط، بل بوضوح أهداف التأهيل، واستيعابنا لها، واختيار الوسائل المناسبة لتنفيذها، وكذلك بحسن اختيار المؤهلين، وإمكانية أن نحقق تلك الأهداف معهم.

ولا بد أن يعي الدعاة أنهم أول من يُطالَب بمعرفة أهداف التأهيل، ويسعون في تحقيقها في أنفسهم، ويسعون لتطوير مهاراتهم وتطبيقها وتعليمها وتوريثها الغير.

ومن المهم التنبيه إلى أن كل برنامج تأهيلي للدعاة يهدف إلى أهداف خاصة، فأهداف التأهيل العلمي تختلف عن أهداف التأهيل التربوي، وكذلك التربوي يختلف عن المنهجي، وكذلك المنهجي يختلف عن المهاري والقيادي.

ولكن توجد أهداف عامة للتأهيل لا بد أن تكون نصب أعين العاملين في الدعوة، سواء كانوا دعاة أو قائمين على أمور الدعاة، نلخصها في النقاط التالية:

١. إعداد كفاءات متميزة في الدعوة، متمكنة من أصول تخصصها، وقادرة على التعامل مع المستجدات والمتغيرات المحلية والدولية.

٢. تكوين الملكة العلمية لدى الداعية، المبنية على التحليل والاستنباط والاستدلال والبحث العلمي.

٣. ربط المعرفة العلمية في علوم التخصص بتطبيقاتها العملية، مع العناية بالقضايا المستجدة، والنوازل المعاصرة.

٤. غرس القيم والأخلاق والمبادئ الإسلامية في نفوس الدعاة، وتوجيههم إلى نشرها.

٥. سد حاجة الأمة في مجالات الدعوة المختلفة، كالحوار مع الملاحدة وأهل الكتاب، وعرض جمال ومحاسن الإسلام لغير المسلمين، والعناية بالمسلمين الجدد.

٦. الإسهام في خدمة المجتمع بنشر العلم الشرعي بين أفراده، وتحصين المجتمع من الانحرافات الفكرية والسلوكية في ظل الانفتاح الإعلامي المصاحب لوسائل الاتصال والتطورات التقنية الحديثة.

٧. تنمية المهارات اللازمة المؤثرة لدى الدعاة؛ مثل: مهارة الخطابة والإقناع والتأثير، والتخطيط، والعمل المؤسسي... وغيرها.

٨. إعداد دعاة باحثين يمتلكون مهارات التفكير والإبداع وأصول البحث العلمي؛ بما يؤهلهم للقيام بواجباتهم الدعوية.

٩. التأهيل في مجال التخصص، مع الإحاطة بأساسيات العلوم الشرعية؛ بما يجعل الداعية قادرًا على الإسهام في مجالات التوظيف المناسبة.

١٠. التحلي بأخلاقيات التخصص وآداب المهن التي يُؤَهَّلُ لها، والتمكن من إبداء رأيه بموضوعية وتجرد، وإجادة آداب النقاش والحوار بشكل بناء.

١١. القدرة على القيادة، والاستعداد للتعاون مع الآخرين في المشاريع والمبادرات المشتركة.

١٢. اكتساب سمات الشخصية الإسلامية الوسطية المعتدلة؛ ليكون قدوة صالحة تسهم في إعداد جيل يفهم الإسلام فهمًا شموليًّا بعيدًا عن الغلو والجفاء.

١٣. اعتزاز الداعية بهويته الإسلامية، وإدراكه لخصوصية بلاده [١٨].

المطلب الثاني: الأركانُ العمليةُ لتأهيلِ الدعاةِ

تأهيل الدعاة طاعة وعملٌ عظيمٌ في قدرِهِ وفي دَورِهِ وفي نتائجه وفي موضوعه، له أركانه التي يقوم عليها، وإذا اختل أحد هذه الأركان أو عُدم فلن تتحقق أهداف التأهيل، ولن تؤتي ثمارها كما أُريد منها، وهذه الأركان هي:

الركن الأول: المُتَأَهَّل:

وهو الداعية إلى الله الذي يحمل أمانة تبليغ الدعوة إلى الناس، والعمل على نشر الدين الإسلامي في كل مكان، حاملًا لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ والأمة كلها من أولها لآخرها بحاجة شديدة إليه ليقوم بتوجيهها وإصلاحها وفق شرع الله ﷻ، ولن يكون كذلك إلا إذا تأهل تأهيلًا يجعله سليمًا في عقيدته، ومحافظًا على عبادته وخُلقه، وقدوة علمية وعملية في دينه وحياته، وإيجابيًّا في تعاطيه مع أحداث أمته، ومؤثرًا في مجتمعه.

الركن الثاني: المؤَهِّل:

وهو من يقوم بعملية التأهيل مباشرة، أو يشرف أو يضع البرامج لها؛ وهم ينقسمون إلى قسمين:

القسم الأول: من يُستعان بهم في برامج التَّأَهُّل، وهم أصناف كثر؛ أبرزهم أقارب الداعية، وأساتذته ومعلموه – في الجامعة أو في المعاهد الشرعية – وإخوانه الدعاة سواء من بلده أو في البلاد الأخرى.

القسم الثاني: المؤسسات المعنية بالدعوة وتأهيل الدعاة، وهي أنواع كثيرة؛ أهمها:

١ – المعاهد، والجامعات، والكليات المتخصصة بأنواعها.

٢ – الجهات التي تشرف على الدعوة والدعاة، سواء كانت حكومية أو خيرية.

٣ – المراكز الإسلامية في الدول غير الإسلامية.

٤ – وزارات الشؤون الإسلامية والدعوة والأوقاف في الدول الإسلامية.

٥ – مراكز التأهيل والتدريب.

والحقيقة أن الذي يقوم بتأهيل الدعاة دورُهُ كبيرٌ وصعب؛ إذ يجب عليه أن يقوم بتأهيل الداعية من الناحية التربوية والأخلاقية والعلمية والدعوية والمهارية؛ كي يكون أنموذجًا للداعية الذي يمثل دينه وأمته ومجتمع الدعاة بصدق وقوة. ولذلك من يقوم بهذه المهمة يجب أن تتوفر فيهم صفات معينة، وأن تتاح لهم الفرص المناسبة كي يقوموا بواجبهم حق القيام [١٩].

الركن الثالث: منهج التأهيل:

---

(١٨) هذه الأهداف تم تلخيصها من خطة المعايير الأكاديمية لمحتوى برامج بكالوريوس الدعوة ودبلومها في مؤسسات التعليم العالي – الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي، ص٢١ – ٣١.

(١٩) موسوعة دليل الداعية، تأهيل الدعاة، الشيخ أ. د. محمد العواجي، ص٢٥.

وهو عبارة عن الجوانب التي يجب أن تتوفر للداعية قبل وأثناء دعوته، لينال التكوين الذي يحافظ به على دينه وهويته، ويكون قادرًا على الدعوة إلى دينه وعقيدته. ولا بد أن يتميز هذا المنهج بالشمولية في جانب المادة التأهيلية المطروحة.

وهناك أربعة جوانب أساسية ينبغي أن يشتمل منهج التأهيل عليها كما سيأتي بيانه لاحقًا في هذا الكتاب:

١ – الجانب التربوي والإيماني.
٢ – الجانب العلمي.
٣ – الجانب الفكري والمنهجي.
٤ – الجانب الدعوي والمهاري.

المطلب الثالث: مجالات تأهيل الدعاة

مجالات تأهيل الدعاة كثيرة، ولها تفصيلات وتفريعات كثيرة، تختلف باختلاف الزمان والبيئة والداعية، ولكن سنذكر ما لا يسع الداعية جهله إجمالًا.

ويمكن حصر المجالات التي لا بد أن يتأهل فيها الدعاة إلى المجالات التالية:

المجال الأول: التأهيل التربوي:

لا بد من التأهيل التربوي للدعاة؛ ليشمل التأهيل العقدي والتعبدي، والتأهيل في جانب السلوك والعمل، تأهيلًا تربويًّا يرتقي به في معالي العبودية التي تُصَبِّره وتثبته وتقويه وتحفظه من مداخل شياطين الإنس والجن ومكرهم، وترتقي به لمعالي الأخلاق، ودرجات تزكية النفس.

المجال الثاني: التأهيل العلمي:

ينبغي تأهيل الدعاة تأهيلًا علميًّا، والذي من أهم معالمه: التأصيل العلمي، وشحذ الهمم وتوجيه الطاقات في طلب العلم، وتوفير ما يحتاجه الدعاة في دعوتهم من علوم ومسائل، وكذلك توفير أدوات البحث والعلم، لتكون لديه المقدرة على التعلم الذاتي، وأن يكون على تواصل مع العلماء – تواصلًا مباشرًا وغير مباشر –، وأن يكون واعيًا لكل جديد في مسائل العلم ونوازله.

المجال الثالث: التأهيل الفكري والمنهجي:

يجب تأهيل الدعاة تأهيلًا فكريًّا منهجيًّا؛ للتبصير بالمنهج القويم في الدعوة إلى الله، ومواجهة الديانات والأفكار والثقافات والأخلاقيات المخالفة للإسلام، والإجابة عن التساؤلات والشبهات عن الإسلام، فيكونوا مرجعية في رد تلك الشبهات.

ويتم تأهيلهم فكريًّا ومنهجيًّا؛ من خلال: غرس هم الدعوة إلى الله في قلوبهم، وإعدادهم للدعوة على بصيرة، وتعريفهم بالماضي لاستلهام العبر، والفقه في الواقع، والاستشراف للمستقبل، وتنمية الروح الإيجابية والتفاؤل والثقة بالنفس، وتنمية المبادرة الدعوية، وتثقيفهم على التكيف والمرونة، وبناء منهج التعامل الشرعي مع المخالفين.

ومن المهام التي يقوم بها التأهيل الفكري والمنهجيّ هو تعزيز السعي فيهم لتبليغ رسالة الإسلام في المجتمعات التي يعيشون فيها بالحكمة والموعظة الحسنة، وباستخدام الوسائل والأساليب المتاحة بقدر استطاعتهم، بالإضافة إلى

التعرف على العلماء والدعاة والاتجاهات الدعوية ذات المنهج السليم في الدعوة إلى الله، والتي تتسم بالوسطية والاعتدال، وكذلك التعرف على المناهج الدعوية الأخرى، وموضع النقص والانحراف فيها.

ويحتاج الدعاة إلى التأهيل والتدرب على كيفية علاج الصورة الذهنية الخاطئة عن الإسلام والمسلمين، والتي تصد الناس عن هذا الدين الحنيف العظيم. ولذلك إذا صَحَّت مناهج الدعاة إلى الله وسَلِمَت أفكارُهم ووسائلهم وغاياتهم، وأحسنوا عرض دينهم، واستمالوا الناس إلى الغاية التي يسعون إليها؛ لَتَحقَّقَتْ أهدافُهم بإذن الله، ولن يتم ذلك إلا بتلبية احتياجاتهم التأهيلية للقيام بالدور المنوط بهم.

المجال الرابع: التأهيل المهاري:

لا بد من تأهيل الدعاة تأهيلًا مهاريًّا؛ من خلال تنمية مهارات التعلم، وإتقان التعامل مع مصادر المعرفة، ومهارات التعلم الذاتي والمستمر، ومهارات التفكير، والمهارات الدعوية، والمهارات التي تعينه على طلب الرزق، ومهارات تطوير وسائل الخطاب الدعوي، والتأهيل على توسيع منافذ وآفاق الصَّوت الإسلامي داخل المؤسسات العلمية والعملية والمهنية بكل الوسائل المشروعة دينيًّا وقانونيًّا.

والداعية يحتاج أيضًا إلى التَّدَرُّبِ على طرق الدعوة وفنونها، والتنظيم والتخطيط في الأداء، واكتساب المهارات اللازمة التي تُعِينه على حُسن العرض للمبادئ التي يحملها، والتأثير والإقناع، والتسويق الدعوي المتميز.

المطلب الرابع: تنبيهات في تأهيل الدعاة

لا بد عند العمل على تأهيل الدعاة التنبه للأمور التالية:

١- (الأخذ بالأصول الشرعية المستمدة من الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، عند إعداد مقررات ومناهج ودورات تأهيل الدعاة.

٢- شمولية التدريب الدعوي للمجالات الدعوية الكافية من حيث الوسائل والأساليب، ومن حيث الجانب العلمي، والإيماني، والسلوكي، والفكري، والمهاري.

٣- أن يتم تحليل الحاجة الدعوية للتأهيل، فالتأهيل بدون تخطيط يعتبر هدرًا للموارد، وإضاعة للجهود والطاقات) (٢٠).

٤- (لا بد من التنبه إلى أن الدعاة يحتاجون لربط المعرفة الجديدة بالمعارف السابقة؛ بحيث يرون عملية التأهيل متصلة بخبرتهم في الحياة، وعليهم أن يتدربوا ويطبقوا ما يتعلمونه.

٥- لا بد أن يعتمد اختيار أساليب التأهيل على نمط تعلّم الدعاة، فبعضهم يتعلم بشكل أفضل من خلال الوسائط المطبوعة أو المرئية أو الشفهية، في حين أن بعضهم الآخر يحقق ذلك عن طريق المناقشة والنشاطات العملية، أو التمارين التي تتضمن أعمالًا تطبيقية.

(٢٠) التدريب الدعوي، د. سلطان الحصين، ص٣٠ بتصرف يسير.

٦- من المهم في إعداد برامج تأهيل الدعاة مراعاة القدرات المالية والمعدات المادية، وطبيعة المادة التأهيلية، واحتياجات كل متدرب بمفرده أو المجموعة بكل أعضائها، وحجم المجموعة التي يُراد تأهيلها ومواصفاتها، وأغراض التأهيل وأهدافه، وفترة التأهيل) [٢١].

٧- التدريب عملية مستمرة قبل الدخول في الدعوة وأثنائها، وكل برنامج دعويّ يحتاج لتأهيل خاص به، وكل مرحلة دعوية تحتاج لتأهيل خاص بها.

٨- هناك برامج لتأهيل الدعاة لا بد من التذكير بها ومتابعتها وهي البرامج الإيمانية والأخلاقية؛ لقول الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: ٥٥].

٩- لا بد من أن تشمل برامج تأهيل الدعاة على تطبيقات ميدانية، وتقييم هذه البرامج وتقويمها من خلال الواقع العملي والنزول الميداني.

١٠- لا بد من المراجعة المستمرة لبرامج ومجالات تأهيل الدعاة، والتجديد في الوسائل والأساليب والمناهج حسب متطلبات العصر والبيئة[٢٢].

(٢١) دليل التدريب القيادي، د. هشام الطالب، ص٥٣ باختصار وتصرف.

(٢٢) موسوعة دليل الداعية، تأهيل الدعاة، الشيخ أ. د. محمد العواجي، ص٢٨-٣١.

المطلب الخامس: أهمية تأهيل الدعاة

تأهيل الداعية تابع لأهمية العمل الذي يقوم به؛ وهو الدعوة إلى الله تعالى، وهداية الخلق إلى الحق. وهذا يقتضي أن يكون القائم بها ذا صفات ومواصفات خاصة تؤهله للقيام بهذه المهمة العظيمة.

ولأن الدعوة إلى الله وإلى سبيله يلزمها أن تكون وفق منهج الله الذي سار عليه رسله وأنبياؤه عليهم الصلاة والسلام، فالذي يدعو الناس إلى الله يجب عليه أن يلتزم بمنهج الله ورسوله في الدعوة، لا بمناهج البشر أيًّا كانت!

ولا بد للداعية أن يكون ذا وعي وإدراك لمميزات الدين الذي يدعو إليه وفضائله ومحاسنه، وأن ينطلق في دعوته من منطلق القوة والاعتزاز بإيمانه وبدينه ودعوته؛ فيكون بذلك مؤثرًا فيمن يدعوهم، مساعدًا على قبولهم لما يدعو إليه.

وبناء على ذلك، فلن يفيد ولن يؤثر في الميدان الدعوي إلا المؤهلون تأهيلًا خاصًّا، أما غير المؤهلين فربما كان ضررهم أكثر من نفعهم، أو كان نفعهم محدودًا على الأقل.

وأهمية التأهيل تنبع من حاجة الناس للدعوة إلى الله، والتي هي رسالة الأنبياء والمرسلين، ولا غنى للبشر عنها؛ مما يتطلب التأهيل الشرعي والمهني لدعاة متخصصين يُبَصِّرون الناس بأمور دينهم، ويأخذون بأيديهم إلى جادة الصواب، ويوجهونهم إلى اتباع الحق عقيدةً وشريعةً وأخلاقًا.

ففي التأهيل ربط للدعاة بعقيدتهم الصافية وشريعتهم السمحة وأخلاقهم العليا؛ ليتصلوا بالمجتمعات المحلية والخارجية، ويؤثروا فيها.

وبناء الداعية المتوازن في عقيدته وعبادته وتعاملاته وسلوكه لا يأتي إلا بالتأهيل، وهذا يحمي الداعية من الانحراف والمغالاة أو الإفراط والتفريط.

والتأهيل يبني الشخصية الدعوية العلمية الموضوعية التي ترتفع عن الميول والأهواء، وتعتمد على الأدلة الشرعية، وتنير للداعية سبل الحوار المثمر والبحث العلمي الموضوعي[٢٣].

ولا شك أن التأهيل يساعد الدعاة على حل المشكلات المرتبطة بالعمل الدعوي، ومن هنا تبرز الحاجة لتأهيل الدعاة من خلال النقاط التالية:

أولًا: التأهيل يرفع الجهل، ويجعل عبادة الله على علم:

ينبغي على الداعية أن يطلب العلم الذي يُقَوِّمُ به دينه، وهذا واجب على كل مسلم وليس على الداعية فقط، قال رسول الله ﷺ: "طلب العلم واجب على كل مسلم"[٢٤].

قال ابن عبد البر ﷺ: "قد أجمع العلماء على أنَّ من العلم ما هو فرض متعيَّن على كل امرئ في خاصة نفسه، ومنه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضُه عن أهل ذلك الموضع"[٢٥]؛ لذا كان لزامًا على الداعية أن يتفقه في دينه، ويتعلم من أحكامه ما ينفعه، وما يسير به في طريق سوي؛ حتى لا تختلط عليه الأمور، ويلتبس عليه الحق بالباطل والحلال بالحرام، وإذا لم يتعلم الداعية خصوصًا؛ تكون النتيجة أنه يسير في طريق غير سليم، فيبتدع

---

(٢٣) المعايير الأكاديمية لمحتوى برامج بكالوريوس الدعوة ودبلومها في مؤسسات التعليم العالي، الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي، ص٣١-٤١ باختصار وتصرف.

(٢٤) شعب الإيمان للبيهقي ١٦٧٢، والمعجم الأوسط للطبراني ٨٦١١، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ١٨٣، وقال الألباني في تخريج أحاديث مشكلة الفقر ص٤٨ – ٦٢: فالحديث بمجموع ذلك صحيح بلا ريب عندي.

(٢٥) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، ص٥ – ٧.

في الدين ما ليس منه، ويعبد الله على غير ما شرع، والنبي ﷺ يقول: "من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد"(٢٦)، وقال: "إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة"(٢٧)، وإذا لم يتعلم الداعية ما يقيمُ به دينَه ودينَ مجتمعه؛ فقد يُحرِّمُ على نفسه أو غيره ما لم يُحَرِّمْه الله، ويُبيحُ لنفسه أو لغيره ما حرَّمَه الله، وقد يَرُدُّ الصحيحَ ويقبلُ الباطلَ، ويُصَوِّبُ الخطأ، ويُخَطِّئُ الصواب.

ثانيًا: التأهيل يحافظ على الهوية الإسلامية لدى الدعاة:

قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ [البقرة: ١٣٢].

أي: "فقوموا به، واتصفوا بشرائعه، وانصبغوا بأخلاقه؛ حتى تستمروا على ذلك، فلا يأتيكم الموت إلا وأنتم عليه؛ لأن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه"(٢٨)(٢٩)، ولن يتم ذلك إلا بالتأهيل والتذكير المستمر.

والمقصود بالهوية الإسلامية: "الإيمان بعقيدة الإسلام، والاعتزاز بالانتماء إليه، واحترام قيمه الحضارية والثقافية، وإبراز شعائره، والتمسك بها، والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية، والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ"(٣٠).

إذن، فالتأهيل للدعوة إلى الله من وسائل الثبات والحفاظ على الهوية الإسلامية، وعدم الميل والانحراف عنها تحت أي ضغط.

ومبنى التأهيل هو: العلم الشرعي الذي يُعين الداعية على تحصين نفسه وأسرته من مزالق الانحراف في التصور والسلوك والإدراك.

وهذا التأهيل يعمق روح الوعي لدى الداعية بالقضايا الإسلامية، وضرورة التفاعل معها، والإسهام في حلها بقدر المستطاع، والتذكير بالدور الرائد للمسلم في الدعوة إلى الله على هدى وبصيرة.

وكذلك يُنمِّي المقدرة على رد الشبهات التي تثار حول الإسلام؛ ببيان منهجه الأصيل، وإدراك مراميه وأهدافه، مع اكتشاف الأدواء والأمراض الفكرية والاجتماعية – التي تحصل في واقع الدعوة – قبل استفحالها ومعالجتها ومحاصرتها في مهدها، فالوقاية خير من العلاج، وتحصين الدعاة من تلك الأمراض وطرقها الملتوية يجعلها ضيقة القبول ومحاصرة من جميع الجهات.

والتأهيل أيضًا يُمَكِّن الدعاة من اكتساب الثقة بدينهم، والاعتزاز بانتمائهم إليه عند عملية الاندماج في مجتمعاتهم، سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية؛ ولأن "التبعية هي جوهر التخلف"(٣١). فالتأهيل هو صمام الأمان للسمات والسلوكيات والمقومات التي تميز المسلمين عن غيرهم، وتُكَوِّن ذاتهم، والتي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالإسلام عقيدة وعبادة وخلقًا، ولقد سمت الحضارة الإسلامية حين كان للمسلمين شخصيتهم وأصالتهم التي لم يكونوا تابعين فيها لغيرهم؛ ولقد

---

(٢٦) صحيح البخاري ١٧١٨.

(٢٧) سنن ابن ماجة ١٧١٤٢، ومسند أحمد ٢٨/٣٧٣، وقال شعيب الأرناؤوط: حديث صحيح ورجاله ثقات.

(٢٨) صحيح مسلم، ٢٨٧٨ بلفظ: يبعث كل عبد على ما مات عليه.

(٢٩) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص٦٧.

(٣٠) الهوية الإسلامية، خليل نوري، ص٤٥ بتصرف يسير.

(٣١) التربية والنظام السياسي، شبل بدران، ص٢٠٥.

أنكر الرسول ﷺ أن تكون أمة الإسلام تابعة أو ذيلًا لغيرها، فقد قال ﷺ: "لتتبعن سنن من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟!"(٣٢).

فالأمة تتعرض لكثير من المخاطر والتحديات، ولكي يتمكن الدعاة من مواجهة تلك التحديات والمخاطر يجب أن تكون لهم شخصية قوية، وهوية متينة يحافظون على مقوماتها، لا أن يكونوا كغثاء السَّيْل.

ومعلوم أن أعداء الأمة الإسلامية يتآمرون عليها لنَهْب خيراتها، وتقاسم ممتلكاتها الحضارية؛ بأحد أمرين: إما بالاستعمار المباشر، وهو ما حصل للأمة منذ مدة، وإما بالتبعية له في شتى المجالات، وهو حاصل الآن، وهو ما لا يَتَأَتَّى إلا بذَوَبان الأمة في حضارة تلك الأمم، وغياب النموذج الذي بناه الرسول ﷺ مما يُصيب الأمة في حضارتها وكيانها ووجودها، فلا يكون لها شأن بين الأمم (٣٣).

فالداعية المعاصر يعيش في زمن لا عصمة له بعد الله إلا بالعلم والتقوى، العلم الذي يقيم به دينه ويحافظ على هويته؛ حيث إنه يخالط كثيرًا من الثقافات المختلفة – في ظل العولمة – التي تتعارض في كثير منها مع عقيدة وقيم الإسلام؛ ولذلك كان من الواجب الشرعي على الداعية تعلم ما يحافظ على شعائره وهويته ودينه، وكذلك ينبغي على القائمين بتأهيل الداعية مساعدته في المحافظة على ذلك، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

ونجد أن الله تعالى كان يوجه رسوله ﷺ – تأهيلًا له لأمر الرسالة – بالبعد عن طاعة الكفار والمنافقين، وعدم السماع لهم، والحذر منهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [الكهف: ٢٨].

وقد كان رسول الله ﷺ مهتمًّا بتأهيل الصحابة والحفاظ على هويتهم الإسلامية أشد اهتمام، فقد ثبت أنه خرج ﷺ مع أصحابه فمروا بشجرة للمشركين يقال لها ذات أنواط، يعلق المشركون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: "سبحان الله!! هذا كما قال قوم موسى: اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم"(٣٤).

وهذا التأهيل المستمر والتعاهد والتوجيه من رسول الله ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم، أرى أن الدعاة في أمس الحاجة إليه اليوم. فبالتأهيل يتم متابعة أمورهم الدينية والدعوية، وتعزيز جانب الإيمان في نفوسهم، وبه يتم التعرف على البلدان التي سيذهبون إليها، ومعرفة عاداتهم وتقاليدهم، وكيفية الدعوة إلى الله ﷻ كمنهج حياة في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات.

ثالثًا: الأهلية للدعوة إلى الله (٣٥):

إذا قيل: إن فلانًا لديه أهلية للدعوة إلى الله؛ فهذا يعني صلاحيته لأن يقومَ بهذه المهمة، أو لأن يَقْبَلَ الناس ما يدعو إليه.

---

(٣٢) صحيح البخاري ٣٤٥٦، ومسلم ٢٦٦٩.

(٣٣) ينظر: الوعي الحضاري المطلوب د. محمد بنكيران، ص٩٥.

(٣٤) جامع الترمذي ٢١٨٠. وقال: حديث حسن صحيح. ومسند أحمد ٢١٩٤٧ وغيرهما قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح، ٥٤٠٨.

(٣٥) ينظر: التأهيل الدعوي في المواقع السعودية على شبكة المعلومات، بحث د. عبد الله الناصر، للندوة الأولى للمواقع الدعوية على شبكة المعلومات السعود بتصرف يسير.

إن إمعان النظر في مفردة: «الأهلية» ينبه إلى أن غير المتأهل ليس صالحًا لأن يقوم بالدعوة إلى الله، فهناك من هو أهل للقيام بالدعوة إلى الله، وفي المقابل هناك من ليس بأهل، وهذا جانب يبرز لنا أهمية العناية بالتأهيل.

إن الدعوة إلى الله ودلالة غير المسلمين وإرشادهم إلى ربهم وخالقهم سبحانه وتعالى، وتبصيرهم بما خُلِقُوا له يحتاج تأهيلًا؛ لأن أشخاصًا قد يصدون عن سبيل الله وإن كان مقصدهم الدعوة إلى الله؛ إلا أن حسن المقصد لا يصحح سوء العمل، ولهذا تظهر بوضوح أهمية التأهيل للدعوة إلى الله ليؤتي العمل أُكُلَهُ، ولتكون الجهود المبذولة وفق الحكمة، كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: ٢٦٩].

فالداعية المؤهل أكثر قبولًا، وأقوى حجة، وأوضح أسلوبًا، وأوسع علمًا، وأغزر تجربة، وأعلى حماسًا، وأكثر انضباطًا، وأشمل نظرة، وهو أعرف بالمقاصد الشرعية، وبمآلات الأمور وعواقبها... وهكذا في كل جانب تجد له قدم السبق والتميز.

فالتأهيل للدعوة يضبط أفكار الدعاة وتفكيرهم وإدراك مآلات الأفعال والأقوال، ويجعلهم يتخيرون من الأقوال أنسبها، وينزلونها في خير محلها، على أحسن أحوالها.

والتأهيل يساعد الدعوة في تحقيق أهدافها، وترشيد مسيرتها، بأقصر طريق، وأقل وقت وجهد مبذول، وبقليل من المواجهات.

رابعًا: فهم مراحل الدعوة وفقهها:

الدعوة تمر بمراحل مهمة، كل مرحلة من هذه المراحل فيها قضايا لا بد أن نسعى بكل الطرق إلى تفعيلها، وخصوصًا في هذا العصر الذي يحتاج الناس فيه إلى الإقناع دون الاقتصار على العاطفة، ونُبرِزُ أهميةَ هذا الموضوع في النقاط التالية:

١ – إن السبب الأول في إحجام الناس عن الدخول في الإسلام هو عدم تعرفهم حقيقة الإسلام، وتلك التصورات المشوهة عندهم عنه، وكما قيل: من جهل شيئًا عاداه.

فمن المعلوم أن من يجهل شيئًا يعاديه، أو ينفر منه أو يخافه، وهذا الذي حصل لكثير من غير المسلمين خصوصًا في المجتمعات غير الإسلامية، وهو أنهم لم يعرفوا الإسلام، أو أنه قد صُوِّر لهم الإسلام بطريقة غير صحيحة، فهم واقعون بين الجهل بالإسلام أو المعرفة والتصور الخاطئ له، ولقد كثرت الشبهات حول الإسلام، وتسللت إلى عقول غير المسلمين لعدم معرفتهم بالإسلام الصحيح.

والتعريف بهذا الدين ومحاسنه أولًا – في هذا الوقت – من الأهمية بمكان، لا سيما في ظل الحملات المنظَّمة التي تشنها بعض الجمعيات والمؤسسات بل الدول في تشويه صورة الإسلام ورموزه ومجتمعاته وقيمه وأخلاقه، وأنه الخطر القادم عليهم.

٢ – إن مجالات الدعوة إلى الله تعالى قد كثرت، وحاجة الدعوة إلى الوسائل والأساليب الجديدة المرتبطة بالمنهج النبوي سنةً، وبالواقع حاجةً، وبالإبداع والابتكار والتجديد عملًا؛ لهو من الأمور المهمة التي يجب على الدعاة التنبه لها.

يأتي هذا في ظل إغلاق أبواب كثيرة من الدعوة إلى الله في بعض المجتمعات؛ ولذلك لا بد من معرفة الدعاة لأبواب الدعوة من خلال تأهيلهم الذي يُراعي عملية التدرج والمرحلية للوصول إلى الناس [٣٦].

المطلب السادس: فوائد وثمار تأهيل الدعاة على التعريف بالإسلام

تكمن فوائد تأهيل الدعاة فيما يلي:

١. أنَّ التفقه في الدعوة يؤدي إلى بصيرة في عرض جمال الإسلام، وبيان الطريق الصحيح القويم، فيكون أمامه منهج واضح وصحيح، فلا ينحرف ولا يتخبّط.

٢. معرفة الحكم الشرعي قبل أن يتصدر للدعوة؛ لكي يتعامل مع المحتوى الدعوي ومع المدعو ثم مع من أسلم بطريقة سليمة، فتعلم منهجية وأصول الدعوة ومهارات التعريف بالإسلام المختلفة ترسم الطريق للمعرفين للعمل باحترافية وبمهنية، وتفتح لهم آفاقًا جديدة ومجالات كثيرة مع ترشيد مسيرتها بأقصر طريق وأقل وقت وجهد مبذول.

٣. إن تأهيل الدعاة على التعريف بالإسلام هو الدعامة الأساسية والركيزة الرئيسة لنشر الدين وتثبيت المسلمين الجدد وخاصة في عصرنا الحاضر.

٤. إذا علم المُعَرِّف الهدف والثواب العظيم من تعريفه؛ هانت أمامه كل الصعوبات في سبيل ذلك الهدف، واجتهد في العمل الدائب على تنفيذ أمره ﷺ، ويجعله متحفزًا في سلوك هذا التخصص، ويضبط أفكار المعرفين ويساعدهم في إدراك مآلات الأفعال والأقوال، ويعينهم على ردِّ الشبهات التي تثار حول الإسلام ببيان منهجه الأصيل، وإدراك مرامه وأهدافه؛ فتستبين صورة الإسلام واضحة [٣٧].

المطلب السابع: أنواع التأهيل والتدريب للدعاة

المعرف بالإسلام يحتاج إلى أنواع من الخبرات:

الأول: التدريب والتأهيل الشرعي:

ففاقد الشيء لا يعطيه.

الثاني: التدريب والتأهيل المهاري:

يحتاج المعرف إلى: المهارات الأساسية للمعرف بالإسلام:

١/ الشخصية.

٢/ صقل مهارات الداعية إلى الله في التقنيات الحديثة.

٣/ مهارات الحوار مع المستهدفين.

٤/ مهارات كسب القلوب وبناء الجسور.

٥/ مهارات البحث والعرض والتقديم، ومهارات الخطاب الجماهيري.

٦/ مهارات استحضار الأدلة، وسرعة البديهة.

٧/ الأفكار، والوسائل، والأساليب الدعوية ليطبقها الْمُعَرِّف وينشرها بين المسلمين.

---

(٣٦) انظر: قضايا منهجية في الدعوة إلى الله، أ. د. محمد العواجي ص٣٨-٤١.

(٣٧) التعريف بالإسلام، الغامدي، ص٨١.

٨/ مهارات الحوار والإقناع مع أصحاب الأديان.

المبحث الثالث: المواد الدراسية التي يحتاجها المعرِّف بالإسلام

يحتاج المعرفون بالإسلام إلى مناهجٍ ضرورية، وأساسياتٍ تكون بمثابة البداية في تنمية مهاراتهم الدعوية، ثم تأتي بعدها مراحل قادمة تؤهل الراغب في أن يُصبح معرفًا بالإسلام أكثر تأثيرا، ولديه القدرة على نقل هذه الخبرات إلى غيره.

المطلب الأول: المواد التأصيلية المطلوب دراستها

ولذلك ينبغي أن يدرس المتدرب، أو الطالب، أو رئيس المركز الدعوي، أو الأستاذ الجامعي المهتم بالأمر – مجموعةً من المواد العلمية والتدريبية الخاصةِ بالتعريف بالإسلام، على أن تكون هذه المواد موضوعة بمنهجيةٍ دقيقة، ومرسومة بمهنية واحترافية وجودة عالية؛ وهي كالتالي:

١/ تأصيل ومنهجية التعريف بالإسلام:

(مفهوم التعريف بالإسلام/ التأصيل والقضايا المنهجية، وصفات المعرف بالإسلام/ المنهج النبوي في الدعوة إلى الله تعالى، وكل ما نعرضه في هذا الكتاب).

٢/ البناء الإيماني للمعرف بالإسلام:

(فبدون عقيدة راسخة يُخشى أن يكون ضرر المعرف بالإسلام أكثر من نفعه على نفسه وعلى الدعوة).

٣/ مهارات الحوار مع أصحاب الأديان.

٤/ الخطاب الدعوي للمعرف بالإسلام

(جمال الإسلام/ أصول الإسلام/ خصائص ومقاصد الإسلام/ تعاليم الإسلام/ محاسن وتشريعات الإسلام/ مهارات التعريف بالقرآن الكريم/ مهارات التعريف برسول الله ﷺ/ إثبات نبوته/ أقوال المنصفين من غير المسلمين عنه/ شمائله/ سيرته/ أحاديثه/ ذكر دقة نقل علم الحديث، وذكر دعوة الرسُل عليهم السلام...).

٥/ وسائل، وأساليب، وميادين التعريف بالإسلام

المهارات الأساسية للتعريف بالإسلام:

(المهارات الشخصية/ صقل مهارات الداعية إلى الله في التقنيات الحديثة/ الذكاء الاصطناعي للدعوة/ مهارات الحوار مع المستهدفين/ مهارات الخطاب الجماهيري/ مهارات البحث والعرض والتقديم/ مهارات استحضار الأدلة/ سرعة البديهة/ الأفكار والوسائل الدعوية ليطبقها المعرف وينشرها بين المسلمين...).

٦/ مهارات العناية بالمسلمين الجدد، وتعليمهم وتثبيتهم وتمكينهم.

٧/ البناء الأخلاقي والتزكوي للمعرف بالإسلام.

٨/ منهجية دعوة الملاحدة، وإبطال شبهاتهم حول الإسلام.

في بداية تدريبنا للدعاة، وفي هذه الدفعات الأولى دمجت – حسب اجتهادي في مادة الخطاب الدعوي للمعرف بالإسلام (موضوع الدعوة) – مادتين أخريين؛ وهما:

١/ التعريف بالإسلام بالقرآن الكريم.

٢/ التعريف بالرسول ﷺ.

وأميلُ أن تكون هاتان مادتين مستقلتين.

لا شك أن هناك مواد أخرى أيضًا يحتاجها الدعاة حسب الآلية التي تتم صناعة المعرفين بالإسلام، فإذا كان من خلال دراسة أطول كالبكالوريوس، فهناك حاجة إلى:

١. مادة تأهيل القائمين على تأهيل المعرف بالإسلام.

٢. مادة تاريخ الدعوة.

٣. مادة البناء القيادي للمعرف بالإسلام.

والأهداف العامة لهذا المنهج:

١. منح الطالب أو المتدرب المنهجيةَ الصحيحة في التعريف بالإسلام، والمفهوم، والأساليب.

٢. تحصين المتدرب إيمانيًّا ليقيه الشبهات المتعددة.

٣. توضيح وتصحيح المفاهيم المغلوطة حول الدعوة والتعريف بالإسلام.

٤. البناء الأخلاقي للمتدرب.

٥. تمكين المتدرب من المهارات الأساسية في التعريف بالإسلام.

٦. تمليك المتدرب مهارات التعريف بالنبي ﷺ.

٧. تمليك المتدرب مهارات التعريف بالقرآن.

٨. تمكين المتدرب من مهارات عرض جمال الإسلام ومحاسنه.

٩. إكساب المتدرب مهارات الحوار مع النصارى.

١٠. منح المتدرب مهارات دعوة ملاحدة الغرب إلى الإسلام، وإبطال شبهاتهم.

١١. إكساب المتدرب مهارات العناية بالمهتدين الجُدُد.

المطلب الثاني: أهداف المواد التأصيلية والمنهجية للتعريف بالإسلام

وضعت لكل مادة من المواد المذكورة آنفًا عدة أهداف، يجب أن يحققها المعرف؛ وهي كالتالي:

١. التعرف على مفهوم التعريف بالإسلام، وأهميته، وأهدافه.

٢. إدراك نشأة مصطلح التعريف بالإسلام، وأسباب الظهور.

٣. التعرف على العلاقة بين التعريف بالإسلام والدعوة إلى الله.

٤. استشعار فضل الدعوة إلى الله.

٥. اسْتِقَاءُ مفاهيم ومناهج التعريف بالإسلام من منابعها الأصلية.

٦. التعرف على الشواهد التاريخية للتعريف بالإسلام.

٧. إدراك دور المهارات المتنوعة في تيسير وانتشار التعريف بالإسلام.

٨. اكتساب أهم المهارات الشخصية والميدانية التي تعينه على التعريف بالإسلام.

٩. الإلمام بأساسيات التقنيات الحديثة، ومهارات الدعوة الإلكترونية.

١٠. اكتساب أهم مهارات التدريب الدعوي.

١١. التعرف على مفهوم منهجية التعريف بالإسلام.

١٢. اكتساب مهارة اختيار الأولويات في التعريف بالإسلام.

١٣. التعرف على أثر التعريف بالإسلام بمنهجية صحيحة.

١٤. إجادة طرح موضوعات التعريف بحقائق الإسلام العظمى بمنهجية صحيحة.
١٥. إجادة التعريف بالقضايا، والشخصيات، والمعالم بمنهجية صحيحة.
١٦. التعرف على المهارات المتنوعة لعرض جمال الإسلام.
١٧. إدراك قيمة وأهمية وأثر هذه المهارات في التعريف بالإسلام.

المطلب الثالث: أهداف مادة البناء الإيماني للمعرف بالإسلام

١. أن يعي المتدرب أهمية العقيدة بشكل عام.
٢. أن يدرك المتدرب أهمية وأثر العقيدة للمعرف بالإسلام.
٣. أن يكتسب المتدرب الفهم الصحيح لأمور العقيدة.
٤. أن يكتسب المتدرب حصنًا منيعًا يقيه من الشبهات.
٥. أن يستشعر المتدرب عبوديته لله، وتسليمه له.
٦. أن يعيش المتدرب أسماء الله الحسنى سلوكًا.
٧. أن يحرص المتدرب على إخلاص نيته وصواب عمله.
٨. أن يثق المتدرب بالله، وبوعده بنصر الدين، وبلوغه.
٩. أن يترسخ لدى المتدرب هشاشة الشبهات.

المطلب الرابع: أهداف مادة البناء الأخلاقي والتزكوي

١. أن يتبنى المتدرب أهمية الجانب الأخلاقي للمعرف بالإسلام.
٢. أن يستقي المتدرب الأخلاق السامية من منابعها الأصلية.
٣. أن يقتدي المتدرب أخلاقيًّا بالنبي ﷺ.
٤. أن يظهر على المتدرب أثر الأخلاق الفاضلة في سمته وسلوكه.
٥. أن يتعرف على أهم المشكلات الأخلاقية التي قد يتعرض لها المعرف بالإسلام، وطُرق الوقاية منها.
٦. أن يقيم المتدرب أخلاقه من خلال الاستبيان الذاتي.

الفصل الثاني: الخطاب الدعوي للمعرف بالإسلام

المبحث الأول: مهارات عرض جمال الإسلام، وتشريعاته، ومحاسنه، وقيمه

المطلب الأول: الهدف من تعلم مهارات عرض جمال الإسلام

١. إدراك قيمة هذه المهارات، وأهميتها، وأثرها في التعريف بالإسلام.
٢. إجادة استخدام هذه المهارات لعرض محاسن الإسلام.
٣. القدرة على إقامة الأدلةِ على أصول الدينِ وصِدق الإسلام.
٤. اكتساب مهارة ترتيب الأولويات في التعريف بالإسلام.
٥. إجادة طرح موضوعات التعريف بحقائق الإسلام العظمى بمنهجية صحيحة.
٦. اكتساب مهارات عرض أساسيات الإسلام بطريقة موجزة، وأنَّ لكل فئة أسلوب خاص.

المطلب الثاني: تعلم مهارات التعريف بالإسلام بالقرآن الكريم

الهدف من تعلم مهارات التعريف بالإسلام بالقرآن، هو:

١. إدراك قيمة كلام الله عز وجل، وأهميته، وأثره البالغ على المدعوين.

٢. اكتساب المهارات المتنوعة للتعريف بالإسلام من خلال الخطاب القرآني.

٣. أن يكتسب المتدرب مهارة استحضار الوحي في التعريف بالإسلام.

٤. أن يكتسب المتدرب مهارة الإجابة عن الأسئلة الكبرى: مَن أنا؟ لماذا خُلقت؟ إلى أين المصير؟ ما حقيقة الحياة؟ ما حقيقة الوجود؟ ما حقيقة الآخرة؟

٥. اكتساب مهارات تفعيل الوحي في الدعوة الإلكترونية.

٦. التعرف على وسائل مختلفة؛ لإسماع الناس كلام الله.

٧. التعرف على أهم أقوال المنصفين من غير المسلمين عن القرآن، واستخدامها في التعريف بالإسلام.

المطلب الثالث: تعلم مهارات التعريف برسول الله ﷺ

الهدف من تعلم مهارات التعريف برسول الله ﷺ، هو:

١. نشر محبته عالميًّا، ورفع مستوى التقدير والاحترام لما قدمه للبشرية.

٢. نشر رسالته بأسلوب عصري وراقٍ يواكب التطور التقني لهذا العصر، ويتفاعل مع المتغيرات العالمية، ويخاطب الشعوب بلغاتها وثقافاتها.

٣. إبراز تعاليمه الشريفة في شتى المجالات، والتي شكلت المقومات الأخلاقية للحضارة الإسلامية؛ تلك الحضارة التي كانت منعطفًا رئيسًا في تاريخ البشرية.

٤. التعريف بالمقومات الأخلاقية للحضارة الإسلامية من خلال تعاليم النبي ﷺ وسنته الشريفة.

٥. التركيز على ارتباط الإسلام بالهداية والحضارة، والرد على الشبهات التي حاولت أن تربط بينه وبين العنف والتطرف.

٦. التعرف على أفضل منتجات السيرة التي تصلح أن تُنشر بين غير المسلمين.

٧. التعرف على أهم أقوال المنصفين من غير المسلمين عن رسول الله صلى عليه وسلم، واستخدامها في التعريف بالإسلام.

المطلب الرابع: تعلم وسائل التعريف بالإسلام، وميادينها وتطبيقها

من الأهداف المطلوبة في هذا الشأن:

١. التعرف على أساليب التعريف بالإسلام ووسائله.

٢. أهم الميادين للتعريف بالإسلام، وكيفية الدعوة من خلالها، والخوض في ميادينها بفقه ووعي.

٣. استخدام الأساليب والوسائل الاحترافية في التعريف بالإسلام.

٤. اكتساب مهارة نشر أساليب التعريف بالإسلام ووسائله بين الدعاة.

٥. اكتساب الأساليب والوسائل المناسبة للزمان والمكان والمنضبطة بالشرع الإسلامي.

٦. اكتساب مهارة الإبداع والابتكار والتمكن من الوسائل والأساليب والميادين الجديدة، والقدرة على الحكم عليها، وكيفية استخدام الصالح منها، مع الحفاظ على ثوابت الدعوة وأصولها.
٧. اكتساب مهارة الموازنة بين الميادين الدعوية، وتجنب الوقوع في الإفراط أو التفريط.

المبحث الثاني: مهارات الحوار مع النصارى والملاحدة والعناية بالمسلمين الجدد

المطلب الأول: أهداف مادة مهارات الحوار مع النصارى

١. التعرف على أهم عقائد النصارى.
٢. اكتساب مهارات الحوار مع النصارى.
٣. التعرف على سُبل وقاية المسلمين من التنصير.
٤. القدرة على إثبات تحريف الإنجيل والتوراة، والمصادر الوثنية، والعنف فيهما.

ولأكاديمية الصحابة منهج تعليمي مميز لدعوة النصارى إلى الإسلام، يقدم فضيلة الشيخ ماجد الرَّسِّي فيه المحاور الآتية:

١. كيف تحرفت العقيدة النصرانية؟

أ- رسالة المسيح الأصلية.

ب- اليهود يكرهون المسيح.

ت- خطة قتل المسيح.

ث- تحريف بولس لعقيدة المسيح؛ بمزجها بعقائد الرومان.

١. حقيقة بولس.
٢. دعاوى بولس الخمسة.
٣. هدف بولس.
٤. وسيلة بولس.
٥. نقض دعاوى بولس من ستة وجوه.
٦. الذين أفسدوا الأديان ثلاثة.

ج- تحريف المجامع العشرة (مجامع الرومان، وما تبعها).

١. تعريف بعقائد الرومان.
٢. علاقة الإمبراطورية الرومانية باليهود والنصارى.
٣. رقعة الدولة الرومانية.
٤. مرحلة التصدع العقدي بين الكنائس – تدخل إمبراطور الرومان لوأد الخلاف.
٥. سلسلة تحريف المجامع.
٦. دين المسيح تحول إلى دين روماني وثني.

٢. بعثة النبي محمد ﷺ بعدما عظم التحريف [دين خاتم، نبي خاتم، كتاب خاتم].

٣. محاور بناء العقيدة النصرانية – أربعة محاور:

١. ربوبية المسيح.
٢. اعتقاد أن خطيئة آدم متوارثة.
٣. اعتقاد أن المسيح صُلِب ليفتدي الناس من الخطيئة (عقيدة الفِداء).
٤. اعتقاد أن العهدين – القديم والجديد – كلام الله.

٤. محاور نقض المحور الأول – ربوبية المسيح:

١. نقض عقيدة ربوبية المسيح بدلالة العهد القديم.
٢. نقض عقيدة ربوبية المسيح بدلالة العهد الجديد.
٣. نقض عقيدة ربوبية المسيح بدلالة العقل.
٤. نقض عقيدة ربوبية المسيح بدلالة التاريخ.
٥. نقض عقيدة ربوبية المسيح بدلالة القرآن.

٥. محاور نقض المحور الثاني – توارث خطيئة آدم:

١. نقض عقيدة توارث الخطيئة بدلالة العهد القديم.
٢. نقض عقيدة توارث الخطيئة بدلالة العهد الجديد.
٣. نقض عقيدة توارث الخطيئة بدلالة العقل.
٤. نقض عقيدة توارث الخطيئة بدلالة التاريخ.
٥. نقض عقيدة توارث الخطيئة بدلالة القرآن.
٦. (قصة أبينا آدم الصحيحة).

٦. محاور نقض المحور الثالث – صلب المسيح:

١. نقض عقيدة صلب المسيح بدلالة العهد القديم.
٢. نقض عقيدة صلب المسيح بدلالة العهد الجديد.
٣. نقض عقيدة صلب المسيح بدلالة العقل.
٤. نقض عقيدة صلب المسيح بدلالة التاريخ.
٥. نقض عقيدة صلب المسيح بدلالة القرآن.

٧. محاور نقض المحور الرابع – اعتقاد أن العهدين القديم والجديد كلام الله:

١. نقض عقيدة أن العهد القديم كلام الله حقًّا.
٢. نقض عقيدة أن العهد الجديد كلام الله حقًّا.
٣. إثبات أن العهدين – القديم والجديد – يتضمنان بشارات بنبوة محمد ﷺ.
٤. دين محمد ﷺ (الإسلام) أتى بحسنتين عظيمتين إلى دين المسيح.

٨. فهم مكونات الإنجيل، والرسائل الملحقة به.

٩. فهم أن رسالة محمد ﷺ متممة لرسالة المسيح، وليست مناقضة لها.

١٠. فهم مكانة المسيح في الإسلام.

١١. فهم مكانة مريم في الإسلام.

١٢. فهم قصة المسيح من المهد إلى اللحد.

١٣. فهم ركائز الغزو الثقافي الأربعة ضد الإسلام (القرآن – محمد – المرأة – الإرهاب).

١. تضلع في فهم القرآن – تعريف به.

٢. تضلع في فهم محمد ﷺ – تعريف به وبسيرته.

٣. تضلع في فهم مكانة المرأة في الإسلام.

٤. تضلع في فهم موقف الإسلام من الإرهاب.

المطلب الثاني: أهداف مادة منهجية الحوار مع الملاحدة، وإبطال شبهاتهم حول الإسلام:

١- أن يتعرف المتدرب على مفهوم الإلحاد.

٢- أن يتعرف المتدرب على الأسباب، والدوافع المؤدية للإلحاد.

٣- أن يعرف المتدرب أقسام الإلحاد.

٤- أن يتعرف المتدرب على أبرز مجازر الملحدين في العالم، وحروبهم.

٥- أن يكتسب المتدرب مهارات تفنيد الشبهة، وإبطالها.

٦- أن يكتسب المتدرب مهارة الرد على المخالفين في القضايا المختلفة.

٧- أن يترسخ لدى المتدرب هشاشة الشبهات.

٨- أن يتعرف المتدرب على أسس منهجية في الحوار مع الملاحدة.

٩- أن يكتسب المتدرب مهارات عرض براهين وجود الخالق سبحانه، وبراهين صحة الإسلام.

المطلب الثالث: أهداف مادة مهارات العناية بالمهتدين الجدد، وتثبيتهم، وتمكينهم:

١. أن يتعرف المتدرب على مفهوم العناية الصحيحة بالمهتدين الجدد.

٢. أن يدرك المتدرب أهمية العناية، وخطورة إهمالها.

٣. أن يعي المتدرب أثر العناية بالمسلمين الجدد.

٤. أن يكتسب المتدرب مهارات العناية بالمسلمين الجدد.

٥. أن يعرف المتدرب كيف بنى الوحي إيمان المسلمين الجدد.

٦. أن يدرك المتدرب أهمية وأثر تثبيت وتمكين المسلمين الجدد.

٧. أن يعرف المتدرب وسائل تثبيت وتمكين المسلمين الجدد.

٨. أن يعرف المتدرب الأحكام الشرعية في التعامل مع المسلمين الجدد.

المبحث الثالث: أهداف برنامج التأهيل، والفئة والمستهدفة

المطلب الأول: الفئة المستهدفة لدراسة هذه المواد

١. الجامعات التي تنوي فتح قسم دعوة غير المسلمين.
٢. الراغبون في الدعوة إلى الله، والتعريف بالإسلام من كل الفئات.
٣. الدعاة المبتدئون.
٤. مديرو المراكز الإسلامية، والدعوية، وأئمة المساجد.
٥. المدربون، ورؤساء الأكاديميات، والجامعات.

المطلب الثاني: أهداف برنامج تأهيل المعرفين بالإسلام

من الأمور التي على أهل الدعوة أن يولوا اهتمامًا خاصًّا هو حث الجامعات والمراكز الدعوية باستمرار على تنظيم برنامج أو دبلومٍ عالٍ لتأهيل أكبر عدد ممكن من الراغبين في هذا الفن، ولسد ثغر لا شك في أنه من أهم الثغور.

هذا البرنامج قد تكون الدراسةُ فيه من خلال إقامة دورات عن بُعد، أو بالحضور الفعلي إلى الكليات أو المراكز، وقد تكون من خلال التعليم والممارسة الذاتية، وأيًّا كانت الطريقة التي سيتم الاتفاق عليها لإعداد معرفين بالإسلام، أكفاء وقادرين على نشر رسالة الإسلام للعالمين، فمن الضروري أن تتم بفهم عميق، وتخصص دقيق، وشمولية متكاملة بإذن الله.

- **أهداف البرنامج:**

١- تعزيز المسؤولية الدعوية، وتعميق الفهم الدعوي، وتمكين المعرف بالإسلام من أدوات العمل الدعوي ومهاراته.
٢- تأصيل وتقعيد علم أصول الدعوة؛ ليَحْصُلَ المعرف بالإسلام على تصورٍ إجماليٍّ لعلم الدعوة والتعريف بالإسلام قبل أن يدخل إلى تفاصيله العلمية والعملية والمنهجية.
٣- أن يسير المعرف بالإسلام على بصيرة في منهجه في الدعوة إلى الإسلام، ولما سيواجهه في واقعه أثناء مسيرته الدعوية.
٤- مواكبة التطورات العلمية في مجال التعريف بالإسلام.
٥- إدراك المبادئ الأخلاقية والقانونية للممارسة المهنية في مجال التعريف بالإسلام.
٦- إدراك مبادئ وأساسيات الجودة في الممارسة المهنية في مجال التعريف بالإسلام.
٧- تقييم المخاطر في الممارسات المهنية في مجال التعريف بالإسلام.

٨- التخطيط لتطوير الأداء في مجال التعريف بالإسلام.
٩- إتقان المهارات المهنية الأساسية والحديثة في مجال التعريف بالإسلام.

الفصل الثالث: الداعي المُعَرِّف بالإسلام

الداعي: هو أحد أهم أركان الدعوة، وهو المُكلَّف شرعًا بالدعوة إلى الله؛ ولذلك لا بد من التعريف به، وبيان أدلة تكليفه.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الداعية إلى الله أثناء قيامه بهذا التكليف الشرعي يحتاج إلى عدة تعينه على أداء ما كُلِّف به، وتُسَهِّل عليه مهمته العظيمة، كما أنه بحاجة لأن يتصف بسمات وأخلاق بعينها أكثر مما يحتاجه غيره؛ لذلك سيكون الحديث عن الدعاة المعرفين بالإسلام، وعقيدتهم، وأخلاقهم، وفضلهم، ومكانتهم، وصفاتهم، ومهاراتهم ركنًا أساسيًّا من أركان التعريف بالإسلام، وهذا الأمر يتطلب منا توفير بعض السلاسل والمؤلفات الخاصة، ولقد قمنا بتوفيرها بالفعل، سنذكر بعضًا منها بإيجاز خلال السطور التالية.

المبحث الأول: حقيقة المعرِّف بالإسلام (الداعية)

المطلب الأول: تعريف الداعية إلى الله

قد عرف العلماء الداعية بتعريفات متعددة؛ نذكر بعضها:

منها: "الدعاة هم: الذين يدعون إلى دين الله، وعبادته، ومعرفته، ومحبته"(٣٨).

ومنها: "الداعية: من يقوم بالدعوة، ويحث الناس على الطاعة"(٣٩).

ومنها: "الداعية هو: المكلف شرعًا بالدعوة إلى الله"(٤٠).

ومنها: "الداعية هو: المؤهَّل القائم بترغيب الناس في الإسلام، وحثهم على التزامه بالوسائل المشروعة"(٤١).

ومنها: "هو المسلم المبلِّغ للإسلام، والمعلم له، والساعي إلى تطبيقه"(٤٢).

ومنها: "كل من تتوفر فيه عوامل التأهيل والتكليف الشرعي، والقائم على إيصال دين الإسلام إلى الناس كافة، سواء كان شخصًا حقيقيًّا أو اعتباريًّا، وفق منهج الدعوة القويم"(٤٣).

وهذا التعريف الأخير من أفضل التعاريف؛ حيث جمع بين (التأهيل، والدعوة، والمنهج).

المطلب الثاني: الداعي الأول

الداعي الأول إلى الله تعالى، هو رسولنا الكريم محمد ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥ – ٤٦].

وقد كرر القرآن الكريم الخطاب إلى الرسول الكريم ﷺ يأمره بالدعوة إلى الله، والاستمرار عليها، وعدم التَّحوُّلِ عنها، ومن هذه الآيات الكريمة قوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ۝٦٧﴾ [الحج: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٨٧﴾ [القصص: ٨٧].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشۡرِكَ بِهِۦٓۚ إِلَيۡهِ أَدۡعُواْ وَإِلَيۡهِ مَـَٔابِ ۝٣٦﴾ [الرعد: ٣٦].

وقد ظل يدعو إلى ربه تبارك وتعالى حتى أتاه اليقين، وانتقل إلى جوار ربه الكريم راضيًا مرضيًّا، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء.

المطلب الثالث الدعوة إلى الله وظيفة رسل الله

---

(٣٨) مفتاح دار السعادة، ابن القيم ١/١٩٤.

(٣٩) الدعوة الإسلامية ودعاتها، د. طلعت أبو بصير، ص٣٨.

(٤٠) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص٢٩٥.

(٤١) مقومات الداعية الناجح، د. عمر بادحدح، ص١٢.

(٤٢) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبي الفتح البيانوني، ص٤٠.

(٤٣) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د. عبد الرحيم المغذوي، ٢/٤٨٥.

والواقع أن الدعوة إلى الله هي وظيفة رسل الله جميعًا، ومن أجلها بعثهم الله تعالى إلى الناس، فكلهم بلا استثناء دَعوا أقوامهم ومن أُرسلوا إليهم إلى الإيمان بالله وإفراده بالعبادة على النحو الذي شرعه لهم، قال تعالى عن نوح ﷺ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وهكذا جميع رسل الله دَعوا إلى الله، وإلى عبادته وحده، والتبرؤ من عبادة ما سواه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

المطلب الثالث: الأمة شريكة لرسولها ﷺ في وظيفة الدعوة إلى الله

الأصل في خطاب الله لرسوله ﷺ دخول أمته فيه، إلا ما استثناه الله تبارك وتعالى، ومعنى ذلك أن الله تعالى أكرم هذه الأمة الإسلامية، وشَرَّفها بوظيفة رسولها ﷺ وهي الدعوة إليه.

هذا التشريف والتكريم جاء صريحًا في الذكر الحكيم، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وهذه الآية الكريمة أفادت معنيين: المعنى الأول: خيرية هذه الأمة، والمعنى الثاني: أنها حازت هذه الخيرية لقيامها بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي وظيفة رسول الله ﷺ ورُسَلِ الله جميعًا، وأول ما يدخل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الدعوة إلى الله وحده، والبراءة من الشرك بأنواعه، بل إن القرآن الكريم جعل من صفات المؤمنين أنهم يدعون إلى الله ﷻ، بخلاف المنافقين الذين يصدون عن سبيله، ويدعون إلى غيره، قال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٦٧]، ثم قال تعالى بعد ذلك: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

"فجعل الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقًا بين المؤمنين والمنافقين؛ فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسها الدعاء إلى الإسلام"(٤٤).

وأضيف إلى ذلك أن الله تبارك وتعالى بهذه الآية، وصف الأمة الإسلامية بما وصف به رسوله ﷺ، قال تعالى عن رسوله ﷺ: **﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾** [الأعراف: ١٥٧].

المطلب الرابع: المكلف بالدعوة إلى الله عز وجل

ومما ذكرنا يتضح بجلاء أن المكلفَ بالدعوة إلى الله كلُّ بالغٍ عاقل من الأمة الإسلامية، ذكرًا كان أو أنثى، فلا يختص به العلماء؛ لأنه واجب على الجميع، وإنما وجه الاختصاص يكون في تبليغ تفاصيله وأحكامه ومعانيه نظرًا لسعة علمهم به ومعرفتهم بجزئياته.

والدليل على أن واجب الدعوة إلى الله على كل مسلم ومسلمة، قول ربنا ﷻ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

(٤٤) تفسير القرطبي ٤/٤٧.

فأتباع الرسول ﷺ هم المؤمنون به، الذين يدعون إلى الله على بصيرة، أي: على علم ويقين كما كان رسولهم ﷺ يدعو إلى الله على بصيرة. ومعنى ذلك أن الدعوة إلى الله هي من اللوازم الضرورية لإيمان المسلم، فإذا تخلف عنها دل هذا على وجود نقص أو خلل في إيمانه وجب عليه تداركه.

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يقول الله تعالى إلى رسوله ﷺ أن يخبر الناس أن هذه سبيله، أي: طريقته ومسلكه وسنته؛ وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي"(٤٥).

وأن النبي ﷺ قال: "لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ منكمُ الغائِبَ"(٤٦)، ويدخل في معنى الشاهد: كل مسلم عَلِمَ من أمر الإسلام شيئًا.

– والدعوة إلى الله، قد تُؤدى بصورة فردية، أو بصورة جماعية، وإذا أردنا الدقة في التعبير قلنا: "إن هذا الواجب يُؤدى على نحوين:

الأول، بنحو فردي: أي يقوم به المسلم بصفته فردًا مسلمًا، **والثاني**: بصفته فردًا في جماعة تدعو إلى الله تعالى. يدل على هذا كله قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]. قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: "والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "مَن رَأَى مِنكُم مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بيَدِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسانِهِ، فإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلكَ أضْعَفُ الإيمانِ"(٤٧).

والواقع أن تَجَمُّعَ الدعاة للقيام بواجب الدعوة بصورة جماعية، يكون ضروريًّا كلما كانت مَهَمَّة الدعوة جسيمة؛ مثل محاولتهم نشر الدعوة إلى الله في المجتمعات الوثنية الجاهلية التي عشَّش فيها الشيطان، وصد أهلها عن سبيل الله، وأركَسهُم في حمْأة الشرك، كالتي توجد في الأقطار الوثنية بقارة أفريقيا ونحوها، فمثل هذه الأقطار تحتاج إلى جهود كبيرة جدًّا ومنظمة لنشر الدعوة إليهم، وتعليمهم أمور الإسلام مما لا يقوى عليه جهد فرد ولا جهود مبعثرة، ويؤيد هذا المثال ما جاء في السنة النبوية إذ إن النبي ﷺ كان يأمر من يُسلِم بالتحول إلى دار الهجرة؛ ليضم جهده إلى جهود المسلمين، وتوجيهها التوجيه السليم من قِبل رسول الله ﷺ.

كما أننا نجد في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢] دليلًا آخر على مشروعية الدعوة الجماعية والعمل المؤسسي، بل ووجوبها إذا كان البر لا يمكن تحصيله بدون ذلك.

وقد أشار الإمام أبو حنيفة إلى ضرورة التجمع على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوجيه الجهود الجماعية لتحقيق هذا المقصد.

---

(٤٥) تفسير ابن كثير، ٢/١٩٥-١٩٦.

(٤٦) صحيح البخاري ٤٤٠٦.

(٤٧) صحيح مسلم ٤٩.

وهذا لا يعني أنني إن لم أجد فرصة للانضمام إلى عمل مؤسسي أن أقف مكتوف الأيدي، وإنما وجب عليّ البحث عن طريقة أدعو بها إلى الله ﷻ: كأن أُنشِئ فريقًا، أو أبحث عن عمل تطوعي، أو أصنع منتجًا دعويًّا، فإن لم أستطع، أطلب العون من ذوي المواهب والقدرات، حتى وإن كانوا من خارج مجال الدعوة.

المبحث الثاني: مكانة الداعي في الإسلام

المطلب الأول: الداعية إلى الله في نصوص القرآن والسنة

مكانة الداعي إلى الله في الإسلام مكانة عظيمة جدًّا. فقوله في الدعوة إلى الله أحسن الأقوال، في ميزان من؟ في ميزان الله وهو أصدق الموازين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]، أي: "عامة فيمن دعا إلى الله وهو في نفسه مهتدٍ، يعمل الخير، ويؤدي الفرائض، ويجتنب المحارم"(٤٨).

إن كلمة الداعية إلى الله – لا سيما عند الجحود وشيوع التمرد على الله – هي أحسن كلمة تُقَال في الأرض، على أن يكون هو في نفسه صالحًا، ومستسلمًا لله رب العالمين.

وأما أجر الداعي إلى الله فهو عظيم، قال ﷺ: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا"، وفي حديث آخر أن النبي ﷺ قال لعلي ﷺ: "فوالله؛ لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم"(٤٩).

وفي حديث آخر: "من دل على خير فله مثل أجر فاعله"(٥٠).

المطلب الثاني: المكلف بالدعوة إلى الله عز وجل

يقول د. عبد الكريم زيدان ﷺ: "المكلف بالدعوة إلى الله هو: كل مسلم ومسلمة، فلا يختص بالعلماء فقط، وإنما يختص العلماء بتبليغ تفاصيله وأحكامه ومعانيه؛ نظرًا لسعة علمهم به، ومعرفتهم بجزئياته"(٥١)؛ لقول الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. وقول النبي ﷺ: "بلغوا عني ولو آية"(٥٢).

- **والتكليف بالدعوة يتنوع بين نوعين:**

١ – **التكليف الشرعي:** أي كل من يستطيع تبليغ دين الله أو بعضه، ويتعين على العلماء لقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

٢ – **التكليف النظامي:** أي تكليف ولي الأمر أو الجهة المُخوَّلة بالدعوة، كما كلف النبي ﷺ مصعب بن عمير ﷺ بالدعوة في المدينة، وإرساله ﷺ لمعاذ وأبي موسى ﷺ للدعوة في اليمن وغيرهم (٥٣).

- **والداعية المقصود بالخطاب إجمالًا هو:**

– كل مسلم عرف شيئًا من الدين، وتَبصَّرَ به، ودعا إليه فهو داعية إلى الله.

---

(٤٨) تفسير ابن كثير ٤/١٠٠.

(49) صحيح البخاري ٣٠٠٩.

(٥٠) أصول الدعوة، الدكتور عبد الكريم زيدان، ص٣٢٤.

(٥١) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص٣٤٩ باختصار.

(٥٢) صحيح البخاري ٣٤٦١.

(٥٣) ينظر: الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية أ. د. عبد الرحيم المغذوي، ص٤٩٢ باختصار وزيادات.

– كل طالب علم وعالم له تأثير في قيادة وانتشار وتوجيه الدعوة إلى الله، ممن تحتاجهم الأمة للقيام بواجب التعليم والإنذار؛ الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

– كل مكلف شرعًا بالدعوة؛ سواء كان تكليفًا عينيًا نابعًا من حاجة المجتمع مع الأهلية، أو تكليفًا من ولي الأمر، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وهم الذين فُرِضَت عليهم الدعوة إلى الله تعالى فرض عين؛ لعدم وجود من يقوم مقامهم في هذا العمل.

– كل من نذر نفسه ووقته في سبيل دعوة الناس إلى دين الله ونشره في أقطار الأرض.

المطلب الثالث: أنواع القائمين بالدعوة

بَيَّنَ العلماء أن الدعاةَ أنواعٌ كثيرة باعتبارات متعددة؛ ومنها:

١ – باعتباره فردًا، أو جماعة.

٢ – باعتبار جنسه (داعية ذكرًا، وداعية أنثى).

٣ – باعتبار السن (داعية شابًّا، داعية كبيرًا).

٤ – باعتبار التخصص (داعية متخصصًا في العلم الشرعي، داعية متخصصًا في العلوم الحياتية وعنده علم شرعي).

٥ – باعتبار العلم الشرعي (داعية عالمًا بالدين، داعية عنده معلومات عامة عن الدين).

٦ – باعتبار التفرغ (داعية متفرغًا، داعية غير متفرغ).

٧ – باعتبار التكليف (داعية مكلفًا من قبل ولي الأمر، داعية موظفًا، داعية متطوعًا).

٨ – باعتبار أخذ الأجرة (داعية يأخذ أجرة، داعية محتسبًا)، والأصل أن الذي يأخذ أجرة لحبس وقته عليه أن تكون نيته خالصة لله تعالى.

٩ – باعتبار مجال تخصصه الشرعي (عقيدة، فقهًا، سيرة، سنة، إفتاء).

١٠ – باعتبار مجال تخصصه العلمي والمهاري (الإمام الداعية، المعلم الداعية، الطبيب الداعية، المهندس الداعية، الحرفي الداعية...).

١١ – باعتبار الوسيلة والأسلوب (داعية، واعظًا، داعية محاورًا ومناظرًا، داعية خطيبًا، داعية مؤلفًا، داعية أكاديميًّا، داعية خدميًّا – خدمة الناس).

١٢ – باعتبار القول والفعل (داعية بالقول والفعل – القدوة "الداعية الصامت").

١٣ – من يقوم بخدمة الناس ومخالطتهم في أي تخصص كان.

١٤ – من يكون قدوة يرى الناس منه الإسلام علمًا وعملًا.

الفصل الرابع: صفات المعرِّف بالإسلام

المبحث الأول: الإخلاص

المطلب الأول: تعريف الإخلاص

ذكر أهل العلم تعريفات للإخلاص بعضها قريب من بعض:

- **قال الكفوي ﷺ في الكليات:**

"الإخلاص: هو القصد بالعبادة إلى أن يعبد بها المعبود وحده، وقيل: تصفيه السر، والقول، والعمل"(٥٤).

- **قال المناوي ﷺ:**

"الإخلاص: هو تخليص القلب من كل شوب يكدر صفاءه"(٥٥).

- **قال إبراهيم بن أدهم ﷺ:**

"الإخلاص: ألَّا تطلب لعملك شاهدًا غير الله"(٥٦).

- **وقال الجنيد ﷺ:**

"الإخلاص سرٌّ بين الله وبين العبد، لا يعلمه مَلَكٌ فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوًى فيميله"(٥٧).

- **وكذا قال ابن القيم ﷺ:**

"الإخلاص: هو ما لا يعلمه مَلَكٌ فيكتبه، ولا عدوٌّ فيُفسده، ولا يعجب به صاحبه فيبطله"(٥٨).

- **يعد الإخلاص من أهم أعمال القلوب المندرجة في تعريف الإيمان، وأعظمها قدرًا ومنزلة.**

المطلب الثاني: الإخلاص في نصوص القرآن والسنة النبوية

أ. **في القرآن الكريم:**

الإخلاص له منزلة عظيمة في كتاب الله سبحانه وتعالى؛ لأنه هو:

أ – مضمون دعوة الرسل وحقيقة الدين:

– قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

أي: قاصدين بجميع عباداتهم الظاهرة والباطنة وجه الله.

ب – لا يقبل الله تعالى العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله:

---

(54) الكليات، الكفوي، ص٦٤.

(٥٥) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص٤٢.

(٥٦) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، عدد من المختصين، بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي ٢/ ١٢٤.

(٥٧) مدارج السالكين ٢/٩٥.

(58) الفوائد، ابن القيم، ص٩٩.

– قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزمر: ٣].

أي: لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله، وحده لا شريك له.

ب.<u>الإخلاص في السنة النبوية:</u>

– وجاء من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: "قال الله – تبارك وتعالى –: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه"(٥٩).

فالأعمال التي تختلط فيها الإرادات، ويتلفت صاحبها يمنة ويسرة يريد من الله ويريد ما عند المخلوقين، هذه الأعمالُ اللهُ غني عنها، ولا يعبأ بها، ولا يقيم لها وزنًا.

المطلب الثالث: الإخلاص في حياة الداعية المعرف بالإسلام:

هو أن يقصد بإراداته، وأعماله، وأقواله، وسائر تصرفاته، وتوجيهاته، وتعليمه – وجهَ الله وحده لا شريك له ولا رب سواه.

والإخلاص باتفاق أئمة الإسلام عمل قلبي، ولا شك أن أعمال القلوب هي الأصل في الوصول إلى محبة الله تعالى ورسوله ﷺ، كالتوكل عليه، والإخلاص له، والخوف منه؛ ولذلك وجب على الداعية أن يكون مخلصًا لله ﷻ، لا يريد رياء ولا سمعة ولا ثناء الناس ولا مدحهم وحمدهم، إنما يدعو إلى الله يريد وجه الله(٦٠).

وفي هذا السياق قال القاضي عياض ﷺ: "ترك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيَك الله منهما"(٦١).

وإذا كان الإخلاص مُهمًّا ولازمًا لكل مسلم، فهو للداعية أهمُّ وألزم؛ لأنه القدوة العملية لغيره.

فالإخلاص هو روح عمل الداعية، ومن أهم صفاته، وهو أساسٌ لنجاح دعوته، وبدونه يصبح كالجسد الذي لا رُوح فيه، ويكون جهده وعمله هباءً منثورًا؛ ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقال ﷻ: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣].

وكان ابن القيم ﷺ يقول: "العمل بغير إخلاص ولا اقتداء، كالمسافر يملأ جرابه رملًا يُثقله ولا ينفعه، والطريق إليه: تجريد متابعة رسوله ﷺ ظاهرًا وباطنًا، وتغميض عين القلب عن الالتفات إلى ما سوى الله ورسوله"(٦٢).

المطلب الرابع: من أعظم أسباب تحصيل الإخلاص: سلامة المعتقد

إن إصلاح العقيدة يعد مطلبا ضروريا، فلن تَصلُحَ الدعوة، ولن يَصلُحَ الداعية بدون عقيدة سليمة، راسخة في قلبه رسوخ الجبال، ولأن فاقد الشيء لا يعطيه، فكذلك صاحب المعتقد الفاسد حتمًا سيكون ضرره على نفسه وعلى الدعوة أكثر من نفعه بما يفوق التصور. وسنتكلم عن هذا الأمر بالتفصيل لاحقًا في مادة عقيدة المعرف بالإسلام إن شاء الله.

المطلب الخامس: حقيقة الإخلاص وخلاصته

(٥٩) صحيح مسلم ٢٢٨٩.

(٦٠) مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ص٢٧٥،٢٧٤.

(٦١) مدارج السالكين لابن القيم ٢/٩١.

(٦٢) كتاب الفوائد، ابن القيم، ص٦٧.

أن يكون القصد والإرادة في العمل هو وجه الله ﷻ وحده، أما أن يكون القصدُ إرادةَ الدنيا بعمل الآخرة فهي ظلماتٌ متراكمة بعضها فوق بعض؛ لأن ذلك ينافي كمال التوحيد، ويحبط العمل؛ قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٦﴾ [هود: ١٥،١٦].

ولن يكون الداعية مقبول النصيحة إلا إذا كان خالي الوفاضِ من الأغراض الدنيوية، وإلا فلن يجد لدعوته أثرًا في قلوب الناس؛ وكان عند الله مذمومًا، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝٢٠﴾ [الشورى: ٢٠]، ولا شك أن الإخلاص في الدعوة وللدعوة من أقوى أسباب التفاف الناس حول الداعية، فمن يؤمن بقضية ويحاول إيصالها للناس بكل جوارحه، فتشعر أن كلامه يخرج من قلبه ليصل مباشرة وبسلاسةٍ إلى قلوب الناس.

وأكد على هذا المعنى الشيخ ابن باز ﷺ قائلًا: "هو من أعظم الصفات التي تجب على الدعاة، فيريدون بدعوتهم وجه الله والدار الآخرة، ويريدون إصلاح الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور"(٦٣).

المطلب السادس: من مظاهر إخلاص الدعاة

١. انطلاقُ أعمالِ التعريفِ بالإسلامِ من الشعور الغامر بالرحمة والشفقة على عبادِ الله أجمعين.
٢. الفرح بكل كفاءة تَبرُز في ساحة الدعوة إلى الله.
٣. طلب الحق وتعظيم أهله، مَن كانوا وحيث كانوا.
٤. الصبر والصفح عن المدعوين والمخالفين.
٥. العدل، والورع، والتثبت عند الحكم على الرجال والطوائف.

المطلب السابع: من مظاهر وآثار ضعف إخلاص الدعاة

١. الانفصال بين العلم والعمل.
٢. هيجان الرعونات النفسية، والحظوظ الشخصية.
٣. الاختلاف والافتراق.
٤. التعصب للأشخاص، والمذاهب، والطوائف.
٥. حب الدنيا، والسقوط في فتنتها (٦٤).

(٦٣) مجموع فتاوي سماحة الشيخ ابن باز، ١/٣٤٩، و٤/٢٢٩.
(٦٤) موسوعة دليل الداعية – الدعاة، العواجي، ص٤٥.

المبحث الثاني: اتباع القرآن والسنة، وليس الابتداع

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، وقال ﷺ: "لقد تركتُكم على البيضاءِ، ليلها كنهارِها، ولا يزيغُ عنها بعدي إلا هالكٌ"(٦٥).

ومن المعلوم أن هذه الأمة تفترق على اثنتين وسبعين فرقة، أو ثلاث وسبعين كلها في النار إلا واحدة وهي من كانت على مثل ما كان عليه نبي الهدى ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

ولقد حاد في شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أُناسٌ ما بين إفراط وتفريط، وآخرون ما بين اتباع وابتداع؛ مما يتوجب على أهل العلم بيان الحق منه والدعوة إليه، والتحذير من الباطل والتنفير عنه.

المطلب الأول: تعريف الاتباع

– قال الإمام أحمد رحمه الله: "هو أن يتَّبع الرجل ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه، ثم هو من بعدُ في التابعين مخيَّر"(٦٦).

– وقال ابن عبد البر: "الاتباع ما ثبت عليه الحجة، وهو اتباع كلِّ من أوجب عليك الدليلُ اتباعَ قوله، فالرسول ﷺ هو المثل الأعلى في اتباع ما أمر به"(٦٧).

– وقال الشرباصي: "والمعنى الأخلاقي للاتباع هو: أن يميز الإنسان الخبيث من الطيب، وأن يتبين طريقه على بصيرة، وأن يعرف من تقدمه على طريق الحق والصدق، فيتخذه أسوة وقدوة، فيمضي اللاحق على سنن السابق، فتوجد عند الإنسان روح الاتباع، وينأى بنفسه عن ضلال الابتداع، وخير اتباع ينبغي أن يتحلى به المرء ويلتزمه ويحرص عليه، اتباع هَدْي الله، والتزام صراطه المستقيم؛ لأن ذلك طريق الأمان والاطمئنان، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [البقرة: ٣٨]"(٦٨).

المطلب الثاني: الاتباع في نصوص القرآن والسنة

أ. الاتباع في القرآن الكريم:

– قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ٣].

قال ابن كثير: "أي: اقتفوا آثار النبي الأمي الذي جاءكم بكتاب أنزل إليكم من رب كل شيء ومليكه"(٦٩).

وقال ابن تيمية: "ففرض اتباع ما أنزله من الكتاب والحكمة، وحظر اتباع أحد من دونه"(٧٠).

– قال تعالى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ

---

(٦٥) صحيح أبي داود ٤٦٠٧.

(66) الجامع لعلوم الإمام أحمد - أصول الفقه، أبو عبد الله أحمد بن حنبل، ٥/ ١٤٨.

(٦٧) انظر: أضواء البيان ٧/٥٤٨.

(٦٨) موسوعة أخلاق القرآن، الشرباصي ٥/١٣٨.

(٦٩) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٠٨.

(٧٠) مجموع الفتاوى ١٩/٦٧.

مِنكُمۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر: ٧].

قال ابن كثير: "أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم فاجتنبوه؛ فإنه إنما يأمر بخير، وإنما ينهى عن شر"(٧١).

قال ابن سعدي: "وهذا شامل لأصول الدين وفروعه وظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته"(٧٢).

ب. الاتباع في السنة النبوية:

الاتباع: هو الاقتداء والتأسي بالنبي ﷺ في الاعتقادات والأقوال والأفعال، مع توفر القصد والإرادة في ذلك كله، ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

فرسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر الذي توزن عليه الأعمال، فمهما قال قائل قولًا أو فعل فعلًا، أو ادعى دعوى فلا قيمة لها حتى تزن كلامه وفعله بالميزان الأكبر وهو رسول الله ﷺ.

– يقول ﷺ: "والذي نفسي بيده، لو أن موسى بن عمران كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتبعني"(٧٣).

وقال: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ"(٧٤).

– وعن زيد بن أرقم ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ يومًا فينا خطيبًا بماء يدعى خُمًّا بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: "أما بعد: ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به"، فحثَّ على كتاب الله ورغَّب فيه، ثم قال: "وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي" ثلاثًا (٧٥).

قال الملا علي قاري: "أي: تمسكوا به اعتقادًا وعملًا، ومن جملة كتاب الله العمل بأحاديث رسول الله ﷺ لقوله سبحانه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر: ٧]، و﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]، و﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]"(٧٦).

المطلب الثالث: أنواع الاتباع

ضمَّن الله سبحانه كتابَه كُلَّ أنواع التبعيَّة المحمودة وغير المحمودة؛ لأنّه الكتاب الهادي إلى سبيل الرشاد، فكان ولا بُدَّ من أنْ يُميِّز القُرآن بين الخير والشر، وبين الإيمان والكُفر، وبين النَّفع والضر، بين الاتِّباع الشَّرعي الجائز، سواء أكان الواجب أم المباح، والاتِّباع غير الشَّرعي، سواء أكان للنَّفس أم للطواغيت والأهواء، كان من رحمة الله تعالى أنْ يُبيِّن كلَّ هذا في كتابه الكريم؛ ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧].

أولًا: الاتباع المحمود:

- **<u>فقد تحدَّث القُرآنُ عن أنواعه، ومنها:</u>**

١. اتِّباع الأنبياء والمرسلين:

---

(٧١) تفسير القرآن العظيم ٤/٣٦٠.

(٧٢) تيسير الكريم الرحمن ٧/٢٣٢-٢٣٣.

(٧٣) مسند الإمام أحمد ١٥١٩٥.

(٧٤) صحيح أبي داود ٤٦٠٧.

(٧٥) أخرجه مسلم ٢٤٠٨.

(٧٦) مرقاة المفاتيح ١/٥١٧.

قال الله – سبحانه وتعالى –: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ٦٤].

وقال – سبحانه وتعالى –: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

٢. اتِّباع الدعاة العاملين:

قال – سبحانه وتعالى –: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ٣٨ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ٣٩ مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ ٤٠ * وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ٤١﴾ [غافر: ٣٨ – ٤١]، **وسياق هذه الآيات** كان في مؤمن آل فرعون.

٣.اتِّباع أهل السَّبق بالخيرات:

وردَ في ذلك قولُ الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

٤. اتِّباع الآباء الصالحين:

كما قال – تبارك وتعالى –: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ٢١﴾ [الطور: ٢١].

٥. اتِّباع الكتاب والسُّنَّة:

وقال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٥٥﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقال – تبارك وتعالى –: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ٦٥﴾ [النساء: ٦٥].

- **<u>ثمرة هذا الاتِّباع المحمود في القُرآن:</u>**

١. الأمن والسَّلام والهداية في الدارَيْن:

قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨﴾ [البقرة: ٣٨]، **وقال** ﷻ: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ٤٧﴾ [طه: ٤٧].

٢.التَّمكين في الدنيا:

وقال – سبحانه وتعالى –: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور: ٥٥].

٣.إكرام الخلق لهم في الدنيا:

قال ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨﴾ [غافر: ٧ – ٨].

٤.حُسن المآب:

وقال سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

ثانيًا: الاتباع المذموم:

لا شك أن مظاهر الاتباع المذموم كثيرة، وذلك ليس بدعًا من القول؛ فإن السبل الموصلة إلى جهنم كثيرة، بينما سبيل الجنة واحد هو اتباع الوحي الذي نزل على الأنبياء ﷺ.

وتتكرر مظاهر الاتباع المذموم بحسب الأزمنة والأمكنة، وتتنوع طرائقها، وبعضها يتمسح بمسوح الدين، غير أن قائده يظل الهوى أو الشيطان أو كليهما، أو غيرهما من مظاهر الاتباع المذموم.

أولًا: اتباع الشيطان:

حين يتأمل المرء دعاء امرأة عمران العظيم: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾ [آل عمران: ٣٦]، يتعجب من هذا الدعاء، "فاستجاب الله لها، فأعاذها الله وذريتها من الشيطان الرجيم، فلم يجعل له عليها سبيلًا"(٧٧)، وأعاذها وأعاذ ذريتها – من بعدها – من الشيطان الرجيم.

فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "ما من مولود يولد إلا نخسه الشيطان، فيستهل صارخًا من نخسة الشيطان إلا ابن مريم وأمه"، ثم قال أبو هريرة: "اقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾"(٧٨).

والحذر والتحذير من الشيطان والخوف من وسوسته واجب، فحتى الأنبياء لم يسلموا من وسوسة الشيطان، لكن الله سبحانه عصمهم، والأدلة والأمثلة على ذلك كثيرة:

– قال الراغب: "وسُمي كل خلق ذميم للإنسان شيطانًا"(٧٩).

ولذلك فقد ميز الله الشيطان بصفات كاشفة كثيرة، جعلته شديد الوضوح لكل من يبحث عن الحق، ومن ذلك أنه وصف بالكفور كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ٢٧﴾ [الإسراء: ٢٧].

والمَرِيد، المتعري من كل خير، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ٣﴾ [الحج: ٣].

كما أنه يؤز بالإغواء والإضلال، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ٨٣﴾ [مريم: ٨٣].

ومن الطبيعي أن يوالي غير المؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧﴾ [الأعراف: ٢٧].

إلى غير ذلك من الآيات، وهي كثيرة جدًّا.

لكن المهم أن الشياطين لا يريدون سوى الضلال والإضلال، وَصَرْفِ الناس عن طريق الحق، وتزيين الباطل.

ثانيًا: اتباع الباطل:

الباطل عامٌ في كل ما هو خلاف الحق، والحق راجعٌ للوحيين: الكتاب والسنة؛ ولذلك، فالمؤمن يتبع الحق دائمًا، والكافر يتبع ضده وهو الباطل.

---

(٧٧) جامع البيان، الطبري ٣/٢٣٩.

(٧٨) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى ﷺ، برقم: ٢٣٦٦.

(٧٩) المفردات، الراغب، ص٤٥٥.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ۝٣﴾ [محمد ١: ٣].

يبين الله في الآيات حال فريقين من الناس من خلال بيان النتيجة، ثم تفصيل السبب الموصل إليها؛ ففي الأولى يبين الله سبحانه وتعالى إضلال الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، ثم يبين تكفيره لسيئات المؤمنين وإصلاح بالهم، ثم يبين علة هذا الإضلال بأنه كان بسبب كفرهم وصدهم عن سبيل الله واتباعهم الباطل.

وعليه؛ فالمستحقون للذم هم الذين يتبعون الباطل، واتباعهم الباطل كان سبب كفرهم وصدهم عن سبيل الله؛ ولذلك أَضَلَّ أعمالهم، بينما المستحقون للمدح متبعو الحق، وسبب ذلك إيمانهم بالله وعملهم الصالح؛ ولذلك كفَّرعنهم سيئاتهم وأصلح بالهم.

ثالثًا: اتباع الهوى:

إن أعظم مظاهر الاتباع المذموم اتباع الهوى؛ فكم صد أقومًا عن الحق، وكم صرف آخرين إلى الباطل، وحين نتأمل سير الأنبياء؛ نجد أن كثيرًا ممن عارضهم من أقوامهم إنما كان بسبب الهوى، ألست ترى أن اتباع الآباء في أصله اتباعٌ للهوى.

والهوى: "ميل النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنفس المائلة إلى الشهوة، وقيل: سمي ذلك؛ لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية"(٨٠).

وكعادة القرآن في معالجة هذه المواضيع؛ فإنه يطرقها من جميع جوانبها؛ فقد تحدث عن خطورة الهوى في الحكم والقضاء والشهادة، وأنه يؤدي إلى أن يكون إلهًا يُعْبَد...، كما تحدث عن أشخاص معينين أضلهم هواهم، وحذر من اتباع الهوى مع بيان خطورته.

وقد ورَد ذِكرُ هذا الضَّرب من التَّبعيَّة في القُرآن بصُوَرٍ كثيرةٍ؛ منها ما يلي: "اتباع النفس في الباطل، واتباع الغير في الباطل".

- **أولًا: اتِّباع النفس في الباطل:**

ورَد هذا النوع، أو هذه الصُّورة في القُرآن في ثلاث صور:

<u>الصورة الأولى: اتِّباع الأهواء الشخصية:</u>

قال الله تعالى: ﴿كَٱلَّذِي ٱسۡتَهۡوَتۡهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِي ٱلۡأَرۡضِ حَيۡرَانَ لَهُۥٓ أَصۡحَٰبٞ يَدۡعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلۡهُدَى ٱئۡتِنَاۗ﴾ [الأنعام: ٧١]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ۝١٤﴾ [محمد: ١٤]

ومنها: اتباع الهوى في القضاء، وفي العلم، وفي قبول الشرك، ونبذ التوحيد، وفي الصد عن وحي الله، وفي التكذيب بالقرآن الكريم وفي التكذيب بالساعة، وفي التكبُّر على عباد الله الصالحين.

<u>الصورة الثانية: اتِّباع الشَّهوات النفسيَّة:</u>

وهذا الاتِّباع ورَد في القُرآن بعدَّة صُوَرٍ أيضًا؛ من ذلك:

---

(٨٠) المفردات، الراغب، ص٨٤٩.

١/ اتِّباع الشَّهوات في إضاعة الصَّلوات:

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩﴾ [مريم: ٥٩].

٢/ اتِّباع الشهوات في الزنا:

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ٢٧﴾ [النساء: ٢٧].

٣/ اتِّباع الشهوات في إتيان الرِّجال دُون النساء:

قال جَلَّ جلالُه: ﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ٨١﴾ [الأعراف: ٨١].

٤/ اتِّباع الشَّهوات في تفضيل البنين على البنات:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلۡأُنثَىٰ ظَلَّ وَجۡهُهُۥ مُسۡوَدّٗا وَهُوَ كَظِيمٞ ٥٨ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ٥٩﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩].

<u>الصورة الثالثة: اتِّباع الظُّنون الفاسدة:</u>

وقد أورد الله في القُرآن صُوَرًا للظنِّ في مورد الذَّمِّ والتقبيح؛ تنفيرًا من هذا الخلق الذَّميم، وصَرْفًا للناس عن الكذب؛ فقال – سبحانه وتعالى –: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات: ١٢].

أمَّا عن صُوَرِه وأمثلته:

١. اتِّباع الظن في نِسبة الشُّرَكاء إلى الله:

وقوله سبحانه: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ٢٣﴾ [النجم: ٢٣].

٢. اتِّباع الظُّنون في أحكام الحلال والحرام:

وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨﴾ [الأنعام: ١٤٨].

٣. اتِّباع الظُّنون في القول بقتْل المسيح وصَلبه:

كما قال – جلَّ شأنه –: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧﴾ [النساء: ١٥٧].

- **ثانيًا: اتِّباع الغير في الباطل:**

وكما أنكر القُرآن اتِّباع الإنسان لنفسه في الباطل في صُورة هَوى أو شَهوة أو ظنٍّ فاسد، كذلك أنكر القُرآن اتِّباع الإنسان لغيرِه في الباطل، أيًّا كان هذا الغير.

ولَمَّا كان الاتِّباع يقومُ على الولاء؛ فقد نَهَى الله تعالى عن إعطاء الوَلاء للغير إلا على أساسٍ من دِينه تعالى، قال سبحانه: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ﴾ [آل عمران: ٢٨].

كما نهى عن مُتابعة الكفَّار على دِينهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٢﴾ [العنكبوت: ١٢].

وكذلك نهى عن اتباع الآثمين والمفسدين، قال تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس: ٨٩].

ونهى أيضًا عن اتباع الغير في التحليل والتحريم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَاۖ فَإِن شَهِدُواْ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأنعام: ١٥٠].

- **<u>آثار الاتّباع غير المحمود:</u>**

١. **إضلال الأعمال:** قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾ [محمد: ١ – ٣].

٢. **الهلكة في الدُّنيا:** قال تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْأَخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [المرسلات: ١٦ – ١٨].

٣. **موقفهم عند الموت:** قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ [محمد: ٢٧].

٤. **موقفهم في الحشر:** قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه: ١٠٨].

٥. **حالهم حين الوقوف على النار:** قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: ١٦٥ – ١٦٧].

٦. **سُوء العاقبة في الدار الآخِرة:** كما أخبَرَ الله تعالى في حواره مع الشيطان: ﴿ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾﴾ [الإسراء: ٦٣].

٧. **اللعنة عليهم في الدنيا والآخرة:** قال سبحانه: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾﴾ [هود: ٩٩].

المطلب الرابع: تعريف البدعة، وبيان معناها

"هي عبارة عن: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه"[٨١].

وبناء على كلام الشاطبي السابق، يمكن تعريف الابتداع اصطلاحًا بأنه: استخراج الطريقة المبتدعة، أو استخراج البدعة للسلوك عليها [٨٢].

المطلب الخامس: أسباب الابتداع

وقد أرجع الشيخ الألباني ﷺ أسباب الابتداع إلى عدة أمور:

الأول: أحاديث ضعيفة لا يجوز الاحتجاج بها ولا نسبتها إلى النبي ﷺ، ومثل هذا لا يجوز العمل به، وهو مذهب جماعة من أهل العلم كابن تيمية وغيره.

الثاني: أحاديث موضوعة أو لا أصل لها، خفي أمرها على بعض الفقهاء، فبنوا عليها أحكامًا هي من صميم البدع ومحدثات الأمور!

---

[٨١] الاعتصام للشاطبي ١/٥٠.

[٨٢] www.alminbar.net/malafilmy/eteba٣/malaf١.htm الملف العلمي لبدع الروافض، موقع المنبر.

وهذان السببان يعودان إلى الجهل بالسنة النبوية عامة، والجهل بعلم مصطلح الحديث خاصة، فكثير ممن يقعون في البدع لا يفرقون بين ما يصح الاستدلال به من الأحاديث وبين ما لا يصح، فلا يعرفون الحديث الصحيح من الضعيف والموضوع، ويأخذون الحديث من أي مصدر كان حتى من كتب الموضوعات، مع أن أهل العلم متفقون على أنه لا يجوز العمل بالحديث الموضوع لأنه كذب على رسول الله ﷺ، ومن المعلوم أن كثيرًا من البدع استندت إلى أحاديث موضوعة متهافتة.

الثالث: اجتهادات واستحسانات صدرت من بعض الفقهاء خاصة المتأخرين منهم لم يدعموها بأي دليل شرعي، بل ساقوها مساق المسلمات من الأمور، حتى صارت سننًا تتبع! ولا يخفى على المتبصر في دينه أن ذلك مما لا يسوغ اتباعه، إذ لا شرع إلا ما شرعه الله تعالى، وحسب المستحسن – إن كان مجتهدًا – أن يجوز له هو العمل بما استحسنه، وأن لا يؤاخذه الله به، أما أن يتخذ الناس ذلك شريعة وسنة فلا ثم لا، فكيف وبعضها مخالف للسنة العملية!

الرابع: عادات وخرافات لا يدل عليها الشرع، ولا يشهد لها عقل وإن عمل بها بعض الجهال، واتخذوها شرعة لهم، ولم يعدموا من يؤيدهم ولو في بعض ذلك ممن يدعي العلم ويتزيا بزيهم.

ويضاف إلى ما قاله الشيخ الألباني أن من أسباب البدع أيضًا تحكيم العقل في النصوص الشرعية من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ الواردة في العبادات، مع أن العقل لا مدخل له في هذا الباب؛ لأنه لا يستطيع أن يدرك أسرار التشريع في العبادات، فلو سأل أعقل الناس نفسه لماذا نصلي المغرب ثلاث ركعات؟ ولماذا نصلي العشاء أربعًا؟ لما وجد جوابًا مقبولًا عقلًا، ولو سأل آخر نفسه لماذا نصلي التراويح جماعة؟ ولا نصلي سنة العشاء جماعة؟ مع أن كلًّا منهما سنة.

ولو قلنا لماذا نقرأ القرآن في الصلاة حال القيام، ولا نقرأه حال الركوع والسجود؟ والقرآن هو القرآن، فالأصل في هذا الباب ألا ينبغي للعقل أن يتقدم بين يدي الشرع، ولا بد من الوقوف عند موارد النصوص، فإن الله سبحانه وتعالى جعل للعقول في إدراكها حدًّا تنتهي إليه لا تتعداه، ولم يجعل لها سبيلًا إلى الإدراك في كل مطلوب.

المطلب السادس: آثار البدعة

١/ من شؤم البدعة وآثارها السيئة أنها لا يُقبَل معها عمل من صلاة ولا صيام ولا صدقة وغيرها من القربات، ومن أدلة ذلك: قول النبي ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"(٨٣)، ولمسلم: "من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد"(٨٤)، وقوله: "كل بدعة ضلالة".

٢/ البدعة مانعة من الورود على حوض النبي ﷺ ومن شفاعته وذلك للحديث الصحيح: "فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال". وفي رواية: "أنا على الحوض أنتظر من يَرِد عليّ منكم فيؤخذ أناس دوني، فأقول: يا رب مني ومن أمتي؟! فيقال: أما شعرت ما عملوا بعدك؟ وفي رواية: ما تدري ما أحدثوا بعدك؟ فأقول: سحقًا سحقًا"(٨٥).

٣/ المبتدع عليه إثم من عمل ببدعته إلى يوم القيامة، فذلك لقول الله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النحل: ٢٥]، وقوله ﷺ: "من سن سنة سيئة فعمل بها بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل

(83) صحيح مسلم ١٧١٨.

(٨٤) صحيح البخاري ٢٦٩٧.

(٨٥) صحيح البخاري ٧٠٥٠.

بها"[٨٦]. فما من بدعة يبتدعها أحد فيعمل بها من بعده إلا كتب على مبتدعها إثم من عمل بها زيادة على إثم ابتداعه أولًا، ثم عمله ثانيًا.

وأيضًا فإذا كانت كل بدعة تستلزم رفع السنة التي تقابلها، كان على المبتدع إثم ذلك زائدًا على إثم الابتداع.

٤/ التوبة محجوبة عن صاحب البدعة، ويدل على ذلك حديث أنس ﷺ المرفوع: "إن الله حجز – أو قال حجب – التوبة عن كل صاحب بدعة"[٨٧].

٥/ المبتدع يُخاف عليه من سوء الخاتمة وذلك أن سوء الخاتمة لا يكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، والحمد لله على ذلك، وإنما يكون سوء الخاتمة لمن له فساد في العقل، أو إصرار على الكبائر، أو يكون مستقيمًا في أول أمره، ثم تغيرت حاله وأخذ في طريق غير طريق الاستقامة، فيكون عمله ذلك سببًا لسوء عاقبته وخاتمته والعياذ بالله[٨٨].

ويتضح مما سبق ضرورة الاهتداء بالكتاب الكريم والسنة النبوية والتأسي بما سار عليه الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ثم بقية السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان، وعدم الخروج من هذا المسار [٨٩].

فالإخلاص والاتباع هما سبيلا النجاة والفلاح في الدنيا والآخرة.

المبحث الثالث: الاستمرار في تعلم العلم الشرعي

المطلب الأول: العلم الشرعي وأهميته في حياة الداعية

يُعد مبدأ الثبات والمواظبة على طلب العلم، والتزود منه من صفات الداعية الكفء الناجح؛ لأن سلَّم التعلم لا منتهى له، فلا يحد بمرحلة دراسية، ولا بشهادة علمية، ولا بسنوات عمرية.

وأمد التعلم لا ينقطع ولا ينقضي، إنما هو من حصول الآلة من التمييز إلى الوفاة، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر: ٩٩].

والعلم من العبادات، ومن أعظم ما يُتعبد به الرب – جل وعلا – العلم الشرعي المورث للخشية، وليست للعلم نهاية.

وهو من أعظم المقوّمات للداعية الناجح، وركن من أركان الحكمة، ولهذا أمر الله به، وأوجبه قبل القول والعمل، فقال تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾ [محمد: ١٩].

وقد بوَّب الإمام البخاري ﷺ تعالى لهذه الآية بقوله: "باب: العلم قبل القول والعمل"[٩٠].

وذلك أن الله أمر نبيه بأمرين: بالعلم، ثم العمل، والمبدوء به العلم في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾، ثم أعقبه بالعمل في قوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ﴾، فدلّ ذلك على أن مرتبة العلم مُقدَّمة على مرتبة العمل، وأن العلم شرط في

---

(٨٦) صحيح مسلم ١٠١٧.

(87) رواه ابن أبي عاصم في السنة ٢١/١، برقم: ٣٧. وقال الألباني: "صحيح بشواهده".

(٨٨) البدع وآثارها السيئة، عبد الكريم مراد، الجامعة الإسلامية ١٤٠٥هـ، ص١٠٤-١٠٦.

(٨٩) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية ١/٢٩٧، بتصرف.

(٩٠) البخاري ٦٨.

صحة القول والعمل، فلا يعتبران إلا به، فهو مقدم عليهما؛ لأنه مصحح للنية المصححة للعمل [٩١].

"والعلم هو ما قام عليه الدليل، والنافع منه: ما جاء به الرسول ﷺ"[٩٢].

ولا يكون الداعية إلى الله مستقيمًا حكيمًا إلا بالعلم الشرعي، وإن لم يصحب الداعية من أول قدم يضعه في الطريق إلى آخر قدم ينتهي إليه، فسلوكه على غير طريق، وهو مقطوع عليه طريق الوصول، ومسدود عليه سبيل الهدى والفلاح، وهذا إجماع من العارفين. ولا شك أنه لا ينهى عن العلم إلا قُطَّاع الطريق، ونوّاب إبليس وَشُرَطه [٩٣].

وقد مدح الله ﷻ أهل العلم وبيَّن فضلهم، وأثنى عليهم، قال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [فاطر: ٢٨]، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [المجادلة: ١١]، وبيَّن سبحانه أن العلم نور لحامله والعامل به في الدنيا والآخرة: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢]؛ ولهذا قال النبي ﷺ: "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين"[٩٤].

المطلب الثاني: أقسام العلم

قسّم الإمام ابن تيمية ﷺ العلم النافع – الذي هو أحد دعائم الحكمة وأسسها – إلى ثلاثة أقسام، فقال ﷺ: "والعلم الممدوح الذي دلّ عليه الكتاب والسنة هو العلم الذي ورّثه الأنبياء" كما قال النبي ﷺ: "إن الأنبياء لم يورّثوا درهمًا ولا دينارًا، وإنما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظٍّ وافرٍ"[٩٥].

وأقسام العلم الثلاثة، هي كالتالي:

القسم لأول: علم بالله، وأسمائه، وصفاته، وما يتبع ذلك، وفي مثله أنزل الله سورة الإخلاص، وآية الكرسي، ونحوهما.

القسم الثاني: علم بما أخبر الله به مما كان من الأمور الماضية، وما يكون من الأمور المستقبلة، وما هو كائن من الأمور الحاضرة، وفي مثل هذا أنزل الله آيات القصص، والوعد، والوعيد، وصفة الجنة والنار، ونحو ذلك.

القسم الثالث: العلم بما أمر الله به من العلوم المتعلقة بالقلوب والجوارح من الإيمان بالله من معارف القلوب وأحوالها، وأقوال الجوارح وأعمالها، وهذا يندرج فيه: العلم بأصول الإيمان وقواعد الإسلام، ويندرج فيه العلم بالأقوال والأفعال الظاهرة، ويندرج فيه ما وُجد في كتب الفقهاء من العلم بأحكام الأفعال الظاهرة، فإن ذلك جزءٌ من جزءٍ من علم الدين.

المطلب الثالث: فضل العلم وثمرته

– لا بد للداعية أن يوقن أن "العلمَ أشرفُ ما رَغِبَ فيه الرَّاغِب، وأفضلُ ما طَلَبَ وجَدَّ فيه الطالب، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب"[٩٦].

---

(٩١) انظر: فتح الباري ١/١٦٠. وحاشية ثلاثة الأصول لمحمد بن عبد الوهاب، جمع عبد الرحمن بن قاسم الحنبلي، ص١٥.

(٩٢) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٣/١٣٦، ٦/٣٨٨.

(٩٣) انظر: مدارج السالكين للإمام ابن القيم، ٢/٤٦٤.

(٩٤) البخاري ٧١، ومسلم ١٠٣٧.

(٩٥) سنن أبي داود، ٣٦٤١، والترمذي ٢٦٨٢، وابن ماجة ٢٢٣، وانظر: صحيح ابن ماجة للألباني ١/٤٣.

(٩٦) أدب الدنيا والدين، ص٤٠.

– وبالعلم يحوز الداعية الرفعة في الميزان الرباني وفق قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

– وإذا نال الداعية حظًّا وافيًا من العلم، واندرج في سلك طلبة العلم، فإنه يكون في مجتمعه نبراسًا يُهتدى به كما قال ابن القيم عن الفقهاء: "إنهم يكونون في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يُهتدى في الظلماء، حاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض عليهم من طاعة الأمهات والآباء"(٩٧).

وعندما يتحرك الداعية ناشرًا علمه، ساعيًا بين الناس بالإصلاح، ناعيًا عليهم الغفلة والفساد؛ فإنه يحظى بشرف الوصف الذي ذكره الإمام أحمد حين قال: "الحمد لله الذي جعل في كل فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله تعالى الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيلٍ لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هَدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وما أقبح أثر الناس عليهم"(٩٨)، وأهل العلم والبصيرة من الدعاة شهد التاريخ أنهم "هم من اهتدى بهم الحائر، وسار بهم الواقف، وأقبل بهم المعرض، وكمُل بهم الناقص، ورجع بهم الناكص، وتقوَّى بهم الضعيف"(٩٩).

"فإذا كنت – أيها الأخ الكريم – ترغب في سمو القدر، ونباهة الذكر، وارتفاع المنزلة بين الخلق، وتلتمس عزًّا لا تثلمه الليالي والأيام، ولا تتحيَّفه الدهور والأعوام، وهيبة بغير سلطان، وغنى بلا مال، ومنعة بغير سلاح، وعلاء من غير عشيرة، وأعوانًا بغير أجر، وجنُدًا بلا ديوان وفرض، فعليك بالعلم، فاطلبه في مظانه؛ تأتك المنافع عفوًا، وتلقَ ما يعتمد منه صفوًا"(١٠٠).

وقال إسحاق بن أبي فروة: "أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم، وأهل الجهاد، فأما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد فجاهدوا على ما جاءت به الرسل"(١٠١).

المطلب الرابع: العلم المطلوب

ليس بالضرورة أن يكون الداعية عالمًا جامعًا لكل العلوم، وليس من شرط الدعوة تمام العلم واستيفاء قدر بعينه منه، وليست الدعوة مختصة بالعلماء وحدهم دون غيرهم، بل كل من علِم من أحكام الإسلام شيئًا دعا إليه، وكل من علِم منكرًا وعرف دليل حرمته نهى عنه، وإذا لم يكن الأمر كذلك تعطلت الدعوة ومات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالدعوة "مشروط لها العلم، ولكن العلم ليس شيئًا واحدًا لا يتجزأ ولا يتبعض، وإنما هو بطبيعته يتجزأ ويتبعض، فمن عَلم مسألة وجهل أخرى فهو عالم بالأولى جاهل بالثانية، وبالتالي يتوفر فيه شرط وجوب الدعوة إلى ما علم دون ما جهل، ولا خلاف بين الفقهاء أن من جهل شيئًا أو جهل حكمه أنه لا يدعو إليه؛ لأن العلم بصحة ما يدعو إليه الداعي شرط لصحة الدعوة، وعلى هذا فكل مسلم يدعو إلى الله بالقدر الذي يعلمه"(١٠٢).

ومع هذا البيان إلّا أننا ندرك أن الداعية – وقد تصدر للوعظ والإرشاد والتربية والتعليم – مطالبٌ بقدر من العلم والثقافة يعينه على مهمته، ويؤهله لها، وتلخيص المهم من ذلك يتركز في جانبين:

---

(٩٧) إعلام الموقعين ١/٩.

(٩٨) المصدر السابق.

(٩٩) مدارج السالكين ٣/٣٠٤.

(١٠٠) الحث على طلب العلم، ص٤٣.

(١٠١) الفقيه والمتفقه ١/٣٥.

(١٠٢) أصول الدعوة، ص٣٠٢.

أولًا: الجانب الشرعي:

لا بد للداعية أن يعرف "أن أولى العلوم وأفضلها علم الدين؛ لأن الناس بمعرفته يرشدون، وبجهله يضلون"[١٠٣] وهنا لا بد أن تفرق بين ما يجب تعلُّمه ولا يسع أحدًا أن يجهله، وبين ما يكون تعلمه فرضًا كفائيًّا، قال ابن المبارك: "إنما طلب العلم فريضة أن يقع الرجل في شيءٍ من أمر دينه يسأل عنه حتى يعلمه"[١٠٤]؛ ولذلك "يجب على كل مسلم أن يعرف ما يحل له وما يحرم عليه من المآكل والمشارب والملابس والفروج والدماء والأموال، فجميع هذا لا يسع أحدًا جهله"[١٠٥].

(١٠٣) أدب الدنيا والدين، ص٤٤.

(١٠٤) الفقيه المتفقه ١/٤٥.

(١٠٥) المصدر السابق ١/٤٦.

والعلوم الأساسية التي يُفَضَّل أن يكون الداعية إلى الله على دراية بها:

١/ علم العقيدة الإسلامية:

دراسة كتاب معتمد مختصر على مذهب أهل السنة والجماعة ككتاب "لمعة الاعتقاد" لابن قدامة، أو "العقيدة الواسطية" لابن تيمية ونحوها.

٢/ علم التفسير:

دراسة تفسير موجز يشتمل على معاني الكلمات وأسباب النزول والمعنى الإجمالي، ويفيد في ذلك بعض المصاحف المطبوع على هامشها أسباب النزول ومعاني الكلمات، ثم يجعل له زادًا في دراسة متأنية لتفسير بعض السور والأجزاء المكية والمدنية من كتاب معتمد متوسط مثل "تفسير ابن كثير".

٢/ علم الحديث:

مثل "مختصر صحيح البخاري"، أو "مختصر صحيح مسلم"، ويمكن أن يطالع كتابًا من كتب الحديث العامة المصونة في جملتها من الأحاديث الضعيفة والمشتملة على أهم الأبواب التي يحتاج إليها في الإيمان والفضائل والآداب مثل كتاب "رياض الصالحين"، ومطالعة أحاديث الأحكام: "بلوغ المرام"، وفي الأذكار: "أذكار النووي"، وفي الشمائل "شمائل الترمذي"، ونحو ذلك.

٣/ علم الفقه:

دراسة مختصر في فقه العبادات والمعاملات، وقد يضيف ما يحتاجه من الأبواب على مذهب من المذاهب الأربعة المشتهرة.

٤/ علم السيرة والتاريخ:

دراسة مختصر في سيرة الرسول ﷺ مثل: "تهذيب سيرة ابن هشام"، ومن الكتب المعاصرة النافعة: "الرحيق المختوم" للمباركفوري، ومطالعة تاريخ الخلفاء الراشدين.

٥/ مفاتيح العلوم:

دارسة مختصر في أصول الفقه؛ مثل: "مختصر الأصول" للشيخ ابن عثيمين، أو "أصول الفقه للمبتدئين" للأشقر، وكذلك يدرس مختصرًا في علوم الحديث مثل "تيسير مصطلح الحديث" للطحان، أو "مختصر علوم الحديث" لابن عثيمين، وفي علوم القرآن "مباحث علوم القرآن" للقطان، وفي أصول التفسير "مقدمة شيخ الإسلام ابن تيمية" وذلك بحسب الطاقة.

٦/ علوم اللغة:

دراسة مختصر في النحو "كالآجرومية" أو "ملحمة الإعراب"، وكذا في البلاغة والأدب يحتاج إلى دارسة موجزة في مثل كتاب "البلاغة الواضحة" لعلي الجارم، و"يمكن النظر في برامج ومناهج لعلم وثقافة الداعية في كتاب "ثقافة الداعية" للدكتور يوسف القرضاوي، و"جند الله ثقافة وأخلاقًا" لسعيد حوى، و"العلم فضله وطلبه" لأمين الحاج أحمد محمد، وغيرها".

وهذه العلوم الأساسية يحتاج الداعية فيها إلى بعض النصائح والإرشادات:

١ – التدرج في كل علم من الأدنى إلى الأعلى، ومن الأيسر إلى الأصعب، وليَعلم "أن للعلوم أوائل تؤدي إلى أواخرها، ومداخل تفضي إلى حقائقها، فيبتدئ طالب العلم بأوائلها لينتهي إلى أواخرها، وبمداخلها ليفضي إلى حقائقها، ولا يطلب الآخر قبل الأول، ولا حقيقة قبل المدخل، فلا يدرك الآخر ولا يعرف الحقيقة؛ لأن البناء على غير أساس لا يبني، والثمر من غير غرس لا يجني"(١٠٦).

وقال ابن شهاب الزهري المحدث الإمام: "من رام العلم جملة ذهب عنه جملة، ولكن الشيء بعد الشيء مع الأيام والليالي"(١٠٧).

٢ – الحرص على التلقي عن الشيوخ كل في فنه، وألاَّ يعتمد على الاطلاع المجرد وحده، فهذه العلوم ليست كالصحف والمجلات يُكتفى فيها بالقراءة والاطلاع، وكما قيل: "من كان شيخه كتابه فخطؤه أكثر من صوابه".

ثانيًا: جانب الثقافة الإسلامية:

إضافة لتحصيل العلوم الشرعية وآلاتها، فإن الداعية يحتاج بشكل ملح إلى الثقافة الإسلامية العامة، وكذلك الثقافة المعاصرة، ولا شك "أن حركة الداعية حركة واسعة، وانتشاره كبير واتصالاته كثيرة، وهو ولا شك يلتقي أنواعًا كثيرة من البشر كل له مزاجه وثقافته واطلاعه، فلا بد للداعية أن يشبع هذه الثقافات، ويلم بشيء منها؛ حتى يشارك من يخاطبه كل حسب ثقافته كمدخل من مداخل الدعوة"(١٠٨).

ولا بد من الاعتراف بوجود الخلل في هذه الثقافة عند كثير من الدعاة، "فهناك عجز في المعرفة بالحاضر المعيش والواقع المعاصر، فهناك جهل بالآخرين نقع فيه بين التهويل والتهوين، مع أن الآخرين يعرفون عنَّا كل شيء، وقد كشفونا حتى النخاع، بل هناك جهل بأنفسنا، فنحن على ما عليه اليوم لا نعرف حقيقة مواطن القوة فينا، ولا نقاط الضعيف لدينا، وكثيرًا ما نضخم الشيء الهيّن، ونهون الشيء العظيم، سواء في إمكانياتنا أم في عيوبنا"(١٠٩).

ولهذا، فلا بد من العناية بهذا الجانب، وإعطائه الأهمية اللازمة له، وتسليط الضوء على الموضوعات المهمة في هذا الجانب من خلال الآتي:

١ – الثقافة العامة:

وأعني بها ما يتصل بإبراز محاسن الإسلام، ومعرفة مقاصد الشريعة، وتفنيد ورد مزاعم خصوم الإسلام وشبهاتهم، وإظهار الكمال في أنظمة الإسلام الاجتماعية والاقتصادية وغيرها، وبيان أنها ترعى جميع المصالح، وتسد أبواب الفساد، وأنها صالحة لكل زمان ومكان، وأمثال هذه الموضوعات.

وهذه الثقافة يمكن تحصيل جزء جيد منها من خلال تحصيل العلم الشرعي، لا سيما إذا توسع الداعية في طلبه وتحصيله، ومع ذلك فهناك كتب جمعت مثل هذه المقاصد وهي كثيرة؛ منها: "نحو ثقافة إسلامية أصيلة" لعمر الأشقر، و"الخصائص العامة للإسلام" للدكتور يوسف القرضاوي، و"المداخل إلى الثقافة الإسلامية" لمحمد رشاد سالم، ونحوها.

٢ – الثقافة المعاصرة:

وأعني بها عددًا من الجوانب؛ منها:

---

(١٠٦) أدب الدنيا والدين، ص٥٥.

(١٠٧) جامع بيان العلم وفضله، ص١٣٨.

(١٠٨) الدعوة قواعد وأصول، ص٧١.

(١٠٩) أولويات الحركة الإسلامية، ص٢١.

أ – المذاهب الفكرية المعاصرة:

كالشيوعية، والرأسمالية، والقومية، والبعثية، والماسونية، ونحوها، والكتب فيها كثيرة، ومن أوسعها كتاب: "المذاهب الفكرية المعاصرة" لمحمد قطب، ومن أجمعها مع الاختصار: "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة" من إصدارات الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

ب – الواقع المعاصر:

من جهة الأعداء بدراسة الغزو الفكري، والدور العلمي للصهيونية والماسونية ومخططاتهم وأساليبهم، والتنصير ومؤسساته وأدواره، وهناك كتب نافعة في مثل هذه الموضوعات مثل: "الغارة على العالم الإسلامي" تأليف أ.ل. شاتليه، وترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي، وكتاب: "أفيقوا أيها المسلمون" لعبد الودود شلبي، وكتاب: "بروتوكولات حكماء صهيون" ترجمة خليفة التونسي، و"أساليب الغزو الفكري" للدكتور علي جريشة ومحمد شريف آل زيبق.

ومن جهة المسلمين بمعرفة أحوالهم ومتابعة أخبارهم وأوضاع أقلياتهم، وهذا موفور في "حاضر العالم الإسلامي" للدكتور علي جريشة، وكتب الأقليات وأحوال بلاد المسلمين.

والرصيد الثقافي العلمي للداعية يعينه في الاتقان في دعوته وسيكون ذلك مصدرًا لنجاحه.

الفصل الخامس: حاجات المُعَرِّف بالإسلام

إن المُعَرِّف بالإسلام يحتاج بعد الإخلاص والرغبة والدافعية إلى أمرين: المعرفة والمهارة، وفيما يلي بيان لهما:

الأمر الأول: المعرفة التي يحتاج إليها المُعَرِّف بالإسلام:

وكما أن فاقد الشيء لا يعطيه، فكذلك المُعَرِّف لا بد وأن يحيط بِقدرٍ لا بأس به من المعرفة بالإسلام، وكلما كان الشخص أعرف بالإسلام كان أقدر على إيصاله لغيره.

الأمر الثاني: المهارات التي يحتاج إليها المُعَرِّف بالإسلام:

وأتوقع أن من أهمها:

١. مهارات الاتصال.
٢. الخطابة.
٣. الإقناع.
٤. الحوار والاستماع.
٥. مهارة التخلص من المواقف الصعبة والمحرجة.
٦. صقل مهارات الداعية في التقنيات الحديثة.

ثم بعد ذلك مهارات قد يحتاج إليها بعض المعرفين؛ مثل المهارات الخاصة بالمناظرة لمن يصل مستواه لذلك، وكان لديه الوعي التام في الخوض في المناظرات فقط في مواطن لا يكون ضررها أكثر من نفعها.

عملية الاتصال بين الطرفين (المعرَّف والمُعَرِّف)

وتحتاج إلى ما يلي:

١. مدخل مناسب للموضوع مع مهارات كسب القلوب وبناء الجسور [١١٠].
٢. اختيار الموضوع المناسب للوقت المحدد.
٣. اختيار الإستراتيجية المناسبة لطرح الموضوع؛ مثل الحوار، أو المحاضرة، أو حل مشكلة، أو طرح سؤال.
٤. وسائل التعريف المساندة التي يحتاجها؛ مثل: العروض التقديمية، الأفلام الوثائقية، المقاطع، المطويات، الكتيبات.

ويمكن تحديد النقاط السابقة بما يلي:

١. تحديد الكليات الشرعية والجوهرية التي إذا عَرِفَها المُخَاطَبُ يكون قد فهم الإسلام فهما إجماليًّا؛ مثل: التوحيد، والقيم العليا في الدين، وأركان الإيمان، والعبودية لله وحده، وموافقة الدين للفطرة.
٢. سؤال أهل الشأن عن الموضوعات التي وجدوا فائدتها وتأثيرها.
٣. تحديد ما الأسئلة والاستفسارات التي تواجه المُعَرِّفين؛ لأنها عادة تكون محل اهتمامهم.

---

(١١٠) مهارات كسب القلوب وبناء الجسور، جوتيار بامرني، ص ٣١.

المبحث الأول: النظام وأهميته في حياة الداعي إلى الله

النظام وسيلة ضرورية للمعرف بالإسلام يحسن من خلالها استخدام الجهود، وتوجيهها على نحو مثمر؛ وبالتالي زيادة فرص نجاحه في بلوغ هدفه.

وبدون النظام تتبعثر الجهود، ويكون السير على غير هدى، والإسلام هو دين النظام، فالصلاة تُؤَدَّى بنظام من جهة الوقت ومتابعة المأموم للإمام، وكذا في العبادات الأخرى مثل الحج والصيام والزكاة.

المطلب الأول: حاجة الداعي إلى النظام

الداعية المسلم يحتاج إلى تنظيم وقته، فالوقت بالنسبة إليه هو حياته ورأس ماله.

والداعية لا بد أن يكون غده خيرًا من يومه الحاضر، ويومه خيرًا من أمسه، وهذه الخيرية تقوم على مقدار ما يقدمه من جهود وجهاد في سبيل الدعوة إلى الله، وما يحققه من هداية في الناس؛ لأن هداية شخص وتخليصه من النار خير له من حُمر النعم.

وتنظيم وقت الداعية يقوم على تقسيم يومه إلى أجزاء، وتخصيص كل جزء إلى أداء ما عليه من واجبات؛ فجزءٌ لنفسه، وجزءٌ لأهله، وجزءٌ لعبادة ربه، وجزءٌ للدعوة إلى الله.

وحذارِ أن يُنفِقَ أوقاته فيما لا فائدة فيه، فإن الواجبات أكثر من الأوقات، ولأنه مُعَرَّضٌ للموت في كل لحظة؛ فمن الحزم المبادرة إلى استغلال كل دقيقة من وقته في أداء واجب أو مستحب أو مندوب.

المطلب الثاني: حاجة الجماعة إلى النظام

الدعوة إلى الله تعالى قد تكون جماعية كما أشرنا إلى هذا من قبل، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والأمة معناها الجماعة، فإذا ما كانت الدعوة إلى الله جماعية كما لو قام نفر من المسلمين بنشر الإسلام في المجتمعات الوثنية كمجاهل أفريقيا، فعليهم أن يراعوا قواعد النظام التي أمر بها الإسلام حتى تثمر جهودهم ولا تضيع، فإن القليل من العمل بنظام والدوام عليه خير من الكثير مع الفوضى والانقطاع.

ومن مظاهر العمل الجماعي تشكيل الجمعيات الدينية، والمراكز الدعوية التي تنشر محاسن الإسلام، وتُعلِّم الناس أمور الدين والعبادة، وتعتني بمن يُسلم.

المطلب الثالث: معالم النظام الجماعي في الشريعة الإسلامية

ومعالم النظام في الشريعة الإسلامية للعمل الجماعي في مجال الدعوة إلى الله كثيرة، ويجب مراعاتها والاهتمام بها، فمن هذه المعالم:

أولًا: لا بد لكل جماعة من رئيس، تلك حقيقة قررتها الشريعة وأمرت بها، ويؤيدها الواقع ويدركها العقل السليم، ولهذا جاء في الحديث الشريف: "إذا خرجَ ثلاثةٌ في سفَرٍ فليؤمِّروا أحدَهُم"(١١١).

(١١١) صحيح أبي داود ٢٦٠٨، والطبراني في المعجم الأوسط ٨٠٩٣، والبيهقي ١٠٦٥١.

ويقول الإمام ابن تيمية تعليقًا على هذا الحديث: "فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر؛ تنبيهًا بذلك على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بالقوة والإمارة"(١١٢).

والمقصود من الإمارة: تحقيق طاعة الله ورسوله وتنفيذ أوامره، قال ابن تيمية: "فالواجب اتخاذ الإِمَارةِ دينًا وقربة يُتَقَرَّبُ بها إلى الله، فإن التقرب إليه بطاعته وطاعة رسوله ﷺ من أفضل القربات، وإنما يَفْسَدُ فيها حال أكثر الناس لابتغاءِ الرئاسة أو المال بها"(١١٣).

ثانيًا: في بيعة العقبة الثانية، قال رسول الله ﷺ: "أَخْرِجُوا إليَّ منكم اثني عشر نقيبًا ليكونوا على قومهم بما فيهم"(١١٤).

ثالثًا: كان ﷺ كلما خرج من المدينة لغزوة ونحوها يُعَيِّنُ من ينوب عنه على المدينة.

(١١٢) مجموع فتاوى ابن تيمية ٢٨/٩٣٠.
(١١٣) المصدر السابق ٢٨/٩٣١.
(١١٤) سيرة ابن هشام ٢/٦٤.

المبحث الثاني: استعانة الداعي بالغير

المطلب الأول: الاستعانة بالغير، وتحفيزهم للدعوة

من مقومات الداعية الناجح أن يستعين ويحفز فئات كثيرة من المجتمع لصالح الدعوة من الأغنياء، وأصحاب الجاه، والساسة، وأصحاب المهارات.

المطلب الثاني: الاستعانة بأهل الخير والكفاءة

الداعي حريص على إيصال الدعوة إلى الناس، ومن أجل هذا يستعين بكل وسيلة مشروعة لتحقيق ما يحرص عليه، ومن الوسائل المشروعة استعانته بأهل الخير والكفاءة، وتفويض الآخرين بالقيام بالمهام، ففي المسلمين الخير الكثير، وستجد دومًا من يتطوع للدين إذا أعطيتَه مهامَّ واضحة، قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ٣١ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ٣٢ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ٣٤ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ٣٥﴾ [طه: ٢٩ – ٣٥].

فموسى عليه السلام طلب من ربه أن يساعده بأخيه هارون؛ لأنه كما قال تعالى في بيان ذلك الطلب: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ٣٤﴾ [القصص: ٣٤]، ومعنى (رِدْءًا) أي: وزيرًا ومعينًا ومقويًّا لأمري يُصَدِّقُنِي فيما أقوله، ويُبَيِّنُ عني ما أكلمهم به، فإنه أفصح مني لسانًا ويفهم عني ما لا يفهمون.

المطلب الثالث: الاستعانة لغرض الحماية

ويجوز للداعي المسلم أن يستعين بالمسلمين لحمايته ممن يريد إيذاءَه أو منعَه من تبليغ الإسلام، ودليلنا على ذلك أن رسول الله ﷺ كان يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبيٌّ مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه – أي يَحْمُوه حتى يبين عن الله ما بعثه به، فكان ﷺ يقف على منازل القبائل من العرب ويقول: "يا بني فلان إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى أُبَيِّنَ عنِ الله ما بعثني به"(١١٥).

وفي بيعة العقبة الكبرى قال ﷺ: "أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم"(١١٦).

المطلب الرابع: استعانة الداعي بغير المسلم

قد يحتاج الداعي إلى حماية المشرك ممن يريد إيذاءه أو منعه من تبليغ الدعوة... **فهل يجوز للداعي أن يطلب هذه الحماية من غير المسلم، أو يقبلها إذا عرضها عليه؟ وإذا كان الجواب بالإيجاب، فما شروط طلبها أو قبولها؟**

والجواب: أنه يجوز للداعي المسلم أن يقبل حماية غير المسلم له، ومنع الأذى عنه وتمكينه من التعريف بالإسلام، كما يجوز للداعي أن يطلب هذه الحماية منه، ودليلنا على ذلك ما يأتي:

أولًا: من الثابت أن أبا طالب كان يحمي رسول الله ﷺ ويمنعُه من قريش، وكان حريصًا ﷺ على إبقاء موقف عمه منه بعدم تخليه عنه، وقد رفض أبو طالب فعلًا التخلي عن ابنِ أخيه بالرغم من إغراء قريش مرة وتهديدها مرات،

---

(١١٥) المصدر السابق ٣٢-٢/٣١.

(١١٦) المصدر السابق ٢/٥٠.

بل ذهب إلى أبعد من ذلك، فقام في بني هاشم وبني المطلب، "ودعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه... إلخ"(١١٧).

ولما مات أبو طالب، نالت قريش من رسول الله ﷺ ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب، حتى قال ﷺ: "ما نالت مني قريش شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب"(١١٨).

وقد سمى رسول الله ﷺ العام الذي ماتت فيه خديجة رضي الله عنها وأبو طالب عام الحزن"(١١٩).

ثانيًا: خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النُّصرة من ثقيف، والمنعة بهم من قومه، ورجاءَ أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله ﷻ، هذا ما رواه ابن هشام في سيرته(١٢٠).

ثالثًا: وفي إمتاع الأَسْمَاعِ للمقْرِيزي: ويقال: إن رسول الله ﷺ لما عاد من الطائف وانتهى إلى حراء، بعث رجلًا من خزاعة إلى المُطْعِمِ بن عَدِيٍّ ليجيره حتى يُبَلِّغَ رسالةَ ربه فأجاره(١٢١).

رابعًا: عندما رجع المسلمون المهاجرون إلى الحبشة ظنًا منهم أن أهل مكة أسلموا "ولم يدخل منهم أحدٌ إلا بجوارٍ أو مستخفيًا"(١٢٢). أي بجوار مشرك ليمنعه من إيذاء أو اعتداء قريش.

خامسًا: عرَض ابن الدَّغِنَّة على أبي بكر جواره، فقبله أبو بكر، فقال ابن الدغنة: "يا معشر قريش، إني قد أجرت ابن أبي قُحَافة فلا يَعْرِضَنَّ له أحد إلا بخير"(١٢٣).

المطلب الخامس: تعليل جواز الاستعانة بغير المسلم

الأخبار التي ذكرناها صريحة في الدلالة على جواز قبول أو طلب حماية غير المسلم، فما تعليل ذلك؟

تعليل ذلك أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى جو هادئ خالٍ من المضايقات والعقبات في طريق الدعوة، وخالٍ من الاعتداءات على الداعي ومنعه التبليغ؛ لأن الدعوة إلى الله كالبَذْرِ وكالبناء، والبَذْرُ لا يَنْبُتُ في الأعاصير والرياح، والبناء لا يقوم في الهِيَاجِ وانشغال البُناة في مدافعة الأذى والاعتداء، ولهذا لمَّا توفر للدعوة الإسلامية الجو الهادئ بعد صلح الحديبية، دخل في الإسلام عدد أكبر ممن دخل فيه قبل ذلك الصلح أو أكثر"(١٢٤).

فالغرض من قبول حماية غير المسلم هو تمكين الداعي من القيام بنشر الإسلام والدعوة إلى الله تعالى، وليس الغرض منها التمتع بالحياة والراحة فيها ولا مداهنة المشركين، وليس في قبول هذه الحماية شيء، وإنما هي تشبه قيام المشرك برفع الأذى عن طريق المسلم، أو رد الاعتداء عنه، أو حراسته، فهذه الأمور إذا كانت مقبولة من المشرك، فكذلك يمكن قبول حمايته.

المطلب السادس: شروط قبول حماية غير المسلم:

---

(١١٧) المصدر السابق ٢/٢٨١.
(١١٨) المصدر السابق ٢/٢٣٦.
(١١٩) امتاع الأسماع، ص٢٧.
(١٢٠) سيرة ابن هشام ٢/٢٨.
(١٢١) امتاع الأسماع، ص ٢٨.
(١٢٢) سيرة ابن هشام ١/٢٨٨.
(١٢٣) المصدر السابق ١/٣٩٦.
(١٢٤) المصدر السابق ٣/٢٧٨.

ويشترط لقبول حماية غير المسلم، أو طلب هذه الحماية، ألَّا يكون ذلك على حساب معاني الإسلام، أو التنازل عن شيء منها، ولهذا لما قال أبو طالب للنبي ﷺ: "فأبقِ عليَّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فقال له ﷺ: إنه لا يترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو يهلك فيه، فلما ولَّى ناداه أبو طالب فقال: "أقبل يا ابن أخي، ثم قال: اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت، فوالله لا أُسْلِمُكَ لشيء أبدًا"(١٢٥).

وكذلك رد أبو بكر جوار ابن الدَّغِنَّة لما طلب منه ألَّا يصلي في مسجده عند باب داره في بني جُمَحَ(١٢٦).

إذن يجوز قبول حماية غير المسلم إن كان الغرض الأول منها الخلاص من إيذاء الكفرة وبطشهم؛ لأن بقاء المسلم حيًّا يعطيه فرصًا في المستقبل للقيام بواجب الدعوة إلى الله، بدليل ما ذكره ابن هشام في سيرته: "فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية لمكانِهِ من الله، ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: "لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يُظْلَمُ عنده أحدٌ، وهي أرضُ صدقٍ حتى يجعلَ الله لكم فَرَجًا مما أنتم فيه"(١٢٧).

<u>الاستعانة بغير المسلم في بعض الأمور:</u>

ويجوز للداعي أن يستعين بغير المسلم في بعض الأمور، وإن اقتضى ذلك إِخْبَارِه ببعض ما له صلة بعمل الداعي في مجال دعوته إلى الله تعالى، ودليلنا على ذلك:

أولًا: "جاء في حديث الهجرة إلى المدينة أن أبا بكر قال للنبي ﷺ: يا نبي الله، إن هاتين راحلتان قد كنت أعددتها لهذا، فاستأجرا عبد الله بن أريقط – وهو رجلٌ من بني الديل بن بكر وكان مشركًا – ليدلهما على الطريق، فدفعا إليه راحلتيهما، فكانتا عنده يرعاهما لميعادهما"(١٢٨).

ثانيًا: "وفي بيعة العقبة الكبرى أن رسول الله ﷺ جاء ومعه العباس بن عبد المطلب، وهو يومئذ على دين قومه، "إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له"(١٢٩).

ثالثًا: "عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم قال: مرَّ برسول الله ﷺ معبدٌ الخزاعيّ بحمراء الأسد، وكانت خزاعة – مسلمُهم ومشركهم – عَيْبَةَ نُصْحٍ لرسول الله ﷺ بتهامة(١٣٠) صفقتهم معه(١٣١) لا يخفون عليه شيئًا كان بها، ومعبد يومئذ مشرك، فقال: والله يا محمد، أما والله لقد عزَّ علينا ما أصابك في أصحابك، ولوددنا أن الله كان أعفاك فيهم(١٣٢)!"(١٣٣).

---

(١٢٥) المصدر السابق ٢٧٨/١.

(١٢٦) المصدر السابق ٣٩٦/١.

(١٢٧) المصدر السابق ٣٤٣/١.

(١٢٨) المصدر السابق ٩٨/٢.

(١٢٩) المصدر السابق ٤٩/١.

(١٣٠) العيبة: وعاء من أدم يكون في المتاع. ثم أخذوا منه على المثل قولهم: "عيبة الرجل"، أي موضع سره، وفي الحديث: "الأنصار كرشي وعيبتي" أي: خاصتي وموضع سري. ويقال لأهل الرجل"هم عيبته"، من ذلك.

(١٣١) الصفقة: البيعة، ثم استعملت في العهد والميثاق، وفي الحديث: "إن أكبر الكبائر أن تقاتل أهل صفقتك"، وذلك إذا أعطى الرجل عهده وميثاقه ثم يقاتله، وأصل ذلك كله من الصفق باليد؛ لأن المتعاهدين والمتبايعين، يضع أحدهما يده في يد الآخر. ومنه حديث ابن عمر: "أعطاه صفقة يده، وثمرة قلبه". فالصفقة المرة من التصفيق باليد.

(١٣٢) عافاه الله وأعفاه: وهب له العافية من العلل والبلايا. وفي سيرة ابن هشام "عافاك فيهم"، وهما سواء. وقوله: "عافاك فيهم"، أي: صانك مما نزل بأصحابك.

(١٣٣) تفسير الطبري ٨٢٤٣.

فهذه الأخبار صريحة في الدلالة على جواز الاستعانة بغير المسلم في بعض الأمور التي لها علاقة بالدعوة، ولكن يشترط لهذه الاستعانة التوثق من المشرك، والاطمئنان إلى عدم خيانته للمسلم، أو كشف ما اطَّلَعَ عليه، وهذه أمور تقديرية متروكة لتقدير الداعي المسلم وفطنته ومدى الحاجة إلى وُلُوج هذا المسلك.

وموقف المشرك المفيد للمسلم وكتمه ما يطلع عليه من شؤونه، قد يرجع إلى قرابته منه، أو لجميل أسداه إليه، أو لصدق معاملته معه، أو لحسن أخلاقه وسيرته كما قال ابن الدغنة لأبي بكر ﷺ قبل أن يعلن جواره له: "فوالله إنَّكَ لَتَزِينُ العشيرة، وتُعينُ على النوائب، وتفعل المعروف، وتَكسِبُ المَعدومَ؛ ارجع وأنت في جواري"(١٣٤).

إذن، لا ضير على المسلم إذا استفاد من الموقف المفيد الحميد الذي يقفه منه المشرك لأي سبب من الأسباب(١٣٥).

(١٣٤) سيرة ابن هشام ١/٣٩٦.

(١٣٥) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص٤٥٩-٤٦٢.

المبحث الثالث: الوعي عند المُعرِّف بالإسلام، ومراحل تكوينه

المطلب الأول: مفهوم التوعية الإسلامية

الْوَعْيُ: الحفظ والإدراك، وأوْعَاهُ: حَفِظَهُ وَفَهِمَهُ وَقَبِلَهُ، فَهُوَ واعٍ، وفلان أوْعَى من فلان: أي أحْفَظُ وَأَفْهَمُ، والْوَعِيُّ: الحافظ الْكَيِّسُ الفقيه، واسْتَوْعاهُ: إذا اسْتَوْعَبَهُ(١٣٦).

والْوَعْيُ: الحفظ والتقدير والفَهْم وسلامة الإدراك، ووَعَيْتُ العِلْمَ أعِيهِ وعيًا، ووعَى الشيء والحديث يَعِيه وعيًا.

وفي الحديث النبوي الشريف:

"نَضَّر الله امرأً سمع مَقالَتي فوَعاها، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوعى من سامِع"(١٣٧).

المطلب الثاني: التوعية اصطلاحًا في المفهوم العام

يمكن القول إن التوعية تُعرف بأنها: "العملية التي تشير إلى إكساب الفرد وعيًا حول أمرٍ ما أو أمور بعينها، وَتَبْصِيرِهِ بالجوانب المختلفة المحيطة بها"(١٣٨).

وعرفها بعضهم بأنها: "عملية توجيه بعض الأفكار والآراء والمفاهيم بهدف تغيير بعض أنماط السلوكيات السلبية أو الخاطئة لدى الأفراد ومحاولة تقويمها لخدمة المجتمع"(١٣٩).

ومن هذا المنطق، فإن التوعية تهدف في بؤرة اهتمامها إلى التوجيه والإرشاد للتَّزَوُّدِ بالمعرفة، وإكساب الخبرة واكتسابها.

المطلب الثالث: التوعية في المفهوم الخاص بالدعوة

ويختلف التعريف الاصطلاحي باختلاف نوع التوعية المرادة، فهناك أنواع كثيرة من التوعية؛ ومنها: التوعية الدينية أو التوعية الإسلامية، والتوعية الصحية، والتوعية الأمنية، والتوعية الأسرية.

والذي يهمنا هو التوعية الإسلامية، وعرفت اصطلاحًا بأنها: "النشاط الذي يهتم بتعميق العقيدة الإسلامية الصحيحة في النفوس علمًا وعملًا"(١٤٠).

فمقصود التوعية الإسلامية هو:

بناء شخصية إسلامية راسخة في العقيدة، متمثلة بقيمها الإسلامية ومبادئها، مُحِبَّةٍ للخير لجميع الناس، ومُحَصَّنَة وثابتة أمام الأفكار المنحرفة المضللة، تواكب التقنيات المتطورة بوعي وتوازن.

المطلب الرابع: الأهداف الخاصة بالتوعية الإسلامية

وهي على النحو التالي:

١/ فهم الإسلام فهمًا صحيحًا متكاملًا وشاملًا وفق منهج السلف الصالح.

٢/ تثبيت العقيدة الصحيحة في نفوس الأفراد خصوصًا من المسلمين الجدد، وجعلها ضابطة لسلوكم وتصرفاتهم، وتنمية محبة الله وتقواه وخشيته في قلوبهم.

---

(١٣٦) لسان العرب ١٤٥/٢.

(١٣٧) جامع الترمذي ٢٦٥٧، وقال: حسن صحيح.

(١٣٨) دور الدعوة الإسلامية في توعية الحجاج وإرشادهم، ص١٢٧.

(١٣٩) التوعية والإرشاد، سالم محمود، ص٥٤.

(١٤٠) لم نقف على تعريف محدد للتوعية، فهي تختلف باختلاف متعلقها؛ ولذا اجتهدنا في هذا التعريف.

٣/ توعية الفرد ليكون لبنة صالحة في مجتمعه يشعر بمسؤوليته تجاه دينه وبلده وأمته.

٤/ نشر الوعي الإيجابي لمواجهة الأفكار الهدامة والاتجاهات المضللة.

٥/ احترام الحقوق العامة التي كفلها الإسلام وشرع حمايتها حفاظًا على الأمن، وتحقيقًا لاستقرار المجتمع المسلم في الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال.

٦/ تحقيق الوعي الأسري لبناء أسرة صالحة(١٤١).

٧/ غرس ثقافة دعوة غير المسلمين إلى الإسلام في نفوس المسلمين.

فالوعي بأمر ما يتضمن معرفته والعمل بهذه المعرفة، وعليه لا وعي دون علم، فكلما ازداد المرء علمًا وفهمًا؛ ازداد وعيًا، فالوعي أمر زائد على العلم، وهو مطلب دعوي كذلك كما في الحديث المتقدم.

وتستمد التوعية الدينية في المجتمعات الإسلامية من هدي النبوة، وقيم الدين الإسلامي الحنيف، وتقوم على الإقناع بأن الإسلام هو طريق الحياة المستقرة الآمنة والتي لا ضرر فيها ولا ضرار، وتسعى إلى تعميق وإرساء المبادئ الأخلاقية، والالتزام بالضوابط السلوكية والنفسية والاجتماعية، وترسم خطى النمو الديني في مراحل العمر، وإعداد الفرد المسلم إعدادًا متكاملًا يتوافق سلوكه مع عقيدة الإسلام، وتخضع جميع تصرفاته لقواعد الدين الحنيف.

وتحتاج التوعية الدينية إلى: إعداد محكم، وترتيب مخطط لأهداف مرجوة وعملية.

كما يجب ألا تتسم التوعية الدينية بالمبالغة في التخويف والتهديد والوعيد، بل بإثارة كوامن النفس السوية باتباع ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وَحَفْزِ الهمم على تقوى الله وخشيته، واتباع أوامره واجتناب نواهيه، والبعد عن المحرمات، وتبصير الفرد بنفسه وربه ودينه والقيم والمبادئ الإسلامية والأخلاقية، وضبط النفس، واحترام الذات والغير، وكثرة التوبة والاستغفار، والاستقامة على الفضيلة، والابتعاد عن مهاوي الرذيلة.

كما يجب أن تكون التوعية الدينية ذات طابع عام يتسم بالبساطة حتى يدركها العامة والخاصة، كما يلزم أن تتسم بالاستمرارية مع مراعاة الأحوال(١٤٢).

المطلب الخامس مراحل تكوين المُعَرِّف بالإسلام

المُعَرِّف بالإسلام يتكون من خلال المراحل التالية:

المرحَلة الأولى: مرحلة الانتساب للإسلام؛ وهو أن يكون مسلمًا (قد يوجد من غير المسلمين).

المَرحَلة الثانية: مرحلة حمل الإسلام، أي تعلمها والعمل بها.

المَرحَلة الثالثة: مرحلة نقل الإسلام، أي التعريف به.

المَرحَلة الرابعة: مرحلة الإقناع بالإسلام.

المَرحَلة الخامسة: مرحلة رد الشبهات عن الإسلام.

فليس كل منتسب للإسلام يحمل علمًا وعملًا، وليس كل من يحمل علمًا وعملًا يستطيع الدعوة إليه، وليس كل داعية لديه قدرة على الإقناع بالإسلام، وليس كل من يُقنِع بالإسلام يستطيع أن يرد الشبهة التي ترد عن الإسلام.

---

(١٤١) ينظر: نبذة عن إدارة التوعية الإسلامية، مقال تعريفي منشور في موقع وزارة التعليم بالمملكة العربية السعودية، استفدت من أفكاره في كتابة الأهداف والتعريف.

(١٤٢) ينظر: المخدرات والعقاقير النفسية أضرارها وسلبياتها على الفرد والمجتمع وكيفية الوقاية منها، ص٢٨٦. بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٣٢، صفر لسنة ١٤١١هـ، ١٤١٢هـ.

فمرحلة الإقناع، ورد الشبهات لا يستطيع أن يقوم بها إلا المُعَرِّف بالإسلام، وعلى ذلك فكل مُعَرِّف داعية، وليس كل داعية معرِّفًا [١٤٣].

(١٤٣) التعريف بالإسلام، الدكتور عبد الله الغامدي، دار القبس ١٤٣٩هـ، ص٥٣.

الفصل السادس: الدعوة إلى الله: حكمها، وثمرتها، وأهدافها، وأهميتها، وفضلها، ومعوقاتها:

المبحث الأول: حكم الدعوة إلى الله

يمكن بيان حكم الدعوة من خلال المطالب التالية(١٤٤)(١٤٥):

المطلب الأول: الدعوة واجبة على كل مسلم ومسلمة

دلت نصوص الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله – بمعناها العام – على كل مسلم ومسلمة، كل حسب وسعه.

والوسع يشمل: الوسع العلمي، والمالي، والبدني، والقدرة على أداء الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

– قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٧﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۘ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ٦٧﴾ [الحج: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلۡمُفۡلِحِينَ ٦٧﴾ [القصص: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقول النبي ﷺ "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"(١٤٦).

وقال ﷺ: "بلغوا عني ولو آية"(١٤٧).

وهذه الألفاظ: (بلغوا)، (فليغيره) أوامر صريحة، وإطلاقات شاملة، والأصل في الأمر الوجوب، وفي الإطلاق الشمول.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الدعوة إلى الله واجبة على كل من اتبعه – أي الرسول ﷺ – وهم أمته، يدعون إلى الله كما دعا إلى الله"(١٤٨).

المطلب الثاني: الدعوة بين الوجوب الكفائي والوجوب العيني

العلماء متفقون في الجملة على وجوب الدعوة إلى الله، واختلفوا في نوعية الوجوب؛ هل هو على التعيين؟ أم على الكفاية؟ ولكلٍ أدلة قوية.

– قال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فقد اختلف أهل التفسير في (مِنْكُمْ) هذه، هل هي للتبعيض أم لبيان الجنس؟ قال القرطبي: "ومن في قوله (مِنْكُمْ)

---

(١٤٤) حاولنا هنا تلخيص أقوال العلماء في المسألة بعيدًا عن الخلاف الفقهي، مع محاولة الجمع بين الأقوال، وللاستزادة يمكن الرجوع إلى: مبادئ في أصول الدعوة، د. محمد يسري، تحت عنوان حكم تعلم أصول الدعوة، وقد استفدنا منه كثيرًا في هذه المسألة، والدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ص١ وما بعدها، والمدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني، ص٣١– ٤٣.

(١٤٥) الدعوة إلى الله التعريف والتأصيل، العواجي، ص١٠٩–١١٤.

(١٤٦) أخرجه مسلم ٤٩.

(١٤٧) صحيح البخاري٣٤٦١.

(١٤٨) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥/١٦٥.

للتبعيض، ومعناه أن الآمرين يجب أن يكونوا علماء، وليس كل الناس علماء، وقيل: لبيان الجنس، والمعنى: لتكونوا كلكم كذلك، قلت: القول الأول أصح، فإنه يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية"(١٤٩).

وفي الجمع بين القولين قال شيخ الإسلام: "وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه إذا لم يقم به غيره، فما قام به غيره سقط عنه، وما عجز لم يطالب به"(١٥٠).

وخلاصة الأمر نجمله في التالي:

- العلماء **متفقون في الجملة على وجوب الدعوة إلى الله.**

- العلماء **متفقون** على أن الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عملٌ يحتاج إلى علم وبصيرة بالشروط والأحوال، وهذا لا يتوفر في جميع المسلمين، فيكون الواجب على من توفر فيه الشرط، فإذا قام بواجب الدعوة من توفرت فيهم الشروط؛ سقط الإثم عن الباقين.

- العلماء **متفقون** على أنه إذا لم تحصل الكفاية؛ أَثِمَ جميع القادرين كلٌ بحسبه.

- القائلون بفرض العين قيدوا الوجوب بالاستطاعة، فمن لم يكن عالمًا بحكم المنكر لم يعد مستطيعًا اتفاقًا، ومن كان عاجزًا عن التغيير فقد سقط عنه الوجوب؛ إذ مناط الوجوب هو القدرة، فيجب على القادر ما لا يجب على العاجز.

- انتصاب طائفة من المسلمين وتفرغهم للدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية على الأمة، وأن قيام كل فرد بالدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحسب قدرته فرض عين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "قد تبين بهذا: أن الدعوة إلى الله تجب على كل مسلم، لكنها فرض على الكفاية، وإنما يجب على الرجل المعين من ذلك ما يقدر عليه، إذا لم يقم به غيره"(١٥١).

المطلب الثالث: وجوب الدعوة بين الدعوة الخاصة والعامة

لا بد من التأكيد على أن الدعوة خاصة وعامة، فالخاصة: في بيت الرجل، وبين أهله، وفي سلطانه، وهي واجبٌ عيني لقوله ﷺ: "كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته"(١٥٢).

والدعوة العامة في سائر المسلمين: دعوة إلى الخير، وأمر بالمعروف وَنَهْيٌ عن المنكر، وهي واجب كفائي لقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

المطلب الرابع: الواجب العيني في الدعوة وتحقيق الكفاية

"صرح العلماء أن الدعوة إلى الله ﷻ فرض كفاية في الأقطار التي يقوم فيها الدعاة بالدعوة إلى الله ﷻ، فإذا قام بها من يكفي سقط ذلك الواجب عن الباقين، وصارت الدعوة في حقهم سنة مؤكدة، وعملًا صالحًا جليلًا، وإذا لم يقم أهل الإقليم أو أهل القُطر المعين بالدعوة على التمام، صار الإثم عامًّا، وصار الواجب على الجميع"(١٥٣).

وتَحَقُّقُ الكفاية في الدعوة اليوم أمر متعذر وغير متيسر؛ فدعوة المسلمين مجال رحب فسيح متجدد، وأوسع منه وأرحب دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، كل ذلك في عالم يموج بالفتن، وتستحكم فيه الجهالة، ويتسع فيه الخرق على

(١٤٩) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٤/١٦٥.
(١٥٠) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥/١٦٦.
(١٥١) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٥/١٦٦.
(١٥٢) صحيح البخاري ٨٩٣، ومسلم،١٨٢٩.
(١٥٣) بتصرف: الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ص١٦.

الراقع.

فالدعوة إلى الله ﷻ اليوم أصبحت فرضًا عامًّا، وواجبًا على جميع العلماء، وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام.

عليهم جميعًا أن يُبَلِّغُوا دين الله حسب الطاقة والإمكان، بالكتابة والخطابة وبكل وسيلة استطاعوا، وألا يتقاعسوا عن ذلك.

فالدعوة تجب عينًا على الأنواع التالية:

١- إذا كانت هذه وظيفته، وتم تكليفه بها من قِبَلِ ولي الأمر أو من يُنيبه.

٢- إذا كان صاحب علم ومن المنتسبين للدعوة كمن كان أعْلَم منطِقتِهِ.

٣- إذا كان لا يقدر أحد غيره على تبليغ أمر ما من الدين، أو لم يقم به أحد.

٤- **"فعند قلة الدعاة، وعند كثرة المنكرات، وعند غلبة الجهل - كحالنا اليوم - تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته"**(١٥٤).

ويزداد عظم المسؤولية؛ كلما ازداد علم المرء، وقدرته، ومنزلته بين الناس، وكلما ازداد العلم، والدعوة، والمسؤولية، ازداد الأجر، وارتفع القدر، ونيلت الدرجات.

المطلب الخامس: وجوب الدعوة حسب المكان والتخصص

ويتأكد هذا الوجوب على طائفة من الناس، أن تقوم بالدعوة إلى الله في كل مكان، في المدينة، وفي الحي، وفي القرية، وفي الوزارة، وفي الشركة، وفي المؤسسة، وفي كل تَجَمُّعٍ للمسلمين يجب أن تقوم طائفة بتحمل أعباء الدعوة إلى الله، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

قال ابن كثير: "المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"**(١٥٥)، وفي رواية: **"وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"**(١٥٦)(١٥٧).

وعلى هذا فلا بد أن يكون بين أصحاب التخصصات العلمية والعملية والحرفية - كالأطباء، والمهندسين، والحرفيين، والباحثين في العلوم الإنسانية والاجتماعية، وغيرها من التخصصات - من يدعوهم ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وإذا لم يحصل ذلك وقعوا جميعًا في الإثم.

---

(١٥٤) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، لشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ص١٦.

(١٥٥) تقدم تخريجه.

(١٥٦) هذا اللفظ أيضًا في صحيح مسلم٥٠.

(١٥٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/٣٩١.

المبحث الثاني: ثمرة الدعوة إلى الله على الداعي والمدعوين والمجتمع

المطلب الأول: ثمرة الدعوة إلى الله إجمالا

بما أن الإسلام جاء لسعادة الدنيا والآخرة، فللدعوة إلى الله ثمرات عظيمة لو تحققت كما أمر الله تعالى، وهذه الثمرات لا تعود على الدين فقط بل على الدين والدنيا، وعلى الدعوة والداعية والمدعو والمجتمع.

ويمكن إجمالها في النقاط التالية:

أولًا: بالدعوة إلى الله تعالى يُعبَد الله وحده، وتتحقق علَّة الخلق، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولن تتم عبادة الله تعالى حقًّا إلا بالدعوة إلى منهاج الله تعالى الذي أنزله الله لعباده عن طريق الرسل والأنبياء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

فإذا قام الدعاة بالدعوة إلى الله تحققت غاية الخلق، وغاية إرسال الرسل، وإنزال الكتب "هذه الغاية التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة لربه، كانت عبادته أكمل"(١٥٨).

ثانيًا: حصول التمكين في الأرض:

فبالدعوة تقوم دولة التوحيد ويكتب الله لها النصر والبقاء، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

"هذا من وعوده الصادقة التي شوهد تأويلها ومخبرها، فإنه ﷻ وَعَدَ مَنْ قام بالإيمان والعمل الصالح من هذه الأمة أن يستخلفهم في الأرض، أي: يكونون هم الخلفاء فيها، المتصرفين في تدبيرها، وأنه – سبحانه وتعالى – سوف يمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وهو دين الإسلام الذي فاق الأديان كلها، ارتضاه لهذه الأمة؛ لفضلها وشرفها ونعمته عليها بأن يتمكنوا من إقامته وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة في أنفسهم وفي غيرهم؛ لكون غيرهم من أهل الأديان وسائر الكفار مغلوبين ذليلين، وأنه يبدلهم من بعد خوفهم أمنًا، فقد كان الواحد منهم لا يتمكن من إظهار دينه، وإلا تعرض إلى أذى كبير من الكفار، ولكون جماعة المسلمين قليلين جدًّا بالنسبة إلى غيرهم، فقد رماهم أهل الأرض عن قوس واحدة، وبغوا لهم الغوائل.

فوعدهم الله هذه الأمور وقت نزول الآية، بالاستخلاف والتمكين من إقامة الدين الإسلامي، وبالأمن التام؛ بحيث يعبدونه ولا يشركون به شيئًا دون خوف من أحد إلا الله ﷻ، ولقد قام صدر هذه الأمة بالإيمان والعمل الصالح بما يفوقون غيرهم، فَمَكَّنَهُم الله ﷻ من البلاد والعباد، وفُتِحَتْ مشارق الأرض ومغاربها، وحصل الأمن والتمكين التام، فهذا من آيات الله العجيبة الباهرة، ولا يزال الأمر إلى قيام الساعة، مهما قاموا بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد وأن يجدوا

(١٥٨) تيسير الكريم الرحمن، ص٨١٣.

ما وعدهم الله، وإنما يسلط عليهم الكفار والمنافقين في بعض الأحيان بسبب إخلال المسلمين بالإيمان والعمل الصالح"(١٥٩).

ثالثًا: إقامة الحق، وإزالة الباطل:

قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقٗا ٢٩﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ١٠٨﴾ [يونس: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ١٨﴾ [الأنبياء: ١٨].

"يُخْبِرُ تعالى أنه تكفل بإحقاق الحق وإبطال الباطل، وإنَّ كلَّ باطلٍ قِيلَ وَجُودِلَ به، فإن الله يُنزِلَ من الحق والعلم والبيان ما يَدْمَغُهُ فيضمحل، ويتبين لكل أحد بطلانه ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أي: مُضمحل فانٍ، وهذا عام في جميع المسائل الدينية، لا يورد مبطل شبهة عقلية ولا نقلية في إحقاق باطل أو رد حق، إلا وفي أدلة الله من القواطع العقلية والنقلية ما يذهب ذلك القول الباطل ويقمعه؛ فإذا هو مُتبيّن بطلانه لكل أحد"(١٦٠).

"ودل حرف المفاجأة على سرعة محق الحق الباطل عند وروده؛ لأن للحق صولةً، فهو سريع المفعول إذا ورد ووضح"(١٦١).

والمؤمنون بالله لا يشكون في صدق الله وعده في نُصْرَةِ الحق، فهم يدركون أن غلبة الباطل حينًا من الدهر ابتلاءٌ واختبار؛ لأن فيهم ضَعْفًا أو نَقْصًا والله يريدهم أهلًا لاستقبالِ الحق المنتصر، والبلاء يستكمل المؤمنون فيه نقصهم، ويعالجون فيه ضَعْفَهُم، وكلما سارعوا إلى العلاج اقتربوا من زوال الابتلاء، وحقق الله على أيديهم نَصْرَهُ.

وأعظم الحق هو التوحيد، وأعظم الباطل هو الشرك، قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾ [الرعد: ١٤].

فَمِن أعظم ثمار الدعوة إقامة الحق الذي هو التوحيد، وتصحيح عقائد الناس، وإزالة كل صور الباطل من الشرك والبدع والشعوذة، وجميع ما يخالف العقيدة الإسلامية.

والحق يشمل جميع صور الاعتقاد، وأنواع العبادة، والأقوال والأفعال، وأنواع المعاملات والعادات في الميادين كلها، يستمد ذلك من خاصية شمولية هذا الدين المنصوص عليه في قول الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢﴾ [الأنعام: ١٦٢].

المطلب الثاني: ثمرة الدعوة إلى الله على الداعي

يمكن إبراز آثار الدعوة على الداعي في النقاط التالية:

أولًا: تحقيق امتثال أمر الله تعالى الذي أمر بالدعوة:

فمن ثمرات الدعوة امتثال أمر الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، كما في قوله ﷻ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].

---

(١٥٩) بتصرف: تيسير الكريم الرحمن، ص٥٧٣.

(١٦٠) تيسير الكريم الرحمن، ص٥٢٠.

(١٦١) التحرير والتنوير ١٧/٣٤.

وقوله سبحانه: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ [الشورى: ١٥].

وقوله: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١١٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فامتثال أمر الله تعالى بالدعوةِ إليه ثمرةٌ عظيمة تؤدي للفلاح والنجاة من العذاب، وحصول الأجر من الله سواء استجاب الناس أم لم يستجيبوا.

ثانيًا: تحقيق اتباع النبي ﷺ في الدعوة:

فالقيام بالدعوة كما هو امتثال لأمر الله، فهو كذلك اقتداء بالنبي ﷺ، ومن قبله من الأنبياء، قال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

فالقيام بالدعوة هو اتباع واقتداء واقتفاء وامتثال لرسول الله ﷺ، وكفى بها ثمرة، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣١﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب: ٢١].

قال ابن كثير: "هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادَّعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأفعاله"(١٦٢).

ثالثًا: الدّعوة طريق الفلاح والفوز بجنّة الرّحمن:

فحينما تكون هناك ثلّة مؤمنة تتصدّى لهذه المُهِمَّة الجليلة، فإنّ الله تعالى يرضى عن الأمّة، ويكتب لها الفلاح في الدّنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فالفلاح في الدنيا والآخرة جزاءُ الدعاةِ إلى الله، بالإضافة إلى جنة الله تعالى، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٢﴾ [التوبة: ٢٠ – ٢٢].

والدعاة إلى الله هم أولى الناس بهذه الآية، فبعضهم يجاهد بالكلمة والبيان والحجة، وبعضهم بإزالة الحواجز عن طريق الدعوة بالجهاد، فبذلوا في ذلك أنفسهم وأموالهم، فاستحقوا الفوز برحمة الله وجنته، كما في قوله تعالى كذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٣﴾ [الصف: ١٠ – ١٣].

رابعًا: قيام الداعية بالدعوة إبراءً للذمة والمعذرة لله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٦٤﴾ [الأعراف: ١٦٤].

(١٦٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/٣٢.

براءة الذمة في الدعوة إلى الله هي: "خروج الآمر من عهدة التكليف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال تعالى في صالحي القوم الذين اعتدى بعضهم في السبت: ﴿قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾، وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ٥٤﴾ [الذاريات: ٥٤]، فدل على أنه لو لم يخرج من العهدة، لكان ملومًا"(١٦٣).

والإعذار إلى الله: القيام بالدعوة إلى الله طلبًا للعذر وعدم الملامة(١٦٤). "افترقت بنو إسرائيل على ثلاث فِرَقٍ: فِرْقَةٌ عصت يوم السبت بالصيد، وفرقة نهت عن ذلك واعتزلت القوم، وفرقة سكتت واعتزلت؛ فلم تنهَ ولم تعصِ، وأن هذه الفرقة لما رأت مهاجرة الناهية وطغيانَ العاصية قالوا للفرقة الناهية: لم تعظون قومًا يريد الله أن يهلكهم أو يعذبهم؟ فقالت الناهية: نَنهاهم معذرة إلى الله، ولعلهم يتقون، فهلكت الفرقة العاصية، ونجت الناهية، واختلف في الثالثة هل هلكت لسكوتها، أو نجت لاعتزالها وتركها العصيان"(١٦٥).

فإقامة الحجة وإبراء الذمة والخروج من العهدة والمعذرة إلى الله أمر طالبنا الله به من واقع هذه الآية، وذلك يتحقق في الداعية القائم بأمر الدعوة.

المطلب الثالث: ثمرة الدعوة إلى الله على المدعوين

يمكن إجمال ثمرات الدعوة على المدعو في النقاط التالية:

أولًا: بالدعوة إلى الله يهتدي الناس فينجون من الضلال والشقاء:

فبالدعوة يتعلم الناس أمور دينهم من توحيد ربهم، وعبادته، وأحكامه من حلال وحرام، ويتعلمون حدود ما أنزل الله، وبهذا تحصل لهم هداية الله، قال تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ [طه: ١٢٣ – ١٢٤].

فعن ابن عباس ﷺ، قال: "تَضَمَّنَ الله لمن قرأ القرآن، واتبع ما فيه: ألَّا يَضِلَّ في الدنيا، ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾ [طه: ١٢٣](١٦٦).

"فمن اتبع القرآن والسنة، وعمل بما فيهما فقد سلم من الضلال بلا شك، وارتفع في حقه شقاء الآخرة بلا شك إذا مات على ذلك، وكذلك شقاء الدنيا فلا يشقى أصلًا"(١٦٧)، وهذا لن يحصل إلا بدعوة الناس إلى كتاب الله وهدي رسول الله ﷺ.

ثانيًا: بالدعوة إلى الله تحصل رحمة الله للمدعوين:

فقبول الدعوة يستجلب نزول الرحمة، فما بعث الله الرسل وما حملهم من دعوة إلا رحمة عامة للناس، ورحمة خاصة بالمستجيبين لدعوتهم، قال تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

قال الرازي: إنه ﷺ كان رحمة في الدين وفي الدنيا(١٦٨)، "ذلك أن الله تعالى أرسل إلى البشر رسولًا ليعتقهم من أسر الأوثان، ويخرجهم من ظلمة الكفر وعمى التقليد إلى نور الإيمان، وينقذهم من النار والعار، ويرفع عنهم الآصار،

---

(١٦٣) مقال بعنوان إشراقات قرآنية من سورة العصر فوائد ودروس، د. عبد العزيز الصالح، مجلة البيان، العدد ١٦٠.
(١٦٤) سيأتي الحديث بتوسع عن هذا الأمر عند الحديث عن مقاصد الدعوة الفصل الثالث من هذا البحث.
(١٦٥) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي، ١/٣٢٦.
(١٦٦) جامع البيان ١٨/٣٨٩.
(١٦٧) صيد الخاطر، ابن الجوزي، ص١٧٩.
(١٦٨) مفاتيح الغيب ٢٢/١٩٣.

ويطهرهم من مساوئ الأخلاق والأعمال، ويرشدهم إلى صراط الحق"[١٦٩].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: ٥١]، وقال: ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۗ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأعراف: ٦٣].

عن ابن عباس ﷺ، قال: "تَمَّتِ الرحمةُ لمن آمن به في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن به عُوفِيَ مما أصاب الأمم قبلُ"[١٧٠].

ثالثًا: تحقق المغفرة والسعادة الأخروية:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ [البقرة: ٢٢١]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يونس: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: ٦٥ – ٦٦]

"وهذا من كرمه وجوده؛ حيث ذكر قبائحَ أهل الكتاب، وَمَعَايِبَهُم، وأقوالهم الباطلة؛ دعاهم إلى التوبة، وأنهم لو آمنوا بالله وملائكته وجميع كتبه وجميع رسله، واتقوا المعاصي؛ لكفَّر عنهم سيئاتهم – ولو كانت ما كانت – ولأدخلهم جنات النعيم"[١٧١].

رابعًا: بالدعوة إلى الله تصلح وتستقيم حياة الناس:

أي: تستقيم حياة الناس على شرع الله، وتسلم معاملات الناس، وتصلح أحوالهم الاجتماعية والأسرية، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

"فإن الإيمان شرط في صحة الأعمال الصالحة وقبولها، بل لا تسمى أعمالًا صالحة إلا بالإيمان، والإيمان مقتضٍ لها، فإنه التصديق الجازم المُثمِر لأعمال الجوارح من الواجبات والمستحبات، فمن جمع بين الإيمان والعمل الصالح ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ وذلك بطمأنينة قلبه، وسكون نفسه، وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه، ويرزقه الله رزقًا حلالًا طيبًا من حيث لا يحتسب"[١٧٢].

فإذا استجاب الناس للدعوة، وعملوا بالشريعة؛ حُفظت الأموال، وعُصمت الدماء، وصِينت الأعراض؛ فأمن الناس على أنفسهم، واطمأنوا على أموالهم وأعراضهم، وانتشر الخير، وانقطع الفساد.

خامسًا: بالدعوة تقوم الحجة على المدعوين

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥] فإذا تَمَّتْ دعوةُ الناس، وبُيِّنَتْ لهم الحقائق، وشُرِحَ لهم دين الله سبحانه وتعالى سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين؛ فإنه بذلك قد قامت الحجة عليهم أمام الله تبارك وتعالى.

---

(١٦٩) محاسن التأويل ٧/٢٢٧.
(١٧٠) جامع البيان ١٨/٥٥٢.
(١٧١) تيسير الكريم الرحمن، ص٢٣٨.
(١٧٢) المصدر السابق، ص٢٨٩.

المطلب الرابع: ثمرة الدعوة إلى الله على مجتمع الدعوة

للدعوة آثار كثيرة على المجتمع نجملها في النقاط التالية:

أولًا: نزول الخيرات والبركات:

وعد الله المستجيبين للدعوة بأن يُنزِّل عليهم الخيرات، ويجعل لهم في أموالهم البركات، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦] أي: "أهل القرى لو آمنوا بقلوبهم إيمانًا صادقًا؛ صدقته الأعمال، واستعملوا تقوى الله تعالى ظاهرًا وباطنًا بترك جميع ما حرَّم الله؛ لفتح عليهم بركات السماء والأرض"(١٧٣)، "وإذا تُركت المعاصي كانت سببًا في حصول البركات من السماء والأرض"(١٧٤).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: ٦٥ – ٦٦].

فقوله: ﴿لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ "قال ابن عباس وغيره: يعني المطر والنبات، وهذا يدل على أنهم كانوا في جدب، وقيل: المعنى: لوسعنا عليهم في أرزاقهم، ولأكلوا أكلًا متواصلًا، وذكر (فوق) و(تحت) للمبالغة فيما يفتح عليهم من الدنيا، ونظير هذه الآية: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾﴾ [الطلاق: ٢ – ٣]"(١٧٥).

وقال سبحانه: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الجن: ١٦] "والطريقة هي طريقة الإسلام وطاعة الله؛ فالمعنى: لو استقاموا على ذلك لوسَّعَ الله أرزاقهم"(١٧٦).

وقال عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾ [نوح: ١٠ – ١٢]

"فوعدهم على الاستغفار بأمور هي أحب إليهم وأوقع في قلوبهم من الأمور الأخروية؛ لما جبلوا عليه من محبة الأمور الدنيوية، فالنفس مولعة بحب العاجل"(١٧٧).

قال قتادة: "كانوا أهل حب للدنيا، فاستدعاهم إلى الآخرة من الطريق التي يحبونها"(١٧٨).

"فأعلمهم الله تعالى ههنا أن إيمانهم بالله يجمع لهم مع الحظ الوافر في الآخرة الخِصْبَ والغنى في الدنيا"(١٧٩).

ثانيًا: ظهور العدل في المجتمع:

---

(١٧٣) تيسير الكريم الرحمن، ص٤٤٨.
(١٧٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٦/٢٨٧.
(١٧٥) الجامع لأحكام القرآن ٨/٨٨.
(١٧٦) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي ٢/٤٩٧.
(١٧٧) تفسير الألوسي = روح المعاني ١٥/ ٨١.
(١٧٨) روح المعاني ١٥/٨١.
(١٧٩) مفاتيح الغيب ٣٠/١٢٣.

بالدعوة إلى الله يتحقق العدل في المجتمع، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

"أي ليقوم الناس في الدين والدنيا بالقسط (بالعدل) في حق الله، وفي حق العباد، فلو مشى الناس على شريعة الله لقاموا بالقسط، لكن كل من لم يتمش على شريعة الله فهو جائر"(١٨٠).

فالدّعوة هي طريقٌ للوصول إلى أن ينتشر العدل في المجتمعات عملًا بأوامر الله تعالى القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

ولقد أمر الله تعالى بالعدل حتى مع الأعداء، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

ولذلك كانت رسالة الإسلام هي: "إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام"(١٨١).

ثالثًا: زوال الظلم من المجتمع:

أعظم الظلم هو: كفر الإنسان بخالقه، وصرفُه عبادتَه لغير ربه، وادّعاءُ الولد والصاحبة لله، ووصفُ اللهِ تعالى بما لا يليق به، وإعراضُه عن دعوة الله، وعصيانه، وغيرُ ذلك من صور الظلم الكثيرة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

ومن ثمرات الدعوة إلى الله تعالى إزالة مظاهر هذا النوع من الظلم.

وهناك نوع آخر من الظلم؛ وهو:

ظلم العبد لغيره، وصور هذا الظلم كثيرةٌ من إزهاق الأرواح، وسفك الدماء، وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال، ومنع الحقوق، واختلاس الأمن، وترويع العباد، وإهلاك الحرث، وإفساد النسل.

ولا ريب في أن انتفاء الظلم من المجتمع من أعظم ثمرات الدعوة إلى الله؛ لأن حلولَ الظلم مفسدةٌ للبلاد، ومهلكةٌ للعباد، وقهرٌ للنفوس، وتفتيتٌ للأكباد، واختلالٌ في الأمن.

ولذا أمر الإسلام برفع الظلم، فعن أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا"، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أفرأيت إذا كان ظالمًا كيف أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: "تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ"(١٨٢). قال شيخ الإسلام: "الواجب كفّ الظلم عنهم – أي عن الرعية – بحسب القدرة، وقضاء حوائجهم التي لا تتم مصلحة الناس إلا بها"(١٨٣).

رابعًا: ظهور الإصلاح، وتقليل الإفساد:

---

(١٨٠) تفسير جزء الذاريات، ابن عثيمين، ص٤٢٣.

(١٨١) هذه كلمة ربعي بن عامر أمام رسم قبل معركة القادسية، انظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري ٣/٥٢٠، والكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢/٢٩٧، والبداية والنهاية، ابن كثير، حوادث سنة خمسة عشر، ٧/٣٩.

(١٨٢) صحيح البخاري ٦٩٥٢.

(١٨٣) السياسة الشرعية، شيخ الإسلام ابن تيمة، ص٣٨.

من أعظم ثمار الدعوة كذلك على المجتمع انتشار الإصلاح، وكبح جماح الفساد والإفساد في الأرض؛ وذلك لأن من أهداف الدعوة إزالة الفساد والعمل على الإصلاح.

فالأصل أن تكون الأرض عامرة بالصلاح، بعيدة عن الفساد كما قال تعالى عن الملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: ٣٠].

قال تعالى، عن قوم شعيب الذين كانوا يفسدون في الأرض من خلال الفساد المالي: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [الأعراف: ٨٥].

فالقيام بالدعوة يجلب الإصلاح، ويقمع الفساد، ويزيل تبعاته.

خامسًا: الوحدة والاجتماع في المجتمع:

من آثار الدعوة على المجتمع تآلف المسلمين واجتماعهم وترابطهم وتماسك مجتمعهم، وعدم التفرق والتحزب والاختلاف، وهو أمر من الله تعالى تسعى الدعوة لتحقيقه، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى إذا كُثِفَت وَكَثُرُ أتباعُها ومؤيدوها تكون سببًا مباركًا في تكوين المجتمع المسلم المتكاتف المتآخي.

فبالدعوة إلى الله تعالى تتحسن أخلاق الناس، وتقل خلافاتهم، وتزول أحقادهم وضغائنهم، ويقل أذى بعضهم لبعض، وهنا يحصل الاجتماع وتزول الفرقة؛ تحقيقًا لرسالة الإسلام، يقول الرسول ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(١٨٤).

فعندما تنتشر الدعوة بين الناس؛ ينتشر الحبّ والتّكافل والتّراحم بينهم فلا يتباغضون، وتسود القيم والمبادئ والأخلاق الإسلاميّة بعيدًا عن الفحش والرّذيلة والكذب والغشّ والغيبة والنّميمة، وغير ذلك من آفات النّفس واللسان.

سادسًا: حياة الأمن والاستقرار:

فبالدعوة تقوم دولة التوحيد، ويكتب الله لها النصر والبقاء، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور ٥٥].

(١٨٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٦١٣، وأحمد ٢/٣٨١، والبخاري في الأدب المفرد، ٢٧٣، وابن سعد في الطبقات ١/١٩٢، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وحسن الألباني إسناده، ثم قال: وله شاهد. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٥.

المبحث الثالث: أهمية الدعوة في التعريف بالإسلام، وفضلها

مقام التعريف بالإسلام عظيم، بل هو أساس من أسس انتشارِه، وركن من أركان قيامه، فلولا الدعوة إلى الله لما قام دين، ولا انتشر إسلام، ولولاها لما اهتدى عبد، ولما عَبَدَ اللهَ عابدٌ، ولما دعا اللهَ داعٍ.

ومن هنا يمكن بيان أهمية الدعوة في المحاور التالية:

المطلب الأول: أهمية الدعوة إلى الله في القرآن

ويمكن إجمال أهمية الدعوة في القرآن من خلال النقاط التالية:

أولًا: أن الدعوة إلى الله تعالى تولاها الله سبحانه بنفسه:

فمن أهمية الدعوة أن الله تعالى هو الذي يدعو عباده إلى طاعته وتقواه التي هي طريق الجنة، وينهاهم عن معصيته ومخالفة أمره التي هي طريق النار والعذاب؛ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾ [يونس: ٢٥].

ولذلك أرسل سبحانه وتعالى الرسل، وأنزل الكتب التي فيها الأوامر الصريحة بتوحيده وتقواه وطاعته، كما أنه سبحانه وتعالى نصب الأدلة والبراهين من مخلوقاته وآياته على أنه الرب الخالق المدبر المتصرف في هذا الكون، والإله الحق الذي يجب أن تُصْرَفَ جميعُ أنواعِ العبادة له سبحانه دون ما سواه"[(١٨٥)].

ثانيًا: أمر الله نبيه محمدًا ﷺ بالدعوة إلى الله أمرًا مباشرًا:

ومن أهمية الدعوة أنَّ الله ﷻ أمَرَ بها نبيه ﷺ في عدد من المواضع في القرآن؛ يقول الله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكًا هُمۡ نَاسِكُوهُۖ فَلَا يُنَٰزِعُنَّكَ فِي ٱلۡأَمۡرِۚ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدٗى مُّسۡتَقِيمٖ ٦٧﴾ [الحج: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٨٧﴾ [القصص: ٨٧]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢﴾ [المدثر: ١ – ٢].

فهو أمر بالدعوة إلى الله دعوة خالصة واضحة لا لبس فيها ولا غموض، دعوة إلى الله لا لقومية ولا لعصبية، ولا لحزب ولا لجماعة ولا لشيخ، ولا لأرض ولا لراية، ولا لمصلحة ولا لمَغْنَم، ولا لتَمَلُّق ولا لهوى، ولا لتحقيق شهوة.

---

(١٨٥) الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب، د. عبد الله بن محمد المطوع، ص٢٢.

ثالثًا: جعل الله تعالى الدعوة وصفًا لازمًا لنبيه ﷺ:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾ [الأحزاب٤٥ – ٤٦]، فهو تنبيه "لإخلاص الدعوة إلى الله، لا إلى نفسه، كما قد يعرض ذلك لكثير من النفوس في هذا المقام، وذلك كله بإذن الله تعالى له في الدعوة، وأمره وإرادته وقدره"(١٨٦).

"ولما كان ذلك في غاية الصعوبة، لا يقوم به أحد إلا بمعونة من الله عظيمة، أشار إلى ذلك بقوله: (بِإِذْنِهِ)، أي بتمكينه لك من الدعاء بتيسير أسبابه، وتحمل أعبائه، وللمدعو من الإقبال والاتباع أو أراد له الخير"(١٨٧).

رابعًا: أوجب الله تعالى الدعوة، وبين أنها طريق الفلاح:

إن أمر الدعوة إلى الله تكليف ليس بالهين ولا باليسير، إذا نظرنا إلى طبيعته، وإلى اصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم، ومصالح بعضهم ومنافعهم، وغرور بعضهم وكبريائهم؛ ولذا استحق أصحابه الفلاح الدنيوي والأخروي؛ يقول الله تعالى: ﴿وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤]، قال ابن كثير ﷺ: "والمقصود من هذه الآية: أن تكون فرقة من الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه"(١٨٨).

وقال ابن القيم: "فخص هؤلاء بالفلاح دون من عداهم، والداعون إلى الخير هم الداعون إلى كتاب الله وسنة رسوله، لا الداعون إلى رأي فلان وفلان"(١٨٩).

"فمن أعظم واجبات الشريعة المطهرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أصل عظيم من أصولها، وركن مشيد من أركانها، وبه يكمل نظامها، ويرتفع سنامها.

خامسًا: الوعيد على ترك الدعوة حتى بين العصاة:

قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة: ٧٨ – ٧٩].

"أي: كانوا يفعلون المنكر، ولا ينهى بعضهم بعضًا، فيشترك بذلك المباشر، وغيره الذي سكت عن النهي عن المنكر مع قدرته على ذلك.

وهذا يدل على تهاونهم بأمر الله، فلو كان لديهم تعظيم لربهم لغاروا لمحارمه، ولثاروا لغضبه، وإنما كان السكوت عن المنكر – مع القدرة – موجبًا للعقوبة؛ لما فيه من المفاسد العظيمة:

منها: أن مجرد السكوت، فعل معصية، وإن لم يباشرها الساكت، فإنه – كما يجب اجتناب المعصية – فإنه يجب الإنكار على من فعل المعصية.

ومنها: ما تقدم أنه يدل على التهاون بالمعاصي، وقلة الاكتراث بها.

ومنها: أن ذلك يُجرِّئ العصاة والفسقة على الإكثار من المعاصي إذا لم يُردعوا عنها، فيزداد الشر، وتعظم المصيبة الدينية والدنيوية، ويكون لهم الشوكة والظهور، ثم بعد ذلك يضعف أهل الخير عن مقاومة أهل الشر، فلا يقدرون على ما كانوا يقدرون عليه أوّلًا.

---

(١٨٦) تيسير الكريم الرحمن، ص٦٦٨.
(١٨٧) نظم الدرر ٦/١١٦.
(١٨٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/٩١.
(١٨٩) إعلام الموقعين ٢/١٦١.

ومنها: أن في ترك الإنكار للمنكر اندراس العلم، وكثرة الجهل، فإن المعصية – مع تكرارها وصدورها من كثير من الأشخاص، وعدم إنكار أهل الدين والعلم لها – يُظَنُّ أنها ليست بمعصية.

ومنها: أن السكوت على معصية العاصين تُزَيِّنُ المعصية في صدور الناس، واقتدى بعضهم ببعض، فالإنسان مولع بالاقتداء بأضرابه وبني جنسه.

فلما كان السكوت عن الإنكار بهذه المثابة، نص الله تعالى أن بني إسرائيل الكفار منهم لعنهم بمعاصيهم واعتدائهم، وخص من ذلك هذا المنكر العظيم"(١٩٠).

سادسًا: أوجب الله على طائفة من الأمة أن تنفر لطلب العلم لتقوم بالدعوة والإنذار:

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

"ففي هذا فضيلة العلم، وخصوصًا الفقه في الدين، وأنه أهم الأمور، وأن من تعلم علمًا، فعليه نشره وبثه في العباد، ونصيحتهم فيه، فإن انتشار العلم عن العالم من بركته وأجره، الذي يُنَمَّى له، وأما اقتصار العالم أو طالب العلم على نفسه، وعدم دعوته إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وترك تعليم الجهال ما لا يعلمون، وترك التعريف بالإسلام لغير المسلمين، وعدم العناية بمن يسلم، فأي منفعة حصلت للمسلمين منه؟ وأي نتيجة نتجت من علمه؟ وغايته أن يموت، فيموت علمه وثمرته، وهذا غاية الحرمان، لمن آتاه الله علمًا ومنحه فهمًا"(١٩١).

سابعًا: عدم سقوط واجب الدعوة، وترتيب نجاة الدعاة على ذلك:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَئِيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤ – ١٦٥].

"النهي عن المنكر لا يسقط، ولو علم المُنْكِرُ عدم الفائدة فيه، إذ ليس من شرطه حصول الامتثال عنه، ولو لم يكن فيه إلا القيام بركن عظيم من أركان الدين، والغيرة على حدود الله، والاعتذار إليه تعالى، إذ شدد في تركه – لكفاه فائدة"(١٩٢).

حيث رتب الله تعالى النجاة للدعاة القائمين بالدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَئِيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٥].

فهذا دليل على أن الدعوة قد تكون سببًا من أسباب نجاة الدعاة ومن ساعدهم عند حلول النقم والمصائب والفتن.

ثامنًا: الله تعالى لن يهلك الأمم التي يوجَدُ بها دعاة مصلحون:

قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [هود: ١١٦ – ١١٧].

"لما ذكر تعالى إهلاك الأمم المُكذِّبة للرسل، وأن أكثرهم منحرفون، حتى أهل الكتب الإلهية، وذلك كله يقضي على الأديان بالذهاب والاضمحلال؛ ذكر أنه لولا أنه جعل في القرون الماضية بقايا من أهل الخير يدعون إلى الهدى، وينهون عن الفساد، فحصل من نفعهم ما بقيت به الأديان، ولكنهم قليلون جدًّا.

---

(١٩٠) تيسير الكريم الرحمن، ص٢٤٠.

(١٩١) المصدر السابق، ص٣٥٥.

(١٩٢) محاسن التأويل ٥/٢١٣.

وغاية الأمر أنهم نجوا باتباعهم المرسلين، وقيامهم بما قاموا به من دينهم، وبكون حجة الله أجراها على أيديهم؛ ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيا من حيَّ عن بيّنة.

وفي هذا حث لهذه الأمة أن يكون فيهم بقايا مصلحون لما أفسد الناس، قائمون بدين الله، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، ويبصرونهم من العمى، وهذه الحالة أعلى حالة يرغب فيها الراغبون، وصاحبها يكون إمامًا في الدين إذا جعل عمله خالصًا لرب العالمين"(١٩٣).

تاسعًا: أن الناس في خُسْر إلا من كان منهم داعيًا إلى الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر ١ - ٣].

"فمن عجائب هذه السورة أنه بكلمة (تَوَاصَوْا) قررت أن أهل هذه الملة – ملة الإسلام – يجب أن يحملوا الرسالة إلى الآخرين، فبعد أن عرفوا الحق عليهم أن يُبَلِّغُوه غيرهم؛ دعوةً وتعليمًا وإرشادًا"(١٩٤).

المطلب الثاني: أهمية الدعوة إلى الله في السنة

ويمكن إجمال أهمية الدعوة في السنة من خلال النقاط التالية:

أولًا: أمر النبي ﷺ مَنْ تعلم علمًا أن يدعو إليه:

– فقد بوب البخاري بابًا بعنوان: "تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم، وقال مالك بن الحويرث: قال النبي ﷺ: "ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم"(١٩٥)(١٩٦).

– وقد بُوبَ عليه في صحيح الإمام مسلم: "باب الأمر بالإيمان بالله تعالى، ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه، والسؤال عنه، وحفظه، وتبليغه من لم يُبَلِّغْه"(١٩٧)، وذكر تحته حديث وفد عبد القيس وأحاديث أخرى.

فمن عَلَّمَ علمًا يلزمه تبليغه لمن لا يعلمه، وهو من أولى أولويات الأمة الآن؛ حيث نرى عزوف المسلمين عن الدعوة، وانتشار الجهل، والاعتداء على الدين في كل مكان.

– وعن عبادة بن الصامت ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقول: "إني لأحدثكم الحديث؛ فليحدث الحاضر منكم الغائب"(١٩٨)، وقال النبي ﷺ قال: "بلغوا عني ولو آية"(١٩٩).

– وعن أبي بكرة ﷺ، قال: خطبنا النبي ﷺ يوم النحر، قال: "فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟"، قالوا: نعم، قال: "اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض"(٢٠٠).

ومن خلال هذا الموقف نجد أن رسول الله ﷺ قد حَمَّلَ الصحابة كلهم هَمَّ تبليغ الرسالة بعده، وحَمَّلَ الأمة كلها

---

(١٩٣) تيسير الكريم الرحمن، ص٣٩٢.

(١٩٤) تفسير سورة العصر، د. عبد العزيز قارئ، ص٦٠.

(١٩٥) صحيح البخاري ٦٠٠٨.

(١٩٦) ينظر القصة في صحيح البخاري، كتاب العلم، باب تحريض النبي ﷺ وفد عبد القيس على أن يحفظوا الإيمان والعلم ويخبروا من وراءهم، في الترجمة للباب.

(١٩٧) ينظر: صحيح مسلم، ٥.

(١٩٨) مجمع الزوائد للهيثمي ١/١٣٩، وقال الهيثمي: رجاله موثقون.

(١٩٩) صحيح البخاري، ٣٤٦١.

(٢٠٠) صحيح البخاري، ٦٧.

بلاغ الرسالة للعالمين إلى يوم الدين.

ثانيًا: أَمَرَ النبي ﷺ بالدعوة إلى الله أمرًا مباشرًا:

فعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"(٢٠١).

يقول الشيخ ابن عثيمين: "النبي ﷺ وَلَّى جميع الأمة: إذا رأت منكرًا أن تغيره، ولا يحتاج أن نقول: لا بد أن يكون عنده وظيفة!! فإذا قال أحد: من الذي أمرك أو ولاك؟ يقول له: النبي ﷺ لقوله: **"مَنْ رَأَى مِنْكُمْ..."**(٢٠٢).

ثالثًا: بَيَّنَ النبي ﷺ أهمية الدعوة بضرب المثل:

فقد ضرب النبي ﷺ مثلًا على أهمية الدعوة إلى الله، فعن النعمان بن بشير ﷺ عن النبي ﷺ قال: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها والمداهن فيها؛ مثلُ قومٍ استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها، فإذا هم استقوا الماء آذوا من فوقهم، فقالوا: لو أَنَّا خرقنا في موضعنا خرقًا، ولم نؤذِ من فوقنا!! فإذا هم تركوهم وأمرهم؛ هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم؛ نجوا جميعًا"(٢٠٣).

"قال المهلب: وفى حديث النعمان بن بشير تعذيب العامة بذنوب الخاصة، وفيه استحقاق العقوبة بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(٢٠٤).

وهذا يبين أن ترك أمر الدعوة مُوجِب لنزول العذاب، وأن القيام بها من أهم أسباب عدم نزوله، فعن أبي بكر ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول: "إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه؛ أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه"(٢٠٥).

وأخيرًا: قال ابن القيم: "فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم، والناس تبعٌ لهم، والله سبحانه قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس، وهكذا المبلغون عنه من أمته، لهم من حفظ الله وعصمته إياهم؛ بحسب قيامهم بدينه وتبلغيهم لهم، وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلَّغ عنه ولو حديثًا، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن لا يقوم به إلا ورثةُ الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه"(٢٠٦).

المطلب الثالث: الحاجة إلى الدعوة

– إن شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ كان ممن جَلَّى هذه المسألة وبينها؛ حيث قال:

"الرسالة ضرورية للعباد، لا بدَّ لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح العالم ونوره وحياته، فأيُّ صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، وبناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟

(٢٠١) صحيح مسلم، ٤٩.
(٢٠٢) شرح الأربعين النووية، ابن عثيمين، ص٣٣٤.
(٢٠٣) صحيح البخاري، ٢٤٩٣.
(٢٠٤) شرح ابن بطال على صحيح البخاري ١٣/٧.
(٢٠٥) مسند أحمد ١/٢ تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.
(٢٠٦) جلاء الأفهام، ص٣٣٩.

يَعۡمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فهذا وصف المؤمن، كان ميتًا في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نورًا يمشي به في الناس، وأمَّا الكافر فميت القلب في الظلمات.

وسَمَّى رسالته روحًا، والروح إذا عُدِمَ فَقَدَتْ الحياة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢]، فذكر هنا الأصلين، وهما: الروح، والنور، فالروح الحياة، والنور النور"(٢٠٧).

– وقال ابن القيم ﷺ: "حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية، فوق حاجتهم إلى كل شيء. فليس الناس قط إلى شيء أحْوج منهم إلى مَعرفة مَا جَاء به الرَّسول ﷺ، والقيام به، والدعوة إليه، والصبر عليه، وجِهاد مَن خَرَج عنه حتى يرجع إليه، وليس للعالم صَلاح بِدون ذلك البتة، ولا سَبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلاَّ بِالعُبور على هذا الْجِسر"(٢٠٨).

– وقال الشيخ ابن باز: "وليس بِخَافٍ على كل من له أدنى علم أو بصيرة أن العالم الإسلامي اليوم، بل العالم كله في أشد الحاجة إلى الدعوة الإسلامية الصحيحة، التي تشرح للناس حقيقة الإسلام، وتوضح لهم أحكامه ومحاسنه، وبذلك يتضح لكل طالب علم أن الدعوة إلى الله من أهم المهمات، وأن الأمة في كل زمان ومكان في أشد الحاجة إليها؛ بل في أشد الضرورة إلى ذلك، فالواجب على أهل العلم أينما كانوا أن يبلغوا دعوة الله، وأن يصبروا على ذلك، وأن تكون دعوتهم نابعة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة، وعلى طريقة الرسول وأصحابه ومنهج السلف الصالح"(٢٠٩).

وقال أيضًا: "فعند قلة الدعاة، وكثرة المنكرات، وغلبة الجهل كحالنا اليوم؛ تكون الدعوة فرض عين على كل واحد بحسب طاقته"(٢١٠).

وبناء على ذلك، فالناس لا بد لهم من الدعوة إلى الله تعالى؛ وذلك:

أولًا: لإخراجهم من ظلمات الشرك والكفر إلى نور الإسلام، ومن ظلمات البدع إلى نور السنة، ومن ظلمات المعاصي إلى نور الطاعة والهداية، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧].

ثانيًا: "الحاجة للدعوة لأنها تخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام"(٢١١).

ثالثًا: الناس بحاجة ماسة إلى الدعوة إلى دين الله القويم الذي ينظم حياتهم سواء ما تعلق منها بالخالق أم ما تعلق بالمخلوق، قال الإمام أحمد: "الناس مُحْتَاجُون إلى العِلْم أكثر مِن حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام

---

(٢٠٧) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٩/٩٤.

(٢٠٨) مفتاح دار السعادة ١/٣٠٥.

(٢٠٩) مجموع فتاوى ومقالات الشيخ عبد العزيز بن باز ١/ ٢٤٨، ٣٣٣.

(٢١٠) المصدرين السابقين ١/٣٣٢.

(٢١١) هذه كلمة ربعي بن عامر أمام رسم قبل معركة القادسية، انظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري ٣/٥٢٠، والكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢/٢٩٧، والبداية والنهاية، ابن كثير ٧/٣٩ حوادث سنة خمسة عشر.

والشراب يُحْتَاج إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعِلْم يُحْتَاج إليه بِعَدَد الأنفاس"[٢١٢].

رابعًا: "لا يستقيم أمر العالم إلا بالدعوة إلى الله تعالى، ولولا ذلك لأصبحت الأرض في فساد عظيم، ولعاش الناس فوضى كالبهائم.

خامسًا: جنس الإنسان لا يستغني عن الأمر والنهي؛ لأنه لا يمكن أن يستقل بمعرفة الحق والخير على الكمال والتمام، وإن كان يدرك الشر والخير بالجملة وذلك بما وهبه الله من عقل وحواس، إلا أنه لا يعرف حقائق الأشياء على التفصيل إلا بالوحي من الله تعالى؛ ولذلك احتاج الخلق إلى إرسال الرسل، وإنزال الكتب، وقيام الحجة[٢١٣].

سادسًا: من رحمة الله تعالى بالبشرية أنه كلما انحرفت البشرية عن دينها يرسل الله إليهم نبيًّا يجدد لهم أمر دينهم ويردهم إلى الجادة القوية، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۖ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المؤمنون ٤٤].

وبعد طي سجل الرسل بمحمد ﷺ، وانقطاع الوحي من السماء، جعل الله هذه المهمة إلى أتباعه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾﴾ [البقرة ١٤٣]، هكذا يتبين لنا أن هذه الأمة مسؤولة عن هداية البشر هداية إعلام وإرشاد وإظهار للحجة، ومستشهدة وموقوفة لتحاسب عن تبليغ الرسالة إلى البشرية.

سابعًا: "الدعوة الإسلامية ليست خدمة للإسلام عقيدة وتشريعًا ولغة فقط؛ بل هي:

- ضرورة سياسية دفاعًا عن الإسلام والمسلمين، ومصاولة لأعدائهم الكثيرين، ونشرًا للغة القرآن الكريم.
- وضرورة اجتماعية، وضرورة ثقافية، وقد اعترف أعداء الإسلام بأن معتنقي الدين الحنيف يرتفع مستواهم اجتماعيًّا وثقافيًّا.

ثامنًا: إن الفكر الإسلامي الأصيل غير واضح المعالم في بلاد العالم، فقد أصبح مُشوهًا، بفعل جهل أتباعه، وسوء تصرفهم الخاطئ، والخرافات التي شوهت مبادئه، وبترسبات الاستعمار الفكري البغيض الذي هو أخطر أنواع الاستعمار على الإطلاق. فما أحوج المسلمين اليوم إلى دعاة من الطراز الرفيع، يفقهون الفكر الإسلامي الأصيل، ويفهمون روح الإسلام الصحيح، ويجلون عنه الصدأ والغبار، ويعيدونه كما أنزله الله منهجًا مثاليًّا للحياة الدنيا والآخرة.

إن حصون المسلمين تنهار من الداخل، فأكثر شبابنا غير متمسكين بتعاليم الإسلام، وأكثرهم لا يكادون يعرفون عن الإسلام شيئًا مذكورًا، أما الفكر الإسلامي الأصيل؛ فهم بعيدون عنه كل البعد، وقد قرأوا المؤلفات المريبة التي كتبها أعداء الإسلام من مستشرقين ومستغربين"[٢١٤]، وأعداد كبيرة منَّا نحن العجم لا يتعلمون اللغة العربية، ولا يطلبون العلم من مصادره الصحيحة؛ فانتشر بين بني جلدتنا الجهل، بالإضافة إلى عدم الاهتمام بلغة الأمة بين العرب أنفسهم، فأصبح مستوى الكثير منهم متدنيًا للغاية.

تاسعًا: الحاجة للدّعوة إلى الله تعالى لنشر رسالة الإسلام في كلِّ أنحاء المعمورة، فالدّعوة إلى الله تعالى هي

---

(٢١٢) ذكره ابن القيم في مفتاح دار السعادة ١/٦١ نقلًا عن الإمام أحمد، ولم أقف عليه.

(٢١٣) البصيرة في الدعوة، د. عزيز بن فرحان العنزي، ص١٢.

(٢١٤) أهمية الدعوة، محمود شيت خطاب، ص٩ وما بعدها بتصرف يسير.

طريق الوصول إلى النّور، والهداية، والرّشاد، وبدونها لن يعلم الكثير من النّاس عن دين الله تعالى شيئًا، وبدونها أيضًا وبدون رجالاتها لن يتعرَّف الراغبون في دخول الدين الإسلامي على شرائع الإسلام وفرائضه وأحكامه.

عاشرًا: الحاجة للدعوة لتصحّح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام، ففي واقعنا المعاصر ظهر كثير من الأعمال التي تسيء إلى الإسلام بقصد وبدون قصد؛ ومهمّة الدّاعية العارف لدينه أن يقوم بتصحيح الانحرافات الفكريّة والعقديّة، وتوصيل رسالة الإسلام الصَّحيحة نَاصِعة البياض لجميع النّاس.

الحادي عشر: مع الحاجة للدعوة لجعل من لا يريد الإسلام – إما لسبب عدم القناعة، أو لأمر آخر – محايدًا وليس معاديًا؛ عن طريق تعريفه بهذا الدين ليطمئن قلبه إليه ولا يعاديه.

الثاني عشر: "لأن العقول البشرية لا تستطيع وحدها إدراك مصالحها الحقيقية التي تكفل لها سعادة الدارين الدنيا والآخرة، كما أنها لا تهدي وحدها إلى التمييز بين الخير والشر، فكثيرًا ما يبدو لها الشر في لباس الخير فتقع فيه، وكثيرًا ما ظهر لها الخير في صورة الشر فأعرضت عنه"(٢١٥).

الثالث عشر: "والمتأمل في مجمل العلاقات الإنسانية يرى أنه لا بد لها من عقيدة تؤمن بها، وشريعة تحكمها، وحدود تقف عندها، ومسالك تنتظم فيها، وآداب تجملها وتكملها، ونُظُم تعمل من خلالها، وتفسير لحياتها، وإخبار عن مآلها ونهايتها، وهذا ما تتضمنه دعوة الإسلام الخالدة.

الرابع عشر: انتشار العديد من الانحرافات والانتهاكات والنقائص والعيوب في المجتمعات، كانتشار الشرك، وشيوع الإلحاد، وإهدار القيم الروحية؛ مما نتج عنه تدهور الأخلاق، واعتبار القوة هي محور العلاقات وتقديسها دون مراعاة للحق والعدل بين الأمم والشعوب، كما يلاحظ المرء في العالم المعاصر اليوم اشتعال الحروب في كل مكان؛ مما جعل الناس يعيشون في جوٍّ يسوده القلق والاضطراب.

ومهما حاول الناس أن يتلمسوا مخارج لهم من التيه الذي يعيشون فيه، والضياع الذي يتخبطون في دياجيره، فلن يجدوا مصباحًا يضيء لهم الطرقات كالإسلام، ولا هاديًا لهم إلى الخير والفضل كدعوة التوحيد، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣]"(٢١٦).

المطلب الرابع: فضل الدعوة

الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ من أفضل الأعمال، وأقرب القربات، وأوجب الواجبات التي يقوم بها الفرد المسلم، وقد بينَّ الله تعالى ذلك في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، ومضى السلف على ذلك.

ويمكن تلخيص فضل الدعوة إلى الله في النقاط التالية:

أ. **<u>فضل الدعوة إلى الله تعالى في القرآن</u>**

للدعوة إلى الله تعالى فضائل كثيرة جعلت لها قيمة في هذه الأمة؛ ومنها:

أولًا: جعل الله للدعاة شرفًا عظيمًا، ومقامًا رفيعًا، وإمامة للناس في الدنيا: قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

---

(٢١٥) الدعوة الإسلامية، محمد خيري يوسف، ص٢٤.

(٢١٦) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د عبد الرحيم المغذوي ١/٥١ وما بعدها باختصار وتصرف.

"أي: لما كانوا صابرين على أوامر الله، وترك زواجره، وتصديق رسله، واتباعهم فيما جاؤوهم به؛ كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ثم لما بدلوا وحَرَّفوا وَأَوَّلُوا سُلِبُوا ذلك المقام، وصارت قلوبهم قاسية يُحَرِّفُون الكلم عن مواضعه؛ فلا عملٌ صالحٌ، ولا اعتقادٌ صحيح"(٢١٧).

ثانيًا: بعث الله صفوة خلقه للقيام بالدعوة:

وكما أن النبوة اصطفاء، فقد بين الله تعالى أن الدعوة إليه أيضًا اصطفاء منه سبحانه تعالى، وأن الدعاة في درجة ومنزلة عالية، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ [الحج: ٧٥]، وقال: ﴿وَإِذَا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمۡكُرُونَ ١٢٤﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ [طه: ١٣].

وقال تعالى بعد أن ذكر مجموعة من الأنبياء: ﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٨٧﴾ [الأنعام: ٨٧]، وقال: ﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ٤٧﴾ [ص: ٤٧].

فالدعاة إلى الله هم أتباع الأنبياء، اصطفاهم الله تعالى لإكمال مسيرة الدعوة، قال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

ثالثًا: الدعاة من أحسن الناس قولًا عند خالقهم جل وعلا:

قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

"أي: لا أحد أحسن قولًا، أي كلامًا وطريقة وحالة ممن دعا إلى الله بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها، والحث عليها وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصًا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(٢١٨).

قال الشوكاني رحمة الله: "لا شيء أحسنُ منه، ولا أوضح من طريقتِهِ، ولا أكثرُ ثوابًا من عَمَلِهِ"(٢١٩).

صحيح أن النهوض بالدعوة ومواجهة كل الظروف والعقبات أمر شاق، لكن شأنه عظيم.

رابعًا: الدعوة إلى الله من أسباب خيرية هذه الأمة:

قال سبحانه وتعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال ابن كثير: "فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات؛ دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح لهم"(٢٢٠).

قال قتادة: "بلغنا أن عمر بن الخطاب ﷺ في حجة حجها رأى من الناس سرعة فقرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ [آل عمران: ١١٠] ثم قال: من سره أن يكون من تلك الأمة؛ فليؤدِّ شرط الله فيها"(٢٢١).

---

(٢١٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/٤٤٦.
(٢١٨) تيسير الكريم الرحمن، ص٧٤٩.
(٢١٩) فتح القدير ٤/٥١٥.
(٢٢٠) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/١٠٣.
(٢٢١) جامع البيان ٧/١٠٢.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي: "هذا تفضيل من الله لهذه الأمة، بهذه الأسباب التي تميزوا بها وفاقوا سائر الأمم، وأنهم خير الناس للناس نصحًا ومحبة للخير ودعوة وتعليمًا وإرشادًا وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، وجمعًا بين تكميل الخلق، والسعي في منافعهم بحسب الإمكان، وبين تكميل النفس بالإيمان بالله، والقيام بحقوق الإيمان"(٢٢٢).

خامسًا: الدعوة إلى الله من صفات المؤمنين، وجالبة لرحمة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

فقد رتب الله تعالى رحمته على صفات محددة للمؤمنين، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر – الذي هو الدعوة إلى الله – والذي به صلاح المجتمع، وقدرته على القيام بالواجبات الأخرى من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله.

ب.<u>فضل الدعوة إلى الله تعالى في السنة</u>

من خلال سنة النبي ﷺ، تتبين لنا فضيلة الدعوة إلى الله؛ ومن ذلك:

أولًا: دعاء النبي ﷺ لمن يقوم بالدعوة إلى الله:

فكفى الداعية فضلًا دخوله في دعوته ﷺ حيث قال: ""نَضَّر الله امرأً سمع مَقالَتي فوَعاها، فرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوعى من سامِع"(٢٢٣).

"النضرة: الحُسْنُ والرونق، خُصَّ بالبهجة وَالسُّرُور والمنزلة فِي النَّاس فِي الدُّنْيَا والنعمة فِي الْآخِرَة حَتَّى يرى رونق الرضاء وَالنعْمَة؛ لأنه سعى في نضارة الْعلم وتجديد السّنة"(٢٢٤).

ثانيًا: كل المخلوقات تتواضع وتدعوا للعلماء ولمعلم الناس الخير:

فعن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله وملائكته وأهل السماء والأرض – حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت في البحر – يُصَلُّونَ على معلم الناس الخير"(٢٢٥).

"أي: يدعون بالخير "على معلم الناس الخير"؛ قيل: أراد بالخير هنا علم الدين وما به نجاة الرجل، ولم يطلق المعلم ليعلم أن استحقاق الدعاء لأجل تعليم علم موصل إلى الخير، وفيه إشارة إلى وجه الأفضلية بأن نفع العلم متعدٍ، ونفع العبادة قاصر"(٢٢٦).

"ومعنى يصلون عليه: يستغفرون له ويتضرعون ويطلبون له الزلفى؛ لأن نفع علمه يتعدى إلى جميع الحيوانات، حتى من هو مأمور بقتله، فيقول: فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِبحة"(٢٢٧).

ولا شك أن طلبة العلم والعلماء هم كبار الدعاة، ولهم من الفضل والتقديم – بسبب ما يحملون من العلم وإيصاله للناس – الشيء الكثير، فعن أبي الدرداء ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا؛ سلك

---

(٢٢٢) تيسير الكريم الرحمن، ص٩٧٢.
(٢٢٣) سنن أبي داود، ٣٦٦٠، جامع الترمذي، ٢٦٥٦، وسنن ابن ماجه١٨٧، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة ١٨٧، والسلسلة الصحيحة، ٤٠٤.
(٢٢٤) شرح سنن ابن ماجة، السيوطي ١/٢١.
(٢٢٥) جامع الترمذي، ٢٦٨٥، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب، وصححه الألباني.
(٢٢٦) مرقاة المفاتيح ١/٢٩٨.
(٢٢٧) فيض القدير ٣/٥٠٦.

الله به طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإنه ليستغفر للعالم من في السماوات والأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء هم ورثة الأنبياء، لم يرثوا دينارًا ولا درهمًا، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"(٢٢٨).

ثالثًا: هداية رجلٍ خيرٌ من أنفس الأموال ومن الدنيا وما فيها:

قال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب ﷺ حين أرسله ليفتح حصون خيبر: "فوالله لأن يهدي بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم"(٢٢٩).

"وحمر النعم: أي الإبل الحمر: أنفس أموال العرب. وهذا الخطاب باعتبار ما استقرّ عندهم من نفاسة ذلك وكرمه، وإلا فلا مناسبة بينه وبين الثواب المترتب على الهداية، فتشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب إلى الأفهام، وإلا فذرّة من الآخرة الباقية خير من الدنيا بأسرها وأمثالها معها"(٢٣٠).

رابعًا: من دلَّ على خير، فله مثل أجر فاعله:

– وقد روى ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من دلَّ على خير، فله مثل أجر فاعله"(٢٣١)، "فيه فضيلة الدلالة على الخير، والتنبيه عليه، والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم، ووظائف العبادات، لا سيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم، والمراد بمثل أجر فاعله: أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا، ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء"(٢٣٢).

– ويؤكد هذا المعنى حديث أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا"(٢٣٣)، وفيه: الحث على الدعوة إلى الهدى والخير، وفضل الداعي، والتحذير من الدعاء إلى الضلالة والغيّ، وعِظَم جرم الداعي وعقوبته، والهدى: هو العلم النافع، والعمل الصالح.

فكل من علم علمًا أو وَجَّه المتعلمين إلى سلوك طريقة يحصل لهم فيها علم: فهو داعٍ إلى الهدى. وكل من دعا إلى عمل صالح يتعلق بحق الله، أو بحقوق الخلق العامة والخاصة: فهو داعٍ إلى الهدى.

وكل من أبدى نصيحة – دينية، أو دنيوية – يتوسل بها إلى الدين: فهو داعٍ إلى الهدى.

وكل من اهتدى في علمه أو عمله، فاقتدى به غيره: فهو داعٍ إلى الهدى.

وكل من تقدم غيره بعمل خيري، أو مشروع عام النفع: فهو داخل في هذا النص"(٢٣٤).

وكل من عَرَّفَ الإسلام لغير المسلمين، أو علَّم مسلمًا جديدًا فهو داعٍ إلى الهدى.

– ومثله حديث جرير بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء"(٢٣٥).

---

(٢٢٨) مسند أحمد ٢١٧٦٣ قال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، واللفظ له، وابن ماجة ٢٢٣، سنن أبي داود، ٣٦٤٣، والترمذي ٢٦٨٢، وصححه الألباني.

(٢٢٩) صحيح البخاري، ٣٧٠١ واللفظ له، ومسلم ٢٤٠٦.

(٢٣٠) دليل الفالحين ١/٤٢، و٢/٤٥٣.

(٢٣١) صحيح مسلم، ١٨٩٣.

(٢٣٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١٣/٣٩.

(٢٣٣) صحيح مسلم، ٢٦٧٤.

(٢٣٤) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، ص٣١.

(٢٣٥) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، برقم: ١٠١٧.

قال النووي: "فيه الحث على الابتداء بالخيرات، وسن السنن الحسنات"(٢٣٦).

"وبهذا يُعلم أن له ﷺ من مضاعفة الثواب بحسب تضاعف أعمال أمته بما لا يُعَدُّ ولا يُحَدُّ، وكذا السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وكذا بقية السلف بالنسبة إلى الخلف، وكذا العلماء المجتهدون بالنسبة إلى أتباعهم، وبه يعرف فضل المتقدمين على المتأخرين – في كل طبقة وحين"(٢٣٧).

خامسًا: ضرب المثل الطيب لمن يقوم بالدعوة، وأن خيره باقٍ:

عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم: كمثل الغيث الكثير أصاب أرضًا؛ فكان منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصابت منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فَعَلِمَ وعَلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به"(٢٣٨).

ومعنى الحديث أن الأرض ثلاثة أنواع، وكذا الناس:

فالأول من الأرض ينتفع بالمطر فيحيا بعد أن كان ميتًا، وينبت الكلأ، فينتفع به الناس والدواب بالشرب والرعي والزرع وغيرها، وكذا النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا به قلبه ويعمل به ويعلمه غيره فينتفع وينفع.

والثاني من الأرض ما لا تقبل الانتفاع في نفسها، لكن فيها فائدةٌ؛ وهي إمساك الماء لغيرها فينتفع به الناس والدواب، وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب واعية، لكن ليست لهم أفهام ولا رسوخ لهم في العلم يستنبطون به المعاني والأحكام، ولا اجتهاد عندهم في الطاعة، فهم يحفظونه حتى يأتي طالبٌ متعطش لما عندهم فينتفع به، فهؤلاء نفعوا بما بلغهم.

والثالث من الأرض السباخ التي لا تنبت ونحوها، فهي لا تنتفع بالماء ولا تمسكه لينتفع به غيرها، وكذا الثالث من الناس لا قلب له حافظ ولا فهم واعٍ، فإذا سمع العلم لا ينتفع به ولا يحفظه لينفع غيره"(٢٣٩).

"فشبه صَاحب الْعلم فِي نَفعه لِلْخلقِ بالغيث، وَشبه متحمل الْعلم فِي ذكائه بِالْأَرْضِ الطّيبَة المنبتة. وناهيك بهما فضلًا"(٢٤٠).

سادسًا: استمرار أجر الداعي إلى الله بعد موته:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له"(٢٤١).

فعمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجدد الثواب له، إلا في هذه الأشياء الثلاثة؛ ومنها: العلم الذي خَلَّفه من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية وهي الوقف.

---

(٢٣٦) شرح صحيح مسلم للنووي ١/١٠٤.
(٢٣٧) مرقاة المفاتيح ١/٢٤٢.
(٢٣٨) صحيح البخاري، ٢٢٨٢.
(٢٣٩) شرح صحيح مسلم للنووي ١٥/٤٨.
(٢٤٠) المتواري على أبواب البخاري ١/٦٠.
(٢٤١) صحيح مسلم، ١٦٣١.

ففي الحديث فضيلة العلم والحث على الاستكثار منه، والترغيب في توريثه، بالتعليم والتصنيف والإيضاح والدعوة، وأنه ينبغي أن يختار من العلوم الأنفع فالأنفع"[٢٤٢].

لمزيد من الكلام النافع المحفز عن فضل الدعوة، أقترح على حضراتكم قراءة كتابي: كنز المسلم في فضل الدعوة، أو حضور سلسلة من الحلقات المسجلة على قناة الأكاديمية[٢٤٣] عن فضل وظيفة الأنبياء.

(٢٤٢) شرح صحيح مسلم للنووي ١١/٨٥.

(٢٤٣) أكاديمية الصحابة: https: //www.youtube.com/@sahabaacademy483

الفصل السابع: علم التعريف بالإسلام وأهدافه ودعائمه

﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾ [الكهف: ٢٩].

المبحث الأول: علم التعريف بالإسلام

يتضمن علم التعريف بالإسلام عدة موضوعات، سنذكر أهمها باختصار.

<u>موضوعات تأهيل الداعية المُعَرِّف بالإسلام:</u>

- **الأهداف:** يحتاج الداعية لمعرفة أهداف التعريف بالإسلام.
- **الوسائل:** يحتاج الداعية لمعرفة ضوابط استخدام الوسائل، ومعرفة تطبيقاتها.
- **الأساليب:** يحتاج الداعية للتعرف على أنواع كثيرة من الأساليب؛ مراعاةً لأحوال المخاطبين.

وسوف نتكلم بالتفاصيل عن الأساليب، والوسائل في المقرر المخصص لهما.

- **الموضوعات:** يحتاج الداعية إلى معرفة الموضوعات التي يعرضها على المدعو، وترتيبها المنطقي.

سندرس الموضوعات بتفاصيل مرتبة في مادة الخطاب الدعوي للمعرف بالإسلام في مقرر "موضوع الدعوة".

- **القضايا:** يحتاج الداعية أن يقدم القضايا التي يدور حولها الجدل كميزة في الإسلام وليست كشبهة. أكثرية الدعاة يستخدمون عبارة "شبهات" مع أنها ليست دائمًا شبهات، وإنما نقاط قوة للإسلام إذا استطعنا عرضها بطريقة احترافية، سنجد الحديث عن هذه "القضايا" بتفاصيل مرتبة في مادة مهارات دعوة الملاحدة وإبطال شبهاتهم حول الإسلام.
- **الفردية والمؤسسية:** يحتاج الداعية إلى معرفة الممارسات الفردية والمؤسسية، وآلية استخدامها.
- **المواد العلمية:** يحتاج الداعية أن يحسن اختيار المواد العلمية، والمطبوعات المقدمة للمدعو.
- **المواقع والمنصات:** يحتاج الداعية إلى معرفة المواقع الموثوقة، والمنصات الجيدة لربط المدعو بها.
- **الترجمة:** يحتاج الداعية إلى العناية بالمواد المترجمة، والنظر في مدى مناسبتها للمدعو[٢٤٤].

وفي بقية المواد سنتطرق إلى كل حاجة من حاجيات المعرف بالإسلام في مكانه.

وبعد هذه الوقفة، سنلج في الحديث الشائق عن المدعو.

(٢٤٤) التعريف بالإسلام، الدكتور عبد الله الغامدي، دار القبس، ١٤٣٩هـ، ص٥٣.

المبحث الثاني: أهداف التعريف بالإسلام ودعائمه

المطلب الأول: أهداف التعريف بالإسلام

تكلمنا عن أهداف تأهيل الدعاة، والآن سنتكلم عن أهداف التعريف بالإسلام

ليس من ثمرات التعريف بالإسلام أن يُسلم المدعو فحسب؛ بل هناك ثمرات أخرى تتحقق وإن لم يُسلم:

- تحقيق مرضات الله سبحانه وتعالى.
- طلب الأجر من الله تعالى، والتعبد له بهداية الدلالة والإرشاد.
- عرض جمال الإسلام، ومحاسنه، وقيمه، وتشريعاته، والتوحيد الخالص.
- حصول الإسلام ولو بعد حين.
- إزالةُ تصوُّر خاطئ عن الإسلام.
- بناءُ تصوّرٍ صحيح عن الإسلام.
- نشر انطباعات إيجابية عن الإسلام والمسلمين.
- الرد على الشبهات، وتفنيدها، والدفاع والذب عن الإسلام.
- تحييد من كان يعادي الإسلام، أو تخفيف حدة العداء.
- النصرة من قبل بعض المنصفين.
- كسب قلوب المنصفين والمتعاطفين مع المسلمين، وبناء الجسور معهم.
- أداء الواجب، ورفع الحرج عن المسلمين.
- براءة الذمة، والإعذار إلى الله.
- إقامة الحجة.

حتى نُفصِّل أكثر، نقول إن للتعريف بالإسلام أهدافًا كثيرة؛ من أبرزها:

١/ دخول الناس في الإسلام:

فنحن نطمح أن يدخل كل الناس في الإسلام، وسبيلهم إلى ذلك التعرف عليه، ومن لا يريد أن يسلم فتحصل له المعرفة أملًا في أن يتخذ موقفًا إيجابيًّا تجاه الإسلام، أو أن يلتزم الحياد، الذي يقلل من حدة المواجهة مع غير المسلمين، فهم إذا عرفوا الإسلام حق المعرفة لن يواجهوه تلك المواجهة.

٢/ بناء صورة صحيحة عن الإسلام:

وهذا الهدف من الأهداف الرئيسة المهمة جدًّا للتعريف بالإسلام؛ حيث إن كثيرًا من الناس لا يعرفون عن الإسلام إلا اسمه، أو أنه دين العرب، أو أنه دين الأتراك، بل إن هناك أناسًا لا يعرفون حتى اسم الإسلام.

٣/ تصحيح الصورة الخاطئة عن الإسلام:

لقد أحاطت مخططات أعداء الإسلام، وتصرفات بعض المسلمين الإسلام بسياج من التصورات الخاطئة عن الإسلام، وهذا أمر قديم بقدم الصراع بين الحق والباطل، فما من نبي ولا رسول إلا وقد شككوا فيه ورموه بأشد التهم كالكذب، والسحر، وفي العصر الحاضر كثرت هذه الشبهات فنمت تصورات خاطئة في عقول وواقع كثير من غير

المسلمين، وكانت مانعًا لهم عن قبول هذا الدين، بل اتخذ بعضهم العداء للإسلام هدفًا من أهدافه ومنهجًا ينتهجه في حياته؛ ولذلك جاءت فكرة التعريف بالإسلام ليكون هو الطريق لإزالة تلك الشبهات والتصورات الخاطئة من خلال عرض الإسلام في أبهى حُلة، مع مراعاة العقل، والفطرة، وواقع البشرية(٢٤٥).

٤/ براءة الذمة، والإعذار إلى الله:

براءة الذمة هي: "خروج المعرِّف بالإسلام من عهدة التكليف بتبليغ دين الله للناس، قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الذاريات: ٥٤]، فدل على أنه لو لم يخرج من العهدة، لكان ملومًا"(٢٤٦).

والإعذار إلى الله من قوله تعالى: ﴿قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [الأعراف: ١٦٤].

والإعذار في التعريف بالإسلام هو القيام به طلبًا للعذر من الله وعدم الملامة، ويتم هذا عندما يقوم المعرّف بالإسلام باستفراغ الجهد في بيان الإسلام وعرضه – وإن لم تحصل الاستجابة – حتى لا نكون من الذين أمرهم الله تعالى بالتعريف بدينهم فرفضوا، قال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧].

٥/ طلب الأجر من الله تعالى:

وهذا هدفٌ مُسَلَّمٌ به، وكفى به هدفًا ساميًا؛ فالدلالة على الخير من أفضل القربات التي يتقرب بها العبد إلى الله، وأي خير أعظم من أن يعرف الناس جميعًا الإسلام، وما فيه من خير لهم، وما فيه من جوانب لو عرفها غير المسلمين لتغيرت صورة الإسلام في نفوسهم، ولحصل لهم الخير في دنياهم وأخراهم.

والمسلم مطالبٌ أن يقصد بكل عمل يعمله رضا الله تعالى وثوابه وجنته، وإلا لذهب عنه الخير الذي أعده الله تعالى لكل قاصد بعمله رضا الله ﷻ(٢٤٧).

٦/ قيام الحجة على المُعَرَّفين بالإسلام:

إقامة الحجة: هي: بيان الحق للناس كلٌ بحسبه؛ قطعًا للعذر إذا سألهم أوامره هل التزموا بها؟ وعن نواهيه هل كفُّوا عنها؟ فإن لم يجيبوا كانت الحجة عليهم.

وتقام الحجة على المُعَرَّفين بالإسلام بإرسال الرسل، ثم يأتي دورهم بعد ذلك في تعريفه للناس، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [القصص: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ [التوبة: ١١٥].

التَّبْيين: هو التعريف والإظهار(٢٤٨).

والحجة: "لا تطلق حقيقة إلا على البرهان والدليل الناهض، المُبكِّت للمخالف"(٢٤٩).

---

(٢٤٥) التعريف بالإسلام، الغامدي، ص٨٧ بتصرف.

(٢٤٦) مقال بعنوان إشراقات قرآنية من سورة العصر فوائد ودروس، الصالح، مجلة البيان، العدد: [١٦٠].

(٢٤٧) عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسُنَّة – المفهوم، والفضائل، والمعنى، والمقتضى، والأركان، والشروط والنواقص، القحطاني، د. ط، ٧٠٢/٢.

(٢٤٨) التعريف بالإسلام، الدكتور عبد الله الغامدي، ص٨٦.

(٢٤٩) التحرير والتنوير ٢/٤٧.

ولن تتم إقامة الحجة على الناس إلا إذا تأهل الدعاة وتعلموا بشكل جيد، كلٌ يقيم الحجة في تخصصه الدعوي المناسب له ولمجتمعه[٢٥٠]؛ ولذلك إذا قام المعرف بالإسلام بدعوة غير المسلم إلى الدخول في الإسلام، فلن يكون بدعوته هذه قد أقام عليه الحجة في حال رفضه، وإنما تقام عليه الحجة إذا بلغ الجهد في التعريف بالإسلام بأسلوب جميل وواضح، وحاول بكل طاقته تبديد كل المخاوف المحيكة حوله؛ عندئذ تكون قد قامت عليه الحجة.

٧/ النصرة من قِبل بعض المنصفين:

قد رأينا عبر التاريخ الإسلامي كثيرًا ممن كان عدوًّا للإسلام، فأصبح حاميًا، ومؤيدًا، ومناصرًا له؛ حتى مع عدم إسلامه، وما دور أبي طالب في حماية الدعوة عنا ببعيد؛ حيث إنه قد عرف الإسلام حق المعرفة، ودافع عنه ونصره وحماه بما يستطيع، بل واجه في ذلك الحصار مع المسلمين الذي دام ثلاث سنوات، ولكن لم يسلم للعصبية التي كانت عنده تجاه الآباء والأجداد.

بعد هذا العرض الموجز لأهداف التعريف بالإسلام؛ نستطيع القول: إن الناس إذا عرفوا حقيقة الإسلام؛ فإنهم ينقسمون إلى ثلاثة أصناف:

١ – **مقتنع بالإسلام:** أي: أُعْجِبَ به، ورأى فيه خيرًا، واطمأنت إليه نفسه، وسكن له فؤاده، ودخل فيه راغبًا مختارًا، فهذا أصبح أحد أفراد المجتمع المسلم، له ما لهم وعليه ما عليهم، وهنا يبدأ واجب المسلمين في تعليمه شرائع الإسلام، وتفاصيل التكاليف.

٢ . **متحامل:** وهو الذي لا يرى الإسلام إلا بالمنظار الأسود القاتم، ولا يتحدث عنه إلا بلسان المُتحرِّج المتشكك، ويأبى إلا أن يلج في غروره، ويظل مع أوهامه وشكوكه، فهذا نبقى على تواصل مستمر معه لتعريفه بحقيقة الإسلام النقية الصافية؛ حتى نكسبه إما للدخول في الإسلام، وإما تحييده وتخفيف تحامله ضد الإسلام والمسلمين.

٣ – **متردد:** أي لم يستبِنْ له وجه الحق، ولم يتعرف على الإسلام حق التعرف لموانع معينة، فهذا نواصل معه فكرة التعريف، ونحاول أن نجعله يتصل بالإسلام أكثر، ويقرأ عنه، ويتعرف على المسلمين، ويعايشهم، فسيطمئن بعد ذلك – إن شاء الله – إلى الإسلام، وهذا كان شأن كثير من المترددين من أتباع النبي ﷺ من قبل أن يدخلوا في دين الله تعالى، وما أكثر هذه الفئة المترددة المحايدة في زمننا، والتي تعتبر قاعدةً مهمةً جدًّا للتعريف بالإسلام، فهم ينقصهم المعرفة أكثر عن الإسلام، والمعايشة أكثر للمسلمين[٢٥١].

المطلب الثاني: دعائم التعريف بالإسلام

هناك دعائم للتعريف بالإسلام يقوم عليها، ينبغي على المعرف بالإسلام التسلح بها، ومراعاتها، ومرافقتها له في كل حياته؛ وهي:

- استصحاب النية، وتخليصها من الشوائب، ومن حظوظ النفس، وطلب الشهرة، والثناء.
- أن يدعو الله بالتوفيق والسداد.
- العلم بما يدعو إليه بأن يتزود بالعلم الشرعي؛ خصوصًا العقيدة، والمهارات، والممارسة.
- العمل بما يدعو إليه.

---

(٢٥٠) تأهيل الدعاة، العواجي، ص٤٣.

(٢٥١) التعريف بالإسلام، الدكتور عبد الله الغامدي، ص٨٨–٩٠.

- التحلي بمكارم الأخلاق، فالداعية قدوة حسنة للناس في سيرته، وسريرته، وصورته، وأخلاقه.
- الصبرُ في سبيل الدعوة، ومن لوازم الصبر ألا يستطيلَ الطريق، ولا يستعجل النتائج، فليست العبرة بالاستجابة.
- التحلي بالحكمة والوعي قبل السعي.
- ألَّا يأخذَ على دعوته أجرًا سوى ما يرجوه من ربه، ويكون كريمًا لأن البخيل لا يصلح للدعوة.
- من أقوى دعائم النجاح: التوكل على الله، والاستعانة بالله، وعدم اليأس، وعدم الاستسلام.

الفصل الثامن: شبهات تعرقل واجب الدعوة، واعتراضات

المبحث الأول: شبهات وردود

المطلب الأول: شبهة أن الدعوة ليست واجبة

الشبهة الأولى: قد يتوهم البعض أن واجب الدعوة إلى الله لا يلزمه؛ لأنه ليس من رجال الدين، وإن هذا الواجب كفائي يجب على العلماء فقط لا على الجميع.

وهذه الشبهة مدحوضة، فإن الدعوة إلى الخير – وأعلاها الدعوة إلى الله – واجبة على كل مسلم بقدر استطاعته؛ لأن هذه الدعوة من صفات المؤمنين كما بيَّنا، ولأن الحديث الشريف أمر كل مسلم ومسلمة بإزالة المنكر حسب استطاعته، فإذا حصل المقصود بفرد أو بمجموعة أفراد لم يُطالَب الآخرون بإزالة المنكر، ولا يؤاخذون لأنهم لم يزيلوه.

والشأن في المسلم المبادرة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دون انتظار غيره، فقد لا يقوم به الغير فيقع هو في الإثم.

وقد يتشبث البعض؛ توهمًا منه بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [المائدة: ١٠٥] ليتخلص من واجب الدعوة إلى الله، ويبرر قعوده وتقاعسه متوهمًا أن هذه الآية الكريمة تعفيه من تكليف الدعوة إلى الله، ما دام هو في نفسه صالحًا مهتديًا.

إن هذا الوهم تسرب إلى البعض في زمن الصديق أبي بكر ﷺ، فخطب في الناس، وقال: "يا أيها الناس، إنكم تقرؤون هذه الآية الكريمة، وتضعونها في غير موضعها: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ وإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: "إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم الله بعقاب"(٢٥٢).

هذا، ونلاحظ أن في الآية نفسها ما يؤكد وجوب الدعوة إلى الله تعالى على كل مسلم، وينفي الوهم الذي يتشبث به القاعدون؛ ذلك أن الله سبحانه وتعالى قال في الآية ﴿إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾، والاهتداء كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إنما يتم بأداء الواجب، فإذا قام المسلم بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قام بغيره من الواجبات؛ لم يضره ضلال الضُّلَّال"(٢٥٣).

المطلب الثاني: شبهة انتشار الباطل في الأرض

وأنَّ الدعوة لم تعد تنفع شيئًا، وعلى المسلم أن يهتم بنفسه ويدع أمر الخلق.

والجواب على هذه الشبهة – كما سنوضحه فيما بعد – أن الواجب على المسلم هو القيام بواجب الدعوة إلى الله، سواء حصل المقصود واستجاب الناس أو لم يستجيبوا، وقد حصلت هذه الشبهة لأقوام سالفين قصَّ الله لنا من أخبارهم، وكيف أن الدعاة إلى الله ردوا عليهم شبهتهم، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ

---

(٢٥٢) نيل المرام من تفسير آيات الأحكام، السيد محمد صديق حسن خان، ص٢٥١، الجصاص ٣١/٢.

(٢٥٣) الحسبة لابن تيمية في مجموعة رسائله، ص٢٧٥.

مَّعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٦٤ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٥﴾ [الأعراف: ١٦٤ – ١٦٥].

والآية الكريمة تشير إلى أهل قرية صاروا ثلاث فرق: فرقة ارتكبت المعاصي، وفرقة أنكرت عليهم ووعظتهم، وفرقة سكتت عنهم فلم تفعل ولم تنهَ ولكنها قالت للمنكرة: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا﴾ أي: لم تنهون هؤلاء وقد علمتم أنهم قد هلكوا واستحقوا العقوبة من الله، فلا فائدة في نهيكم إياهم، فقالت الفرقة المنكرة بالجواب الصحيح ﴿مَّعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ أي: فيما أخذ علينا من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فنحن نعتذر إلى ربنا؛ إذ لا نملك إلا أن ندعو هؤلاء العصاة للإقلاع عن معصيتهم والإنابة إلى ربهم ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٦٤﴾، أي: ولعل هذا الإنكار عليهم ودعوتنا إياهم للإنابة إلى ربهم والرجوع إليه يدعوهم إلى الاستجابة"(٢٥٤).

وفي هذا إشارة إلى أنه ما دام هناك احتمال قبول الدعوة، فلا بد من استمرار الوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله تعالى؛ ليحيا من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

الشبهة الثالثة: تقوم على فهم سقيم للآية الكريمة ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فيتعلل بأن الدعوة إلى الله تُسبب له تعبًا ونصبًا لا يستطيع تحمله، والواقع أن هذه حجة ضعاف الإيمان رقيقي الدين، فإن التعب المزعوم ينالهم في سعيهم للظفر بمآرب الدنيا التافهة كالحصول على ربح مادي زهيد مثلًا، فأولى بهم أن يتحملوا شيئًا من التعب في الدعوة إلى الله، وفي مقابل الحصول على أجور عظيمة من الله ﷻ.

والحقيقة أن التعب المزعوم يسير وبسيط، فهل هناك تعب شديد في تعليم الجاهل أمور الإسلام، أو في عرض الإسلام على الكافر الذي لم يسمع بالإسلام؟! وهل يتعب إذا حرك لسانه بالكلام الطيب، أو يُتعب فكره إذا فكر في أمور الإسلام؟! وهل يعاني تعبًا لا يُطاق إذا تيسر له السفر إلى المجتمعات الوثنية يدعوها إلى الله؟! ألا ينظر إلى رجال الكنيسة الذين يذهبون ويقضون السنين هناك؟!

إن المسلم أولى منهم بتبليغ دين الله، ونشر الدعوة إلى الله بين أولئك الوثنيين، وفي حال إذا وسوس له الشيطان بتوهم التعب والإرهاق، فليتذكر قول الله تعالى: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ﴾ [النساء: ١٠٦]، وليتذكر أيضًا أصحاب رسول الله ﷺ، وما تحملوه في الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله.

ونذكر – على سبيل المثال – شيئًا من أخبارهم وجهادهم في سبيل الله، فقد جاء في كتب السيرة أن النبي ﷺ بعد رجوعه إلى المدينة ومعه المسلمون بعد معركة أحد، جاءه الخبر أن أبا سفيان ومن معه من المشركين عزموا على الرجوع إلى المدينة مرة أخرى لاستئصال من بقي من المسلمين، فلما صلَّى رسول الله ﷺ الصبح، أمر بلالًا فنادى: إن رسول الله ﷺ يأمركم لطلب عدوكم، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال أمس؛ فخرج سعد بن معاذ إلى داره يأمر قومه بالمسير وكلهم جريح، فقال: "إن رسول الله يأمركم أن تطلبوا عدوكم، فقال أسيد بن حضير – وبه سبع جراحات يريد أن يداويها –: سمعًا وطاعة لله ولرسوله، وأخذ سلاحه ولم يُعرِّج على دواء، ولحق برسول الله ﷺ، وجاء سعد بن عبادة قومه، وجاء أبو قتادة إلى طائفة فبادروا جميعًا، وخرج من بني سلمة أربعون جريحًا – بالطفيل بن النعمان ثلاثة

(٢٥٤) تفسير ابن كثير ٢/٢٥٧.

عشر جرحًا، وبالحارث بن الصمة عشر جراحات – حتى وافوا رسول الله ﷺ، فقال لما رآهم: "اللهم ارحم بني سلمة"(٢٥٥).

هكذا كان جهادهم رضوان الله عليهم في سبيل الله؛ كي تكون كلمة الله هي العليا، فهل يستكثر المسلم إذا أتعب نفسه قليلًا في الدعوة إلى الله، ونشر محاسن الإسلام، وتعليم الناس مكارم الأخلاق؟! ألا يستحي من نفسه إذا استكثر الجهد البسيط الذي يبذله في الدعوة إلى الله وصحابة رسول الله يخرجون جرحى للقتال وهم يقولون: سمعًا وطاعة لله ولرسوله؟!

المطلب الثالث: شبهة أن تكون معصومًا

كم من أناس يحبون أن يقدموا لدينهم الكثير، ولكن يظنون أنَّ الداعية والآمر والناهي ينبغي أن يكون معصومًا، فاعلًا لكل ما يأمر به، منتهيًّا عن كل ما ينهى عنه، وهذه درجة صعبة لا يبلغها إلا المرسلون، وإن كان الأمر هكذا فلن نجد من يأمر بمعروف ولا من ينهى عن منكر ولا يُعرِّف الإسلام لغير المسلمين بعد المرسلين، هذا من تلبيس الشيطان فلنحذر.

كما أنه ليس عذرًا أن يقول البعض إنه مقصر، ومن ثم كيف يدعو وهو على تلك الحالة؟

مثل هذا الكلام هو أيضًا من تلبيس إبليس، فلو كان الكُمّل هم فقط من يدعون إلى الله؛ ما دعا بعد الأنبياء أحد.

نعم قبيح بالداعية أن تخالف أعماله أقواله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢ – ٣]، ولكن ليس الحل أن يتنَحى المسلم عن الدعوة؛ بل الواجب عليه أن يجاهد نفسه على الالتزام بما يقول، ويتوب من الذنوب، ويواصل طريق الدعوة.

كما أن الدعوة ليست حكرًا على أحد أو فئة من فئات المجتمع، فقد قال النبي ﷺ: "بلغوا عني ولو آية"(٢٥٦)، وهذا الأمر عام لكل مسلم ومسلمة، وكلٌ بحسبه، فعلى العالم ما ليس على غيره، والدعاة يتفاوتون في علمهم وقدراتهم، ولكن كلٌ بقدر ما يستطيع.

ولم تكن معصية أبي محجن رضى الله عنه حائلًا دون نصرة الدين، وكذلك أنت أخي الحبيب، لا يكن تَقْصِيرك مانعًا من الدعوة إلى الله.

المطلب الثالث: شبهة التعذر بكثرة الأشغال

هذا العذر جعله الشيطان حاجزًا منيعًا حال دون البذل للدعوة.

فالمُفَرِّط جعل الأشغال ذريعة في التغيُّب عن الساحة الدعوية، والتمس فيها أعذارًا حتى يجعل لنفسه تأويلًا مستساغًا في نظره، فيكون له في تفريطه حجة.

المطلب الرابع: شبهة ليس عندي علم

يقول بعض الناس: "أنا لا ينبغي لي أن أدعوَ إلى الله؛ لأنني لست من أهل العلم، كما أنني لا أستوعب جيدًا، وليس لديَّ أسلوبٌ أو علمٌ بالدعوة، ورغم ذلك أريد ألّا أحرم نفسي من شعيرة الاحتساب والدعوة إلى الله".

نقول: من ليس لديه علم باستطاعته دعوة الناس إلى اتباع الرسل والعلماء باستخدام الوسائل المتاحة، ولقد سبقهم

---

(٢٥٥) امتاع الأسماع، المقريزي، ص١٦٧.

(٢٥٦) رواه البخاري ٣٤٦١.

في ذلك مؤمن آل فرعون الذي قال الله ﷻ في شأنه: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١﴾ [يس: ٢٠ - ٢١].

هناك أمور كثيرة تستطيع فعلها في الدعوة إلى الله ﷻ؛ مثل توزيع الوسائل الدعوية على المسلمين وغير المسلمين وجهًا لوجه، أو باستخدام الطرق الحديثة مثل مواقع الإنترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي، ويمكن أيضًا المشاركة في الطباعة، أو نشر مقاطع للدعاة والعلماء، وكذلك المشاركة المادية، أو خدمة الدعاة أو العناية بالمسلمين الجدد، أو تحفيز الآخرين للدعوة.

ولو كان لا يدعو إلى الله إلا العلماء وطلبة العلم فقط؛ لتعطل هذا العمل الجليل، فالعلماء وطلبة العلم في المجتمع قليل، والاقتصار عليهم سيجعل الأمر والنهي ودعوة غير المسلمين في دائرة ضَيِّقَة.

على سبيل المثال: إذا رأيت تاركَ صلاةٍ، هل يحتاج تشجيعك له بأداء الصلاة إلى علم كثير؟ لا، بل يكفيك أن تعرف أنَّ الصلاة من أركان الإسلام، ولا يقوم الإسلام إلا بها.

لقد كان بعض صحابة رسول الله ﷺ بمجرد أن يسلموا ويتعلموا من رسول الله ﷺ الأمور الضرورية، يأمرهم عليه الصلاة والسلام بدعوة قومهم، وأمرهم ونهيهم، ومن ذلك قصة إسلام أبي ذر ﷺ؛ حيث قال له رسول الله ﷺ: "فهل أنت مُبَلِّغٌ عني قومك؟ عسى اللهُ أن ينفَعَهم بك ويأجُرَكَ فيهم"، "فأتيتُ أُنَيسًا فقال: ما صنعتَ؟ قلتُ: صنعتُ أني قد أسلمتُ وصدَّقتُ." فأسلمَ أُنَيْسٌ وأمهما أيضًا، ثم قال: "فاحتملنا حتى أتينا قومنا غفارًا، فأسلمَ نصفهم"(٢٥٧).

فأبو ذر ﷺ لم يمكث عند رسول الله ﷺ حتى يتعلم منه الشيء الكثير، بل بمجرد إسلامه تعلم الأمور الضرورية وهي الصلاة والوضوء كما في الرواية الثانية، دعا أخاه وأمه، ثم دعا قومه بعد أن رجع إليهم، وكانت النتيجة أن أسلم نصفهم، والنصف الآخر أسلم بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة كما في تتمة الحديث المذكور.

ومن هذا الباب أيضًا قصة مالك بن الحويرث ومن معه من الشباب، الذين أمرهم الرسول ﷺ أن يرجعوا إلى أهليهم فيعلموهم ويأمروهم، كما يُحدّث مالك بن الحويرث ﷺ، فيقول: "أتينا إلى النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يومًا وليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيمًا رفيقًا، فلما ظن أنَّا قد اشتهينا أهلنا، أو قد اشتقنا سألَنا عمن تركنا بعدنا؟ فأخبرناه، قال: ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم، ومروهم، وَذَكَرَ أشياء أحفَظُها أو لا أحفَظُها، وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم"(٢٥٨).

المطلب الخامس: شبهة أن أكثرية الناس ضائعون

قال الفضيل بن عياض ﷺ: "لا تَسْتَوْحِش طُرُق الهُدى لقلة أهلها، ولا تغتر بكثرة الهالكين"(٢٥٩).

♦ ما يقوله الداعي إذا لم يُتَّبع: قال الله تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝١٢٩﴾ [التوبة: ١٢٩].

♦ ما يفعله الداعي إذا ضاق صدره: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٩٨ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر: ٩٧ - ٩٩].

فلو سألنا: أيأمر الرجل من يعلم أنه لا يقبل منه؟ الجواب: نعم؛ ليكون ذلك معذرة له عند الله تعالى.

---

(٢٥٧) أخرجه مسلم، ٢٤٧٣.

(٢٥٨) صحيح البخاري، ٦٢٨.

(٢٥٩) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢٦٣/١.

وإن لم يسلم الناس فالحلُّ: مزيد من الدعاء ومراجعة النفس، والإتقان في الأداء، وزيادة المهارات، والإرادة، والمثابرة، ورباطة الجأش، وعلو الهمة(٢٦٠).

المبحث الثاني: الإسلام دين الصلاح والإصلاح

المطلب الأول: أوجه عدم اكتفاء الإسلام بأن نكون صالحين

إن الإسلام لا يكتفي من المسلم بأن يكون في نفسه صالحًا مهتديًا، وإنما يريد منه أن يكون مصلحًا وهاديًا لغيره، فما تعليل ذلك؟ تعليل ذلك من وجوه:

الوجه الأول: إن الله تعالى أرسل رسوله محمدًا ﷺ إلى الناس جميعًا ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، ورسالته ﷺ باقية إلى يوم الدين، ومقصدها هداية الخلق أجمعين ليفوزوا بالسعادة في الدارين، ولهذا كانت رسالته رحمة للعالمين ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقد بَلَّغَ ﷺ رسالة ربه ومضى إلى جواره الكريم راضيًا مرضيًّا، فكان لِزَامًا على المسلمين النهوض من بعده، وتبليغ دعوة الإسلام إلى أهل الأرض لهدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم: ١]، فهم شهداء الله على خلقه، وَمُبَلِّغُو رسالتَه إليهم بعد نبيهم ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

إن قيام المسلم بالدعوة إلى الله يؤدي أعظم نفع وعون لعباد الله؛ لأنه يمد يدًا كريمة إليهم لتُنقِذَهُم مما هم فيه من رجس الشرك والوثنية، ويضعهم على صراط الله المستقيم، فيؤدون حق ربهم عليهم، ويحققون الغاية التي من أجلها خلقوا ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

الوجه الثاني: إن بقاء الشرك والكفر في الأرض يؤثر عاجلًا أو آجلًا على معاني الإسلام القائمة في أي جانب من جوانب الأرض، ولهذا يمنع الإسلام المسلم من البقاء في ديار الكفر، ويأمره بالتحول إلى ديار الإسلام لئلا يُفتَنَ في دينه، أو يَمْرَضَ قلبه، أو يُسلَبَ إيمانَه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ٩٧﴾ [النساء: ٩٧].

وقال أهل التفسير في هذه الآية: "إنها نَزَلَتْ في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكنًا من إقامة الدين... فهو ظالمٌ لنفسه مرتكبٌ حرامًا بالإجماع"(٢٦١).

وقال الإمام مالك: "تهجر الأرض التي يُصنَعُ فيها المنكر جهرًا ولا يُستتر فيها"(٢٦٢).

---

(٢٦٠) فضل الدعوة إلى الله، جوتيار بامرني، ص٧٠-٨٨.

(٢٦١) تفسير ابن كثير ٥٤٢/١.

(٢٦٢) تفسير القرطبي ٣٩١/٢.

وعلى هذا فقيام المسلم بدعوة أهل الشرك والكفر إلى الله تعالى وإلى دينه، يفيده ويقيه شرور الكفر(٢٦٣).

الوجه الثالث: دَفْعُ الهلاك والعذاب عن المسلمين، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾ [الأنفال: ٢٥]، قال ابن عباس ﷺ: "أمر الله المؤمنين ألا يقروا المنكر بين أظهرهم فيَعُمُّهُم العذاب، أي: يصيب الصالح والطالح.

وفي مسلم عن زينب بنت جحش أنها سألت النبي ﷺ: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا كثر الخبث"(٢٦٤).

المطلب الثاني: الدعوة إلى الله بقدر حال الداعي وقدرته

إذا تبين أن الدعوة إلى الله واجب على كل مسلم، فإن هذا الواجب يتحدد بقدر حال الداعي وقدرته؛ لأن القدرة هي مناط الوجوب وقدره، فمن لا يقدر لا يجب عليه، ومن يقدر فالوجوب عليه بقدر قدرته، **ويدخل في مفهوم القدرة: العلم والسلطان؛ حيث** يجب على العالم ما لا يجب على الجاهل، ويجب على ذي السلطان ما لا يجب على غيره من آحاد المسلمين.

النوع الأول من القدرة وهو العلم:

الله سبحانه وتعالى خص بالإنذار والوعيد أهل العلم، وحذرهم من كتمان الحق الذي عرفوه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾ [البقرة: ١٥٩ – ١٦٠]، فأوجب الله تعالى على أهل العلم أن يبينوا للناس ما علموا من معاني الإسلام، وأن ينشروها بين الناس لينقذوهم من أوضار الشرك، وكل من عرف شيئًا من معاني الإسلام فهو عالم بهذا الشيء وعليه تبليغه إلى من يجهله، فالعلم ليس شيئًا واحدًا لا يتجزأ ولا يتبعض، وإنما هو قابل للتجزئة، وكل مسلم يعلم أنه لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن الحساب يوم القيامة حق، وأن القرآن كلام الله حق، وأن الصلاة والصيام والحج والزكاة من فرائض الإسلام؛ وبناء على ذلك وجب على كل مسلم أن يبلغ ما علمه، أما ما يجهله فلا يكلف بتبليغه ولا تعليمه.

والنوع الثاني من القدرة وهو السلطان والتمكين في الأرض، فقد أشار القرآن الكريم إلى هذا النوع، وأوجب على أصحابه أن يستعملوا ما وهبه الله لهم من تمكين وسلطان في نشر الدعوة إلى الله تعالى، وإعمار الأرض بفضائل الأعمال، وبعبادة الله تبارك وتعالى، قال ﷻ: ﴿ذ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ٤١﴾ [الحج: ٤١].

وقد قال أهل التفسير في المراد من أهل التمكين في الأرض: "إنهم الولاة، ومنهم من أدخل فيهم العلماء"(٢٦٥). والأول أظهر، وعلى هذا فمن أتاه الله تعالى الملك والسلطان فعليه أن يعمر الأرض بعبادة الله وعلى رأسها الصلاة، وأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وعلى رأس الأمر بالمعروف: الدعوة إلى الله، وعلى رأس النهي عن المنكر:

---

(٢٦٣) أصول الدعوة، الدكتور عبد الكريم زيدان، ص٣١٨.

(٢٦٤) القرطبي ١/٣٩٠.

(٢٦٥) القرطبي ٧٣/١٢.

النهي عن الشرك بجميع أنواعه وأشكاله، وهذا هو مقصود الولاية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إنما نُصِّبَ الإمامُ ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهذا هو مقصود الولاية"(٢٦٦).

وقد فقه هذا المعنى ولاة الأمر في الماضي، فاستعملوا سلطانهم في إقامة دين الله والدعوة إليه، فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى عماله في الأقاليم كتابًا جاء فيه: "وإن من طاعة الله التي أنزل في كتابه أن يدعو الناس إلى الإسلام كافة، فادعُ إلى الإسلام، وَأْمُر به، فإن الله تعالى يقول: ﴿ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ [فصلت: ٣٣]"(٢٦٧).

والحقيقة أن قيام ولي الأمر بواجب الدعوة إلى الله يؤدي إلى نتائج كبيرة جدًّا ومؤثرة لأنه يملك القوة والسلطان، وبيده الأمر والنهي؛ مما يجعله قادرًا على تنفيذ ما لا يقدر عليه أحد من آحاد الرعية، ولهذا جاء في الأثر المشهور: "إن الله يزع(٢٦٨) بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"(٢٦٩)، وبقدر قدرة المسلم على الدعوة والتنفيذ، يكون واجبه في الدعوة إلى الله، ومسؤوليته عن ذلك.

المطلب الثالث: الدعوة في كل وقت، وفي جميع الأحوال والظروف

واجب الدعوة إلى الله ليس له وقت محدد كالصلاة والصيام، ولهذا فإن هذا الواجب يمكن أن يؤديه المسلم في جميع الأحوال والظروف، وفي كل وقت يتيسر له ذلك، قال تعالى مخبرًا عن نوح عليه السلام: ﴿ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ [نوح: ٥: ٩]، وكذلك كان رسولنا محمد ﷺ "يدعو قومه ليلًا ونهارًا وسرًّا وجهارًا، ولم يشغله شيء عن الدعوة إلى الله تعالى"(٢٧٠).

والواقع أن الداعي إذا كان صادقًا في دعوته ستجده منشغلًا بها، لا يفكر إلا فيها، ولا يتحرك إلا من أجلها، ولا يبخل عليها بشيء من جهده ووقته، لم يشغله عنها شاغل أبدًا حتى في أحرج الساعات وأضيق الحالات وأدق الظروف، وهكذا كان رسولنا محمد ﷺ، فعندما هاجر إلى المدينة ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لقي في طريقه بريدة بن الحصيب الأسلمي في ركب من قومه فيما بين مكة والمدينة، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا (٢٧١)، وهذا يدل على أنه ﷺ لم يغفل عن الدعوة إلى الله حتى وهو في طريقه مهاجرًا إلى المدينة والقوم يطلبونه.

ويوسف عليه السلام عندما دخل السجن مظلومًا، لم يشغله السجن وضيقه عن واجب الدعوة إلى الله، ولهذا قام باغتنام سؤال السجينين عن رؤيا رأياها، فقال لهما قبل أن يجيبهما ما أخبرنا الله به: ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ [يوسف: ٣٩ - ٤٠].

---

(٢٦٦) السياسة الشرعية، ابن تيمية، ص٧٧.

(٢٦٧) عمر بن عبد العزيز، عبد الله بن عبد الحكم، ص٩٤.

(٢٦٨) قال ابن باز: أي: يمنع بالسلطان من اقتراف المحارم أكثر مما يمنع بالقرآن؛ لأن بعض الناس ضعيف الإيمان لا تؤثر فيه زواجر القرآن ومناهي القرآن، بل يُقدِم على المحارم ولا يبالي، لكن متى علم أن هناك عقوبة من السلطان؛ ارتدع وخاف من العقوبة السلطانية.

(٢٦٩) ١ – روي عن النبي ﷺ، ولا يوجد له مسند: قال ذلك الماورديُّ (ت ٤٥٠هـ) في أدب الدنيا والدين، ص١٣٥.

(٢٧٠) امتاع الأسماع، المقريزي، ص١٨.

(٢٧١) المصدر السابق، ص٤٢.

المطلوب من الداعي أن يدعو إلى الله وهذا هو الواجب عليه، وليس المطلوب منه أن يستجيب الناس له، قال تعالى: ﴿كَ عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ٩٩﴾ [العنكبوت: ١٨]، فإذا كان الرسول غير مكلف إلا بالتبليغ، فغيره من آحاد الأمة أولى ألَّا يكلف بغير التبليغ.

وتعليل ذلك من وجهين:

الأول: أن القاعدة الأصولية تقول: إن الإنسان لا يكلف بفعل غيره؛ لأن هذا من قبيل تكليف ما لا يُطاق، وإنما يكلف الإنسان بفعل أمر متعلقًا بغيره كالدعوة إلى الله ﷻ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد يستجيب له المأمور وقد لا يستجيب، ولهذا مدح الله تعالى أحد أنبيائه قائلًا: ﴿قۥ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ﴾ [مريم: ٥٥]، فالذي يملكه المسلم ويُكَلَّفُ به أن يأمر غيره بالمعروف، ويدعوه إلى عبادة الله، أما الأفعال التي تصدر عنهم فهو ليس مكلفًا بها ولا يملكها.

الوجه الثاني: أن الاستجابة والهداية بيد الله وحده، فهو الهادي ﴿ے يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [المدثر: ٣١]، ولله الحجة على عباده، ولو شاء لهداهم أجمعين، ﴿ئو يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ [الأنبياء ٢٣].

أما هداية التبليغ والبيان والدعوة فهي للرسل ولسائر الدعاة، فهم المكلفون بها، قال تعالى لرسوله الكريم ﷺ: ﴿ڈ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢﴾ [الشورى: ٥٢]، وقوله تعالى في آية أخرى: ﴿ک لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ﴾ [القصص: ٦٥].

المطلب الرابع: الاستمرار على الدعوة إلى الله وإن لم يستجب أحد

وإذا كان المطلوب من المسلم أن يدعو إلى الله، وليس المطلوب منه أن يهدي الناس، فعليه أن يستمر على الدعوة بلا كلل ولا ملل ولا فتور؛ لأن واجبه البلاغ والتبيين، وعليه أن يؤديه كما يؤدي سائر العبادات، حتى وإن لم يستجب له أحد، وخير مثال على ذلك نبي الله نوح الذي لبث في قومه يدعوهم إلى الله ألف سنة إلا خمسين عامًا.

وهكذا كان رسل الله، يدعون أقوامهم مدة حياتهم، فمنهم من استجاب له قومه أو بعضهم، ومنهم من لم يستجب له أحد.

قال الإمام النووي: "لا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه بل يجب عليه فعله، فإن الذكرى تنفع المؤمنين، وقد قدمنا أن الذي عليه الأمر والنهي لا القبول"(٢٧٢).

ومما يؤكد وجوب الاستمرار على الدعوة إلى الله حرمة اليأس، واحتمال الإجابة؛ لأن الأمور بيد الله، وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، فلا يستطيع الداعي أن يقطع بعدم الإجابة؛ لذلك يجب عليه الاستمرار بالدعوة والوعظ والإرشاد حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا.

المطلب الخامس: أجر الداعي على الله لا على العباد

الداعي إلى الله يؤدي واجبًا ويقوم بعبادةٍ امتثالًا لأمر الله، والأجر على العبادة يناله العابد من الرب الجليل تفضلًا منه وإحسانًا، وعلى هذا فلا يطلب الداعي من أحد من الخلق أجرًا على دعوته، لا مالًا، ولا ثناءً، ولا جاهًا، ولا أي عوض من الأعواض المادية أو المعنوية، قال تعالى مخبرًا عن نوح ﷺ:

(٢٧٢) شرح صحيح مسلم، النووي ٢/٢٢.

﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٧٢]، وقال عن نبينا ﷺ ﴿ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣]، أي: إلَّا أن ترعوا قرابتي فيكم، فتسمحوا لي بالدعوة إلى الله تعالى، ولا تمنعوني منها، ولا تصدوا الناس عنها.

وهكذا شأن جميع رسل الله، يدعون الناس إلى الله، ولا يبغون منهم جزاءً ولا شكورًا؛ لأن أجرهم على الله الكريم، قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ۝٢٠ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝٢١ ﴾ [يس: ٢٠ - ٢١].

المطلب السادس: تركُ البعض الدعوةَ بسبب عدم الاستجابة

ومن الشبهات التي تعطل الدعوة: أن البعض قد يترك الدعوةَ بسبب عدم الاستجابة.

لا شك أن الأنبياء والرسل أكمل الناس في جانب الدعوة، فهي المهمة الأساسية التي بعثهم الله سبحانه وتعالى من أجلها، ومع ذلك واجهوا من أقوامهم ما واجهوا من الصد والعناد، حتى إنَّ بعضهم لم يؤمن له أحد، كما أخبر بذلك المصطفى ﷺ: "عُرضتْ عليَّ الأممُ فجعل النبيُّ والنبيان يمرُّون معهم الرَّهط، والنبيُّ ليس معه أحد"(٢٧٣)، فالهداية بيد الله سبحانه وتعالى كما في قوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

إذا تأملنا توجيه رب العالمين لنبينا وحبيبنا محمد ﷺ الذي هو قدوتنا في الدعوة، وجدنا أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يُكلِّفْهُ باستجابة الناس له، إنما كلفه بتبليغ الدعوة، في مثل قوله: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝١٢ ﴾ [التغابن: ١٢].

ومما يؤكد أن مهمة الرسول هي البلاغ قول الله تعالى: ﴿ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝٥٤ ﴾ [العنكبوت: ١٨]، وأما الهداية الحقيقية فهي إلى الله سبحانه وتعالى كما في قوله: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

ولذلك، من ذا الذي يستطيع الحكم على الناس بعدم الاستجابة؟!

وإن قال: "لقد دعوتهم مرتين أو ثلاثًا أو أكثر من ذلك"، فإن الاستجابة ربما لا تكون إلا بعد المحاولة مرارًا وتكرارًا، وزمن طويل، إذ إن الدعوة إلى الله تحتاجُ إلى نَفَسٍ طويلٍ وصبرٍ على المدعوّين، أما الاستعجالُ في النتائج، وعدمُ الصبر على المدعوّين من الآفات التي يُصاب بها بعضُ الدعاة، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد مكث وقتًا يدعو قومه إلى الله، ويأمرهم وينهاهم حتى أظهر الله الدين وأعزَّ المسلمين.

المطلب السابع: مفهوم الاستسلام

مفهوم الاستسلام: هو أنْ يظنَّ الداعيةُ أنَّ الناس تصعبُ هدايتهم!

العكس هو الصحيح، ما أسهل دخول الناس في الإسلام لو بُلّغوا.

اسعَ أنت بتبليغ الدين بإخلاص وبأفضل الطرق؛ وحينها سترى دخولَهم في الإسلام بإذن الله.

اسأل نفسك كم عدد الذين بلغتهم الإسلام، ثم احكم، مائة شخص؟ مائتان؟ وكم مرة دعوتهم؟

عجيب! ثم تشتكي من صعوبة دخول الناس الإسلام!!

هذه خدعة من الشيطان، فكن على حذر منه ومن المحبطين القاعدين بالداعية كل مرصد، صُم أذنيك عن

---

(٢٧٣) أخرجه البخاري ٥٧٠٥.

تثبيطهم حتى لا تسمعهم، إن همَّ الدعوة عمومًا، ودعوة غير المسلمين خصوصًا، ينبغي أن يحمله كل أحد من المسلمين بما يستطيعه من قول أو فعل أو سلوك، ويستوي في ذلك الكبيرُ والصغير، والذكر والأنثى، والعالم والعامي، كلٌّ بحسبه ووفق قدرته واستطاعته، والله يهدي من يشاء بفضله ورحمته.

وينبغي أن نحثَّ أولادنا وزوجاتنا وأخواتنا وأمهاتنا وجميع أفراد أُسَرِنا بالمشاركة في التبليغ، وتكليفهم مهام دعوية، ومرافقتهم وتحفيزهم ماديًّا ومعنويًّا.

وقد يستجيب المدعوُّ من غير المسلمين لدعوةٍ من صغير، ويستنكف آخر من قبولها من داعية يملك قوةَ الإقناع والتأثير، ويشهد لذلك ما ذكره أحدُ المسلمين الجدد في مدينة الرياض، وهو يعمل مدرب سباحة، قال: إنَّ سببَ إسلامِه طفلٌ في الثالثة عشرة من عمره كان يقوم بتدريبه على السباحة، فأحضر له هذا الصغيرُ عددًا من الكتب الإسلامية المترجمة، كما أهدى له نسخةً من ترجمة معاني القرآن الكريم، فكان ذلك سببًا في هدايته إلى الإسلام.

بهذه السهولة المتناهية يدخل الناس في دين الله، ويُقْبِلون على الإسلام؛ إن غير المسلمين اليوم بحاجة ماسة لمن يعرض عليهم الإسلام، وما أسهلَ سُبُلَ الدعوة في هذا العصر على النفوس الصحيحة، وما أشقها على النفوس المريضة!

ولا شك أن "غَرْسَ الدعوةِ في نفوس الصغار بما يستطيعون طريقٌ لهدايتهم، وسببٌ لحصانتهم، وتحفيزٌ لغيرهم لسلوك سبيل الدعوة، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم"(٢٧٤).

(٢٧٤) مقال: فلنعلم أطفالنا دعوة غير المسلمين في موقع الألوكة، د. عبد الله بن إبراهيم اللحيدان.

الفصل التاسع: المُعرَّف بالإسلام (المدعو إلى الله)

تكلمنا عن موضوع الدعوة إلى الإسلام، ثم تكلمنا عن الداعي الذي يؤمن بالإسلام ويدعو إليه.

والشخص الذي يُدعى إلى الإسلام هو المدعو أو المُعَرَّف بفتح الراء المشددة، وهو ما نتكلم عنه في هذا الباب، والكلام عن المدعو يستلزم التعريف به، وبيان ما له وما عليه، وأصناف المدعوين، وعلى هذا سَنُقَسِّم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

الأول: التعريف بالمدعو: ما له، وما عليه.

الثاني: أصناف المدعوين.

الثالث: أهمية معرفة ومراعاة أحوال المدعوين.

المبحث الأول: التعريف بالمدعو مَا لَهُ وما عَلَيه

هناك تعاريف كثيرة للمدعو اخترنا أقصرها، وهي: "كل مخاطب بالدعوة من الخلق"(٢٧٥).

هذا التعريف جامع لكل أصناف المدعوين من الخلق، سواء الإنس أم الجن؛ وسواء كان من أمة الإجابة أم من أمة الدعوة.

والسبب في تعميمنا هو أن رسالة الإسلام عامة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

"فهذا العموم بالنسبة للمدعوين لا يُستثنى منه أي مكلف، فهو مخاطب بالإسلام، ومكلف بقبوله والإذعان له، وهو البالغ العاقل مهما كان جنسه ونوعه ولونه ومهنته وإقليمه، وكونه ذكرًا أو أنثى إلى غير ذلك من الفروق بين البشر؛ ولذلك كان مِمَّن آمن بمحمد ﷺ العربي كأبي بكر، والحبشي كبلال، والرومي كصهيب، والفارسي كسلمان، والمرأة كخديجة، والصبي كعلي بن أبي طالب، والغني كعثمان بن عفان، والفقير كعمار ﭫ أجمعين، وعلى هذا فالدعوة إلى الله عامة لجميع الثقلين، وليست خاصة بجنس دون جنس، أو طبقة دون طبقة، أو فئة دون فئة، ولهذا يخاطبهم الله بالقرآن بصفتهم العامة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٥﴾ [الأعراف: ٣٥].

فعلى الداعي أن يَفْقَهَ عموم دعوته إلى الله، ويحرص على إيصالها لكلِّ من يستطيع الوصول إليه، وهذا لا يناقض ابتداء الداعي بالأقرب، بل الأولى والأوجب دعوته قبل الأبعد؛ لسهولة تبليغه، واحتمال صيرورته داعيًا هو أيضًا بعد إسلامه"(٢٧٦).

ولهذا جاء في القرآن الكريم: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ وإن كان الخطاب هنا لرسول الله ﷺ، إلا أنه يشمل الدعاة إلى الله الذين من واجبهم أن ينذروا الأقربين إليهم، مبتدئين بأفراد أسرهم وأقاربهم ومن يعرفونهم، بل إن دعوة الأهل وأفراد الأسرة أوجب من غيرهم؛ لأن الداعي إن كان رب أسرة فإنه مسؤول عنهم «كلكم راع ومسؤول عن رعيته».

وهذه المسؤولية تشمل القيام بشؤونهم المادية من توفير الطعام والشراب والسكن، ونحو ذلك من الأشياء المادية، كما تشمل شؤونهم الدينية بتعليمهم ما يلزمهم من أمور الإسلام ودعوتهم إليه، يقول الله تعالى مثنيًا على أحد رسله الكرام ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ [مريم: ٥٥]، ويقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]. ووقايتهم من النار تكون بدعوتهم إلى الإسلام، وطاعة أوامر الله، وترك نواهيه.

المطلب الأول: حقوق المدعو

ومن حق المدعو أن يُؤْتَى وَيُدْعَى، أي أن الداعي يأتيه ويُعَرِّفُهُ بالإسلام، فالداعي لا يجلس في بيته منتظرًا مجيء الناس إليه، وإنما عليه أن يبادر إليهم كما كان يفعل الداعي الأول نبينا الكريم ﷺ، يأتي مجالس قريش ويدعوهم، ويخرج إلى القبائل في منازلها في موسم قدومها مكة ويدعوهم، ويذهب إلى ملاقاة من يقدم إلى مكة ويدعوه، فقد جاء

(٢٧٥) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ.د. عبد الرحيم المغذوي، ص٥٧٦.

(٢٧٦) ينظر: أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص٣٧١ (بتصرف).

في سيرة ابن هشام: "كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه في المواسم على قبائل العرب يدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه؛ حتى يبين عن الله ما بعثه به فيقف على منازل القبائل من العرب فيقول: "يا بني فلان إني رسول الله إليكم، يأمركم أن تعبدوا الله، ولا تشركوا به شيئًا، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقوا بي وتمنعوني حتى أبين عن الله ما بعثني به... وكان ﷺ لا يسمع بقادم إلى مكة من العرب له اسم وشرف إلا تصدى له، فدعاه إلى الله وعرض عليه ما عنده"(٢٧٧).

ولم يكتفِ بأهل مكة ومن كان يأتيها، وإنما ذهب أيضًا إلى الطائف يدعو أهلها، فلما انتهى إليها عمد إلى نفر من سادة ثقيف وأشرافهم، فجلس إليهم ﷺ فدعاهم إلى الله.

ونسأل هنا لماذا كان المدعو يُؤتى ويُدعى، ولا يأتي؟ والجواب على ذلك من وجوه:

الوجه الأول: إن وظيفة الرسول الكريم ﷺ التبليغ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ٥٤﴾ [النور: ٥٤]، وهذا التبليغ قد يستلزم خروجه ﷺ إلى مكان مَنْ يُرادُ تبليغه لاحتمال عدم وصول خبر الدعوة إليه، أو أنها وصلته بصورة غير صحيحة، أو وصلته بصورة صحيحة، ولكن لم ينهض فيأتي إلى رسول الله ﷺ ليسمع منه، ولأجل هذه الاحتمالات كان الرسول ﷺ يأتي إلى أماكن الناس ليدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى.

الوجه الثاني: شفقته ﷺ على عباد الله، وحرصه على هدايتهم وتخليصهم من الكفر كان يحمله على الذهاب إليهم في أماكنهم ومنازلهم، ويبلغهم عن الله ﷻ.

الوجه الثالث: إن البعيدين عن الإسلام قلوبهم مريضة، وهؤلاء لا يعرفون أنهم مرضى، ومن ثم لا يشعرون بحاجتهم إلى العلاج؛ ولذلك كان لزامًا على الرسل الكرام الذهاب إليهم ليخبروهم بمرضهم؛ وهو الإعراض عن الله ﷻ، وبضرورة العلاج.

وعلى الداعي المسلم أن يقتدي برسول الله ﷺ، فينتقل إلى الناس في أماكنهم ومجالسهم وقراهم، ويبلغهم الإسلام، ويدعوهم إلى الله تعالى، وحبذا لو توزع الدعاة على القرى والمحلات والبلدان التي لم يصل إليها الإسلام، والتصدي للدعوة بها مثلما كان يفعل أنبياء الله، فقد كانوا ينادون الناس في مجامعهم، ويدورون على أبواب دورهم، ويطلبون واحدًا واحدًا ليرشدوهم.

(٢٧٧) سيرة ابن هشام ٢/٣١-٣٢.

عدم الاستهانة بأي إنسان:

لا يجوز للداعي أن يستصغر شأن أي إنسان، أو يستهين به فلا يدعوه، فمن حق كل إنسان أن يُدعى، وقد يكون هذا الذي لا يقيم له الداعي وزنًا، له عند الله وزن كبير، ولقد كان رسول الله ﷺ يدعو كل إنسان يلقاه أو يذهب إليه.

جاء في السيرة النبوية أن الرسول ﷺ بعد أن عرض نفسه الكريمة على قبائل العرب التي وافت الموسم في مكة، وكان ذلك قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات، ولم يستجب منهم أحد، لقي ستة نفر من الخزرج عند العقبة من منى وهم يحلقون رؤوسهم، فجلس إليهم رسول الله ﷺ فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن، فاستجابوا لله ولرسوله وآمنوا، ثم رجعوا إلى قومهم بالمدينة، وذكروا لهم رسول الله ﷺ "ودعوهم إلى الإسلام ففشا فيهم حتى لم يبقَ دار من دور الأنصار إلا فيها ذكر رسول الله"(٢٧٨). إذن رسول الله ﷺ لم يستصغر شأن أولئك الستة وهم يحلقون رؤوسهم، ولم يقل في نفسه الكريمة: أيُ أمل في هؤلاء المشغولين بحلق رؤوسهم، ثم إن أولئك الستة كانوا هم الدعاة الأول إلى الإسلام في المدينة؛ لذلك على الداعية إلى الله أن يقتدي بهدي رسول الله ﷺ، ولا يستهين بأحد أو يزهد في دعوته، فقد يُجْرِي الله ﷻ الخير الكثير على يد هذا الذي لا يرى فيه خيرًا الآن.

المطلب الثاني: واجبات المدعو

إذا كان من حق المدعو أن يُؤتى ويُدعى، وألّا يُستهان به ولا يُستصغر شأنه، فإن عليه أن يستجيب لداعي الله الذي يدعوه إلى الحق وإلى خيري الدنيا والآخرة.

ومن بيان الواقع الذي قد يستفيد منه الداعي، ويطرد عنه اليأس ويبقي أمامه الأمل، نقول: إن الناس ليسوا سواء في الاستجابة إلى الحق وقبول الدعوة، فمنهم السريع جدًّا، ومنهم البطيء جدًّا، فتجد من يؤمن حالًا وبدون تَردٍ أو تَلَكُؤٍ أو تَعَثُّرٍ حتى كأنه ينتظر سماع الدعوة ليؤمن، ومن أمثلة ذلك إيمان أبي بكر الصديق، وإيمان السحرة بموسى، فهذان مثلان للاستجابة السريعة لدعوة الله... ومنهم من تجد استجابته بطيئة وهؤلاء كثر، ومن أمثلة ذلك ما قصه الله علينا من أخبار نوح ﷺ مع قومه؛ إذ لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، ومع ذلك لم يؤمن معه إلّا القليل كما جاء في القرآن الكريم، وكذلك أبو سفيان والطلقاء لم يؤمنوا بالله ﷻ وبرسوله ﷺ إلا بعد فتح مكة، وبعد عداوة شديدة ومحاربة دامت عشرين سنة، وهناك من لا يستجيب إلى دعوة الله ويموت وهو كافر، نعوذ بالله من الخذلان.

ومن واجبات المدعو بعد أن هداه الله إلى الإسلام أن يقوم بحق الإسلام، فيقيم أمور حياته وسلوكه وفق مناهج الإسلام، ويعبد الله على النحو الذي أمر به وبيَّنه في قرآنه وعلى لسان رسوله الكريم ﷺ؛ حتى لا يكون في إسلامه شوب نفاق، يقول: "إنه من المسلمين"، ولكنه لا يؤدي حق الدين.

ولا شك أن العناية بالمسلمين الجدد، وعدم تركهم من الأمور المهمة للغاية حتى لا يتم صيدهم من قبل أهل الضلالة، أو من قبل بني جلدتهم فينقلبوا على أعقابهم خاسرين.

متى يدخل المدعو الإسلام؟

بمجرد أن ينطق الشهادة يكون بذلك قد دخل إلى الإسلام، حتى وإن لم يعرف بعد عن الإسلام شيئًا، أما من صارت لديه معرفة بالإسلام، ولم ينطق الشهادة، فإن تلك المعرفة لن تنفعه البتة.

---

(٢٧٨) امتاع الأسماع، المقريزي، ص٣٢ – ٣٣.

المطلب الثالث: حال المُعَرَّف بالإسلام

معرفة حال المدعوين من الأمور المهمة؛ حتى يتم مخاطبتهم بما يعقلون، كما أن معرفة الشخص فرع عن معرفة بلده، ورغم تميز كل بلد بمتطلباته الخاصة، واحتياج بعض الشرائح والمجموعات إلى موضوعات وأساليب بعينها، إلا أنه يوجد قواسم مشتركة بينهم؛ ولذلك من الضروري تحديد تلك القواسم المشتركة، أما الاستقصاء عن حاجة كل بلد على حِدَةٍ فهو أمر متعذر، وهي في المقام الأول مَهَمَّةُ المسلمين من أهل ذلك البلد.

وبالعموم؛ فإن من معرفة حال المُخَاطَبِ، معرفة ما يلي:

١. معرفة دينه وما يؤمن به من معتقدات، وتأثيرها على المعرَّف.
٢. معرفة الصفات النفسية للطائفة المخاطبة.
٣. معرفة العادات الاجتماعية.
٤. معرفة المستوى العلمي والثقافي.

المبحث الثاني: أصناف المدعوين أو المخاطَبين:

في كل مجتمع يوجد سادة وأشراف، لهم نفوذهم، وقد يكون بأيديهم السلطة، وهؤلاء هم **الصنف الأول** من المدعوين ويسميهم القرآن "الملأ"، وإزَاء هؤلاء يوجد جمهور الناس وعامتهم، وهؤلاء هم **الصنف الثاني** من المدعوين، فإذا ما استجاب الناس إلى الدعوة إلى الله، ودخل الإيمان في قلوبهم، وصارت الغلبة للمؤمنين، وصار المجتمع إسلاميًّا؛ يظهر لنا صنف آخر يُظهِرُ الإسلامَ رياءً ونفاقًا ويُبطن الكفرَ، وهؤلاء هم المنافقون وهم **الصنف الثالث** من أصناف المدعوين، كما أن من دخل في الإسلام قد يكون إسلامُه ضعيفًا وإيمانُه رقيقًا مما يجعل انزلاقه إلى المعاصي سهلًا، وهؤلاء هم العصاة، ويُشَكِّلُون **الصنف الرابع** من أصناف المدعوين.

وهذه الأصناف سنتكلم عنها من خلال المطالب التالية[٢٧٩][٢٨٠]:

أولًا: مفهوم أصناف المدعوين[٢٨١]:

من البديهي أن الناس على أصناف شتى، وكل صنف له ميزاته وقدراته وتكويناته، وعقل كل صنف من هؤلاء يتميز عن غيره، فالناس يختلفون من حيث المعتقدات والديانات والمناهج والأفكار، ويختلفون من حيث المستويات العلمية والبحثية، وكذلك يختلفون من حيث المهن والتخصصات، ويختلفون من حيث جنسهم وسنهم، وقربهم من الداعية.

ولكل نوع حالته، وتصنيفه. فمن الحكمة البالغة المنصفة أن يُعطى كل ذي حقٍّ حقَّه في التعامل والدعوة، وأن يُعطى لكل صنفٍ قدره وحاجته.

ومن هنا لا بد أن يعرف الداعي تصنيف الناس وبيان مراتبهم؛ لأجل أن يصل بهم إلى الله تعالى، ويدخل لكل صنف من المدخل المناسب له والذي هو في حاجة إليه.

ثانيًا: أصناف غير المسلمين:

هناك أصناف كثيرة جدًّا من غير المسلمين، وأديانهم متفرعة، وفي كل دين انقسامات وفرق كثيرة، وبما أن مجالات الدعوة كثيرة، فأقترح الاستفادة من برنامجٍ لتأهيلِ المعرفين بالإسلام كبرنامج أكاديمية الصحابة، ومن أراد أن يتخصص في مجال من هذه المجالات ويبدع فيها أكثر، فله ذلك؛ على سبيل المثال، أصول الديانات العالمية الموجودة؛ ثلاثة:

١ – أهل الكتاب (اليهود والنصارى).

٢ – الوثنيون (عباد: الأصنام، والأشجار، والأحجار، والأشخاص، والكواكب والنجوم، الحيوانات، والأزمان).

٣ – الملحدون.

من الممكن أن يتخصص الداعية في العناية بالمسلمين الجدد، أو في عرض جمال ومحاسن الإسلام وقيمه لغير المسلمين، مع التنبيه إلى أمور عامة، وهي إجمالًا:

---

(٢٧٩) أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان، ص٣٧٩.

(٢٨٠) ولدينا كتاب عن العناية بالمسلمين الجدد، وحلقات كثيرة عن هذه المادة، فلا ندخل في هذا الموضوع في هذا الموضع.

(٢٨١) مقال: تصنيف الناس إلى مراتب، د. حامد شاكر، منشور على موقع الألوكة.

١ – لا يلزم للداعية أن يَدْرِسَ معالم دعوة هؤلاء كلهم، ولكن على الدعاة أن يحصل بينهم تنوع وشمول وتكامل في دراسة هذه الأديان أو المجالات الدعوية؛ ليكون لدى الدعوة متخصصون في دعوة أهل كل دين، مع أهمية المعرفة المجملة بكل الأديان المخالفة للإسلام.

٢ – لا بد للدعاة أن يدرسوا كيفية دعوة الأديان المنتشرة في بلادهم، أو التي توجد لها دعوات أو منظمات تدعو لاعتناقها في منطقة عملهم الدعوي.

٣ – الجميع يستطيع تنمية مهاراته الأساسية في دين من الأديان، أو عرض محاسن الإسلام والدعوةِ إليه أو دعوة الملاحدة، ولكن من الأهمية بمكان ألا يتصدر أي مسلم إلى الدعوة إلا بعد كسب المهارات الأساسية التي تؤهله إلى ذلك.

ويُنصح لدعوة أصحاب الأديان المختلفة أن تتم دعوتهم بعد الممارسة والتعلم من أهل الاختصاص، مع الإتقان والفهم للدين الإسلامي أولًا، ثم للدين الذي يعتنقه هؤلاء؛ حتى لا تكون فتنة لكلا الطرفين: الداعي والمدعو، ولا شك أن هذا الأمر يحتاج إلى علم وخبرة ودربة وشخصية مميزة في الإقناع والتأثير وحسن الحوار والجدال.

المطلب الأول: المشاهير – الملأ

أولًا: تعريف الملأ:

يستعمل القرآن الكريم كلمة "الملأ" في قصصه عن الرسل الكرام، وما جرى لهم مع أقوامهم، "والملأ" كما يقول المفسرون: هم أشراف القوم، وقادتهم، ورؤساؤهم، وساداتهم(٢٨٢)، فهم إذن البارزون في المجتمع وأصحاب النفوذ فيه الذين يعتبرهم الناس أشرافًا وسادة، أو يُعتَبَرُون – حسب مفاهيم المجتمع وقيمه – أشراف المجتمع وسادته، ومن ثم يستحقون – في عرف الناس – قيادة المجتمع والزعامة والرئاسة فيه، وقد يباشرون ذلك فعلًا.

وإطلاق كلمة الملأ على هؤلاء في القرآن الكريم بهذا المعنى، هو من قبيل بيان الواقع لا من قبيل بيان استحقاقهم فعلًا للشرف والسيادة والقيادة والرئاسة. ويشبه هذا الإطلاق ما ورد في رسائل النبي ﷺ إلى رؤساء فارس والروم ومصر، فقد جاء في بعض هذه الرسائل مخاطبة الرسول الكريم ﷺ إلى رئيس الروم بعبارة: "إلى عظيم الروم"، فإطلاق هذه العبارة على رئيس الروم من قبيل بيان واقعه، وهو أنه عظيم في نظر الروم لرئاسته لهم، وليس بيانًا لاستحقاقه هذا الوصف.

ثانيًا: الملأ والدعوة إلى الله:

والوصف الغالب على الملأ من كل قوم معاداتهم للدعوة إلى الله تعالى، فقد قاوموا دعوة الرسل الكرام إلى الله تعالى، وكانوا هم الذين يتولون كبر المقاومة الْأَثِيمَةِ للدعوة إلى الله، ويقودون حملة الكذب والافتراء والتضليل ضد أنبياء الله تعالى، يدل على ذلك قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٤ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٣٥﴾ [سبأ: ٣٤ – ٣٥]، يخبر الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة رسوله محمدًا ﷺ، مسليًا له أنه ما أرسل من رسول إلى قرية إلا قال مُترفوها – وهم أولو القوة، والحشمة، والثروة، والترف، والرياسة، وقادة الناس في الشر –: "لا نؤمن به ولا نتبعه"(٢٨٣)، قال تعالى عن سيدنا نوح عليه السلام: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥٩﴾ [الأعراف: ٥٩].

فالملأ من قوم نوح هم الذين تصدوا للدعوة إلى الله، وهم الذين نسبوا نبيهم إلى الضلال المبين، وهذا من أعظم الظلم والصد عن سبيل الله، إذ يوصف الحق الذي جاء به نوح من ربه بالضلال، ولكن هذا هو منطق الملأ، وكذلك كان موقف الملأ من قريش من دعوة رسول الله ﷺ، قاوموا هذه الدعوة المباركة، وآذوا رسول الله ﷺ ورموه بالكذب وتآمروا به، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ٥ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَاقٞ ٧﴾ [ص ٤ – ٧].

والملأ في الآية الكريمة هم سادة قريش وقادتها ورؤساؤها وكبراؤها، قالوا لقومهم: "استمروا على دينكم ولا تستجيبوا لما يدعوكم إليه محمد ﷺ اليوم من التوحيد"(٢٨٤).

---

(٢٨٢) تفسير القرطبي ٣/٢٢٣-٢٣٤، و ١٢١/٣١٢. تفسير ابن كثير ٢/٢٢٣.

(٢٨٣) تفسير ابن كثير ٣/٥٤٠.

(٢٨٤) المصدر السابق ٤/٢٧.

وفي السيرة النبوية الشيء الكثير عن موقف الملأ من قريش وغيرهم من الدعوة إلى الله التي بلَّغَهُم إياها الرسول الكريم ﷺ، من ذلك ما ذكره ابن هشام في سيرته من أن الرسول ﷺ كان يخرج إلى القبائل ويدعوها إلى الله تعالى، وكان يمشي وراءه أبو لهب وهو من أشراف قريش، ويقول للناس: "لا تطيعوه ولا تسمعوا منه"(٢٨٥).

وكذلك عندما خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف واجتمع بنفر منهم "وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافها"، ردوه أقبح رد، ولم يكتفوا بذلك، وإنما "أغروا به سفهاءَهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس"(٢٨٦).

ثالثًا: أسباب عداوة الملأ للدعوة إلى الله:

بالتأمل في الآيات المسوقة في قصص الأنبياء، وما جرى لهم مع أقوامهم؛ تظهر لنا أسباب مخاصمة الملأ للرسل الكرام، وعداوتهم لهم ورفضهم دعوتهم، ومن أهم هذه الأسباب: "الكبر" الذي تغلغل في نفوسهم، "وحبهم الرياسة والجاه"، "والجهالات" التي حسبوها أدلة ويقينيات، ونتكلم فيما يلي عن كل سبب، مع ما ورد بشأنه من آيات وآثار.

الأول – الكبر:

الكبر خلق ذميم وآفة عظيمة مستقرة في النفس، وتظهر آثاره في الخارج بأشكال مختلفة ومواقف متعددة، ومن آثاره عدم رؤية الحق في غالب الأحيان، أو رؤيته ولكن الكبر يمنع من الاعتراف به والانقياد له كما يمنع الاعتراف بالفضل لأولي الفضل، ويمنع المتكبر من الرؤية الصحيحة لقدر نفسه فيراها فوق أقدار الناس، فيستنكف أن يكون معهم أو تابعًا لأحد منهم، وقد يقترن الحسد مع الكبر فيزيد من آثاره سوءًا وصدودًا عن الحق وجحدًا له ومحاربة لأهله وعداوة لهم.

– والآيات الدالة على صفة الكبر في الملأ، وما أدت إليه من نتائج غاية في السوء والقبح كثيرة؛ منها قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤] ففرعون وقومه أنكروا نبوة موسى عليه السلام، مع أن نفوسهم أيقنت بها، وكان الحامل لهم على إنكارها ظلمهم وتكبرهم على موسى عليه السلام.

– يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩]، فالملأ بدلًا من رؤيتهم الحق الذي جاءَهُم به نوح عليه السلام رأوه ضلالًا، ونوره ظلامًا، وَادَّعَوا أن هذا الضلال بَيِّن، أي: ظاهر واضح، وهو في الحقيقة دليل على عماهم، وعدم رؤيتهم الحق الذي أدى إلى هذا الادعاء، وبالتالي إلى هلاكهم، قال تعالى مخبرًا عن عاقبتهم: ﴿وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف ٦٠].

– وقال تعالى مخبرًا عن الملأ من قوم نوح عليه السلام: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود: ٢٧]، فالملأ من قوم نوح يقولون ما نراك اتبعك إلا أراذل القوم – وهم الفقراء، والضعفاء، وأصحاب الحرف الخسيسة – ولم يتبعك السادة والأشراف، ولا القادة الرؤساء فكيف نكون معهم ومثلهم في متابعتك؟ ثم يقولون وهؤلاء الأراذل اتبعوك بلا إعمال فكر، ولا روية، ولا تأمل لأنهم من الأراذل، لا من السادة والأشراف، ثم يضيفون إلى ذلك أنهم لا يرون لرسول الله ﷺ ولأتباعه أي فضل عليهم، ثم ينتهون إلى القول بأنه من الكاذبين، وهذا كله من نتائج كبرهم النفسي الذي جعلهم يَقْلِبُونَ الحقائق ويأنفون

(٢٨٥) سيرة ابن هشام ٢/٣٢.

(٢٨٦) سيرة ابن هشام ٢/٢٧–٢٨.

عن الحق بحجة أن الأراذل اتبعوه، وفاتهم أن الحق في نفسه يبقى حقًّا سواء اتبعه الضعفاء والفقراء أو القادة والرؤساء، وأن أتْبَاعَ الحق في الحقيقة هم الأشراف ولو كانوا فقراء، وأن الأراذل في الحقيقة هم المعاندون المخالفون للحق وإن كانوا في أعين الناس من الأشراف.

– وقال تعالى مخبرًا عن الملأ من قوم عاد، وما قالوه لنبيهم هود ﷺ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف: ٦٦]، والمقصود بالسفاهة: "الحمق وخفة العقل"، فالملأ من قوم عاد يرون ما يدعوهم إليه نبيهم حمقًا وخفة عقل، ولو كان عندهم بصر حديد لرأوا أن ما يدعوهم إليه هو الحق الصريح.

– وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المؤمنون: ٤٥ - ٤٨]، وفرعون وملؤه، استكبروا عن اتباع الحق فجحدوه وجاؤوا بهذه الجهالات تبريرًا لكفرهم، وفرعون هذا هو الذي أدى به كبره إلى ادعاء الألوهية وشيء من الربوبية، قال تعالى مخبرًا عنه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات: ٢٤].

– ويخبرنا الله ﷻ عن الملأ من قريش، وكيف أنهم وصفوا دعوة الرسول ﷺ بالكذب والاختلاق، فقالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [ص: ٧]، وكيف أنهم وصفوه بالسحر والجنون قبحهم الله تعالى.

وفي السيرة النبوية: "أن الملأ من قريش قالوا لرسول الله ﷺ لا نرضى أن نكون مع هؤلاء، يعنون: ضعفاء المسلمين؛ مثل: صهيب، وعمار، وبلال، وخباب، فاطردهم عنك ولا تبقهم في مجلسك إذا دخلنا عليك، فإذا فرغنا من الحديث معك والسماع منك وخرجنا فأدخلهم إن شئت، فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨]، وقال تعالى عن أولئك المتكبرين المتعجرفين الذين طلبوا ما طلبوا: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾"(٢٨٧).

– وقال تعالى عن المتكبرين عن رسالة الإسلام والإيمان بمحمد ﷺ: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣١ - ٣٢].

ومعنى هذه الآية الكريمة، أن المعترضين على القرآن الكريم، المتكبرين عن الإيمان به والتصديق بنبوة محمد ﷺ قالوا: هَلَّا كان إنزال القرآن على رجل كبير في أعينهم من القريتين: مكة والطائف. وعن ابن عباس: يعنون بالرجل العظيم: جبارًا من جبابرة قريش(٢٨٨).

فهم بدافع كبرهم النفسي يستصغرون شأن الرسول ﷺ، ولا يرونه أهلًا للرسالة، وأنهم أو غيرهم من الكبراء هم المستحقون للرسالة وتنزُّل الوحي، ورد الله عليهم قولهم بأن الأمر بيد الله، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

الثاني: حب الرياسة والجاه:

والملأ يحبون الرياسة والجاه والتسلط على رقاب العباد؛ ولذلك فهم يعارضون كل دعوة تسلبهم مكانتهم بين الناس، وتجعلهم تابعين كبقية الناس، وهم يتصورون أن قبولهم الدعوة إلى الله يسلبهم جاههم وسلطانهم؛ ولذلك يقاومونها

---

(٢٨٧) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص٣٨٤.

(٢٨٨) تفسير ابن كثير ٤/١٢٦-١٢٧.

ويعادونها ويأتون بالأباطيل لتبرير عداوتهم، ومن الآيات الدالة على حبهم للرياسة والجاه، وأن هذا الحب كان من أسباب رفضهم دعوة الحق إلى الله تعالى؛ ما يأتي:

– في قصة نوح ﷺ قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [المؤمنون: ٢٤].

فالملأ دفاعًا عن رياستهم على الناس، وتسلطهم عليهم يقولون لقومهم: إن نوحًا بدعوته هذه يريد أن يتفضل عليكم، أي: يترفع ويتعاظم عليكم ويترأس عليكم، يريد الملأ بهذا الادعاء صرف الناس عن نوح ﷺ لتبقى سيطرتهم ورياستهم عليهم، والحقيقة أن رسل الله لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادًا ولا تعاظمًا، وإنما هم بطبيعة دعوتهم يصيرون أئمة للناس، وتصير لهم الرياسة، ولكن ليست مثل رياسة أولئك الملأ المتكبرين على الله.

– قال تعالى عن فرعون وملئه: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [يونس: ٧٦ - ٧٨].

ففرعون وملؤه استكبروا عن اتباع الحق والانقياد له، وكانوا قومًا مجرمين، ثم برروا استكبارهم عن الحق بالادعاء بأن موسى وهارون يريدان ثنيهم عن الدين الذي كان عليه آباؤهم، أو أنهما يريدان أن تكون لهما الكبرياء، أي العظمة والرياسة في الأرض، فأسباب رفض فرعون وملئه دعوة الحق ترجع إلى الكبر، وإلى حب الرياسة والعلو في الأرض، ولهذا اتهموا موسى وهارون بحب الرياسة؛ لأن فرعون يظن أن القصد من دعوتهما هو ذلك، أو أن مآل دعوتهما ذهاب رياسته على الناس.

– وقال تعالى عن الملأ من قريش: ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾ [ص: ٦].

هذا بعض ما قاله الملأ من قريش، ومعناه كما جاء في تفسير القرطبي: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾، أي: إنما يريد محمد ﷺ بما يقول الانقياد له ليعلو علينا، ونكون له أتباعًا فيتحكم فينا بما يريد، فاحذروا أن تطيعوه"(٢٨٩).

وفي تفسير ابن كثير في معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾ قال ابن جرير في معنى هذه الآية: "إن الملأ قالوا إن هذا الذي يدعونا إليه محمد ﷺ من التوحيد لشيء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء، وأن يكون له منكم أتباع، ولسنا نجيبه"(٢٩٠).

ومعنى ذلك كله أن الملأ من قريش – حرصًا منهم على الرياسة والجاه – رفضوا دعوة الإسلام لظنهم أنها تفقدهم جاههم وسلطانهم على الناس.

الثالث: الجهالة:

والملأ غارق في الجهالة، ولا يشعر بجهالته فهو يكفر بربه، ويرد دعوته الكريمة التي بعث بها رسله إلى الناس ويصفها بأنها ضلال، ويرمي مبلغيها وهم الرسل الكرام بالسفاهة وخفة العقل، ويؤلب الدهماء عليهم، ويكيد ضدهم ويعاديهم، ويستغرب من دعوتهم، ويدعي أن آية كذب الرسول أنه من البشر، وأنهم – أي: الملأ – أولى بالرسالة ممن أرسلوا؛ لأنهم – الملأ – أكثر مالًا وأعز نفرًا، وأن الرسل الكرام يريدون تحويلهم عن ملة آبائهم، ويأتونهم بدين جديد ما سمعوا به من قبل، وأنهم – أي الملأ – يسخرون ويستهزئون بالمؤمنين زاعمين أنهم لا يفهمون ولا يعلمون، ولهذا اتبعوا

---

(٢٨٩) تفسير القرطبي ١٥/١٥١-١٥٢.

(٢٩٠) تفسير ابن جرير ٤/٢٧.

الدعوة إلى الله، واتبعوا رسل الله بلا رؤية، ولا تمحيص، ولا تأمل، بينما هم لم يفعلوا ذلك لأنهم سادةٌ أشرافٌ يفهمون ويعقلون ويدركون، وأنهم يحسبون الأنبياء الكرام مفسدين في الأرض، وأنهم أي الملأ هم المصلحون المدافعون عن دين الناس وحقوقهم، وأنهم في سبيل هذا الدفاع سيحاربون الأنبياء والدعاة إلى الله تعالى، وهذه بعض آثار جهالتهم وحماقاتهم التي أخبرنا الله تعالى بها في آيات كثيرة؛ ومن ذلك:

- قال تعالى عن قوم نوح: ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود: ٢٧].

فهم لجهالتهم يقولون لنبيهم نوح ﷺ لست بملك ولكنك بشر، فكيف أُوحِيَ إليك من دوننا؟! ثم ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا، ولم يتبعك الأشراف ولا الرؤساء منا، وهذا كله من جهالتهم، وإلا لو كان لهم عقل لعلموا أن الرسول لا بد أن يكون من البشر حتى يمكن أن يخاطبهم، ويمكن لهم أن يفهموه، كما أنهم لو كان لهم عقل سليم لعلموا أن الحرمان والفقر والضعف لا علاقة لشيء منهم بأمور الدين، وأن الضعفاء والفقراء باتباعهم الحق يبرهنون على حسن إدراكهم وصفاء نفوسهم.

- قال تعالى عن قوم ثمود وما قالوه لنبيهم صالح ﷺ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾﴾ [الأعراف: ٧٥ - ٧٦].

فالملأ من ثمود كانوا مُصرِّين على جهالتهم وإنكارهم نبوة صالح ﷺ، وإنما سألوا المؤمنين سؤال متكبر جاهل لا سؤال مُتفهِّم متواضع.

- قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الزخرف: ٢٣].

والمترفون هم (الملأ)، وجوابهم على دعوة رسل الله أنهم وجدوا آباءهم على ملة ودين، وأنهم مقتفون أثرهم، لا يحيدون عن ذلك، وهذا من جهلهم؛ لأن الباطل لا يُتَابَع، وأن الحق أحق أن يُتَّبَعَ، وهذا التقليد الذميم للباطل القديم الذي كان عليه الآباء والأجداد من أعظم أسباب التمرد على الحق، قال تعالى في داء التقليد الذميم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠].

- وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأعراف: ١٢٧].

(الملأ) من قوم فرعون لا يعتبرون موسى نبي الله والداعي إليه، وأن أتباعَه المؤمنين مفسدون في الأرض، ويؤلبون فرعون على مقاومتهم والقضاء عليهم.

إن جهلهم - مع كبرهم وحبهم للرياسة والجاه - جعلهم يعتبرون موسى مفسدًا في الأرض.

رابعًا: الملأ هم الملأ في كل مكان وزمان:

والملأ بأوصافهم وأخلاقهم التي بينها القرآن الكريم يوجدون في كل مجتمع، وفي كل مكان وزمان، ولهذا فهم يقفون غالبًا في وجه كل دعوة إلى الله تعالى، ويحاربونها بدافع من الكبر الذي يغشى نفوسهم، وبدافع حب الرياسة على الناس، وخوفهم من أن تسلبهم هذه الدعوة الإصلاحية مركزهم ومكانتهم وترفهم.

ومما يدل على بقاء الملأ في كل زمان ومكان معارضين لكل دعوة طيبة خَيِّرة تريد الإصلاح وإيصال الناس إلى خالقهم، أن الدوافع التي دفعت الملأ من الأقوام الماضية إلى محاربة رسل الله والدعوة إليه هي نفسها تلك الدوافع التي توجد في نفوس الكبراء والمترفين، فالكبر يعلق في النفوس المريضة، والحرص على الرياسة والجاه والمنزلة يعلق بها أيضًا، وكذلك الجهل يخيم على مثل هذه النفوس التي تعشق العلو في الأرض والترف في الحياة، وإذا ما دخل أصل الايمان في نفوس السادة والكبراء والأشراف، فإن هذا الإيمان يبقى ضعيفًا غالبًا، لا يقوى على منعهم من الصد عن سبيل الله، ولا عن محاربة الدعاة إلى الله تعالى بشبهات واهية من جنس شبهات الملأ القدامى الذين حاربوا رسل الله وصدوا عن دعوتهم المباركة.

وقد تنبه المفسرون إلى أن (الملأ) يبقون معارضين للدعوة إلى الله، وقد جاء في تفسير ابن كثير بصدد قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ [الأعراف: ٦٠]، قال: "وهكذا حال الفجار، إنما يرون الأبرار في ضلاله"(٢٩١)، وقال أيضًا في مكان آخر من تفسيره: "ثم الواقع غالبًا أن من يتبع الحق ضعفاء الناس، والغالب على الأشراف والكبراء مخالفته"(٢٩٢)، ومثله جاء في تفسير ابن كثير(٢٩٣)(٢٩٤).

المطلب الثاني: جمهور الناس:

أولًا: تعريف جمهور الناس:

نريد من قولنا جمهور الناس، أي: معظمهم؛ لأن جمهور كل شيء معظمه وأكثره، ما عدا (الملأ)، وقد تكلمنا عنهم وهم عادة قلة.

إذن جمهور الناس: هم الأكثرية في أي مجتمع بشري، وهؤلاء هم المرؤوسون للملأ والتابعون لهم، ويكونون غالبًا فقراء وضعفاء وممن يباشر مختلف الأعمال والحرف.

ثانيًا: الجمهور أسرع من غيرهم إلى الاستجابة:

الجمهور أسرع من غيرهم إلى الاستجابة إلى الحق فهم أتباع رسل الله، يصدقونهم ويؤمنون بهم قبل غيرهم، كما قال هرقل لأبي سفيان يوم اجتمع به في الشام لما سمع هرقل بأنه من مكة، فأراد أن يسأل عن أخبار النبي ﷺ، قال هرقل: أشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقال أبو سفيان: بل ضعفاؤهم، فقال هرقل: هم أتباع الرسل"(٢٩٥).

والواقع أن أتباع رسل الله كانوا من جمهور الناس وقد ذكرنا في مبحثنا عن (الملأ) كيف قالوا لنوح عليه السلام: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ [هود: ٢٧]، وقول (الملأ) من ثمود كما حكاه الله جل جلاله عنهم: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [الأعراف: ٧٥]، وكذلك كان أتباع نبينا محمد ﷺ في مكة من الضعفاء، وقد نالهم من المشركين أذى كثير(٢٩٦).

---

(٢٩١) تفسير ابن كثير ٢/٤٤٠.

(٢٩٢) المصدر السابق ٢/٤٤١.

(٢٩٣) المصدر السابق ٤/ ٣١٦.

(٢٩٤) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص٣٨٩.

(٢٩٥) من حديث طويل رواه الإمام البخاري في صحيحه ١/٧، برقم: ٩.

(٢٩٦) سيرة ابن هشام ١/٣٣٩.

والجمهور في كل وقت أسرع من غيرهم إلى قبول الحق، قال ابن كثير في تفسيره: "ثم الواقع غالبًا أن يتبع الحق ضعفاء الناس"(٢٩٧).

ثالثًا: تعليل سرعة استجابة الجمهور للحق:

وتعليل سرعة استجابة الجمهور للحق، وقبول الدعوة إلى الله أنهم خالون من موانع القبول الموجودة في (الملأ) كحب الرياسة والتسلط والأنفة من الانقياد للغير لكبرهم النفسي؛ وبالتالي يكونون أسرع إلى الإجابة للحق والانقياد له من غيرهم، وهذا التعليل أشار إليه القرطبي في تفسيره، والواقع أن الكبر وحب الرياسة والانغماس في الترف ونحو ذلك مما لا ينفك عنه (الملأ) غالبًا يجعل انفكاكهم عن هذه الموانع صعبًا، وبالتالي تكون قلوبهم في أكنّة، لا تتأثر بالحق، وعلى عيونهم غشاوة، لا ترى الحق واضحًا جليًّا، فتندفع إلى معاداته عن جهل، وبدافع الحرص على مكانتهم كما بيّنا هذا من قبل.

رابعًا: احتمال تأثر الجمهور بالملأ:

ومع أن الجمهور مهيأ للاستجابة السريعة أكثر من غيره، وأن فرص الإيمان أمامه كثيرة، وأن فطرته سليمة؛ فإن هناك احتمالًا لتأثر الجمهور بمكائد (الملأ)، والسير وراء تضليلهم وأكاذيبهم كما حصل لقوم فرعون، فقد تابعوه على باطله وناصروه عليه، قال تعالى عنه وعنهم: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٤﴾ [الزخرف: ٥٤]، وفي تفسير ابن كثير: "استخف عقولهم فدعاهم إلى الضلالة فاستجابوا له"(٢٩٨)، والظاهر أن فتنة فرعون كانت عظيمة، فقد جمع بين الملك والرئاسة والأعوان والأموال، مع فراغ قلوب قومه من العلم النافع والهدى العاصم والعقل الراجح، فوقعوا في فتنته وأباطيله التي كان يحتج بها في رد دعوة موسى عليه السلام: ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمۡرَ فِرۡعَوۡنَۖ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ ٩٧﴾ [هود: ٩٧]، كما أخبر الله عنهم.

وقال تعالى عن إغواء السادة والكبراء للضعفاء وهم الجمهور: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ ٣٢ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٣٣﴾ [سبأ: ٣١ - ٣٣].

"في هذه الآيات الكريمة يخبر الله تعالى عن تمادي الكفار في طغيانهم، وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن، وبما أخبر به، ثم يخبر سبحانه وتعالى عن أحوالهم التي سيصيرون إليها يوم القيامة، ومنها وقوفهم بين يدي ربهم يتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب والخصام بعد أن كانوا في الدنيا متناصرين، ومن هذه المحاجة والمراجعة في اللوم والعتاب قول الذين استضعفوا منهم وهم الأتباع للذين استكبروا منهم، وهم قادتهم وسادتهم ورؤساؤهم: ﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ ٣١﴾ أي: لولا أنتم كنتم تصدوننا عن الهدى لكنا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاؤونا به من الحق، فيقول الذين استكبروا وهم القادة والرؤساء ﴿أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۡ﴾، أي: نحن ما فعلنا بكم أكثر من أنا دعوناكم فاتبعتمونا من غير دليل ولا برهان، وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التي جاءت بها الرسل لشهوتكم

(٢٩٧) تفسير ابن كثير ٢/٤٤٢.

(٢٩٨) المصدر السابق ٤/١٣٠.

واختياركم الدنيا وما وعدناكم به، وكنتم مجرمين باتباعكم إيانا، فيقول المستضعفون وهم الجمهور من الكفار للملأ المستكبرين من الكفار: ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾، أي: مكركم بالليل والنهار، أي: كنتم تمكرون بنا ليلًا ونهارًا، وتغروننا وتمنوننا بالأماني الباطلة، وتخبروننا أنكم على الحق، وأن دعوة الرسل باطلة، فإذا جميع ما ذكرتموه لنا باطل وكذب، وكنتم تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادًا، أي: نظراء وآلهة معه، وتقيموا لنا شبهًا لإثبات باطلكم لإضلالنا وإغوائنا، وهكذا فإنكم أيها الكبراء المجرمون بدعائكم لنا إلى الكفر، وتزيينكم لنا الباطل – اتبعناكم، وصرنا من الكافرين.

ثم يخبر الله تعالى عنهم أنهم أسروا الندامة لما رأوا العذاب، أي: أظهروا جميعًا الندم السادة والأتباع، كل ندم على ما سلف منه، ولكن لا ينفعهم الندم، ولهذا توضع في أعناقهم السلاسل، أي: تجمع أيديهم مع أعناقهم جزاء أعمالهم وتكذيبهم للقادة عذاب بحسبهم، وللأتباع عذاب بحسبهم"[٢٩٩].

خامسًا: لماذا يتأثر الجمهور بالملأ؟

قلنا: إن الجمهور أكثر استجابة للحق من غيرهم، وقلنا: هناك احتمال لتأثر الجمهور بالملأ وباطله، فلماذا يكون هذا التأثر بالباطل مع وضوح الحق، وعدم وجود الموانع للاستجابة عند الجمهور؟

الجواب عن ذلك يرجع إلى جملة أسباب:

الأول: الخوف، فلا شك أن الملأ الكافر – وبيده القوة والنفوذ والمال – يستطيع أن يرهب الجمهور ويخوفهم إن خرجوا عن الكفر الذي هم فيه، وهذا الخوف يُثَبِّط الهمم والعزائم عند أكثر الجمهور طلبًا لسلامة أنفسهم من الأذى، قال تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [يونس: ٨٣]، فالخوف من بطش فرعون وملئه منع أكثر الجمهور من الإيمان به، ولم يؤمن به إلا قلة منهم وهم خائفون أن يصيبهم بطش فرعون، صحيح أن قلة من الجمهور لا يخيفهم التهديد والوعيد بإنزال العذاب الشديد أن آمنوا بالحق، فيعلنوا إيمانهم غير هيابين ولا وجلين كما حصل لسحرة موسى عندما أعلنوا إيمانهم بموسى وبدعوته الحق وبربهم سبحانه وتعالى، ولم يلتفتوا إلى تهديد فرعون لهم بالصلب والقتل وقالوا له: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ [الشعراء: ٥١].

وكذلك أصحاب الأخدود آمنوا بالرغم من العذاب الشديد، ولكن هؤلاء قلة من الجمهور، والكثير منهم يتأثرون بالخوف من الملأ، فلا يقدمون على الإيمان، ثم يطول عليهم الأمد، ويألفون الكفر، فيرضونه طائعين بعد أن كانوا له كارهين؛ فيعمهم العذاب، ومما يشير أيضًا إلى أثر الخوف في منع الجمهور من أتباع الحق قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا۟ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾﴾ [هود: ٥٩].

الثاني: الإغراء بالمال وحطام الدنيا، فإن الملأ يملكون ذلك ويلوحون به إلى الجمهور إن تابعوهم على باطلهم ورضوا بقيادتهم لهم، وقد يشير إلى ذلك قوله تعالى عن قوم نوح، قال ربنا عز شأنه: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾ [نوح: ٢١]، فإنهم اتبعوا ساداتهم وكبراءهم أصحاب الرئاسة والأموال على أمل الحصول على شيء من أموالهم، وفي قوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى

(٢٩٩) المصدر السابق ٣/٥٣٩، تفسير القرطبي ١٤/٣٠٣-٣٠٤.

مِن تَحۡتِيۡۤ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف: ٥١]، إشارة إلى إغراء فرعون للجمهور بما يملكه من مال وأسباب الحياة المادية، وأنه يعطيها من يوافقه على باطله، أو يهيئ له فرصة الاستفادة منها.

وفي السيرة النبوية: أشراف قريش عرضوا على رسول الله ﷺ المال الكثير يعطونه له إذا ترك دعوته؛ مما يدل على أن (الملأ) يغرون الناس بالمال إعطاءً أو منعًا؛ لصدهم عن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

الثالث: الشبهات، والملأ لا يكتفي بالقوة والبطش والتخويف لصد الجمهور عن دعوة الحق، وإنما يسلك معهم سبيل الشبهات، وهذه الشبهات أنواع كثيرة؛ منها: رمي الداعي إلى الله بالجنون والضلال والسفاهة، وقد ذكرنا بعض الآيات الكريمة عن قوم نوح وهود؛ ومنها: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٦٠﴾﴾ [الأعراف: ٦٠]، وعن هود: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الأعراف: ٦٦]، ومن شبهاتهم قولهم أن الرسول بشر، وما ينبغي في زعمهم أن يكون الرسول من البشر: ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [هود: ٢٧]، ومن شبهاتهم أن الملأ في مقاومتهم دعوة الحق، يريدون حماية عقيدة الناس ومصالحهم ودفع الفساد عنهم، قال تعالى عن مثل هذه الشبهة القديمة في الملأ المتجددة في كل زمان: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر: ٢٦]، ومثل هذا كان يقول الملأ من قريش من أن الرسول ﷺ يريد إفساد عقيدتهم، وتسفيه آلهتهم، ولهذا فهم يقاومونه.

ومن شبهاتهم، أن لهم الأموال الكثيرة والجاه والسلطان، وأن هذا دليل على أحقيتهم وصلاحهم، ولهذا فهم خير من الداعي ولو كان رسولًا، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف: ٥١]، ففرعون يعتز بملكه وسلطانه ومنعته، ويوهم الجمهور أن منزلته أحق من موسى الذي ليس عنده شيء مما عند فرعون الذي لا يكاد يفصح عن مقصده وغرضه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [سبأ: ٣٤ - ٣٥]، فهم يستدلون بما أعطاهم الله من أموال وأولاد على صلاحهم ونجاتهم من العذاب، وجهلوا سنة الله في العطاء والمنع، فالله تعالى يعطي المال لمن يحب ولمن لا يحب، فلا يكون المال دليلًا على صلاح الشخص ورضى الله عنه.

وهذه الشبهات على بطلانها فإنها تؤثر في الجمهور؛ لأن من يسمع يضل، ولأن الملأ يلقيها بأسلوب ناعم مزخرف ليزيد من تضليله وإغرائه للجمهور بالمال وإخافته لهم بالقوة، والإنسان يحب الحياة والتمتع فيها ويخاف الأذى والحرمان، فتتجمع الشبهات مع هذه الغرائز الإنسانية، فيقع التأثير في أكثر الجمهور ولا ينجو منه إلا القليل منهم، ومع هذا يبقى أكثر أتباع الرسل الكرام من الجمهور لا من الملأ(٣٠٠).

(٣٠٠) أصول الدعوة، الشيخ د. عبد الكريم زيدان، ص٣٩٥.

المبحث الثالث: أهمية معرفة ومراعاة أحوال المدعوين

ومراعاة المدعوين تعني: ملاحظتهم والإحسان إليهم، ومراعاة حقوقهم، وتقديم الدعوة لهم بما يتناسب مع أحوالهم وظروفهم، وهذه من الأمور المهمة للدعاة، والتي تؤدي – بإذن الله – إلى زيادة فرصة الاستجابة للحق عند المدعوين[٣٠١].

"والمدعوون كذلك أصناف متفاوتة، منهم الملحد الجاهل، وفيهم الوثني المعاند، ومنهم أصحاب الكتب السابقة، ومنهم المسلمون المقصرون، والمنافقون الجاحدون، ولكل ما يلائمه من الخطاب، وما يصلح له من المداخل"[٣٠٢].

مراعاة أحوال الناس تعني: سياسة أمور الناس، واختيار الأصلح لهم، والاهتمام بشؤونهم، والمحافظة عليهم، والرفق بهم، والتخفيف عنهم، وتقدير حالهم وواقعهم.

ومن هنا تظهر حاجة المعرف بالإسلام إلى مخاطبة الناس بما يعقلون، وبما يحتاجون. ومما يؤيد هذا المعنى ما ورد عن علي ﷺ أنه قال: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكَذَّبَ الله ورسوله؟!"[٣٠٣].

وما جاء عن عبد الله بن مسعود أنه قال: "ما أَنْتَ بمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إلَّا كانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً"[٣٠٤]، "والمقصود أن يُحَدَّث الناس بما يعقلون ويدركون، ويفهمون، وبما يحتاجون إليه، وبما ينفعهم، وبما كُلِّفُوا به، وبما سيحاسبون عليه، وبما يقدرون على فعله"[٣٠٥].

والمدعوون هم العنصر الأساس ومحور عملية الدعوة؛ إذ ما شُرعت الدعوة إلا لأجلهم، وما أُرسلت الرسل إلا لدعوتهم؛ لذا يجب الاهتمام بهم، ودراسة أحوالهم، فمن العبث: أن يلقي الداعية إلى الله الكلام لمجرد التبليغ دون النظر إلى حال المدعوين، ودون معرفة واقعهم، ومن الخطأ الواضح ما يفعله بعض العاملين في التعريف بالإسلام دون مراعاة ذلك، فترى أحدَهُم يحفظ محاضرة، ثم يلقيها في كل زمان ومكان على كل المدعوين، رغم اختلاف مستوياتهم الإيمانية والعلمية والعقلية، دون أن يُحدث تغييرًا في أسلوبها بما يتوافق مع كل فئة على حدة، ولا شك أن المدعوين ليسوا في الاستجابة سواء، ولا في الفهم، ولا في العلم، ولا في التدين كذلك، فمخاطبتهم على حد سواء ليس من الحكمة في شيء، وقد كان رسول الله ﷺ والرسل من قبله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين يراعون أحوال المدعوين مراعاة حكيمة، ويعالجونها معالجة ناجعة[٣٠٦].

المطلب الأول: معرفة ثقافة وعادات المخاطب

إن معرفة ثقافة غير المسلمين أمر ضروري للمعرف بالإسلام حتى يكون مؤثرًا في تبليغ رسالة الإسلام إليهم، ومقنعًا لهم في مجادلتهم؛ فالدعوة تكون أوقع في نفس المدعو إذا كانت مرتبطة بمحيطه الثقافي، والاجتماعي.

ولا شك أن للأعراف والعادات سلطانًا كبيرًا في نفوس المدعوين، فهي قضايا مُسَلَّمَةٌ يصعب انتزاعها وهي ما وُلِد عليها الإنسان وفُطِرَ منذ خروجه من بطن أمه، فما اعتاده وأصبح معروفًا عنده هو خاضع لسلطانه، ولا يمكن نزعه منه، ومن ظلم الداعية حينئذٍ الإنكار على الأعراف والعادات ذات السلطان القوي على النفس التي لا تتعارض مع

---

(٣٠١) ينظر بحث بعنوان مراعاة أحوال المدعوين النفسية د. هند شريفي منشور على موقع الألوكة.

(٣٠٢) معالم في أصول الدعوة، د. محمد يسري، ص١٤٧.

(٣٠٣) أخرجه البخاري ١٢٧.

(٣٠٤) أخرجه مسلم ١١/١.

(٣٠٥) التعريف بالإسلام، الدكتور عبد الله الغامدي، ص٣٥٨.

(٣٠٦) بتصرف: منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، العرعور، ط١، ص٧٩.

نصوص الكتاب والسُّنَّة، والتي تستند إلى قبولٍ عام عند المدعوين، وتحقق المنافع لهم والمصالح، وهذا مبني على فعل الرسول ﷺ لما أراد علاج الأعراف الجاهلية السائدة، فقد اتخذ وسيلة التدرج في نزعها مراعاة لسلطانها في نفوس المدعوين.

لذلك فإن مراعاة الداعية لأعراف المدعوين يجعل لدعوته جمالًا واستحسانًا، ولنصيحته قبولًا من غير نكير(٣٠٧)، وأعظم الناس فهمًا لواقع أممهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين أرسلهم الله لإخراج الناس من الظلمات إلى النور.

ولعل من أهم الأمور المتعلقة بمعرفة الواقع معرفة أعراف المدعوين، وعاداتهم، وأحوالهم التي تحدد لهم تصرفاتهم، وسنن معايشهم، وطرائق سلوكهم، وأعراف المدعوين تتغير بتغير الزمان والمكان، وهذه حقيقة لا مراء فيها(٣٠٨).

والتعرف على المدعوين بمعرفة عاداتهم، وتقاليدهم، والظروف المحيطة بهم، ورؤوسهم، والمؤثرين فيهم، وما عم به البلوى في مجتمعاتهم، ونحو ذلك؛ كي يتمكن الداعية من ترتيب الأولويات في دعوتهم، ورفع الحرج عنهم، وعدم تكليفهم بما لا يُطاق، فلا يقدم ما حقه التأخير والعكس.

وهذا ظاهر في حديث معاذ ﷺ: "إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب..."، فأخبره النبي ﷺ بما هم عليه من معتقد، وكيفية دعوتهم.

– وفي صلح الحديبية عندما كانت قريش تفاوض النبي ﷺ، وأرسلت إليه رجلًا من بني كِنَانَة، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه، قال رسول الله ﷺ: "هذا فلان، وهو من قوم يعظمون الْبُدْنَ، فابعثوها له، فَبُعِثَتْ له، واستقبله الناس يُلَبُّون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه، قال: رأيت البُدْنَ قد قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فما أرى أن يُصَدُّوا عن البيت"، ثم قام رجل منهم يُقال له مِكْرَزُ بنُ حَفْصٍ، فقال: دعوني آتيه، فقالوا: ائْتِهِ، فلما أشرف عليهم، قال النبي ﷺ: "هذا مِكْرَزٌ، وهو رجل فاجر"، ولما جاءه سهيل بن عمر، قال: "سهل لكم أمركم"(٣٠٩).

فكان النبي ﷺ يعلم أحوال الرجال ويكشف أنماطهم الشخصية، وكيف يكسب هذا، ويحيِّد هذا، وما الطريقة التي يسلكها في دعوة كل واحد منهم، أو كل قبيلة من قبائل العرب.

المطلب الثاني: احترام عقول المخاطبين

ومعناه أن يحترز الداعية من الخضوع لمنطق الشارع، والتورّط في – أي شكل من أشكال – الإسفاف والسطحية والابتذال في الخطاب؛ لأن ذلك يحطّ من قدره وقدر ما يدعو إليه، فكلما استطاع الداعية أن يجتنب المقولات السطحية، والألفاظ النابية، والمعاني المُبْتَذَلَةِ التي تَمُجُّهَا الأسماع ولا تستسيغها الطباع، كان خيرًا له وأهدى سبيلًا.

كما أن عليه أن يُخْضِعَ دعوته لقواعد اللياقة وآداب الحديث، فلا يخاطِبُ الناس بما يكرهون، ولا يُسمِّي الأشخاص، ولا يَتَقَصَّدُ نقد المخاطبين، ولا يبالغ في تبكيتهم وتحميلهم المسؤولية، ومواجهتهم بالأوزار والمثالب، ورمي الزمان بالنقائص والمعائب، فهذا كله مما تكرهه النفوس وتنفر منه، وإنما ينبغي للداعية أن يكون مفتاحًا للخير، مجتهدًا في ملامسَة الأفكار الملهِمة، والتبشير بالآمال الواعدة والحلول الممكنة.

---

(٣٠٧) حاجة الداعية إلى العلم بالعرف لمراعاة أحوال المدعوين، د. رقية بنت نصر الله نياز، موقع شبكة رسالة الإسلام.

(٣٠٨) التعريف بالإسلام، الدكتور عبد الله الغامدي، ص٣٦٠-٣٦١.

(٣٠٩) صحيح البخاري، ٢٧٣١.

يتم تصنيف المخاطبين حسب اعتبارات متعددة؛ منها:

١- **تصنيفهم بحسب عقائدهم وهم:** المسلمون، والمسلمون الجدد، وأهل الكتاب، والملحدون، والمشركون الوثنيون، والفرق المارقة، وأهل البدع والأهواء، والمنافقون، وأصحاب المذاهب الفكرية المعاصرة.

٢- **تصنيفهم بحسب مستوياتهم:** وهم الأمراء والحكام، وذوو الهيئات، وأصحاب الجاه والمال، والعلماء، والضعفاء والفقراء، وجمهور الناس.

٣- **تصنيفهم بحسب قربهم من الداعية وهم:** الآباء والأمهات، والزوجة والأولاد، والإخوة والأخوات، والأقارب عامة، والخدم، والجيران، والأصحاب.

٤- **تصنيفهم بحسب أعمارهم:** الأطفال، والشباب، والكبار.

٥- **تصنيفهم بحسب جنسهم:** الرجال، والنساء.

٦- **تصنيفهم بحسب لغتهم:** المتحدثون بالعربية، والمتحدثون بغير العربية.

٧- **تصنيفهم بحسب أعمالهم المهنية:** الأطباء، والحرفيون، والمهندسون، والمعلمون، والتجار، والموظفون الإداريون، وغيرهم.

٨- **تصنيفهم بحسب موقفهم من الدعوة:** القابل، والمتردد، والمعرض، والمعارض، والمعاند.

٩- **تصنيفهم بحسب أماكن وجودهم:** الحضر، وأهل البادية، وأهل القرى، ومَجَاهِل أفريقيا.

١٠- **تصنيفهم بحسب العلم والشهرة والتأثير:** قساوسة، وساسة، ومشاهير، وعلماء الطبيعة، والطلاب، والعامة، والموهوبون، والأميون الذي لا يقرؤون ولا يكتبون.

هذه التقسيمات للتشخيص والعلاج.

وتأتي أهمية تصنيف المدعوين ومعرفة حاجة الدعاة إلى التعرف على المدعوين وأصنافهم، وأهمية مراعاة أصناف المدعوين في الدعوة إلى الله؛ للتعرف على دوافع استجابة المدعوين وسبل استثمارها، وموانع استجابتهم وسبل علاجها.

المطلب الثالث: حقوق المدعوين على الدعاة

هل للمدعوين حقوقٌ علينا؟

والجواب: نعم، وهي كثيرة، وعلينا أن نخشى على أنفسنا يوم القيامة أن نحاسب من أجل تقصيرنا تجاههم.

ومن أهم هذه الحقوق: الرحمة، والرأفة بالمدعوين، والدعاء لهم:

قِيلَ: يا رَسُولَ اللهِ، ادْعُ علَى المُشْرِكِينَ، قالَ: "إنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وإنَّما بُعِثْتُ رَحْمَةً"(٣١٠).

ودعوة الإسلام قائمة على الحبّ والتوادّ، والرأفة بالآخرين، وهذا هو طريق النبي الذي سلكه في دعوته إلى الله تعالى، فلانت القلوب القاسية لمنهج الله، وصاروا قادة الأمم بعدما كانوا رعاة غنم(٣١١).

وتتميز الدعوة الإسلامية بمراعاتها حقوق المدعوين بشكل شامل؛ ولذا ينبغي أن يعلمها الدعاة حتى يؤدوا رسالة الله، ويُبَلِّغُوا دعوته إلى خلقه.

ويبرز هذا في جوانب كثيرة، نعرضها في اثنتي عشرة نقطة(٣١٢):

---

(٣١٠) صحيح مسلم، برقم: ٢٥٩٩.

(٣١١) بتصرف: مهارات كسب القلوب ٤٧، جوتيار بامرني.

(٣١٢) بعض هذه الأفكار من بحث بعنوان مراعاة أحوال المدعوين النفسية، د. هند شريفي، منشور على موقع الألوكة، ومن موسوعة دليل الداعية – المدعوون وخصائص دعوتهم، أ. د. محمد العواجي، ص٣٥-٤٤.

أولًا: المبادرة بالدعوة والبلاغ:

فقد كان النبي ﷺ يأتي مجالس قريش، ويذهب إلى منازل القبائل في موسم الحج يعرض عليهم الإسلام، بل خرج إلى الطائف ودعا أشراف ثقيف، وأرسل معاذًا إلى اليمن، وبعث بالرسائل إلى الملوك والرؤساء يدعوهم فيها، كرسائله لكسرى وقيصر وملوك العرب، وبعث مصعبًا في أول الرسالة إلى المدينة لينشر فيها الإسلام ويدعو أهلها إليه.

وأهمية هذا الأمر ترجع لأسباب؛ منها:

١ – البلاغ يستلزم الانتقال إلى المدعو؛ لاحتمال كون الرسالة لم تَبْلُغْهُ، أو تكون قد وصلته بالفعل، ولكن على غير صورتها الصحيحة.

٢ – لأن المدعو في الغالب لن يبادر بالمجيء إلى الداعية ليسمع منه كلام الله، ويتعرف على منهجه القويم، فهو في الحقيقة بمثابة المريض الذي لا يشعر بخطورة مرضه؛ ولذلك من الضروري على الداعية أن يأتيه بنفسه لتقديم العلاج اللازم لنجاته.

ثانيًا: الحرص على كل المدعوين:

فلا يجوز للداعية أن يتهاون في دعوة أحدٍ؛ لكونه صغيرًا أو حقيرًا في أعين الناس؛ لأن الهدف من دعوته في نهاية المطاف هو إنقاذ نفس من النار، وخير مثال على ذلك ما رواه أنس بن مالك ﷺ، قائلًا: "كانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النبيَّ ﷺ، فَمَرِضَ، فأتَاهُ النبيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقالَ له: أسْلِمْ، فَنَظَرَ إلى أبِيهِ وهو عِنْدَهُ فَقالَ له: أطِعْ أبَا القَاسِمِ ﷺ، فأسْلَمَ، فَخَرَجَ النبيُّ ﷺ وهو يقولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الذي أنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ"(٣١٣).

ثالثًا: تقدير المدعو، وإنزاله منزلته:

فقد كان رسول الله ﷺ أنموذجًا في تقدير الوجهاء والكبراء، وإنزالهم منازلهم، وحفظ مكانتهم، فحين جاء أبو بكر الصديق ﷺ إلى رسول الله ﷺ بوالده أبي قحافة – وقد كف بصره ووهن عظمه – لينقذه من الكفر، فأكرم رسول الله ﷺ مقام أبي قحافة، وقال كلمته المأثورة التي ضرب بها المثل في التواضع، وحلو الشمائل، ورعاية الصحبة: "هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه"، ثم أجلسه بين يديه، ومسح صدره، وقال: "أسلم، فأسلم"(٣١٤).

وكذلك ما فعله النبي ﷺ مع عدي بن حاتم؛ حيث يقول: "... ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى إذا دخل بي بيته، تناول وسادة من أَدَمٍ محشوة ليفًا، فقذفها إلي، فقال: "اجلس على هذه"، قلت: بل أنت فاجلس عليها، فقال: "بل أنت"، فجلست عليها، وجلس رسول ﷺ بالأرض، فقال لي: "يا عدي، أسلم تسلم"(٣١٥).

انظروا كيف أدخله النبي ﷺ بيته، وأجلسه على وسادته، وجلس هو ﷺ على الأرض!

رابعًا: تهيئة نفس المدعو للتَعَرُّفِ على الإسلام:

---

(٣١٣) صحيح البخاري، برقم: ١٣٥٦.

(٣١٤) مسند أحمد ٢٦٩٥٦، وقال الهيثمي ٧١٦٤.

(٣١٥) الحديث أخرجه أحمد ١٩٣٩٧، والحاكم في المستدرك ٨٥٨٢ وقال: صحيح على شرط الشيخين، وبنحوه الترمذي ٢٩٥٣ وحسنه الألباني، وبعضه في البخاري ٣٤٠٠. وانظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/٥٨٠.

على الداعية قبل أن يطلب من المدعوين الدخول في الإسلام، تهيئة نفوسهم حتى يقبلوا الدين عن طواعية وطمأنينة، والقرآن الكريم نزل مُؤكِّدًا على هذا، يقول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦].

ومن ذلك، إعلان النبي ﷺ الأمان لأهل مكة، رغم ما حصل منهم طوال سنوات الدعوة إلى تلك الساعة، كما دعا المسلمين جميعًا إلى نشر هذا الأمان، فقال: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن"(٣١٦).

وعن أم هانئ رضي الله عنها قالت: "ذهَبْتُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ عامَ الفتحِ فوجَدْتُه يغتسِلُ وفاطمةُ ابنتُه تستُرُه بثوبٍ، قالت: فسلَّمْتُ فقال: (مَن هذه)؟ قُلْت: أمُّ هانئٍ بنتُ أبي طالبٍ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: (مرحبًا يا أمَّ هانئٍ)، فلمَّا فرَغ مِن غُسلِه قام فصلَّى ثماني ركعاتٍ ملتحِفًا في ثوبٍ واحدٍ ثمَّ انصرَف، فقُلْتُ له: يا رسولَ اللهِ، زعَم ابنُ أمِّي عليُّ بنُ أبي طالبٍ – رضوانُ اللهِ عليه – أنَّه قاتِلٌ رجلًا أجَرْتُه: فلانُ بنُ هُبيرةَ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: (قد أجَرْنا مَن أجَرْتِ يا أمَّ هانئٍ)"(٣١٧).

خامسًا: السمو بالروح المعنوية لدى المدعوين:

وذلك برفعهم من هُوَّةِ الماضي كي لا يُقَيِّدَهُم بأغلاله، بل يُطْلِقُ نفوسهم من عقال الشرك والضلال، وهذا ما فعله النبي ﷺ مع أهل مكة: فهو ينهى عن التعيير بالماضي السيئ لمن حارب الإسلام وضاده، قالت أم حكيم امرأة عكرمة بن أبي جهل: "يا رسول الله! قد هرب عكرمة منك إلى اليمن، وخاف أن تقتله فأمِّنْه، فقال ﷺ: "هو آمن"، فخرجت أم حكيم في طلبه، وأدركت عكرمة، وقد انتهى إلى ساحل من سواحل تهامة فركب البحر، فجعلت تلح عليه، وتقول: يا ابن عم، جئتك من عند أوصل الناس، وأبرّ الناس، وخير الناس، لا تهلك نفسك، وإني قد استأمنت لك رسول الله ﷺ، قال: أنت فعلت؟ قالت: نعم، أنا كلمته فَأَمَّنَك، فرجع معها، فلما دنا من مكة قال ﷺ لأصحابه: "يأتيكم عكرمة بن أبي جهل مؤمنًا مهاجرًا، فلا تسبوا أباه، فإن سب الميت يؤذي الحي ولا يبلغ الميت"(٣١٨).

وله شاهد من حديث عائشة قالت: قال النبي ﷺ: "لا تسبوا الأموات، فإنهم أفضوا إلى ما قدموا"(٣١٩).

وعن عمر بن الخطاب، أن رجلًا كان النبي ﷺ قد جلده في الشراب، فأُتي به يومًا فأمر به فجُلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به؟ فَقَالَ النبيُّ ﷺ: "لا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ ما عَلِمْتُ إلَّا أنَّه يُحِبُّ اللَّهَ ورَسولَهُ"(٣٢٠).

سادسًا: ملاحظة غرائز المدعوين ودوافعهم:

فالجبلة البشرية تنطوي على مجموعة من الصفات، التي لا يمكن إزالتها بالكلية، وقد لاحظ النبي ﷺ هذه الجبلة في الناس فلم يحاول هدمها، وإنما ترقى بها(٣٢١)، فكان ﷺ يعرف غريزة الفخر عند أبي سفيان، فيقول: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن"(٣٢٢).

---

(٣١٦) صحيح مسلم ١٧٨٠، وانظر: السيرة النبوية، ابن هشام ٤/٢٢.

(٣١٧) صحيح البخاري، ٣٥٧، ومسلم، ٣٣٦.

(٣١٨) مغازي الواقدي ٢/٨٥١، المستدرك على الصحيحين، الحاكم ٢/٢٦٩، وإتحاف المهرة ١٩/٦٤٣.

(٣١٩) صحيح البخاري، ١٣٩٣ و٥٦١٦.

(٣٢٠) صحيح البخاري، ٦٧٨٠.

(٣٢١) بتصرف: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، ص٤٢٨.

وكان ﷺ يلاحظ غريزة حب المال، فيشبعها بالعطاء الجزيل، ثم يعمل على توجيهها، فيقول لحكيم بن حزام ﷺ لما أكثر سؤاله، وأعطاه مرة بعد المرة: "يا حكيم، إن هذا المال خضرة حلوة، فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع، واليد العليا خير من اليد السفلى"(٣٢٣).

ورأى ﷺ مِنْ عبد الرحمن بن سَمُرة ﷺ – وهو من مُسْلِمَةِ الفتح – رغبة في تولي الإمارة، لما سأل النبي ﷺ ذلك، فبين له تكاليفها، وبين له السر في التوفيق والنجاح فيها فقال: "يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُعْطِيتَها عن مسألة، وُكلت إليها، وإن أُعطيت من غير مسألة أُعنت عليها"(٣٢٤).

سابعًا: مراعاة طباع المدعوين الشخصية:

"لقد فُطِرَ الناس على صفات متفاوتة، وسجايا متنوعة، وإدراكات متباينة، فمنهم صاحب الحس المُرْهَفِ، والطبع الرقيق الذي يتأثر بالعاطفة ويستجيب للموعظة، ومنهم العقلاني ذو التفكير الذي يناسبه الطرح العقلي والاستدلالات الرياضية، ومنهم الذي يؤخذ بالترغيب، ومنهم الذي يتأثر بالترهيب، ومنهم المسالم المنصت، ومنهم المجادل العنيد، ومنهم المتعالم، ومنهم المتجاهل، ومنهم القوي، ومنهم الضعيف، وقد يكون لبعضهم ظروف مؤقتة، تمنعه من الإدراك، وتَحول دونه والاستجابة كمصيبة مفاجئة، أو خسارة فادحة، أو حالة نفسية معينة.

ومما لا شك فيه أن مقتضى الحكمة، ونفع الخطاب، أن تُراعَى هذه الطباع، وأن يُهْتَمَّ بخطاب كل صنف بما يناسبه، في إطار الشرع الحنيف.

والناظر في أسلوب القرآن الكريم: يجد تنوعًا عجيبًا في الأسلوب، وتفاوتًا بديعًا في الطرح، ومعالجة ناجحة لكل أصناف البشرية.

فقد كان القرآن يُعالج النفوس في مكة؛ حتى تَسْهُلَ استجابتها، راغبة مختارة، وذلك بأساليب متنوعة، فتارة بكثرة الدلائل، وتارة بالترهيب، وأخرى بالتحبيب والود، وتارة بالرجاء والعرض، كل ذلك بعلاج بطيء، ولكنه قوي المفعول، وهكذا ينبغي أن يكون أسلوب الداعية متنوعًا، يتناسب مع كل موقف، ويتوافق مع كل نفس، وما فيها من قدرات خَلْقية، وصفات مكتسبة، غير مُغْفِل لحال المدعو، ولا لصفاته الفطرية، ولا مزاياه الشخصية"(٣٢٥).

ومن أمثلة ذلك معرفة النبي ﷺ لطبيعة أبي ذر ﷺ.

فعن أبي ذر ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: "يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تَتَأَمَّرَنَّ على اثنين، ولا تُوَلَّيَنَّ مال يتيم"(٣٢٦).

قال القرطبي: "أي: ضعيفًا عن القيام بما يتعين على الأمير من مراعاة مصالح رعيته الدنيوية والدينية، ووجه ضعفه عن ذلك، أن الغالب عليه كان الزهد واحتقار الدنيا، ومن هذا حاله لا يعتني بمصالح الدنيا وبأموالها اللذين بمراعاتهما تنتظم مصالح الدين ويتم أمره، وقد كان أبو ذر عَلَمًا في الزهد في الدنيا حتى انتهى به الحال أن أفتى

---

(٣٢٢) صحيح مسلم، ١٧٨٠.

(٣٢٣) صحيح البخاري، ١٤٧٢، ومسلم، ١٠٣٥.

(٣٢٤) صحيح البخاري، ٦٦٢٢، ومسلم، ١٦٥٢.

(٣٢٥) أهمية مراعاة المدعوين وأحوالهم وطباعهم، ص ٦٠، د. عدنان آل عرعور.

(٣٢٦) صحيح مسلم، ١٨٢٦.

بتحريم جمع المال وإن أُخرجت زكاته، وكان يرى أنه الكنز الذي توعد الله عليه في القرآن، فلما علم النبي ﷺ منه هذه الحالة نصحه ونهاه عن الإمارة والولاية"(٣٢٧).

ثامنًا: مراعاة أحوال الناس العامة، وما اعتادوا عليه:

يجب على الداعية مراعاة أحوال الناس، وما هم عليه في دينهم وبلدهم وطريقة تعاملهم، وما اعتادوه في حياتهم، وورثوه من آبائهم، فلا يُمكنهم الانفصال عنه في عشية أو ضحاها، سواء كان محرمًا، أو مما سكت عنه الشرع، أو ما اعتادوه من الأخلاق الفاضلة.

ولذلك على الداعية قبل أن يخوض غمار الدعوة إلى الله تعالى، أن يكون على إدراك واقعي، وعلم شرعي، وحكمة دعوية في هذه العادات، حتى يضع الأمور في مواضعها، وينزل الأحكام على وقائعها، وحتى لا يتعرض لِمَا يُوقف دعوته، ويُعرقل مسيرته؛ لأن التعرض لعادات الناس دون حكمة، مُفْضٍ في كثير من الأوقات إلى الفتن، واتهام الداعية وَتَوَقُّفِهِ عن دعوته، وذلك لأن تخلي الناس عن عاداتهم – ولو كانت محرمة – ليس بالأمر الهين، فمن الصعوبة بمكان أن يستجيبوا بموعظة أو موعظتين.

إذن، من الفطنة عدم التعرض لها دفعة واحدة، بل يتدرج معهم وخاصة في باب المحرمات، فيبدأ بالأهم، ثم الأقل أهمية، وهكذا وفق تقديره لظروف القوم الخاصة، وما اعتادوا عليه طوال حياتهم"(٣٢٨).

ومن أشهر الأمثلة على ذلك: التدرج في تحريم الخمر، وما اعتاد عليه الناس عمومًا، فقد ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: "إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر؛ لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ، وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ۝٤٦﴾ [القمر: ٤٦]، وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده"(٣٢٩).

تاسعًا: القول الحسن:

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] أي: "قولوا لهم القول الطيب، وجاوبوهم بأحسن ما يحبون"(٣٣٠).

فهؤلاء الناس يدخل فيهم أهل الشرك، وعبدة الأوثان، وكفرة أهل الكتاب، فكيف بأهل التوحيد والإسلام؟

فما أجمل التعريض دون المواجهة، والإشارة قبل العبارة، والتلميح دون التصريح، فإن هذا يستميل القلوب، ويحفظ حرمة النفوس، ويعين على القبول، فإن كان لا بد من قول صريح فهو النصيحة لا الفضيحة، إذ الداعية المؤمن يستر ولا يفضح، والفاجر يهتك ويُعيِّر(٣٣١).

---

(٣٢٧) بتصرف: السيوطي على سنن النسائي ٦/٢٥٥.

(٣٢٨) مراعاة حاجات المدعوين وأحوالهم، ص ٦١، د. عدنان عرعور. باختصار وتصرف يسير.

(٣٢٩) صحيح البخاري، ٤٩٩٣.

(٣٣٠) روح المعاني ١/٣٠٨.

(٣٣١) معالم في أصول الدعوة، د. محمد يسري، ص١٤٨.

فالله تعالى يرسل موسى وهارون إلى فرعون الظالم المتكبر، ويقول لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]، فالقول اللين لا يثير العزة بالإثم، ولا الكبرياء الزائف عند الطغاة، فهو من شأنه أن يوقظ القلب فيتذكر ويخشى عاقبة الطغيان.

ولأن كَسْب قلوب العباد وسيلة لقبول الحق، فأنت بحاجة إلى مفتاح تفتح به قلوبهم، فإذا عجزت عن ذلك، فلن يقبلوا منك شيئًا؛ لذا قال رسول الله ﷺ: "إنَّ منكم مُنَفِّرين"(٣٣٢)، مُنَفِّرين: أي، يُنَفِّرُون النَّاس عن دين الله.

لقد جاءت هذه الشَّريعة السَّمحة، باليُسر والسُّهولة، ونَفْي العَنَت والحَرَج، وقد قال ﷺ: "يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تُنَفِّرا، وتطاوعا ولا تختلفا"(٣٣٣).

"إن كسب القلوب أمر غاية في الأهمية؛ لأنه يهدم ما بناه الأعداء من التصورات، والصورة الذهنية الخاطئة التي أظهرها الإعلام عن الإسلام"(٣٣٤).

عاشرًا: السمو في الوسائل والأساليب:

إن اختيار الوسائل المناسبة، والأساليب الملائمة للمدعوِّين من صميم عمل الدعاة؛ وذلك لاختلاف أصنافهم، فمنهم الأطباء ومنهم أصحاب العلم، ومنهم المحامون والمهندسون، فكل هؤلاء تختلف أساليب ووسائل مواجهتهم، فعلى سبيل المثال: قد يُجْدِي الأسلوب العاطفي والوجداني في تذكير بعض الناس، في حين أن البعض لا يلائمه إلا مخاطبته بالعقل والمنطق، وربما مازج الداعية بين الأسلوبين في سياق واحد بناءً على حسه ونظرته لحال المخاطب: قربًا وبعدًا، وعلمًا وجهلًا، وإيمانًا وكفرًا"(٣٣٥).

وأحيانًا يحتاج الداعي إلى أسلوب المقارنة بين الدعوة الإسلامية والدعوات الأخرى، وأسلوب الرد على الشبهات والمفتريات، وأسلوب التربية والإعداد، وأسلوب الترغيب والترهيب، وغير ذلك، وهذا يَسْهُل على الداعي إذا حُدِّدَ له طبقة من المدعوين قبل أن يبدأ العمل الدعوي(٣٣٦).

والسمو في الأسلوب يُستخدم مع الجميع، سواء كانوا من كبراء القوم، أو من عامة الناس، فقد ورد في كتب السيرة أن عتبة بن ربيعة أتي النبي ﷺ، وأساء إليه في الحديث، والنبي ﷺ يستمع إليه ولم يقاطعه، حتى إذا فرغ، قال رسول الله ﷺ: "أفرغت يا أبا الوليد؟"، قال: نعم، فقال رسول الله ﷺ: "أفتجلس فتسمع؟"، فتلا عليه القرآن حتى قال عتبة: أنشدك الله والرحم، أنشدك الله والرحم حسبك(٣٣٧).

انظروا كيف تميز النبي ﷺ بالإنصات الجيد دون مقاطعة، وبعدم الرد بالمثل، ثم بأسلوب العرض بدل الأمر، والرفق بالمخاطب، ومناداته بأحب الأسماء إليه!

---

(٣٣٢) صحيح البخاري، ٧١٥٩، وصحيح مسلم، ٤٦٦.

(٣٣٣) رواه البخاري، ٣٠٣٨، ومسلم، ١٧٣٣.

(٣٣٤) بتصرف: مهارات كسب القلوب وبناء الجسور، ص ٤٣، جوتيار بامرني.

(٣٣٥) معالم في أصول الدعوة، د. محمد يسري، ص١٤٨.

(٣٣٦) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، أ. د. حمود الرحيلي، ص٥٢ بتصرف وزيادة.

(٣٣٧) السيرة النبوية، ابن هشام ١/٢٩٤ باختصار.

ومن المواقف أيضًا: ما رُوي عن معاوية بنِ الحَكَمِ السُّلَميّ، قال: "بينا أنا أُصَلِّي مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إذ عطَس رجُلٌ من القومِ، فقُلتُ: يرحمُك اللَّهُ! فرماني القومُ بأبصارِهم، فقُلتُ: واثُكْلَ أُمِّيَاه![٣٣٨] ما شأنُكم تَنظُرون إليَّ؟! فجَعَلوا يَضرِبون بأيديهم على أفخاذِهم، فلمَّا رأيتُهم يُصَمِّتُونني لكِنِّي سكَتُّ، فلمَّا صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ بأبي هو وأمي، ما رأيتُ مُعَلِّمًا قبلَه ولا بعدَه أحسنَ تعليمًا منه، فواللهِ ما كَهَرني[٣٣٩]، ولا ضرَبني، ولا شتَمَني. قال: إنَّ هذه الصَّلاةَ لا يَصلُحُ فيها شيءٌ من كلامِ النَّاسِ، إنَّما هو التَّسبيحُ، والتَّكبيرُ، وقراءةُ القرآنِ"[٣٤٠][٣٤١].

وفي مادة أساليب ووسائل وميادين التعريف بالإسلام، سنتحدث عن هذا الموضوع بتفصيل أكبر إن شاء الله.

الحادي عشر: مراعاة تفاوت قبول الناس الدعوة:

على الداعية التنبيه إلى أن الناس متفاوتون في قبولهم للدعوة؛ فمنهم السريع في القبول كأبي بكر، وكسحرة فرعون عندما رأوا الآيات، ومنهم البطيء: كما حدث مع قوم نبي الله يونس ﷺ، وكَمُسْلِمَةِ الفتح: كأبي سفيان وأمثاله الذين تأخر إسلامهم إلى أن فتح النبي ﷺ مكة، وما بين هذين الصنفين (السريع، والبطيء) تتفاوت المراتب؛ ولذلك يجب على الداعية إلى الله التحلي بالصبر الجميل، والاستمرار في بذل النصح، وإقامة الحجة، وبيان الحق وتوضيحه بكل الوسائل المشروعة، وعدم العجلة على المدعوين، وعدم اليأس منهم.

الثاني عشر: الصبر على الدين وتبليغه:

قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ قال ابن جرير: "أي وأوصى بعضهم بعضًا بالصبر على العمل بطاعة الله"[٣٤٢].

وقال ابن كثير: "أوصى بعضهم بعضًا بالصبر على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر"[٣٤٣].

إن الثبات على الإيمان والعمل الصالح، وإقامة الحق والعدل، من أعسر ما يواجه الدعاة إلى الله، فهم بحاجة إلى الصبر على جهاد أنفسهم، والصبر على دعوة غيرهم، والصبر على الأذى والمشقة، وطغيان الباطل وأهله، قال الله تعالى في محكم آياته: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٢٠٠﴾ [آل عمران ٢٠٠].

إن الدعوة تحتاج إلى صبر وتحمل، قد لا تُصَوِّرُها الكلمات، فالكلمات لا تنقل المدلول الحقيقي للمعاناة التي يلاقيها الداعية إلى الله، إنما يُدرِكُ هذا المدلول من عانى مشقات طريق الدعوة وتذوقها، ذاك الطريق الطويل الشاق، الحافل بالعقبات والابتلاءات.

---

(٣٣٨) الثُّكْلُ: هو فِقدانُ المرأةِ وَلَدَها، وأصلُه: ثَكِلَت أمِّي، أي: وافقْد أمِّي إيَّاي؛ فإنِّي هلَكْتُ. يُنظَر: شرح النووي على مسلم ٢٠/٥، شرح أبي داود للعيني ١٧٨/٤، شرح السيوطي على مسلم ٢١٧/٢.

(٣٣٩) الكَهْرُ: الانتهارُ. يُنظَر: لسان العرب لابن منظور.

(٣٤٠) رواه مسلم، ٥٣٧ مطوَّلًا.

(٣٤١) موسوعة دليل الداعية – المدعوون ١، العواجي، ص٤٠-٤٤.

(٣٤٢) جامع البيان ٢٤/٦١٤.

(٣٤٣) تفسير القرآن العظيم ٨/٤٨٠.

المبحث الرابع: أهمية علم الداعية بموانع استجابة المدعوين[٣٤٤]:

لما كانت الدعوة تقوم في الأساس على عرض الإسلام ومبادئه بشكل حسن، وتهدف إلى تبيين سبيل المؤمنين للناس، والتأثير في نفوسهم، وإرشادهم وهدايتهم؛ كان من المهم للداعية: معرفة الأسباب التي تصد الناس عن الاستجابة رغم حسن عرضه لها، وبذله الجهود في نشرها.

إن الداعية شأنه شأن الطبيب الذي يسعى في طلب الشفاء للمريض، فيقف على عِلَّتِهِ بسؤاله عن تاريخ مرضه، ومراقبة أحواله لمعرفة الأسباب التي أدت به إلى ذلك، والعمل على إزالة تلك الأسباب بما يستطيع، وذلك من خلال اختيار الدواء الأصلح والأنفع له، وبالمقدار الذي يناسبه فوق الجزء المعتل حتى يتحقق له الشفاء بإذن الله، ثم في مدة نقاهته من المرض يجنبه الأسباب التي قد تؤدي إلى انتكاس حاله.

وكما أن الطبيب عليه أن يراجع نفسه أحيانًا لعل تقصيرًا وقع منه في تشخيص المرض، أو قام بإعطاء الدواء الخاطئ، فكذلك الداعية عليه أن يراجع نفسه إذا ثمة خطأ صدر منه، فما يصلح لمريض قد لا يصلح لآخر.

وهكذا يتضح لنا أهمية معرفة السبب وإزالته؛ لتحقيق الفائدة وحصول النتيجة المرجُوَّة بإذن الله، وذلك لأن "قبول المحل لمِا يوضَع فيه مشروط بتفريغه من ضده، وهذا كما أنه في الذوات والأعيان، فكذلك هو في الاعتقادات والإرادات، فإذا كان القلب ممتلئًا بالباطل اعتقادًا ومحبة، لم يبقَ فيه لاعتقاد الحق ومحبته موضع"[٣٤٥].

وعلم الداعية بأسباب الصدود عند المدعوين يحقق الفوائد التالية:

١ – "إذا عرف الداعية هذه الأسباب حرص على إزالتها، أو التقليل من أثرها السيئ في نفوس المدعوين ما أمكنه ذلك؛ لتصبح نفوسهم مهيأة للنبت الجديد بإذن الله"[٣٤٦]، فإذا أهمل الداعية إزالة الأسباب – الممكن إزالتها – كان كالذي يبني دارًا على أرض هشة لينة، قد تنهار به في أي لحظة.

٢ – إن معرفة هذه الأسباب تساعد الداعية في اختيار الأسلوب الأفضل، والوسيلة الأجدى في الدعوة، فأسلوب الدعوة مع من امتلأ عقله بالمفاهيم المنحرفة، مختلف عن أسلوب الدعوة مع من تبيَّن له الحق ولكن تعلق قلبه بالدنيا، وغلبت عليه شهواتها.

٣ – إن معرفة أسباب الصدود في بيئة ما يساعد على التخطيط الجيد عند إعداد الداعية، وذلك بتثقيفه وتعليمه بما يتناسب مع المجتمع الذي يدعو فيه، فيكون قد تسلح بما يساعده في الدفاع عن الإسلام لدى أصحاب الشبهات، مع تحليه بسعة الصدر ولين القول، وحسن التعامل؛ ليتخطى عقبة كراهية الحق عند من يدعوه، والتزود بما يُكْسِبُه مودة الناس وصداقتهم، وما يؤلف به قلوبهم.

٤ – في بعض المجتمعات قد يكون من الأفضل أن يتصدى للدعوة من يتمكن من ثقة الناس واحترامهم؛ لأن احتقارَ المدعوين للداعية وازدراءَهم له وضعف ثقتهم به، أو بعلمه، أو نظرتهم له نظرة دونية؛ كل ذلك يَحُولُ دون الإنصات له والاستجابة لِمَا يدعو إليه، ومن الأنسب أن تُراعى المكانة الاجتماعية، والمستوى المعيشي والثقافي.

---

(٣٤٤) مقال بعنوان: أهمية علم الداعية بأسباب صدود المدعوين، د. هند شريفي، منشور على موقع الألوكة. باختصار.

(٣٤٥) الفوائد، ابن القيم، ص٤٣.

(٣٤٦) للاستفادة، انظر: دوافع إنكار دعوة الحق في العهد النبوي، وسبل علاجها من ص٢٨٥ – ٣٧١، وقد قسم المؤلف عبد الرحمن يوسف سبل علاج هذه الموانع إلى خمسة أقسام؛ هي: الحسية، والعقلية، والأخلاقية، والاجتماعية، والنفسية، وانظر: أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، ص٤٢٦ – ٤٣٦.

٥ – إن معرفة الداعية لأسباب الصدود مفيد في إنجاح العملية الدعوية وإزالة العراقيل من طريقها، فالداعية بحكمته يمكنه تفادي الصدام مع هذه الأسباب مباشرة؛ وذلك بالابتعاد عن إثارة النعرات العصبية والشخصية عند المدعوين، وتأجيل ما يمكن تأجيله منها حتى تنشرح صدورهم للهدى؛ لأنه في الغالب عند إثارة مثل هذه النعرات يثور المدعو، وقد تأخذه العزة بالإثم.

٦ – إن بصيرة الداعية المؤمن بمكائد الشيطان ووسائله في صد الناس عن اتباع الهدى يدفعه إلى التوقي والحذر أن يقع يومًا في حبائله، فلا يسلطه على عقله ليبث فيه الشكوك والأوهام، ولا على قلبه فيزين له الدنيا ويزخرف له متاعها، أو يلوث أخلاقه بأنواع الانحرافات الخلقية(٣٤٧).

وخلاصة هذه الفوائد أن معرفة الداعية لهذه الأسباب، تعينه على مراعاة أحوال المدعوين؛ بما يهيئهم للاستجابة، وهذا ما سنتناوله بإذن الله.

المطلب الأول: الاستجابة للدعوة توفيق من الله

من المعلوم أنه إذا أخلص الداعية، وبذل غاية وسعه، وقدم ما يمكنه من جهدٍ ووقت ومال؛ لنشر دين الله، ثم لم يرَ استجابة، فليعلم أن ثمة مانعًا لا يعلمه إلا الله ﷻ، ولا يملك أمام ذلك إلا الدعاء بالهداية لمن ضل، مع الاستمرار في بذل الأسباب.

وليحذر في هذه الحالة من الإحباط أو اليأس في هدايتهم؛ لأن "القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء"(٣٤٨)، وقد قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَايْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]. وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المائدة: ٤٩].

إن الله ﷻ قد أوضح السبل، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب، وأزاح الْعِلَلَ، ومَكَّنَ من أسباب الهداية والطاعة بالأسماع والأبصار والعقول، وهذا من عدله سبحانه وتعالى، وَوَفَّق من شاء بمزيد عناية، وأراد من نفسه أن يعينه ويوفقه، وهذا من فضله جلا وعلا، وخَذَّل من ليس بأهلٍ لتوفيقه وفضله، وخلى بينه وبين نفسه، ولم يُرِد سبحانه أن يوفقه، فقطع عنه فضله، ولم يحرمه عدله.

المطلب الثاني: موانع الاستجابة من جهة المدعو

هناك موانع كثيرة تمنع المدعو من الاستجابة للداعية إلى الله، ذكرها الله تعالى في كتابه، وبينتها السنة النبوية، أُجْمِلُهَا في النقاط التالية:

أولًا: الجهل:

قال الله تعالى في شأن قوم موسى ﷺ: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الأعراف: ١٣٨]، والأسباب التي تمنع من قبول الحق كثيرة، كالجهل به، فإن من جهل شيئًا عاداه وعادى أهله.

ثانيًا: الحسد، والكبر، والطبقية:

(٣٤٧) موسوعة دليل الداعية – المدعوون ١، العواجي، ص٦٢-٦٣.

(٣٤٨) صحيح مسلم ٢٦٥٤.

ومن أعظم الأسباب المانعة من قبول الحق: الحسد، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء: ٥٤].

بعض المدعوين قد يُبتلى بنوع من الحسد للداعية، قال ابن القيم: "الحسد، إنه داء كامن في النفس، ويرى الحاسد المحسود قد فضل عليه، وأوتي ما لم يُؤْتَ نظيره، فلا يدعه الحسد أن ينقاد له ويكون من أتباعه. وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا الحسد؟! فإنه لما رآه قد فُضِّلَ عليه ورُفِعَ فوقه؛ غص بريقه، واختار الكفر على الإيمان بعد أن كان بين الملائكة.

هذا الداء هو الذي منع اليهود من الإيمان بعيسى ابن مريم، وقد عَلِمُوا علمًا لا شك فيه أنه رسول الله، قد جاء بالبينات والهدى، فحملهم الحسد على أن اختاروا الكفر على الإيمان، وأطبقوا عليه، وهم أمة فيهم الأحبار، والعلماء، والزهاد، والقضاة، والملوك، والأمراء"(٣٤٩).

وقد قال الْمِسْوَرُ بن مَخْرَمَة – وهو ابن أخت أبي جهل – يا خال، هل كنتم تتهمون محمدًا قبل أن يقول ما قال؟ فقال: يا ابن أختي، والله لقد كان محمد فينا صادقًا وهو شاب، يُدْعَى الأمين، فما جربنا عليه كذبًا قط، قال: يا خال، فما لكم لا تتبعونه؟! قال: يا ابن أختي، تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، فأطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، حتى إذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسي رهان، قالوا منا نبي، فمتى ندرك مثل هذه؟!

وقال الأخنس بن شريق يوم بدر لأبي جهل: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا، فقال أبو جهل: ويحك، والله إن محمدًا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهبت بنو قصي باللواء والحجابة والسقاية والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟(٣٥٠)

ثالثًا: اتباع الهوى:

قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القصص: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الجاثية: ٢٣].

رابعًا: التقليد الأعمى، والعصبية القبلية:

إن التعصب لما كان عليه الآباء والأجداد والرؤساء والكبراء وسائر أفراد المجتمع من العادات والتقاليد والدين، وما ورثوه من أخلاق، قد بين الله تعالى قبحه، وضلال فاعليه في العديد من آيات القرآن، يقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: ١٧٠]، ويقول سبحانه: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزخرف: ٢٢].

ومنهج الإسلام يحث على النظر والاعتبار، ومبنى الجزاء فيه على أن المسؤولية والمحاسبة مسؤولية فردية يتحملها كل إنسان عن نفسه.

---

(٣٤٩) هداية الحيارى، ص٢٤٥.

(٣٥٠) جامع البيان ٧/ ١٨٢، وسيرة ابن إسحاق ٢٣٢، وسيرة ابن هشام ١/٣١٥، والبيهقي في الدلائل٢/٢٠٦ – ٢٠٧، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/١٣٠.

خامسًا: تفلُّت المدعو من التقيُّد بالالتزام والمسؤولية:

وهذا ما دعا قوم شعيب أن ينكروا عليه دعوته بقولهم: ﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾﴾ [هود: ٨٧].

فكثيرًا ما يُصادف الدُّعاة مدعوّين يَثقُل عليهم التقيد بالأوامر والنواهي، والنصائح الشرعية، فإذا لم يتدارك الداعية أو المربي حال هذا المدعوِّ، وسَعى لتقويم هذه الآفة، تفلت المدعوُّ عن متابعته التربوية والدعوية.

إذن، نحن أمامَ مُشكلةٍ ذات جذور نفسيَّة أو تربوية، ينتج عنها التَّفلُت وكراهية التَّقيُّد بالمنهج وبالبرنامج الدعوي والتربوي، وواجِب الداعية والمربي بجانب تقويم هذه الآفة مراعاة هذه النفسيات، من حيث ترك الإثقال عليها في التوجيه والنُّصح"[٣٥١].

إن حب الدنيا والتعلق بشهواتها هو ما منع كثيرًا من الناس من الإيمان؛ خوفًا من بطلان مأكلهم وأموالهم التي تصير إليهم، وهؤلاء قال الله فيهم: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ۝٢ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٣﴾ [إبراهيم: ٢ - ٣]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝١٠٧﴾ [النحل: ١٠٧][٣٥٢].

المطلب الثالث: موانع استجابة المدعوين من جهة الداعية

هناك موانع تحول بين المدعوين وبين الاستجابة، ويعود سببها في المقام الأول إلى بعض التصرفات الصادرة من بعض الدعاة؛ ومنها[٣٥٣]:

أولًا: سوء أو عدم فهم الداعية لشخص المدعو ونفسيته:

بحيث لا يلحظ الداعية أو المربي الوسائل المناسبة في التعامل مع المدعوِّ، أو في طريقة نصيحته وإرشاده؛ ممَّا يترتب على ذلك نفوره، وانقطاعه عنه وعن الدعوة القائم عليها.

ولأن نفوس المدعوين تختلف؛ فمن البديهي أن تختلف وسائل نصحهم وتقويمهم، وما ينفع زيدًا ليس بالضرورة أن ينفع عمرًا، والناظر في سنة النبي ﷺ يجد اختِلافًا بَيِّنًا في شكل ووسائل تربية أصحابه ونصحهم؛ وذلك لاختلاف مراتبهم في القرب والبعد منه ﷺ، واختلاف أحوالهم الإيمانية، وكذلك اختلاف مداركهم وشخصياتهم.

فهذا سائل يسأل النبي ﷺ، قائلًا: يا رسول الله، أخبرني بما يقربني من الجنة، وما يباعدني من النار، فقال النبي ﷺ: "تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم"[٣٥٤]، وآخر يقول له أوصني، فيقول له الرسول ﷺ: "لا تغضب"[٣٥٥].

وثالث يسأله الوصية كذلك، فيقول له ﷺ: "أوصيك أن تستحي من الله ﷻ كما تستحي من الرجل الصالح من قومك"[٣٥٦]، ورابع يسأله السؤال نفسه، فيقول له: "لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله"[٣٥٧].

---

(٣٥١) لماذا يبتعد المدعو عن الداعية في الدعوة، د. حسن عبد الحي، مقال على موقع الألوكة بتصرف.

(٣٥٢) موسوعة دليل الداعية – المدعوون ١، العواجي، ص٦٨-٧٠.

(٣٥٣) انظر: لماذا يبتعد المدعو عن الداعية في الدعوة، د. حسن عبد الحي، مقال على موقع الألوكة بتصرف وزيادات.

(٣٥٤) صحيح مسلم، ١٤.

(٣٥٥) صحيح البخاري، ٦١١٦.

ثانيًا: ظهور فساد بعض أحوال الداعية للمدعو:

وهذا من أعظم أسباب هجر المدعو للداعية، وإن كان يُفيده علمًا وتوجيهًا، إلا أنَّه في الحقيقة يَصعُب على المدعو الجَمْع بين قول شخص يُخالف فعله قوله، وتوجيه مُرَبٍّ يَنقُضه بمخالفته في نفسه.

وعين المدعو عادَةً تَرقُب تصرُّفات الداعية أكثر مما تَعِي أذنه من توجيهاته وأقواله؛ ولهذا كان للاقتداء في الدعوة أثر قوي، سواء بالإيجاب أو بالسلب؛ ولذا يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢ - ٣].

وقال تعالى عن شعيب: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ۝٨٨﴾ [هود: ٨٨].

وقال تعالى عن نبينا محمد ﷺ: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ۝٢١﴾ [الأحزاب ٢١].

ثالثًا: حظوظ نفس الداعية في تربية أو توجيه المدعو:

عندما يكون للداعية أو المربي حظوظ نفس في العملية الدعوية والتربوية، فإنَّه عادة يُفسد ما بينه وبين المدعو بمرور الوقت؛ وذلك أن مسألة الانقياد لبشر - مهما كانت منزلته ومكانته - صعبة على النفس البشرية جدًّا، وإنما تتحملها نفس المدعو لِما يرى في حقيقتها من انقياد للشرع، فإذا اختلطت بحظوظ نفس بشرية ربَّما ترك المدعو عملية التربية والدعوة كلها؛ بما فيها مصلحته الشرعية من ملازمة الداعية أو المربِّي؛ تجنبًا لهذه الحظوظ الثقيلة عليه.

وحظوظ نفس الداعية أو المربي كثيرة ومتفاوتة؛ فقد تكون في حب التعظيم الزائد، وقد تكون في حب الخدمة، وقد تكون في شدّته بغير مُسَوِّغ، وقد تكون فيما هو أغلظ من ذلك؛ كحبِّ تملُّكه للمدعوِّ بحيث لا يقبل منه أي فعل أو قول يصدر منه إلا وفق رأيه فحسب.

المطلب الرابع: ممارسات خاطئة في التعريف بالإسلام

الدعوة اليوم في أمس الحاجة إلى الفكر الواعي الذي يقوم على التدبر في سنن الله تعالى وَفِقْهِ التعامل معها، ولقد نشأت كثير من أمراض أمتنا وترعرعت في ظل غياب الفهم الكامل لمضامين القرآن الكريم، والغيبوبة التي طالت عن مراد الله تعالى، ونحن بتقصيرنا في هذا الجانب - جانب السنن الربانية وفقهها - نشارك في رسم صورة سيئة عن الإسلام عند أعدائنا، إذ إنهم يربطون بين تخلفنا العلمي والحضاري والثقافي والمعيشي وبين ديننا الحنيف، فيظلم هذا الدين بهذه النظرة إليه، ولنا في صنع هذا الظلم نصيب أي نصيب[٣٥٨].

المطلب الخامس: مشكلات الخطاب الدعوي المعاصر، وعلاجها

ولكي نصل إلى ما نصبو إليه من التجديد في الخطاب الدعوي، لا بد من استجلاء أخطاء الخطاب الدعوي الحالي، ومن أهم هذه الأخطاء ما يلي[٣٥٩]:

---

(٣٥٦) شعب الإيمان للبيهقي ٧٧٣٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢٥٤١.

(٣٥٧) مسند أحمد ١٧٧٣٤. قال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

(٣٥٨) بتصرف: موسوعة دليل الداعية، قضايا منهجية في الدعوة إلى الله، ص ١٩٠، أ. د. محمد العواجي، المدينة المنورة ١٤٤٤هـ.

(٣٥٩) ينظر: مقال: تجديد الخطاب الدعوي في المرحلة القادمة، د. عطية عدلان، منشور على موقع الألوكة، باختصار.

أولًا: النقل من كتب أهل العلم دون مراعاة حال المخاطبين:

فكثير من الدعاة ينقلون من كتب أهل العلم دون أن يراعوا حال المخاطبين، فيقع التنافر الشديد بين الطرح وبين عقلية المتلقي.

وليس المطلوب إخفاء الحقائق السمعية، أو التنكر لما قد يتنافى مع مفاهيم بعض الناس من حقائق الدين، وإنما يتطلب منا أن نفرق بين ما هو شرعي ومتفق عليه وبين الاجتهادات البشرية التي قد تكون خطأ وقد تكون صوابًا، فالنصوص الشرعية ثابتة لا مجال للخوض فيها، والاجتهادات البشرية – التي هي اجتهادات مجموعة من العلماء – متغيرة تبعًا لتغيرات الزمان والمكان.

وفي بعض الأحيان ترى بعض الدعاة يتقمصون شخصية أحد العلماء القدامى، فإذا تكلم أحدهم في موضوع ما، يأتي بكل الروايات والأقوال التي تتعلق بهذا الموضوع، سواء كانت صحيحة أم ضعيفة، والداعية العاقل يميز الصحيح من السقيم، وينقي كلامه من الروايات والأقوال الضعيفة التي لا تفيد عند التحقيق.

بل إن الداعية الواعي الحكيم قد يتوجب عليه أحيانًا أن يكتم بعض ما يعلم، أو يسكت عن بعض ما قرأه أو سمعه، ولا يسارع إلى تبليغه وإذاعته؛ لعلمه أن الوقت أو الظرف غير ملائم، أو أن المخَاطَب لا يرقى إلى فهم ما يُطرح.

– ولقد بوب البخاري في صحيحه بابًا بعنوان: "من خص قومًا بالعلم دون قوم كراهية ألا يفهموا".

وذكر ابن حجر، تحته قول عبد الله بن مسعود ﷺ، كما في صحيح مسلم: "ما أنت محدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"(٣٦٠)(٣٦١).

– وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟!"(٣٦٢).

– ويقول ابن القيم: "من أفتي الناس بمجرد المنقول في الكتب على اختلاف عرفهم وعوائدهم وأزمنتهم وأحوالهم وقرائن أحوالهم؛ فقد ضل وأضل، وكانت جنايته على الدين أعظم من جناية من طبب الناس كلهم على اختلاف بلادهم وعوائدهم وأزمنتهم وطبائعهم بما في كتاب واحد من كتب الطب"(٣٦٣).

ثانيًا: الانفصال بين الخطاب الدعوي وواقع المجتمع:

يجب على الداعية ألا يتعرض لمشكلات المجتمع ومتطلباته بالشكل الذي يجعل تلقي الناس له مقطوعًا عن الاستجابة والعمل، فالمجتمع لا يمكن أن يتفاعل مع ألوان الخطاب الدعوي حتى يشعر فيها بالطابع العملي التفاعلي، وحتى ترتبط بهمومه وطموحاته، وحتى يكون فيها العلاج لمشكلاته وأزماته؛ ولذلك لا ينبغي أن تظل المواعظ مجردة ومرفرفة في سماء الدعوة دون أن يكون لها دور فعال في تحريك الواقع أو التأثير فيه.

ثالثًا: سيطرة المذهبية الفكرية والفقهية على عقلية الداعية:

إنَّ صبغ الخطاب الدعوي بصبغة حزبية، قد تَضْطَّر المدعوِّين إلى التبكير باتخاذ موقف نفسي من طرح الداعية؛ مما يقلل من قناعتهم بما يقول، الأمر الذي يؤدي حتمًا إلى تخلف استجابتهم له؛ لأن الخطاب الدعوي قد تحول من

---

(٣٦٠) فتح الباري ١/٢٢٥.
(٣٦١) صحيح مسلم، ٥.
(٣٦٢) صحيح البخاري، ١٢٧.
(٣٦٣) إعلام الموقعين ٣/٦٦.

البلاغ العام بدعوة الإسلام، إلى بوق لنصرة القضايا الحزبية ومواقفه وآرائه الفقهية، وهذا المسلك يُضَيِّق عليهم ما وَسَّعه الدين، فتنفر منه فطرهم، وتأباه طباعهم، ومن ثم لا يتأثرون به؛ بل ربما يصبح بالنسبة لهم موضع تهمة.

رابعًا: الاختلاف الكثير بين الدعاة

كثرة الخلافات بين الدعاة في كثير من القضايا والأحكام يثير الاضطراب والارتباك لدى الجمهور؛ مما يؤدي إلى ما يشبه الفوضى الفكرية والفقهية، وهذا بلا شك يؤدي إلى نتائج سيئة، تبدأ من تأخر القناعات، وتنتهي بتخلف الاستجابة.

فلا بد من أن نضيق من دائرة الخلاف، ونخفف من حدته، ونجعله مقصورًا على الفروع دون الأصول، ونضطره – قدر الإمكان – إلى أن يكون محصورًا في دهاليز البحث العلمي وأروقة الدراسات الأكاديمية، ونَحُفُّهُ بكوكبة من آداب الاختلاف، ونجتهد في التماس الحق والتجرد له، بِغَضِّ النظر عن هوية قائله، وهذا يستلزم إخلاصًا شديدًا وتجردًا فريدًا.

أما أن نفرح بالخلاف أو نفتعله، ثم نصوغه في مساجلات ومناظرات، ثم ننشره في سماء الدعوة وفضاء الإعلام؛ فهذا هو الخطر الأسود الذي يرتدي ثيابًا بيضًا.

صحيح أن الداعية قد يَضْطَر إلى الرد والدفع، وذلك إذا ما كان هناك من يعبث بحقائق الدين عبثًا لا يصح السكوت عنه، ولكن ليكن هذا بقدر الضرورة، ولا يكونن ذريعة لتلبية داعي الهوى في النقد والتجريح والتهجم على الناس.

خامسًا: التركيز على قضايا غير معاصرة:

بعض الدعاة يركز على قضايا مما قد سبقت معالجتها في الماضي، ويترك ويتجاهل القضايا المعاصرة، وهو لون من ألوان الهروب من المواجهة، ولا يفعل هذا إلا من لا يتحمل المسئولية الدعوية، ومن يعيش الماضي ولا يكترث بالحاضر، ولا شك أن هذا تضييع لرسالة الإسلام في كلام غير مفيد.

إن السابقين يوم أن بالغوا في الاهتمام ببعض المسائل، كانت تلك المسائل يومها تمثل فتنة عصرهم وقضاياه الساخنة، ونحن أيضًا لدينا قضايا معاصرة تحتاج منا أن نتصدى لها ونعالجها بنفس الاهتمام الذي عالج به السابقون قضاياهم؛ مثل قضايا تطبيق الشريعة، والدفاع عن المسلمين المستضعفين، وتحرير الإنسان من الآلهة الجديدة التي استعبدته.

ولا يعني هذا ترك القضايا القديمة تركًا كليًّا، وإنما المقصود هو ألا تأسرنا وتستولي على اهتمامنا على حساب قضايا أكثر خطورة.

سادسًا: الغفلة عن طريقة القرآن الكريم في مخاطبة الخلق:

كثير من الدعاة يبني وعظه وإرشاده على طريقة واحدة كالترهيب والترغيب، ويغفل عن طريقة القرآن التي تتسم بالشمولية والعمق، فالقرآن هو كتاب الله الذي نَزَلَ لإسعاد البشرية وهدايتها، وهو خطاب من الله ﷻ الذي خلق الإنسان ويعلم أسراره وأحواله وما ينفعه وما يضره، ويعلم مداخل نفسه ومساربها، فلا شك أن طريقته في خطاب الناس ودعوتهم أسلم طريقة وأقربها لفطرتهم.

ولذلك ينبغي على الداعية أن يسترشد بطريقة القرآن، في مخاطبته للفطرة، وفي ربط الإنسان بالكون وما فيه من آيات، وفي طريقته في الإقناع، وفي جمعه بين مخاطبة العقل ومخاطبة المشاعر، وكذلك في بنائه على قاعدة الربوبية المتمثلة في الخلق والرزق والإنعام، وغير ذلك مما تميز به الأسلوب القرآني في الخطاب والإقناع.

سابعًا: قصر الخطاب الدعوي على المستقيمين:

في كثير من الأحيان يقتصر بعض الدعاة على الشباب المستقيم، القريب من الدعاة، والمتعاطف مع الإسلام بطبعه، وإغفال البقية ممن هم أحوج إلى ذلك الخطاب.

ولذلك نلاحظ أن الأسلوب المتَّبَع لا يتغير؛ لأن الفئة المستفيدة منه واحدة، وقد تصل رسالة خاطئة للدعاة من خلال ما يرونه من الحماس لدى من يستمعون إليهم، فيستمرون في نفس الاتجاه بنفس الأساليب والوسائل؛ لظنهم أن الدعوة تُؤْتِي أكلها بسبب ذلك الاستحسان المُلَاحَظ على وجوه المخاطبين، أو المسموع ثناءً من بعضهم، والنتيجة: جهود مهدرة، وشحن زائد دون منهج علمي يراعي التكامل والشمول في محتوى الخطاب الدعوي، وكذلك تداول محدود للمعرفة، والدعوة إلى الخير، وغياب الجزء الأكبر عن مَوَاطِنِ الإصلاح، وسُبُل الهداية.

ثامنًا: عدم وضوح الرؤية لدى الداعية:

من الملاحظ أن الخطاب الدعوي عند كثير من المتحمسين للدعوة خطابٌ لا يمكن توقع طريقه أو حساب مسلكه، فهو خطاب مُضْطَرِب، مرَّة يبشر ويتفاءل بشدة، وفجأة ينفِّر وَيُسَخِّط ويتشاءم، مرَّة يتحمس ويُقَوِّي، وأخرى يَضْعُفْ ويُحْبَط ويَنْهَزِم! ومرات كثيرة يحتار بماذا يَنْطِق!

وإن مرد ذلك كله إلى عدم وضوح الرؤية لدى الداعية؛ نتيجة بُعْدِهِ عن المنهج النبوي، ذلك المنهج المنضبط الواضح الذي يُكسِبُ أصحابه الاتزان، ويُجَنِّبُهم الحيرة فلا يتفاجؤون بتلاطم الأحداث ولا بكثرة النوازل، بل يستطيعون بفضل تعاليمه، التعامل مع المجريات بحكمة ودهاء.

تاسعًا: فقدان أو ضعف القدرات والمهارات الخطابية:

كالقدرة على الإقناع، وجذب الانتباه، والقدرة على التأثير وإثارة المشاعر، ومهارة تصريف القول بين وعظ وإقناع وسرد وتقرير وغير ذلك.

وعلاج هذه المشكلة يكون بدراسة تلك المهارات والتدريب عليها، وقراءة سير الناجحين فيها، مع الرجوع إلى بعض مصادر التربية وطرق التدريس وفن الخطابة، وأيضًا الاستماع بكثرة إلى أرباب هذا الفن، دون تقمص لشخصياتهم.

عاشرًا: الخضوع لضغط الواقع، والانسياق تحت سطوته:

الأمر الذي حدا بالبعض من الناس لأن يفسر الشرع في ضوء الواقع البشري المتقلب، ومن ثم فهو يخضعه لتقلباته، ويجعله تابعًا له، وهذه آفة معيبة وسوأة مشينة.

إن الشرع نزل ليصحح الواقع البشري، وإنه لجدير بالعلماء والدعاة أن يخضعوا الواقع للشرع، ويحددوا درجة انحرافه أو استقامته بمقاييس الشرع، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة: ٢١٣].

الفصل العاشر: قضايا منهجية متعلقة بفقه الدعوة

يتوجب على المشتغل بالدعوة إلى الله مراعاة شروطه وضوابطه.

فالداعية هو المبلغ عن حكم رب العباد لعباده، وهو المسؤول عما ينقله إليهم، وهو مطالب بأن يقتني جميع أدوات الدعوة؛ حتى يتحقَق له المقصود، وينال سعادة الدارين، فيسعد ويُسعد.

ومن أنواع فقه الدعوة الدقيقة، والتي لها ارتباط وثيق بالفقه الإسلامي: فقه المصلحة والمفسدة، وفقه النوازل، وفقه الأولويات، وفقه الموازنات، وفقه الواقع، وفقه المقاصد، وفقه السنن، وفقه المآلات، وفقه التدرج، وفقه الثوابت والمتغيرات.

سنحاول إن شاء الله إلقاء الضوء على هذه الأنواع من الفقه، كقضايا منهجية في فقه الدعوة، بما يلفت أنظار الدعاة، ويبين لهم ما لا يسعهم جهله في تلك المنهجيات.

المبحث الأول: فقه الثوابت والمتغيرات في العمل الدعوي

من القضايا المهمة التي يواجهها الداعية في طريق الدعوة إلى الله تعالى، ويقع فيها خلافات بين الدعاة: "**قضية الثوابت والمتغيرات في العمل الدعوي**".

لَمَّا عَظُمَ الانفتاح وكَثُرَت المتغيرات، وصارت قوية وسريعة، اضطرب كثير مِن الدعاة في التَّعامُلِ مَعَها؛ لقلة وجود مراجِع علمية متخصصة تجمع علماء الأمة الإسلامية، وتتكلم بهذه القضايا، وتُبْدِي رَأْيَها وتُبْدِي منهجها في معالجتها...، فكَثُرَ الاضطراب، وفُتِحَ البَاب لكثيرٍ مِمَّن يخوضون في هذا المجال من غير ذي شأن.

المطلب الأول: المقصود بالثوابت والمتغيرات

"**الثوابت يقصد بها**: النصوص القاطعة ومواضع الإجماع؛ التي لا يجوز الخروج عنها ولا المنازعة فيها، سواء كانت في العقيدة أم في الأخلاق، أم في الأحكام، وسواء كانت مقررة لغة أم شرعًا أم عقلًا، ويُعد الخارج عنها خارجًا عن جماعة المسلمين، ومتبعًا لغير سبيل المؤمنين.

وأما المتغيرات فهي: الأحكام التي تتغير حسب الزمان والمكان، وحسب الأشخاص والأحوال؛ لتحقيق المقاصد العامة للشريعة، ومبادئها الكلية، ومراعاة الظروف والمناسبات، ولا تخرج عن إطار الشريعة"(٣٦٤).

فالمتغيرات هي: موارد الاجتهاد التي لا يجوز التضييق فيها على المخالف؛ لكونها ظنية من حيث الدلالة أو الثبوت.

وأما الثانية فيسعنا فيها ما وسع سلفنا الصالح؛ بحيث يُدْلِي كل مجتهد بما عنده فيها من الحجج والبينات العلمية، مع بقاء المودة والألفة والأخوة.

وقد عبر شيخ الإسلام ابن تيمية عما سبق بقوله: "لفظ الشرع في هذه الأزمنة ثلاثة أقسام":

أحدها: الشرع المنزل، وهو الكتاب والسنة، واتباعه واجب.

والثاني: الشرع المؤول، وهو موارد النزاع والاجتهاد بين الأمة، فمن أخذ فيما يسوغ فيه الاجتهاد أقر عليه، ولم تجب على جميع الخلق موافقته إلا بحجة لا مرد لها من الكتاب والسنة"(٣٦٥).

وعلى هذا يتبين لدينا أن هذه المتغيرات تُضْبَطُ بضابطين:

أولًا: مصدرية الكتاب والسنة: وهذه دائمًا كالشمس والقَمَر فوق رؤوسنا لا يمكن أنْ نَتَخَلَّى عنهُمَا، فأي حكم أو قضِيَّة شرعية مَرَدُّهَا الكتاب والسُّنَّة.

الثاني: أنْ يكون الاجتهاد في مثل هذه المسْتَجَدَّات قائمًا على منهج صحيح، ألا وهو: منهج الأخذِ بالدليل، والترجيح بالمرجِّحَات الصحيحة، وليست الفوضى التي يراد فيها من كل قَول شاذٍّ أو غيره أنْ يتَحَول إلى حكم شرعي يُفْرَض على الأمة، ولو كان مخالفًا لدليل من كتاب أو سنَّة.

---

(٣٦٤) ينظر: الثوابت والمتغيرات في الشريعة الإسلامية، د. محمد الزحيلي، ص٧.

(٣٦٥) مجموع الفتاوى ٣٥/٣٩٥.

المطلب الثاني: ثوابت الإسلام

أولًا: مصدر التشريع أو التلقي:

إن دين الله ﷻ مصدره الأساس كتاب الله ﷻ، وسنة النبي ﷺ، ويلحق بهما ما أجمعت عليه الأمة.

وهذه قاعدة مهمة تتعلق بأي منهجية لمعالجة وضع من الأوضاع، فمهما وقع من متغيرات في كلام الناس أو اجتهاداتهم، فإن كتاب الله وسنة رسوله معلمان منيران يرجع إليهما الناس، وعلى هذا فلا يمكن لأحد أن يلغي هذين الأصلين الثابتين، ولا أن تكون فتوى العالم أو اجتهاده بديلًا عن الكتاب والسنة.

ولا يمكن لأحد أن يقول: هذا الحكم لا يصلح الآن؛ لأن فيه شدة في العلاقة مع الكفار.

ثانيًا: الأصول العقدية:

الأصول العقدية لا تتغير بتغير الزمان والمكان، هذه الأصول لها ثوابتها العظيمة في حياة الأمة؛ كتوحيد الله ﷻ في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته، وبالتالي فأي متغير ينقض هذه الثوابت، فالثابت حكم عليه، على سبيل المثال، ما خالف فيه المسلمون من إقامة الأضرحة، والتشييد على القبور وما شابه، فإنه يبقى محرمًا لا تزول حرمته بتغير زمان أو مكان، وإنما الذي يتغير هو طريقة التعامل معه، وكذلك الشهادتان ومقتضياتهما، وأركان الإيمان، وكل ما حرمه الله ورسوله تحريمًا قطعيًّا، ومثله كفر اليهود والنصارى، ووجوب الحكم بما أنزله الله ﷻ، ونحو ذلك.

فهذه كلها أصول ثابتة لا يغيرها مادية طَغَت، أو علمانية تفشت، أو أنظمة تغيرت، أو مؤتمرات أقيمت من أجل التقاء الحضارات، والمساواة بين الأديان.

ثالثًا: بعض الأحكام الشرعية:

بعض الناس يظن أن العقيدة ثابتة، والشريعة متغيرة، وهذا بلا شك خطأ؛ فالعقيدة ثابتة، والشريعة أيضًا ثابتة، والسؤال هنا: من أين جاءت هذه الشبهة؟

قيل إنها جاءت من خلاف العلماء، وذلك بقول بعضهم: "إن العقيدة لا تتغير كالإيمان بالله والملائكة، لكن الأحكام الشرعية تتغير مع تغير الزمان والمكان".

والجواب:

هذه المسألة يجب الوقوف عندها، ففي ظاهرها قد تكون صحيحة؛ لأن الأحكام الشرعية لم يزل العلماء يختلفون فيها، ومن ثم يكون اختلافهم دليل على صحتها لتغير الفتوى – كما يقولون – بتغير الزمان والمكان، لكن الصحيح أن الشريعة الإسلامية ثابتة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية: ١٨]، هذه الآية تدل على وجوب اتباع الشريعة الإسلامية، وهي ثابتة لثبوت دلائلها: الكتاب والسنة، وهما ثابتان لا يتغيران، ولهذا فإن أي تغير لا بد أن يدور حول محور الكتاب والسنة، أي: يصح أن الشريعة غير ثابتة لو كان فيها نسخ، وقطعًا لا يوجد بها نسخ بعد ختم الرسالة وكمالها بمحمد ﷺ.

وبالنظر إلى كلام العلماء منذ عهد الصحابة إلى يومنا هذا تجد أن فتاويهم تدور حول محور واحد، وهو: ثبات الشريعة، وعليه فإن أي قول أو أي فتوى تخالف الشريعة الإسلامية – أي تخالف نص الكتاب والسنة – فهي مرفوضة.

فإن قال قائل: ولكن العلماء يجتهدون، نقول: نعم يجتهدون، ولكن في إطار الكتاب والسنة، وهذه ينبغي أن يدركها طلبة العلم؛ لأن بعض الناس يخطئ فيها؛ ويظن أن الفتوى طالما تتغير بتغير الزمان والمكان أحيانًا؛ إذن فالشريعة قابلة للتغير، نقول: لا، غير قابلة للتغير لما سبق بيانه.

ولهذا لو جاء أحد ليقول لنا نحن في عصر تداخل فيه الاقتصاد العالمي وغيره، فينبغي ألا يكون الربا حرامًا، فإن هذا الكلام غير مقبول؛ لأن الربا محرم في الشريعة الإسلامية، ولا يتغير حكمه بتغير الزمان أو المكان، نعم قد يختلف العلماء في صورة معاملة مالية هل يقع فيها ربا، أم لا يقع؟ ولكن أن يتغير الحكم كله بتغير الزمان فإنه لا يمكن أن يكون.

ومن الأحكام أو الشعائر الثابتة أيضًا في الشريعة الإسلامية، ولا يمكن أن تتغير: الصلوات الخمس؛ نظرًا لأن أدلتها واضحة مهما اختلف العلماء في تفاصيل أحكام الصلاة إلا أنها ثابتة بركعاتها، وبأوقاتها إلى يوم القيامة، فلا يمكن تغيرها بتغير الزمان والمكان.

ومثلها الصيام، فهو شيء ثابت لا يمكن تغييره، ومثلها الحج، ومثلها الزكاة.

وكذلك: تحريم الخمر، وتحريم القذف، والأحكام الشرعية المتعلقة بالمواريث؛ كميراث الأم، والأخت، والجدة.

وبهذا يتبين لنا أن ثبات الشريعة الإسلامية إنما هو لثبات المصدر وقوته، وهو الكتاب والسنة.

وعلى هذا ينبغي على المسلمين أن يحذروا من المتربصين بهم وبدينهم، ممن يريدونهم أن يميلوا ميلًا عظيمًا، ويحرفون الكلم عن مواضعه، من بني علمان وغيرهم، وذلك بطرح قضايا ما أنزل الله بها من سلطان، وإثارتها ليل نهار وبقوة في شاشات المسلمين وقنواتهم؛ مثل: قضية تجديد الخطاب الديني، وقضية فصل الدين عن الدولة، ونحو ذلك؛ من أجل تحقيق العلمانية الجاهلية، التي تريد هدم الإسلام وفصله عن كل مناحي الحياة.

وهكذا يتضح للداعية خطورة مسألة الثوابت والمتغيرات، وأهمية الإلمام بها، وما يتطرق له الاجتهاد وما لا يتطرق له، وأن يجتمعوا على هذه الثوابت ولا يتفرقوا على المتغيرات.

المبحث الثاني: فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد

من القضايا المهمة التي يحتاج الداعية أن يلم بها قضية فقه الموازنات بين المصالح والمفاسد؛ حيث إنها منهج من مناهج الدعوة إلى الله تعالى.

ونبرز ذلك من خلال(٣٦٦):

مقدمات حول فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد

المطلب الأول: مفهوم الموازنات

فالموازنة لغة: المعادلة، والمقابلة، والمحاذاة، يقال: وازنه، أي: عادله وقابله وحاذاه(٣٦٧).

واصطلاحًا: تَعارض المصلحتين، وترجيح أحدهما(٣٦٨).

مفهوم فقه الموازنات بين المصالح والمفاسد مركبًا:

فقه الموازنات بمعناه اللقبي عبارة عن: "ترجيح خيرِ الخَيْرَيْنِ وشر الشرين، وتحصيل أعظم المصلحتين لتفويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما"(٣٦٩).

أي: "الترجيح بين المتعارضات التي لا يمكن فيها فعل أكبر المصلحتين إلا بترك الصغرى، أو التي لا يمكن فيها درء أعظم المفسدتين إلا بفعل الأخرى، أو التي لا يمكن فيها تجنب المفاسد إلا بترك المصالح، أو التي لا يمكن فيها تحقيق المصالح إلا بتحمُّل المفاسد"(٣٧٠).

وفي هذا يقول الإمام الشاطبي: "... فالمصالح والمفاسد الراجعة إلى الدنيا إنما تُفْهَم على مقتضى ما غَلَب، فإذا كان الغالب جهة المصلحة، فهي المصلحة المفهومة عرفًا، وإذا غَلَبَتْ الجهة الأخرى، فهي المفسدة المفهومة عرفًا؛ ولذلك كان الفعل ذو الوجهين منسوبًا إلى الجهة الراجحة، فإذا رَجَحَتْ المصلحة فمطلوب، ويقال فيه: إنه مصلحة، وإذا غَلَبَتْ جهة المفسدة، فَمَهْرُوبٌ عنه، ويقال: إنه مفسدة"(٣٧١).

المطلب الثاني: دلالة إضافة الفقه للموازنات

"فقه الموازنات يستلزم فهمًا دقيقًا، وفطنة، وحذقًا، وهذا المعنى هو الأنسب لمصطلح الموازنات، فإن الموازنة بين مصلحتين أو بين مفسدتين، أو بين مصلحة ومفسدة تستلزم فهمًا دقيقًا، يُرَاعَى فيه: فهم مقاصد الشريعة وأصولها الكلية، ومعرفة مواضع الاختلاف، ومدارك العلماء في استنباطاتهم، ومعرفة الواقع والفقه فيه، ومعرفة أسرار الشريعة وعِلَلِهَا، وربط بعضها ببعض، ورد فروعها إلى أصولها، وجزئياتها إلى كلياتها، فإن للشارع أهدافًا في كل ما شرعه أمرًا أو نهيًا أو إباحة، فلم يشرع شيئًا تحكمًا، بل شرعه لحكمة تليق بكماله تعالى، وعلمه ورحمته وبره بخلقه"(٣٧٢)(٣٧٣).

---

(٣٦٦)هذا العلم له تفريعات كثيرة جدًا ومسائل دقيقة... فلا بد للدعاة من دراسته دارسة متأنية على يد علماء راسخين، مع الاطلاع على كتب المتقدمين والمعاصرين؛ حتى تتكون لديهم نظرة واعية وبصيرة ثاقبة في مسيرتهم الدعوية... ونحن هنا فقط سنبين بعض المعالم الأساسية؛ إثارة للموضوع وليست دراسة متكاملة.

وقد تكلم في هذا العلم العلماء المتقدمون كالعز بن عبد السلام في قواعد الأحكام، وابن تيمية في الفتاوى، والشاطبي في الموافقات، وللمتأخرين بحوث كثيرة يمكن الاستفادة منها؛ من ذلك: بحوث مؤتمر فقه الموازنات ودوره في الحياة المعاصرة، المنعقد في الفترة ٢٧-٢٩ شوال ١٤٣٤هـ، بتنظيم كلية الشريعة بجامعة أم القرى، وكتاب: فقه الموازنات بين النظرية والتطبيق، ناجي إبراهيم السويد، وكتاب فقه الموازنات الدعوية د. معاذ البيانوني، وفقه الموازنات بين النظرية والتطبيق، ناجي السويد، وقد كتب د. عبد الله الكمالي ثلاثة كتب في فقه الموازنات؛ وهي: فقه الموازنات بين المصالح الشرعية، ومقاصد الشريعة في ضوء فقه الموازنات، وتأصيل فقه الموازنات.

(٣٦٧) القاموس المحيط للفيروزآبادي.

(٣٦٨) ينظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام، ص٤٨، ومجموع الفتاوى ٢٠/٤٨.

(٣٦٩) مجموع الفتاوى٢٠/٤٨.

(٣٧٠) مفهوم فقه الموازنات وأدلته، د. محمود حامد عثمان، ص٨.

(٣٧١) الموافقات ٢/٢٠-٢١.

(٣٧٢) المنثور في القواعد، الزركشي ١/٦٩ باختصار يسير.

المبحث الثالث: شمولية مفهوم الدعوة

مما ذكرنا في المباحث السابقة يتبين شمولية مفهوم الدعوة إلى الله تعالى، ليشمل جميع الوسائل والمخاطبين والمضمون الدعوي، وبيان ذلك في النقاط التالية [٣٧٤]:

المطلب الأول: شمولية في الوسيلة، والأسلوب، والمرحلية:

فقد ظهر من مفاهيم الدعوة شمولية مفهوم الدعوة لمهام الداعية، فقد جاء من مرادفات مصطلح الدعوة في القرآن والسنة: البيان، والتذكير، والتعليم، والإصلاح، والنصيحة، والدلالة على الخير، والتواصي، والبشارة والنذارة، والتعاون على البر والتقوى، والإرشاد، والوعظ.

واشتمل كذلك مصطلحات خاصة بأسلوب الأداء؛ مثل: البلاغ، والتلاوة، والإسماع، والإيصال، والإنباء، والقول، والعَرض، والإعلام، والصدع، والنداء، والأداء.

وكذلك اشتمل على مفاهيم تخص مراحل الدعوة وتخصص الدعاة؛ مثل: التعريف بالإسلام، والتعليم للإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحسبة، والتربية الإسلامية والتزكية، والتوعية.

المطلب الثاني: شمولية في المضمون الدعوي:

إذا تأملنا في الكتاب والسنة، فسنجد أن النصوص العديدة في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله ﷺ قد أحاطت بمتطلبات الإنسان في هذه الحياة، واحتوت على الحلول لكل مشكلة من مشكلات الحياة البسيطة والمعقدة؛ ليجد الإنسان في أي موقع من الأرض، وبأي زمن من الأزمنة الحل لكل ما يعترضه، والبرهان القاطع على أن هذه الدعوة هي دعوة شاملة لكل أطياف الخلق، ومُسْتَوْعِبَة لكل أحوالهم.

– يقول الشيخ بن باز ﷺ: "فدِين الله ﷻ دين شامل، يشمل مصالح العباد في المعاش والمعاد، ويشمل كل ما يحتاج إليه الناس في أمر دينهم، ويدعو إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، وينهى عن سفاسف الأخلاق وعن سيئ الأعمال، فهو عبادة وقيادة، يكون عابدًا ويكون قائدًا للجيش، وعبادة وحُكمٌ، يكون عابدًا مصليًا صائمًا، ويكون حاكمًا بشرع الله مُنَفِّذًا لأحكامه ﷻ، وهو سياسة واجتماع؛ فهو يدعو إلى الأخلاق الفاضلة والأُخُوَّة الإيمانية، والجمع بين المسلمين والتأليف بينهم، وهو أيضًا يدعو إلى أداء الأمانة والحكم بالشريعة، وترك الحكم بغير ما أنزل الله، وهو أيضًا سياسة واقتصاد، فكما أنه سياسة وعبادة وجهاد، فهو يدعو إلى الاقتصاد الشرعي المتوسط، والإسلام أيضًا يدعو إلى الأخوة الإيمانية، وإلى النصح لله ولعباده، وإلى احترام المسلم لأخيه، لا غِلٌّ ولا حسد ولا غش ولا خيانة، ولا غير ذلك من الأخلاق الذميمة، والخلاصة: أن الواجب على الداعية الإسلامي أن يدعو إلى الإسلام كله"[٣٧٥].

المطلب الثالث: شمولية للمخاطبين

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ: ٢٨].

فهي دعوة للعالم أجمع؛ إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، عظيمهم ووضيعهم، فلكلٍّ مَكَانٌ في منهج الدعوة إلى الله

---

(٣٧٣) موسوعة دليل الداعية، قضايا منهجية في الدعوة إلى الله، ١٩١، أ. د. محمد العواجي، المدينة المنورة ١٤٤٤هـ.

(٣٧٤) سيأتي الحديث بتوسع عن شمولية الدعوة عند الحديث عن شمولية الإسلام.

(٣٧٥) مجموعة فتاوى ابن باز ١٤٧/١ باختصار.

تعالى، ولكلٍ أسلوبه الدعوي الخاص والمناسب له، فهو منهج دعوي ينفذ للعقول المختلفة، يجد فيه كل شخص الجواب الشافي لما يتساءل عنه، سواء في الجانب الروحي الإيماني الغيبي، أو في الجانب الحياتي الدنيوي.

المبحث الرابع: الدعوة إلى الله بين السرية والجهرية

الأصل في الدعوة إلى الله هو الجهر والعلانية؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ [الحجر: ٩٤]؛ ولأنها دعوة إلى عموم الخلق، فقد أرسل الله رسوله ﷺ رحمة للعالمين، وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف: ١٥٨]

وعموم الدعوة يقتضي عموم البلاغ والبيان، وذلك يتنافى مع السرية، إلا أن الدعوة قد تمر عليها أحوال، وتتعاقب عليها محن تُلْجِئُ القائمين عليها إلى السرية، وهم في ذلك ليسوا مبتدعين ولا مفرطين، وإنما يأخذون الأمور بوسطية وبمنهجية سليمة بعيدًا عن الإفراط والتفريط، ويتبين ذلك في النقاط التالية:

المطلب الأول: تأصيل السرية في الدعوة إلى الله

- دعوة نوح عليه السلام:

من الناحية التاريخية، فقد كانت السرية مرحلة أساسية في تاريخ الدعوة منذ بدايتها؛ فهذا نوح عليه السلام أول رسول لأهل الأرض، يقول ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا ٩﴾ [نوح: ٨-٩].

- دعوة موسى عليه السلام:

وفي دعوة موسى عليه السلام؛ نشأت ضرورة السرية منذ اللحظة التي ولد فيها، ففرعون كان يذبح أبناء بني إسرائيل، وموسى قد ولد في تلك الظروف، فكان لا بد من حمايته، فهو أحد أبناء بني إسرائيل الذين يُذَبَّحُونَ، فَدَبَّرَ الله سبحانه وتعالى أمر حمايته، والتي بدأت بوحيه - جلَّ جلاله - إلى أمه: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧﴾ [القصص: ٧].

والتقييم لهذه العملية يُبْرِزُ الدقة المتناهية التي تمت بها، فقد أمر الله سبحانه وتعالى اليَمَّ بالمشاركة في التنفيذ حتى تنقطع كل الخيوط التي قد يتوصل بها آل فرعون إلى معرفة المكان الذي جاء منه موسى ومعرفة حقيقته، ثم كانت المتابعة سرًّا لموقف موسى بواسطة أخته، ﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١١﴾ [القصص: ١١]، ثم جاء أمر الله بتحريم المراضع كلها عليه؛ كي تتمكن أمه من إرضاعه بعد ذلك؛ حيث تكلمت أخت موسى مع آل فرعون دون أن تخبرهم طبعًا أنها أخته، وأن البيت المقصود هو بيته، ليعود موسى آمنًا إلى أمه بعد عملية دقيقة، يقول الله تعالى: ﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ لَكُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ١٢﴾ [القصص: ١٢].

لقد بلغ الأمر أن يُسَلَّم موسى إلى آل فرعون ليتحقق له النجاة منهم، وقد كان هذا تأكيدًا لأهمية السرية في حماية موسى بواقعه الفردي.

وأما عن أهمية السرية في حماية واقع الدعوة، فتكشف لنا آيات القرآن عن وجود عمل دعوي سري دقيق في دعوة موسى، ومن ذلك إيمان رجل من آل فرعون: ﴿وَقَالَ رَجُلٞ مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨﴾ [غافر: ٢٨]، فقد كان الرجل من آل فرعون، استطاع أن يكتم إيمانه؛ مما يدل على أصالة هذا الإنسان وقوة هذا التنظيم.

ويزداد قرب الآيات القرآنية من واقع فرعون؛ لتكشف لنا إيمان زوجة فرعون نفسه، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١﴾ [التحريم: ١١]، هكذا آمنت دون أن يدري فرعون، رغم ما في العلاقة الزوجية من خطورة على الأسرار إذ إنها علاقة إفضاء بالمشاعر والأفكار.

ولنا أن نؤكد دقة وقوة هذا التنظيم الذي كان في عهد موسى من خلال امتداده سرًّا إلى آل فرعون وامرأة فرعون، ومن خلال التوقيت الذي كشف فيه الرجل المؤمن عن إيمانه، إذ إنه كان الوقت الذي تقرر فيه قتل موسى(٣٧٦).

- دعوة النبي ﷺ:

كانت دعوة النبي ﷺ في أول مراحلها سرية، فقد ذكر ابن كثير عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: "ما زال النبي ﷺ مستخفيًا حتى نزلت ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، فخرج هو وأصحابه"(٣٧٧).

وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن عبسة قال: أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة، وهو حينئذ مستخفٍ. فقلت: ما أنت؟ قال: "أنا نبي"، فمن معك على هذا؟ قال: "حرٌّ وعبد"، قال: ومعه يومئذٍ أبو بكر وبلال ممن آمن معه، فقلت: إني مُتبِعك. قال: "إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا، ألا ترى حالي وحال الناس! ولكن ارجع إلى أهلك، فإذا سمعت بي قد ظهرتُ فأتني"(٣٧٨).

وقال النبي ﷺ لأبي ذر ﷺ: "اكتم هذا الأمر، وارجع إلى قومك فأخبرهم، فإذا بلغك ظهورنا فأقبل"(٣٧٩).

وقال ابن إسحاق: "وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه"(٣٨٠).

وقال: "وكان أصحاب رسول الله ﷺ إذا صلوا ذهبوا في الشعاب، فاستخفوا بصلاتهم من قومهم، فبينا سعد بن أبي وقاص ﷺ في نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في شِعب من شعاب مكة، إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون، فناكروهم، وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلًا من المشركين بِلَحْي بعير، فشجَّه، فكان أول دم أريق في الإسلام"(٣٨١).

واستمر النبي ﷺ في دعوته السرية، يستقطب عددًا من الأتباع والأنصار من أقاربه وأصدقائه بعد إقناعهم بالإسلام، وهؤلاء كانوا نعم العون والسند للرسول ﷺ في توسيع دائرة الدعوة في نطاق من السرية التامة، وهذه المرحلة من حياة النبي ومن آمن معه كانت صعبة وشاقة عليهم، فهم لا يخاطبون إلا من يأمنون شره، ويثقون به، وهذا يعني أن الدعوة كانت خطواتها بطيئة وحَذِرَة(٣٨٢).

قال ابن إسحاق: وكان أبو بكر رجلًا مَأْلَفًا لقومه، مُحَبَّبًا سهلًا، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلًا تاجرًا، ذا خلق ومعروفًا، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر؛

---

(٣٧٦) قصة أصحاب الأخدود، رفاعي سرور، ص٢٥، ٢٦ باختصار.
(٣٧٧) تفسير القرآن العظيم ٤/٤٧٣.
(٣٧٨) صحيح مسلم، ٨٣٢.
(٣٧٩) إمتاع الأسماع ٤/٣٧٢، فتح الباري ٧/١٧٥.
(٣٨٠) السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٦٢.
(٣٨١) المصدر السابق ١/٢٦٣.
(٣٨٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، على محمد الصلابي ١/٨٦ وما بعدها باختصار وتصرف.

لعلمه وتجارته وحسن مجالسته، فجعل يدعو إلى الله وإلى الإسلام من وثق به من قومه، ممن يغشاه ويجلس إليه"(٣٨٣).

المطلب الثاني: بين السرية وأخذ الحيطة والحذر

أولًا: السرية في الدعوة منهجية استثنائية:

من خلال دعوة النبي ﷺ، تبين أن السرية في الدعوة إلى الله كانت وضعًا استثنائيًّا في ظروف معينة، ولها أحكام محددة، يمكن إجمالها في النقاط التالية:

١- التريث ريثما تتكون لَبِناتٌ قويةُ الْمَزْجِ، شديدةُ التماسك في جو بعيد عن إثارة المعوقات في طريق سير الدعوة؛ لأن هذه اللَّبِنَاتِ هي القوة الدافعة التي سيعتمد عليها بناء المجتمع الإيماني الجديد في مواجهة قوى الظلم والبغي المتربصة بهذا الدين في صبرٍ لا يعرف الوهن، وجهاد لا يعرف اليأس.

٢- نهج المسالمة المؤقتة في البداية؛ لأن مهاجمة هذا المجتمع الغارق في شروره، ومواجهته بضلاله، يؤذن بتحريك دوافع المقاومة للدعوة في نفوس المستكبرين، والدعوة لا تزال في أولى خطواتها، فتتعثر في سيرها، وهي لا تزال وليدة غضة.

٣- آثر النبي ﷺ الاسْتِسْرَارَ بدعوته وتبليغ رسالته؛ حرصًا منه أن يكون سيرها مُطَّرِدًا وئيدًا هادئًا، تسير إلى القلوب بخُطى ثابتة؛ حتى تتمكن من الإعلان عن نفسها في الوقت المناسب(٣٨٤)، بعد أن يؤمن بها عدد من الناس يُضَحُّونَ في سبيلها بالغالي والنفيس؛ مما يضمن استمرارها وبقاءها.

٤- إتاحة الفرصة للدعوة حتى تصل إلى مسامع العرب في مواسمهم ومحافلهم وأسواقهم ومضارب منازلهم، فآتت هذه الخطوة أُكُلها؛ حيث أقبل إلى مكة فريق منهم، يتحسس أخبارها، ويتعرف مكانها في خفيةٍ وحذر، حتى إذا بلغوا مأمنها في مقرها (دار الأرقم) أسلموا لله تعالى، واتبعوا رسوله ﷺ، واهتدوا بهديه، وآمنوا بما جاء به من الحق"(٣٨٥).

٥- لقد كانت الدعوة – في بدايتها – تواجه تحديات كثيرة، هذه التحديات كانت تحتاج إلى استعداد وتدريب لأفراد يقومون بحمل راية الدين وتبليغ دعوة الإسلام، وبالتالي كان لا بد من الحفاظ عليهم، وعدم تعريضهم للبلاء حتى يتعلموا ويتربوا على ما يُثَبِّتُهُم ويعينهم؛ ولذلك كانت مرحلة الدعوة السرية مرحلة بناء وتربية، لا اختفاء جبنٍ وهروب.

ثانيًا: أخذ الحيطة والحذر منهجية دعوية:

هذا الأمر من المنهجيات المهمة الأصيلة في الدعوة، بَيَّنَه الله في القرآن بقوله: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾﴾ [النساء: ٧١].

قال ابن كثير: "يأمر الله عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم"(٣٨٦).

وقال الشيخ السعدي: "يأمر تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعدائهم الكافرين. وهذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب، التي بها يستعان على قتالهم، وَيُسْتَدْفَعُ مكرُهم وقوتهم"(٣٨٧).

---

(٣٨٣) السيرة النبوية، ابن هشام ١/٢٥٠.

(٣٨٤) محمد رسول الله، محمد صادق عرجون، ١/٦٠٥.

(٣٨٥) الحكمة من الدعوة السرية، د: محمد أمحزون، مقال منشور على موقع قصة الإسلام.

(٣٨٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٢/٣٥٧.

(٣٨٧) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص١٨٦.

ومن هنا كان لا بد للدعاة، ولمن يقوم على الدعوة أن يحصنوا أنفسهم والمدعوين من المخاطر التي قد يتعرضوا لها بدنيًّا ودينيًّا، وقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في رعايته لأصحابه واهتمامه بهم في هذه الناحية، ونأخذ في ذلك نموذجين:

النموذج الأول: أخذ الحيطة والحذر في دار الأرقم:

عندما أراد النبي ﷺ أن يختار مكانًا آمنًا للدعوة يجتمع فيه مع أصحابه يعلمهم ويزكيهم، وقع الاختيار على دار الأرقم بن أبي الأرقم، وتم اختيار هذا المكان بعناية شديدة، وبإلهام رباني تجلى فيه جانب أخذ الحيطة والحذر حفاظًا على الدعوة والمدعوين، وكان اختيار دار الأرقم لعدة أسباب؛ منها:

١- أن الأرقم لم يكن معروفًا بإسلامه، فما كان يخطر ببال أحد أن يتم لقاء محمد ﷺ وأصحابه بداره.

٢- أن الأرقم بن الأرقم ﷺ من بني مخزوم، وقبيلة بني مخزوم هي التي تحمل لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم، فلو كان الأرقم معروفًا بإسلامه فلا يخطر في البال أن يكون اللقاء في داره؛ لأن هذا يعني أنه يتم في قلب صفوف العدو.

٣- أن الأرقم بن أبي الأرقم كان فتى يبلغ حوالي السادسة عشرة من عمره، وفي اليوم الذي يفكر فيه صناديد قريش في البحث عن مركز التجمع الإسلامي، لن يخطر بِبَالِهِم البحث في بيوت الفتيان الصغار من أصحاب محمد ﷺ، وإنما "قد يخطر على ذهنهم أن يكون مكان التجمع على الأغلب في دور بني هاشم، أو في بيت أبي بكر ﷺ أو غيره، ومن أجل هذا نجد أن اختيار هذا البيت كان في غاية الحكمة من الناحية الأمنية، ولم نسمع أبدًا أن قريشًا داهمت ذات يوم هذا المركز وكشفت مكان اللقاء[٣٨٨].

النموذج الثاني: أخذ الحيطة والحذر في هجرته ﷺ للمدينة:

إن من يتأمل حادثة الهجرة؛ يرى دقة التخطيط فيها، ودقة الأخذ بالأسباب من ابتدائها إلى انتهائها، ويدرك مدى عناية إمام الدعاة ﷺ بأخذ الحيطة والحذر، وعلو حسه ووعيه الأمني، ولقد ظهر ذلك في كثير من المواقف، على سبيل المثال[٣٨٩]:

١- جاء ﷺ إلى بيت أبي بكر في وقتٍ شديد الحر - الوقت الذي لا يخرج فيه أحد - حتى لا يراه أحد.

٢- أمر ﷺ أبا بكر أن يُخرِج مَنْ عنده، ولما تكلم لم يُبَيِّن إلا الأمر بالهجرة دون تحديد الاتجاه.

٣- إخفاء شخصيته ﷺ أثناء مجيئه للصِّدِّيق، فقد جاء إليه متلثمًا؛ لأن التلثم يقلل من إمكانية التعرف على معالم الوجه[٣٩٠].

٤- كان الخروج ليلًا، ومن باب خلفي في بيت أبي بكر[٣٩١].

٥- بلغ الاحتياط مداه، باتخاذ طرق غير مألوفة للقوم، والاستعانة بذلك بخبير يعرف مسالك البادية، ومسارب الصحراء، ولو كان ذلك الخبير مشركًا ما دام على خلق ورزانة[٣٩٢].

---

(٣٨٨) ينظر: المنهج الحركي، الغضبان ١/٤٩.

(٣٨٩) ينظر: أحداث الهجرة والروايات الخاصة بها في سيرة ابن هشام، وسيرة ابن كثير.

(٣٩٠) ينظر: في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية، إبراهيم على محمد، ص١٤١.

(٣٩١) ينظر: معين السيرة، صالح الشامي، ص١٤٧.

(٣٩٢) ينظر: الهجرة في القرآن الكريم، أحزمي سامعون، ص٣٦١.

٦- انتقاء شخصيات عاقلة لتقوم بالمعاونة في شأن الهجرة، ويُلاحَظُ أن هذه الشخصيات كلها تترابط برباط القرابة، أو برباط العمل الواحد؛ مما يجعل من هؤلاء الأفراد وحدة متعاونة على تحقيق الهدف الكبير.

٧- فكرة نوم علي بن أبي طالب مكان رسول الله ﷺ فكرة ناجحة، قد ضللت القوم وخدعتهم، وصرفتهم عنه ﷺ.

٨- عامر بن فهيرة، الراعي البسيط الذي قدَّم اللحم واللبن إلى صاحبي الغار، وبدد آثار أقدام المسيرة التاريخية بأغنامه؛ كي لا يتفرَّسها القوم(٣٩٣).

(٣٩٣) ينظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، على محمد الصلابي ١/٢٨٠- ٢٨١، وأضواء على الهجرة، توفيق محمد، ص٣٩٣ - ٣٩٧.

المطلب الثالث: قواعد منهجية في السرية في الدعوة

من خلال موقف رسول الله ﷺ عند بدء الدعوة بسرية، يمكن أن نخرج بمجموعة من القواعد المنهجية المهمَّة في هذا الأمر؛ وهي:

أولًا: "التحذير من قضايا التأويل والسرية والباطنية في الفكر الإسلامي والعمل الإسلامي، والتأكيد على أن الإسلام دين كامل واضح، وكل مبادئه وأفكاره علنية، وأنه لا سر فيه، ولا إضافة عليه، ولأن الإنسان يعلن ما يعتز به، فإن علانية العقائد هي بمثابة قوَّة له.

ثانيًا: التأكيد على أن الناس يستجيبون بفطرتهم للدعوات الواضحة العلنية المفهومة السوية، وينفرون بفطرتهم من الأفكار المبهمة السرية المائعة المشوَّهة.

ثالثًا: الانتباه لأخطاء الدعوة السرية، فهي تضر بأصحابها أكثر مما تضرُّ بأعدائها، كما أن سريتها تجعلها تتفاقم لأنها في الظلام فلا تُرى، خلافًا لأخطاء العلن التي يمكن تداركها لأنها في النور"[٣٩٤].

رابعًا: "على الدعوة أن تكون مفتوحة على الناس كلما سمحت الظروف المحيطة بذلك، وليس للعمل السري أفضلية أو قدسية إذا ما سُمحَ بالعمل المعلن، واعتبار العمل العلني هو القاعدة الأساسية، ومن ثم لا يتم اللجوء إلى العمل السري إلا استثناءً وفي أضيق الحدود، وحينئذ تُطَبَّقُ عليه قاعدة الضرورات تُقَدَّرُ بِقَدَرِهَا، أو أن الضرورات تبيح المحظورات؛ وبالتالي لا بد من النظر إلى السرية والعلنية في الدعوة على أنها قضية تنظيمية بحتة، ولكلا الأسلوبين أصل في الإسلام، والظروف والمعطيات الواقعية هي التي تحدد مدى صلاحية أحدهما للحركة على المدى البعيد"[٣٩٥].

خامسًا: فكرة السرية في منهج الدعوة لا بد أن تكون هادفة إلى أن يُعْطِي الدعاة أنفسهم فرصة تجميع الطاقات وحشد الإمكانيات، ولا يصح أن تصير غاية ووسيلة مستمرة.

وبهذا تكون السريةُ من الناحية العملية ضرورةً تُنْشِؤُهَا ظروف الدعوة، وتتحدد ضرورتها بمنهجية الفكر وواقعية الأسلوب الشجاع"[٣٩٦].

سادسًا: الدعاة مطالبون بالحفاظ على أنفسهم وعلى جماعتهم، لا لخوفهم من الموت، ولكن حفاظًا على الدين، وعلى استمرار المسيرة.

سابعًا: من عوامل نهوض الأمة أن ينشأ الوعي بفقه المرحلة، وما تحتاجه من إمكانات ورجال، وكذلك ما يحتاجه الرجال من تربية وتعليم وتثبيت.

ثامنًا: "لا شك أن تقدير الحاجة إلى السرية من موارد الاجتهاد، ومسائل السياسة الشرعية، التي تختلف فيها الفتوى باختلاف الزمان والمكان والأحوال"[٣٩٧].

---

(٣٩٤) ميثاق الشرف الدعوي، د. هشام الطالب، ص٣٩.

(٣٩٥) دليل التدريب القيادي، د. هشام الطالب، ص١٠.

(٣٩٦) قصة أصحاب الأخدود، رفاعي سرور، ص٢٤.

(٣٩٧) الثوابت والمتغيرات، د. صلاح الصاوي، ص٣٢٦.

تاسعًا: الأمر في قضية السرية في الدعوة راجع إلى علو الدين وظهوره، فإن كان كذلك تحتم أن تكون الدعوة جهرية، وَعَمِلَ المسلمون بآيات التمكين، وأما إن كان الأمر على خلاف ذلك فليعمل المسلمون بآيات الصبر، ويدعون سرًّا بحسب الحال.

قال شيخ الإسلام: "فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف، أو في وقت هو فيه مستضعف؛ فليعمل بآية الصبر والصفح عمن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون"(٣٩٨).

عاشرًا: وإذا تقرر أن الحاجة إلى الدعوة السرية تختلف باختلاف الزمان والمكان والأحوال؛ فإنه قد تُلْجِئُ الحاجة أن تكون الدعوة إلى الإسلام وتعليم الناس مبادءه من أولها لآخرها سرية، ويختص بذلك من يُوثَقُ به، كما فعل أبو بكر ﷺ في أول الأمر.

الحادي عشر: قد يكون الإسلام في ظهور نسبيًّا؛ بحيث تكون بعض شعائره ظاهرة، وبعضها الآخر غير ظاهرة، ويحتاج أهل الدعوة إلى المداراة في بعضه، فينبغي على الداعية حينئذ أن يختص من يثق به بالدعوة السرية لهذه الشعائر التي لا يستطيع هو أن يجهر بها علنًا(٣٩٩).

الثاني عشر: الحذر من انْدِرَاسِ معالم الدين بحجة السرية في الدعوة؛ فإنه إذا طالت، انتقلت إلى الأجيال التالية، وربما تنشأ أجيال تنكر إظهار الدعوة والشعائر الدينية؛ لأنها لم تسمع عنها من أسلافهم، فتظن أنها ليست من الإسلام، أو تفهمها على غير مراد الله ورسوله ﷺ.

الثالث عشر: "أنه في بعض الأحيان يمكن التداخل بين الدعوة السرية والدعوة العلنية؛ كما تفيد رواية إسلام أبي ذر ﷺ.

فهذا علي ﷺ يتخذ تدابير اليقظة والحذر، وهو يمهد الطريق لإدخال أبي ذر على النبي ﷺ، ولَمّا قابله ﷺ، واستمع إلى قوله فأسلم، قال له: "ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري"(٤٠٠)، فقال: والذي نفسي بيده، لأصرخَنَّ بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد، فأعلن إسلامه أمام الملأ من قريش، إذ نادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

وهذا يفيد أنه ليس لكل مرحلة من المرحلتين – السرية، والعلنية – معالمها المحددة، وإنما قد تواكب إحداهما الأخرى تبعًا لما تقتضيه مصلحة الدعوة الناشئة"(٤٠١).

---

(٣٩٨) الصارم المسلول، ابن تيمية، ص٢٢١.

(٣٩٩) ينظر: الثوابت والمتغيرات، د. صلاح الصاوي، ص٣٢٩.

(٤٠٠) صحيح البخاري، ٣٨٦١، ومسلم ٢٤٧٤.

(٤٠١) الحكمة من الدعوة السرية، د: محمد أمحزون، مقال منشور على موقع قصة الإسلام.

الظهور بشجاعة، ونبرة صوت واثقة، فلا تميع ولا مداهنة

لا أحد يحب ويحترم ذاك الخائف الجبان الذي لا يثق بقدراته؛ لذلك على المعرفين بالإسلام أن يظهروا شجاعة مع حكمة، وأن يعتزوا بدعوتهم ومنهجهم، وألا يداهنوا فيها خوفًا من عدم قبول الناس لها؛ لأنها دعوة الحق، وسبيل الأنبياء والأتقياء.

وعليهم أيضًا أن يتمايزوا عن أهل الباطل من أهل الشرك والكفر والبدع، مع الاستمرار في السعي إلى هدايتهم، من غير تضييع لثوابت الدين، أو تمييعه ليوافق أهواءهم ومصالحهم، رغبة في إيمانهم.

فهذه المفاصلة، بهذا الوضوح ضرورية للداعية، وضرورية للمدعوين؛ حتى يكون الحق واضحًا وضوح الشمس لا يشوبه شائبة، وحجةً دامغة لا لبس فيها على أهل الشقاق والكفر(٤٠٢).

(٤٠٢) بتصرف: موسوعة دليل الداعية، قضايا منهجية في الدعوة إلى الله، ص١٩٣، أ. د. محمد العواجي، المدينة المنورة ١٤٤٤هـ.

المبحث الخامس: فقه التدرج في الدعوة إلى الله

من قُوَى الإسلام الدافعة، ومن سننه الباعثة على قبوله وبقائه سنة التدرج؛ وهي سنة ربانية في كل شيء؛ في الخلق والتكوين، وفي التربية والإعداد، وفي الدعوة والتشريع، وهي في ذلك تنسجم مع فطرة الإنسان.

كما أن البلوغ إلى التمام، وتحقيق الكمال لا يكون بجرة قلم، ولا بالطفرة؛ وإنما يكون خطوة خطوة، إذ لا بدَّ من التهيئة والبدء بالأهم والأساس(٤٠٣).

إذن، فالدعوة إلى الله تعالى مبنية ومؤسَّسة على سنة التدرج والمرحلية(٤٠٤).

والتدرج في الدعوة يعني: "عدم تناول الأمور دفعة واحدة"(٤٠٥)، وإنما يتم "التقدم بالمدعوِّ شيئًا فشيئًا؛ للبلوغ به إلى غاية ما طلب منه؛ وفق طرق مشروعة مخصوصة"(٤٠٦).

(٤٠٣) فقه التدرج وإشكالية التطبيق، د. أمين الدميري – بحث منشور في مجلة البيان، العدد ٢٩٩ رجب ١٤٣٣هـ.

(٤٠٤) موسوعة دليل الداعية، قضايا منهجية في الدعوة إلى الله، ص١٩٤، أ. د. محمد العواجي، المدينة المنورة ١٤٤٤هـ.

(٤٠٥) ينظر: بحث بعنوان، مفهوم التدرج في تطبيق الشريعة، د. عطية فياض، منشور على موقع السكينة.

(٤٠٦) التدرج في دعوة النبي، إبراهيم بن عبد الله المطلق، ص١٧.

المطلب الأول: الحكمة من التدرج في الدعوة

هناك بعض الحِكَم من التدرج، تكمن في الأمور التالية:

١- التدرُّجُ في التنفيذ والعمل من شأنه أن يحفظ مكتسبات الدعوة.

٢- التدرج في الدعوة يؤدي إلى قَبول التكاليف الشرعية بارتياح.

٣- التدرج يؤدي إلى سهولة تطبيق الأوامر الشرعية من حيث المرونة في اختيار الأنسب للمرحلة، وجواز الأخذ بالحكم المرحلي وصولًا إلى الحكم النهائي.

٤- تطبيق التدرج يساهم في انتشار الإسلام، وثبوت صلاحيته لقيادة الحياة الإنسانية إلى بر الأمان وسعادة الدنيا والآخرة.

٥- التدرج يعين على الإعداد والإحكام، فالدعوة تحتاج إلى إعداد كبير وتهيئة للبيئة، وكذلك تحتاج إلى إعداد الرجال القادرين على حمل هذه الدعوة؛ حتى تنمو وتسمو وَتَرْسُخَ اعتقادًا وممارسة، وذلك كله لا يتم إلا على تدرُّج يمتد بضع سنين.

٦- التدرج علاج للنفور، فالتكليف بالكثرة – مما لا يطيقه الناس ولا يتحملونه – يؤدي إلى النفور والإدبار، ولا شك أن إهمال فقه التدرج جعل الدعوة تقع في مآزق، بدليل مرور تلك السنوات ولا هدف تحقق، ولا واقع تغير، وربما دَبَّ الفتور وتسلل اليأس والملل.

٧- إن استعداد المجتمع للتغيير بصورة مفاجئة أمر صعب المنال، بل ربما يسبب مضاعفات تتناقض مع المراد تحقيقه إذا ما حدث فجأة، فيؤخر التغيير، أو يجعله بعيد المنال.

٨- الإسلام يعتمد الإقناع طريقًا للإيمان، دون إكراه ولا إرهاب، مع وجود الثقة الكاملة بأن دين الفطرة البشرية السليمة يتجاوب مع الطبيعة السوية عند الناس، ويلبي حاجاتهم الاجتماعية، وهذا يدل على ضرورة وجود تدرج زمني ونهجي في إقناع عدد من الأفراد ليكونوا في زمرة القاعدة الصلبة التي يقع على يديها التغيير، ويقوم على أكتافها إقناع الأمة بذلك.

٩- إن واقعنا المعاصر بتعقيده الكبير، وبتدخل الآلة العسكرية والإدارية للدولة في مختلف مناحي الحياة في المجتمع، فضلًا عن العقبات التي يضعها أعداء التغيير نحو الإسلام، وتخطيطهم الدائب لهذا الأمر؛ كل هذا يوجب على الدعاة انتهاج التدرج منهجًا للدعوة، على أن يتم العمل في كل مرحلة منها وفق تخطيطٍ مُحْكَم ورؤية واضحة.

المطلب الثاني: أنواع التدرج باعتبارات متعددة

هناك مجموعة من الاعتبارات في دراسة التدرج؛ ومنها:

أولًا: التدرج في عرض موضوع الدعوة:

١- الدعوة إلى التوحيد.

٢- الدعوة إلى الشريعة.

٣- الدعوة إلى أخلاق الإسلام.

ودليل هذا الاعتبار حديث معاذ عندما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، فبدأ بالتوحيد، ثم تدرج في أركان الإسلام مراعيًا البدء بالأهم ثم المهم.

وقد رُوعي كذلك التدرج في الدعوة إلى أخلاق الإسلام؛ حيث ابتدأ بالدعوة إلى أصول الأخلاق من الصدق والعدل وأداء الأمانة والعفة[٤٠٧]، فعن عبد الله بن عباس ﷺ أن أبا سفيان أخبره: "أن هرقل أرسل إليه، فقال: فما يأمركم – يعني النبي ﷺ – فقال: يأمرنا بالصلاة والصدقة، والعفاف والصلة"[٤٠٨]، فدل ذلك على أن هذه حاله ﷺ مع الناس في ابتداء دعوته[٤٠٩].

ويؤيد هذا حديث جعفر بن أبي طالب ﷺ مع النجاشي، وفيه قوله: حتى بعث الله إلينا رسولًا نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة"[٤١٠].

ثانيًا: التدرج في الوسيلة:

لكل موضوع فكرة ووسيلة، والداعية له وسائله العديدة لإيصال دعوته، ولكل وسيلة زمانها ومكانها الملائم لها، فما يصلح لزمان لا يصلح لآخر، وقد تكون هذه الوسيلة مثمرة لكنها في وقت آخر تصبح مثار سخرية واستهزاء[٤١١]، يقول الشيخ إبراهيم المطلق: "وبعد تأملي لسيرته ﷺ العطرة تبين أن وسائله ﷺ في تبليغ الدعوة وحمايتها قد جاءت متدرجة كأنها حلقات في سلسلة، كل حلقة تقود إلى التي تليها فأظهرت لنا هذه الوسائل طبيعة التدرج في السير خطوة خطوة، فبدأ ﷺ بوسيلة القول، واستمرت هذه الوسيلة طيلة العهد المكي، ثم لما هاجر ﷺ حيث الجماعة المسلمة، وأقام دولة الإسلام اتخذ وسيلة لحماية هذه الجماعة، وتلك الدولة وهي السرايا والغزوات للدفاع عن الدعوة وحمايتها من المعتدين، ثم بعد أن هادن العدو في الحديبية اتخذ وسيلة بلاغية وهي الكتب والرسائل لتبليغ الدعوة إلى العالم الخارجي، ثم كانت آخر وسائله ﷺ أرسل البعوث ليقوموا بِمُهِمَّةِ البلاغ والتعليم"[٤١٢].

ثالثًا: التدرج في الأسلوب:

كما أن الوسائل الدعوية تحتاج إلى تدرج، فالأسلوب كذلك يحتاج إلى تدرج، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥].

قال ابن القيم: "جعل الله سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق، فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه، يُدْعَى بطريق الحكمة.

والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر، يدعى بالموعظة الحسنة، وهي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والمعاند الجاحد، يُجَادَلُ بالتي هي أحسن"[٤١٣].

إذن، يبدأ الداعية مع الجميع، والذين عندهم استعداد للاستجابة يدعوهم بالحكمة، أما الغافل فينتقل لمرحلة أعلى وهي الموعظة الحسنة، أما المعاند فينتقل معه إلى درجة أعلى وهي الجدال بالتي هي أحسن وصولًا به للإقناع.

---

(٤٠٧) ينظر: دستور الأخلاق في القرآن، د. محمد عبد الله دراز، ص٨٨، وينظر: الفضائل الخلقية في الإسلام، د. أحمد عبد الرحمن إبراهيم، ص١١٩، وينظر: الدعوة الإسلامية، د. أحمد غلوش، ص٢٨.

(٤٠٨) صحيح البخاري، ٥٦٣٥.

(٤٠٩) ينظر: فتح الباري ٦٤/١.

(٤١٠) مسند أحمد ١٧٤٠، قال شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن. وقد أوردت الرواية مختصرة.

(٤١١) الحكمة في الدعوة إلى الله د. زيد بن عبد الكريم الزيد، ص٨٩.

(٤١٢) بتصرف: التدرج في دعوة النبي ﷺ، ص٥٥.

(٤١٣) مفتاح دار السعاد١٥٣/١.

والأصل في الدعوة أن يبدأ الداعية باللين، ثم يتدرج شيئًا فشيئًا إلى الشدة، وَيَتَدَرَّجُ بالعرض ثم الأمر، ويتدرج بالسهل قبل الصعب، مراعيًا الزمان والمكان والحال والمخاطبين.

قال الشيخ إبراهيم المطلق: "الأسلوب الحكيم الذي نهجه ﷺ في دعوته أنه ابتدأ بأسلوب العرض في العهد المكي، فلم يكن سوى عرض للدعوة فقط، فلما هاجر ﷺ إلى دار الهجرة، اتخذ ﷺ أسلوب الحماية؛ حيث حاجة الدعوة ودعاتها إليها، ثم لما هزم الله أعداءه في الأحزاب، اتخذ ﷺ أسلوب الإلزام لأعداء الدعوة بالخضوع لها وكسر شوكتهم، ثم لما أفاء الله عليه بحنين اتخذ ﷺ أسلوبًا دعويًّا آخر هو أسلوب التأليف؛ حيث بذل الكثير من العطايا من أجل تألُّف المدعوين على الدعوة، وقد جاءت هذه الأساليب متدرجة مراعيًا فيها ﷺ ظروف الدعوة زمانًا ومكانًا"(٤١٤).

رابعًا: التدرج في الإعلان والصدع بالدعوة مع فئات المدعوين:

أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يبدأ دعوته في الأقربين، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء: ٢١٤]، مع أنه تعالى قال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وهو القائل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨].

لا شك أن الوصول إلى العالمية في الدعوة يقتضي التدرج بالبدء بالأقربين، فقد تدرج النبي ﷺ في دعوة فئات الناس، فبدأ بالأقربين من أسرته، ثم من عائلته، ثم من جيرانه، وأصدقائه، ومن يثق فيهم، ثم دعا قومه، ثم بدأ يتحرك حول مكة، فذهب إلى الطائف، ثم بدأ يعرض نفسه على القبائل بالذهاب إليهم، أو بانتظار إتيانهم للحج، ثم هاجر للمدينة وبدأ فيها بتأسيس الدولة الإسلامية، وبعدها بدأ يدعو كل القرى والمدن حول المدينة حتى تدرج إلى أن أرسل الرسائل لملوك الأرض يدعوهم.

قال ابن حجر: "والسر في الأمر بإنذار الأقربين أولًا أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع، وألا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف والرأفة؛ فيحابيهم في الدعوة والتخويف"(٤١٥).

---

(٤١٤) التدرج في دعوة النبي، إبراهيم بن عبد الله المطلق، ص٧٢.

(٤١٥) فتح الباري، ابن حجر ٨/٥٠٣.

المبحث السادس: فقه التدرج مع المسلمين وغير المسلمين

لا شك أن الشريعة الإسلامية جاءت على أساس مراعاة مصالح الناس، ودفع المفاسد عنهم[٤١٦]، فاقتضت هذه المراعاة التدرج في الدعوة إلى هذه الشريعة، يقول الشيخ صالح الفوزان: "هذا التدرج باقٍ عند الحاجة إليه، ولا شك أن الشارع تدرج في تشريع الأحكام رحمة بالناس، وترغيبًا لهم في القبول، ومن ذلك تدرجه في شريعة الصيام، وتدرجه في تحريم الخمر، وذلك من أجل الرحمة بالناس وعدم المشقة عليهم، وهذا التدرج مطلوب عند الحاجة إليه في كل زمان"[٤١٧].

وبقيت قضية تُعَدُّ بمثابة مشكلة دعوية تنوعت فيها آراء العلماء واجتهاداتهم، وهي: كيف يكون التدرج في عرض التشريعات على المسلمين وغير المسلمين؟

هنا نعرض كلام العلماء لتتضح المسألة[٤١٨]:

المطلب الأول: فقه التدرج في دعوة المسلمين:

أولًا: القاعدة إذن في الدعوة إلى الشريعة، مراعاة حال الدعوة والمدعو زمانًا ومكانًا، فإذا كان المدعو مسلمًا، فإن المصلحة تقتضي إلزامه بأحكام الشريعة جملة دون تدرُّج.

يقول الشيخ ابن باز: "الواجب على المسلمين أن يلتزموا بالجميع، من أسلم يلتزم بالجميع، من أسلم يُعَلَّمُ التوحيد، ثم يُعَلَّمُ جميع الشريعة في الحال، حتى يلتزم بها كلها"[٤١٩].

ويقول الشيخ العثيمين مُبَيّنًا عدم التدرج في دعوة المسلمين إلى العمل بأحكام الشريعة: "مثلًا الخمر، لا نقول: أولًا نرغب الناس في تركها، ثم نحاولهم أن يتركوها أوقات الصلاة، بل نقول لهم: هي حرام، وندعوهم بالتي هي أحسن، فننظر إلى حالهم وندعوهم على حسب حالهم"[٤٢٠].

ثانيًا: تقتضي الحكمة في دعوة المسلمين إلى بعض أمور الشريعة في هذا العصر، مراعاة جانب مهم وهو تأخير إنكار المنكر إذا اقتضت حاجة الدعوة إلى ذلك.

يقول فضيلة الشيخ محمد العثيمين: "تأخير إنكار المنكر قد يكون من باب استعمال الحكمة في الدعوة إلى الله، فقد يكون هذا الرجل الفاعل للمنكر لا يناسب أن ننكر عليه في هذا الوقت بالذات، لكن سأحتفظ لنفسي بحق الإنكار عليه، ودعوته إلى الحق في وقت يكون أنسب، وهذا في الحقيقة طريق صحيح، فإن هذا الدين كما نعلم جميعًا بدأ بالتدرج شيئًا فشيئًا، فأقر الناس على ما كانوا يفعلونه من أمور كانت في النهاية حرامًا من أجل المصلحة، فالخمر مثلًا بيّن الله تعالى لعباده أن فيها إثمًا كبيرًا ومنافع للناس، وأن إثمها أكبر من نفعها، وبقي الناس عليها حتى نزلت آخر آية فيها تُحَرِّمُهَا بتاتًا، فإذا رأى إنسان من المصلحة ألا يدعو هذا الرجل في هذا الوقت، أو في هذا المكان، ويؤخر دعوته في وقت آخر، أو في مكان آخر لأنه يرى أن ذلك أصلح أو أنفع، فهذا لا بأس به"[٤٢١].

---

(٤١٦) ينظر: المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم زيدان، ص٩٣.

(٤١٧) نقلًا عن مقابلة أجراها د. إبراهيم المطلق مع الشيخ... ينظر: التدرج في دعوة النبي ﷺ، ص١٤٢.

(٤١٨) ما سيأتي تم تلخيصه من رسالة التدرج في دعوة النبي ﷺ، ص١٤٢ وما بعدها.

(٤١٩) نقلًا عن مقابلة أجراها د. إبراهيم المطلق مع الشيخ... ينظر: التدرج في دعوة النبي ﷺ، ص١٤٣.

(٤٢٠) المصدر السابق ص١٤٣.

(٤٢١) الصحوة الإسلامية، ضوابط وتوجيهات، جمع وترتيب أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، ص١٢١.

المطلب الثاني: التدرج في دعوة غير المسلمين:

أولًا: إذا كان المدعو كافرًا، فإن فضيلة الشيخ محمد العثيمين يرى التدرج في دعوته إلى الشريعة، فيقول: "فإذا كنا نريد أن ندعو الكفار، وندعوهم كما أمر النبي ﷺ في حديث معاذ ﷺ، إذا أردنا أن ندعو شخصًا بعينه، فلننظر أيضًا هل هو كافر؟ فندعوه إلى أصل الإسلام، ثم بعد ذلك نأمره بالصلاة، ثم بالزكاة، ثم الصوم، ثم الحج"(٤٢٢).

ثانيًا: لو اشترط هذا الصنف من المدعوين ارتكاب بعض المخالفات الشرعية مقابل إسلامه، فإنه يتعامل معه وفق القاعدة الفقهية: "إذا تزاحمت المفاسد، واضطر إلى واحد منها؛ قُدِّم الأخف منها"(٤٢٣)، فيقبل إسلامه ويقبل شرطه، فعن وهب قال سألت جابرًا عن شأن ثقيف إذ بايعت، قال: اشترطت على النبي ﷺ أن لا صدقة عليها ولا جهاد، وأنه سمع النبي ﷺ بعد ذلك، يقول: "سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا"(٤٢٤).

"ومن المعلوم بالضرورة أن النبي ﷺ كان يقبل من كل من جاءه يريد الدخول في الإسلام الشهادتين فقط، ويعصم دمه بذلك ويجعله مسلمًا، وقال الإمام أحمد يصح الإسلام على الشرط الفاسد، ثم يُلْزَمُ بشرائع الإسلام كلها"(٤٢٥).

وسئل الإمام مالك ﷺ تعالى عن الرقيق العجم، يُشترون في شهر رمضان وهم لا يعرفون الإسلام ويرغبون فيه، لكن لا يفقهون ما يُراد منهم، فهل يُجبرون على الصيام أم يُطعمون؟ فقال: "أرى أن يُطعموا ولا يمنعوا الطعام، ويرفق بهم حتى يتعلموا الإسلام، ويعرفوا واجباته وأحكامه"(٤٢٦).

ويقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز فيمن يشترط أن يستمر على شرب الخمر إذا أسلم: "لا أعلم مانعًا؛ لأن شرب الخمر أسهل من بقائه على الكفر، يبين له التحريم، ويُدعى له بالتوفيق، أنت إذا أسلمت إن شاء الله سوف تتركه، فإن هذا خير من بقائه على الكفر"(٤٢٧).

ويقول فضيلة الشيخ محمد العثيمين فيمن يشترط أن يستمر على شرب الخمر إذا أسلم: "ذهب العلماء إلى أنه يُقبل إسلامه، فيقال له: أسلمْ، ثم إذا أسلم بينا له الحكم الشرعي في ذلك"(٤٢٨).

---

(٤٢٢) نقلًا عن مقابلة أجراها د. إبراهيم المطلق مع الشيخ... ينظر: التدرج في دعوة النبي ﷺ، ص١٤٤.

(٤٢٣) القواعد والأصول الجامعة، ابن سعدي، ص٧٨.

(٤٢٤) سنن أبي داود، ٣٠٢٧، وصححه الألباني في الصحيحة، ١٨٨٨.

(٤٢٥) جامع العلم والحكم، ص٨٤.

(٤٢٦) البيان والتحصيل ٢٩١/١.

(٤٢٧) نقلًا عن مقابلة أجراها د. إبراهيم المطلق مع الشيخ... ينظر: التدرج في دعوة النبي ﷺ، ص١٤٥.

(٤٢٨) المصدر السابق.

المطلب الثالث: تنبيهات في تطبيق التدرج

هناك بعض التنبيهات التي لا بد وأن يتنبه لها الدعاة في منهجية التدرج، نُبْرِزها في النقاط التالية:

أولًا: العناية بالتجارب السابقة والمعاصرة في التدرج:

إن الهديَ النبوي رصيدٌ للدعوة في كل زمان ومكان، يستهدي به الدعاة ويضعونه نصب أعينهم في أي عمل من الأعمال التي يقومون بها، فلا يجب الانطلاق من نقطة الصفر عند الشروع بالدعوة، إنما على الدعاة الاستفادة والبناء على التجارب السابقة الناجحة في التدرج، والمهتدية بهدي النبي ﷺ سواء أفرادًا وجماعات؛ وذلك بقراءتها قراءة واعية عميقة.

وكذلك الاستفادة من التجارب المعاصرة المتدرجة في الدعوة إلى الله، وأيضًا النظر في التجربة الشخصية أو الجماعية في العمل الدعوي المتدرج، والتي هي عامل إرفاد مستمر للتدرج والانتقال من مرحلة لأخرى.

ثانيًا: التدرج في المأمورات والمنهيات:

ينبغي أن يُعلم أن التدرج في الدعوة كما هو مطلوب في الأمر بالواجبات، فإنه كذلك مطلوب في النهي عن المنكرات، فيُزال المنكر الأعظم، ويوجه المدعو إلى تركه قبل أن يوجه إلى ترك المنكر الأقل منه، وذلك كله بحسب مصلحة المدعو، والتطبيق لقاعدة المصالح والمفاسد.

ثالثًا: ليست العبرة بالزمن في التدرج، وإنما في تحقيق الهدف في مرحلة ما:

إن الالتزام بالمرحلية نهج سُنَني يجب أن يأخذ به من أراد التغيير، وليس شرطًا أن يحقق التغيير في حياة الفرد أو الجماعة التي تصدت لهذه المهمة، بل ربما تنقضي الأعمار والأجيال دون تحقيق هذه الغاية، ثم تأتي الأجيال الأخرى؛ فإما أن تستمر في ذلك، وإما أن تنتقل لدرجة أخرى من درجات العمل والدعوة.

ويحلو لكثير من الناس ذكر أرقام معينة يحددون فيها الزمن أو عدد الأشخاص، أو نسبًا لبدء مرحلة معينة، أو لإنهاء أخرى، ونحن نرى أن كل هذه المعطيات يجب أن تَضْبِطَهَا المعايير الشرعية المنهجية، فما يصلح لمجتمع لا يصلح لآخر.

والمعيار هو المصلحة الدعوية الشرعية، وليس مجرد أعدادٍ أو نِسبٍ لتجارب تمَّت، ويبقى كل هذا رهين الاجتهاد البشري بخطئه وصوابه.

رابعًا: الانتقال من مرحلة إلى أخرى يكون وفق سنن الله في التغيير:

إن إرادة الله تعالى لا تَحُدُّهَا حدود، ولا تتقيد بالحسابات الإنسانية، فقد ينتصر الله لعباده، ويسهل من تنفيذ المهمة التي يقومون بتحقيقها، بتوفير عوامل التوفيق والنصر فيها إذا ما توفرت شروط النصر ابتداءً، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد: ٧]، نعم قد تتوفر الظروف المواتية، فتتزايد سرعة الخطوات، فتصبح متلاحقة سريعة الضربات، ولكنها في كل حال موافقة لسنن التغيير في الأنفس والمجتمعات، ولكن يجب ألا تحرق المراحل مهما كانت المغريات والآمال، حتى نأخذ بالأسباب تنفيذًا لوعد الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

خامسًا: قد تتداخل مراحل الدعوة، وتسير في خطى واحدة:

ليس هناك حدود فاصلة بينة المعالم بين مرحلة وأخرى، في مكان أو آخر، فقد تتداخل المراحل بعضها مع بعض، وقد تسير مواكبة بعضها لبعضها، وقد تنفَّذ مرحلة في مكان، وأخرى في مكان آخر، وقد تُتَّخَذُ في موقع ما لا تُتَّخَذُ في موقع آخر، ولكن في كل الأحوال يجب أن تسير القاعدة التي تقوم على التغيير وفق معايير واضحة الخطى، مدركة لطبيعة المكان والزمان والمرحلة؛ حتى تغطي قطاعات المجتمع وساحات أنشطته المختلفة، مستوعبة المجالات كلها.

سادسًا: لا بد من التخطيط الجيد في التدرج:

التخطيط والمنهجية في رسم مراحل التدرج والتغيير، وضبط معايير العمل بمقتضاها أمر جلل لا يقدر عليه إلا من ثابر وشمّر عن سواعد الجد، وغار في واقع الناس ومجتمعاتهم، وخبر البيئة والمؤثرات الفاعلة فيها، وعرف نشاطات الناس في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بل والفكرية، ومنها التيارات المؤثرة في عقول الأمة وشرائحها، غير أن الأمر الأهم هو الالتزام الجاد، والأخذ بقوة بهذه المعايير، وعدم الخروج عليها لأي بارق يلوح في الأفق يغري بالنصر العاجل والنجاح السريع.

المبحث السادس: فقه السنن الإلهية

المطلب الأول: الأحداث والنوازل سنن الله الكونية

إن الداعية البصير الناظر إلى الأحداث الجسيمة، والنوازل العظيمة التي أحاطت اليوم بالدعوة لا يستغرب حدوثها، ولا يفاجأ بها، حينما يرجع إلى كتاب ربه، والسيرة الدعوية للنبي ﷺ، في ضوء سنن الله التي لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابي فردًا على حساب فرد، ولا مجتمعًا على حساب مجتمع آخر.

فمن فَقِهَ السنن الإلهية، وأحسن التعامل معها؛ فاز أيًّا ما كان، ومن أساء التعامل معها، خاب أيًّا ما كان، ومعنى هذا أن الله ﷻ لن يمنح فردًا أو جماعة من المسلمين نصرًا مجانيًّا لمجرد إسلامهم، فلا بد من الأخذ بالأسباب، وفهم السنن، والسير من خلالها.

وهذا الموضوع يجب على الدعاة أن يتنبهوا له ويدركوه حق الإدراك، فهو من أهم القضايا المنهجية التي لو أدركها الدعاة لتحققت البصيرة المأمور بها في قول الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، وبذلك تتحقق أهداف الدعوة وغايتها، وتنضبط مسيرة الدعوة(٤٢٩).

وهناك العديد من السنن الإلهية التي سنتطرق إليها في السطور التالية؛ وهي:

أولًا: سنة الابتلاء:

قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢ – ٣].

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ۖ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [العنكبوت: ١٠ – ١١].

وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦]، **وقال تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١].

ثانيًا: سنة العداء لأصحاب الدعوات، والاستهزاء بهم، وتكذيبهم:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأنعام: ١١٢]، **وقال تعالى:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾ [الفرقان: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾ [الإسراء: ٧٦ – ٧٧].

---

(٤٢٩) موسوعة دليل الداعية، قضايا منهجية في الدعوة إلى الله، ص١٩٤، أ. د. محمد العواجي، المدينة المنورة ١٤٤٤هـ.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٠ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ١١﴾ [الحجر: ١٠ – ١٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٤﴾ [فاطر: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ١١٢﴾ [الأنعام: ٣٤].

ثالثًا: سنة الأخذ بالأسباب:

فقد وجه الله تعالى عباده المؤمنين إلى وجوب مراعاة سنة الأخذ بالأسباب في كل شؤونهم الدنيوية والأخروية على حد سواء، قال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾ [التوبة: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ [الملك: ١٥]، وأمر الله تعالى مريم عليها السلام أن تباشر الأسباب، وهي في أشد حالات ضعفها؛ حالة الوضع، قال سبحانه: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ [مريم: ٢٥].

الأخذ بالأسباب سنة إلهية، فالله قادر على فلق البحر لموسى بلا عصا، ولكن ليأخذ الناس بالأسباب، فالله لا يعين القاعد القادر، وهذا لا ينافي التوكل، فعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لو أنكم تتوكلون على الله حق التوكل؛ لرزقكم كما يرزق الطير، تغدوا خماصًا وتروح بطانًا"(٤٣٠)، وقال ﷺ: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له"(٤٣١).

فهذه النصوص وغيرها تنبه على الجمع بين التوكل والأخذ بالأسباب، وأن على الداعية ربط أمره كله بالله، ولا يتعلق بنفسه، ولا بعمله، ولا بأحد من الخلق، وألَّا يعلق قلبه بقدراته، أو بجاهه، أو ماله، أو علمه الشرعي، أو حفظه للقرآن، أو أي أسباب كانت، ولكن يُعلِّق قلبه بمسبب الأسباب، ويحسن الظن بالله تعالى، مع استسلام القلب لله تعالى، والرضا بقضاء الله تعالى وقدره، والقناعة بما يسره الله له.

مع التنبيه إلى "أن اتخاذ الأسباب أمر ضروري وواجب، ولكن لا يعني ذلك دائمًا حصول النتيجة؛ ذلك لأن هذا أمر يتعلق بأمر الله، ومشيئته، ومن هنا كان التوكل أمرًا ضروريًّا وهو من باب استكمال اتخاذ الأسباب"(٤٣٢)، فلا علاقة للأسباب بالنتائج، فالمؤمن عليه أن يأخذ بالأسباب المتاحة له، ثم تكون النتائج على مسبب الأسباب سبحانه وتعالى، وله الحكمة البالغة في ذلك.

---

(٤٣٠) جامع الترمذي، ٤١٦٤، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/٦٢٠، برقم: ٣١٠.

(٤٣١) صحيح البخاري، ٦٥٩٦. صحيح مسلم، ٢٦٤٨.

(٤٣٢) السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، على محمد الصلابي ١/٢٨١.

المطلب الثاني: أهمية فقه السنن الإلهية في الدعوة إلى الله

القرآن الكريم حينما يوجه أنظار المسلمين إلى سنن الله تعالى في الأرض، فهو بذلك يردهم إلى الأصول التي تجري وفقها، فهم ليسوا بدعًا في الحياة، فالسنن التي تحكم الكون والشعوب والأمم والدول والأفراد جارية لا تتخلف، والأمور لا تمضي جزافًا، والحياة لا تجري في الأرض عبثًا، وإنما تتبع هذه السنن.

فإذا درس الدعاة هذه السنن، وأدركوا مغازيها؛ تكشفت لهم الحكمة من وراء الأحداث، وتبينت لهم الأهداف من وراء الوقائع، اطمأنوا إلى ثبات النظام الذي تتبعه الأحداث، أو إلى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام، واستشرفوا خط السير على ضوء ما كان في ماضي الطريق، ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين؛ لينالوا النصر والتمكين بدون الأخذ بالأسباب المؤدية إليه.

والمسلمون أولى أن يدركوا سنن ربهم، المُبَيَّنَة لهم في كتاب الله وفي سنة رسوله ﷺ؛ حتى يصلوا إلى ما يرجون من عزة وتمكين، فإن التمكين لا يأتي عفوًا ولا ينزل اعتباطًا، ولا يخبط عشواء، بل إن له قوانينه التي سجلها الله تعالى في كتابه الكريم؛ ليعرفها عباده المؤمنون، ويتعاملوا معها على بصيرة(٤٣٣).

وأمور الدين والكون تجري على السنن الجارية، وليس على السنن الخارقة حتى لا يظن ظان أن الأولون نصروا بالخوارق، فيتقاعس.

فالمؤمن يحتاج إليها، سواءً كان مصلحًا، أو داعيًا، أو مُرَبِّيًا، أو عالمًا؛ لأنها تُعطِي الجميع مشكاة نور يستضيؤون بها في القيام بمهامهم(٤٣٤).

---

(٤٣٣) انظر: السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، على محمد الصلابي ١/١٠٤.

(٤٣٤) بتصرف: موسوعة دليل الداعية، قضايا منهجية في الدعوة إلى الله، ص ١٩٨، أ. د. محمد العواجي، المدينة المنورة ١٤٤٤هـ.

المبحث السابع: أسس الخطاب الدعوي المعاصر[٤٣٥]

المطلب الأول: الأصالة المنهجية الشرعية

يُقصد بالأصالةِ: المحافظةُ على جوهر الدعوة، باستنادها إلى الأصول والأدلة الشرعية، والتمسك بمبادئها الأساسية، ويُقصد بالمعاصرة: تكافؤ الدعوة مع العصر الذي تعيش فيه؛ بحيث تعالج واقعه، وتلبي متطلباته.

وسيرته ﷺ تؤكد على مدى تمسكه بأصالة دعوته التي لا يحيد عنها، ولا يقبل المساومة فيها، وفي الوقت ذاته معالجته واقع عصره، وتخيّره الأساليبَ النافعةَ لدعوته، واستخدام جميع أنواع الوسائل المشروعة المتوفرة لديه، غيرَ زاهد بشيء منها، وهذا أمرٌ لا يخفى على من اطلع على سنته ﷺ.

فأصول الدين وثوابته لا تقبل التجديد بأية حال من الأحوال، وأي تجديد يتناول شيئًا منها يدخل في إطار التبديد، كطلب التجديد في العقيدة الإسلامية، وأركان الإسلام الخمسة، وكل ما ثبت بدليل قطعي من المحرمات كالزنا والربا وشرب الخمر، وأصول الأخلاق بجانبيها، وهذا يشمل ما يتعلق بعلاقة الإنسان بربه كالإخلاص، والخوف من عقابه، وما يتعلق بالإنسان وأخيه الإنسان من صدق ووفاء ورحمة وبرٍّ وإكرام، وكذلك ما ثبت بنصوص قطعية في أمور الشريعة، والحدود والقصاص، والمعاملات، وأمور الأسرة.

وإذا كان هناك تجديد في الأصول والثوابت الإسلامية، فإنه التجديد الذي يحيي الأصول ويعيد الحيوية إلى الثوابت، بل هو السبيل لامتداد تأثيرات ثوابت الدين وأصوله إلى جوانب الحياة المختلفة.

المطلب الثاني: الشمول التكاملي المؤثر

إنَّ بعض الدعاة انشغلوا ببعض قضايا الدين عن بعضها الآخر، فكانت النتيجة أن أهملوا من العلوم ما الحاجة ماسة إليه، وبالغوا فيما يمكن التخفف منه، فأقحموا أنفسهم في شرنقة، منغلقين على أنفسهم.

ولا نعيب أن يتميز الداعية بالتخصص في جانب من جوانب الدعوة؛ ولكن الذي يؤسف أن يتهم غيره بالتقصير إن لم يسلك مسلكه ويسير على دربه، أو يهمل الجوانب الأخرى من الدين، ويحتقر من يتكلم فيها، فدين الله تعالى دين شامل لكافة جوانب الحياة العلمية والعملية، ولا ينبغي على الداعية بحال أن يهمش شيئًا من جوانب هذه الحياة بحجة أو بغير حجة.

المطلب الثالث: التوازن النسبي الملائم

ويقصد به التوازن النسبي بين قدرات الداعية والعمل المسند إليه، والصلاحيات المخولة له، وهذا أمر جدير بالاهتمام، فكيف يوضع في مكانٍ لا يحسنه، ثم بعد ذلك ننتظر منه نتيجة طيبة؛ هذا أمر مخالف للواقع.

إن إسناد الأمور إلى غير أهلها مصيبة عظيمة، وتضييع للأمانة، وإهدار للحقوق، وتعطيل للقدرات والطاقات، وفي هذا يقول النبي ﷺ: "فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة"، قال: كيف إضاعتها؟ قال: "إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"[٤٣٦].

المطلب الرابع: الإقناع العقلي

---

(٤٣٥) ينظر: تجديد الخطاب الدعوي، مقال منشور على الشبكة، ومقال: الخطاب الديني بين التجديد والتبديد، د. جمال نصار.

(٤٣٦) صحيح البخاري ٥٩.

لقد دعا الإسلام إلى استعمال العقل، والتفكير المنطقي السليم في فهم حقائق الأشياء، والتمييز بين الصواب والخطأ، والحسن والقبيح، والحق والباطل، وذلك بالحجة والبرهان، وليس بالتقليد الأعمى أو بالقسر والإكراه.

ولا شك أن الإقناع العقلي للمدعوين يسهم في تربيتهم، وتنمية القيم لديهم، فالدعوة لا يمكن أن تقتصر فقط على سرد الحقائق دون مناقشة لها، ودون إعطاء حرية التعبير من الطرف المقابل، حتى لو كان صغير السن، فبدون القناعة الشخصية لن نصل إلى حلول مع المدعوين، وأسوتنا في ذلك رسول الله ﷺ.

المطلب الخامس: الحوار الهادف

إن الحوار يفتح الفرصة أمام المدعوّ للتعبير عن أفكاره، وتصوراته المختلفة حول القضايا المعروضة للنقاش، فيكتشف صحتها أو خطأها، ويعمل على نقدها وتقويمها بمنهج صحيح، كما أن الحوار يفتح المجال أيضًا أمام الداعية ليكتشف مشاعر المدعوين وقيمهم ومخاوفهم وآمالهم، فيصبح أكثر قربًا منهم، وأكثر شعورًا بهم، وتفهمًا لأفكارهم وسلوكياتهم، ومن ثم يكون أكثر تحديدًا لمنهج التخاطب معهم، واختيار أساليب التعليم والتوجيه المتبادل بينه وبينهم، فيشعرون بالقرب منه والمودة له، فتنشأ الثقة التي هي أساس التوجيه القيمي.

والقرآن الكريم مليء بالآيات التي قامت على المحاورة والمناقشة.

ولقد استخدم رسول الله ﷺ أسلوب الحوار في كثير من تعليماته لإثارة انتباه المتعلمين، وتشويقهم إلى معرفة الجواب، وحضِّهم على إعمال الفكر فيه، وكان ﷺ في حواره يدعم رأيه بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة على صدق كلامه، وقد تنوعت أسئلة الرسول ﷺ بين التشويق والإغراء، والتحذير والتعجب، والتقرير والتعليم.

المطلب السادس: التيسير الشرعي المرغب

لقد اتسمت الشريعة الإسلامية بسمة اليسر والتيسير، قال جل شأنه: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٧٨﴾ [الحج: ٧٨].

وقوله: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ٢٨﴾ [النساء: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة: ٦].

ولقد قال رسول الله ﷺ: "إنما بُعثتم ميسرين، ولم تُبعثوا معسرين"(٤٣٧)، فالتيسير مطلب شرعي، ومقصد من مقاصد الحنيفية السمحة، وقوله ﷺ: "إن الدين يسر، ولن يُشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا"(٤٣٨)، وقوله: "إن الله

(٤٣٧) صحيح البخاري، ٢٢٠، وجامع الترمذي، ١٤٧ واللفظ له.

(٤٣٨) صحيح البخاري ٣٩.

لم يبعثني متعنتًا، ولكن بعثني معلمًا ميسرًا"(٤٣٩).

وأوصى رسول الله ﷺ معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري ﷺ حين بعثهما إلى اليمن فقال: "يَسّرا ولا تُعَسّرا، وبَشِّرا ولا تُنَفّرا"(٤٤٠)، وعن عائشة ﷺ قالت: "كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم، أمرهم من الأعمال بما يطيقون"(٤٤١).

وعنها رضى الله عنها، أنها قالت: "ما خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين أمرين إلا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه"(٤٤٢).

المطلب السابع: مراعاة الاختصاص

من يريد أن يجدِّد في الخطاب الدعوي، فلا بد أن يكون متخصصًا في المجال الذي يريد أن يجدد فيه؛ حتى لا يكون مثل الذي يتحدث في الإسلام من غير أهله، كالحلَّاق الذي اشتغل بمداواة المريض ومعالجة العليل، وهو لا يعرف عن الطب والجراحة شيئًا.

ونرى اليوم من يتجرَّأ على التجديد والدعوة من غير المؤهلين، فضلًا عمَّن لا علاقة لهم من قريب ولا من بعيد بالإسلام وعلومه وفنونه، ومن لا علم له ولا فقه ولا خبرة ولا قدرة على الاستدلال بالنصوص، وإنزالها في منازلها، ولا يدري شيئًا عن قواعد الاستدلال من حيث العموم والخصوص، والإطلاق والتقييد والنسخ، والمصالح، والمفاسد.

فالتجديد مهمة الراسخين في العلم، وأهل الحل والعقد في الأمة، عبر المجامع والمؤتمرات العلمية الجامعة التي تتمتع بالاستقلال وحرية الرأي(٤٤٣).

وأحكام الإسلام ليست "بأقل حرمة من قضايا الهندسة، والطب والجغرافيا، فإذا كنا لا نقبل من أعلام الهندسة أن يُفْتُونا في أدق الشؤون الطبية ولا في أوضحها، فكيف نقبل من رجال لم يتخصصوا في الدراسات الإسلامية أن يفتونا في شؤون ديننا"(٤٤٤).

المطلب الثامن: الموضوعية والتجرد للوصول إلى الحقيقة

الموضوعية تتطلب البحث عن الحقيقة، والتمسك بالحق بعيدًا عن الأهواء، والمزاعم الفاسدة، كالكِبْر والمذهبية والتقليد وغيرها، وذلك يتم من خلال ثلاث خطوات:

الأولى: استهداف الحقيقة: فالموضوعية تتطلب البحث عن الصواب والحق، قال أبو حامد الغزالي: "ينبغي أن يكون طالب الحق في طلبه كناشد الضَّالَّة، لا يُفرِّق بين أن تظهر على يده أو غيره"(٤٤٥).

الثانية: الانطلاق من الحق: الذي يجعل المجدِّد يسعى في عمله على أساسه، ويزن الأمور بميزانه دون الأهواء والشهوات والرغبات الشخصية.

الثالثة: الأخذ بالحق دون المراوغة فيه: أو الاكتفاء بما يوافق الهوى منه، أو الوقوف عند حدِّ الاعتراف النظري به.

---

(٤٣٩) صحيح البخاري، ١٣٧٨.
(٤٤٠) صحيح البخاري، ٣٠٣٨، ومسلم، ١٧٣٣.
(٤٤١) صحيح البخاري، ٢٠.
(٤٤٢) صحيح البخاري، ٣٥٦٠، ومسلم، ٢٣٢٧.
(٤٤٣) أدعياء التجديد مبددون لا مجددون، د. علي العماري، ص١٣ بتصرف.
(٤٤٤) البحث العلمي بين الأصالة والمعاصرة – دراسة مقارنة، د. عبد الله علي عبد الحميد، ص١٦.
(٤٤٥) إحياء علوم الدين ٤٤/١.

ومن هنا يتبين أن هذا الأساس من أهم الأسس اللازمة لتجديد الخطاب الدعوي، وإعادة التصور الصحيح، والفهم السليم للمبادئ والأصول الإسلامية؛ وذلك لأنه ضابط إيماني أخلاقي(٤٤٦).

المطلب التاسع: الأخذ بجميع النصوص

الباحث المنصف لا يستطيع الوصول إلى الفهم الصحيح، والتفسير الصائب لنص مقتطع من نسق فكري كامل دون مراعاة المجموع، أو تبيين الدلالة المستفادة من نص دون بحث عمَّا يرتبط به من نصوص تفيد إطلاقه، أو تخصيص عمومه، أو تزيل ما يلابسه من خفاء أو إشكال مما هو مقرر لدى أهل هذا الشأن، فبعض المناوئين للإسلام يتهمون الإسلام بأنه دين قتال، وأنه انتشر بقوة السيف، واعتمدوا على بعض نصوص الوحي المطلَقة، وفسَّروها منفصلة عن بقية الآيات المقيَّدة، ومن المعلوم لدى علماء الأصول في الشريعة أن المطلق يُحمل على المقيد إذا وردا في قضية واحدة؛ وذلك لأن القرآن يفسِّر بعضُه بعضًا، وقد رأينا بعضًا من يفتي بحرمة القيام لأهل العلم أو الوالدين، وتقبيل أيديهم لحديث سمعه يتصل بذلك، دون أن يُلِمَّ بالأحاديث الأخرى التي أباحت القيام لهم توقيرًا وإجلالًا، ورأينا ممن يدَّعون الإسلام من يحاول أن يثبت أن الإسلام خاص بالعرب وحدهم، وأنه دين جنس معين كاليهودية أو النصرانية، وذلك حتى لا ينتشر الإسلام في دول العالم المختلفة.

المطلب العاشر: التركيز على القواعد الكلية، والأصول الجامعة

من أعظم التحديات التي يلاقيها الخطاب الدعوي الإسلامي في هذه المرحلة العصيبة التي يجتازها، مواجهة علل الاختلاف والتفرق والتنازع التي أحكم الانحطاط والاستعمار غراسها في جسم الأمة.

والأصل أن البرنامج الدعوي مشروع جامع توحيدي، يجمع شعوب الأمة وقبائلها وجماعاتها ومكوّناتها المتنوعة على كلمة سواء، ومقتضى هذا الأصل أن يلتزم الخطاب الدعوي في جميع الأحوال بنبذ "الطائفية"، وترسيخ معاني الوحدة، وتوثيق أواصر الوحدة والتعاون والتكامل على مختلف الأصعدة.

المطلب الحادي عشر: البصيرة الفقهية

وذلك بأن يكون الداعية واعيًا لما يعظ به أو يدعو إليه من كتاب أو سنة، فقيهًا في أحكامهما، مستوعبًا مقاصدهما، وهذا يستوجب – من جهة – أن يكون ريّانًا في علوم الشريعة، وعلوم القرآن والحديث، وعلم الفقه وأصوله، وعلوم اللغة، فمن لم يكن ريّانًا في هذه العلوم – وهي آلات العلم وموارد التفقه – تكلّم في الدعوة بلسان قصير، وأفسد من حيث أراد أن يصلح.

ومن جهة أخرى، أن يكون عارفًا بواجب الوقت، ناظرًا في تعيين المحل الذي يليق بما يدعو إليه؛ ومعرفة الأحوال الواقعة، ومراعاة العوائد والأوضاع الغالبة والمستقرة في الواقع الاجتماعي، ومعرفة حيل الناس وطباعهم وهمومهم واتجاهاتهم الثقافية، وأن ينظر إلى مآلات ما يدعو إليه بالنسبة إلى حال الزمان وأهله. وهذا فن دقيق في التعليم والدعوة ضلّت فيه أفهام، وزلّت فيه أقدام.

المطلب الثاني عشر: البيان المبين

البيان هو المرتكز الأول والمعتصم الأكبر الذي ينبني عليه التكليف والمسؤولية، ويترتب عليه الحساب والجزاء،

(٤٤٦) المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة، يوسف بن عبد الله، ص١٥٨.

ويعوّل عليه في تحقيق المقاصد العليا لهذا الدين؛ وهو الذي تقوم به الحجة، ويتم به البلاغ، ويصل به ما في خطاب الله لعباده من الهدى والبينات، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤﴾ [إبراهيم: ٤].

قال ابن جرير: "ليبين لهم، أي: ليفهمهم ما أرسله الله به إليهم من أمره ونَهيه، ليُثْبت حجة الله عليهم، ثم التوفيقُ والخذلانُ بيد الله"(٤٤٧).

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النحل: ٤٤].

قال الشيخ عبد العزيز السلمان: "أي: لتعرِّفهم ما أنزل إليهم من الأحكام والشرائع وأحوال القرون المُهلَكة، وتُبيّن لهم ما أشكل عليهم من الأحكام، وتُفصِّل لهم ما أُجْمِل؛ بحسب مراتبهم في الاستعداد والفهم لأسرار الشرائع"(٤٤٨)، قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ١٣٨﴾ [آل عمران: ١٣٨].

قال ابن كثير: "يعني القرآن فيه بيان الأمور على جليتها"(٤٤٩).

وقال الرازي: "ولا بد من الفرق بين البيان، وبين الهدى، وبين الموعظة؛ لأن العطف يقتضي المغايرة وعلى ذلك، **فالبيان** هو: الدلالة التي تفيد إزالة الشبهة بعد أن كانت الشبهة حاصلة، وأما **الهدى** فهو: بيانٌ لطريق الرشد ليُسْلَك دون طريق الغي، وأما **الموعظة** فهي: الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين"(٤٥٠)، وقد ورد البيان بتصريفاته كثيرًا في القرآن، ونكتفي بذلك اختصارًا(٤٥١).

المطلب الثالث عشر: إحياء فقه الأولويات، وتربية الدعاة عليه

فقه الأولويات هو فهم وإدراك مراتب الأعمال والمشاريع الدعوية، ووضع كل شيء منها في مرتبته بالقسط، ثم تقديم الأَوْلى فالأَوْلى عند الازدحام، وفق ضوابط ومعايير شرعية صحيحة يهدي إليها العلم بالشرع والفهم للواقع، فلا يُقَدَّم غير المهم على المهم، ولا المرجوح على الراجح، ولا المفضول على الفاضل، بل يُقَدَّم ما حقه التقديم، ويُؤخَّر ما حقه التأخير، فيوضع كل شيء في موضعه بالقسطاس المستقيم، بلا بخس ولا طغيان، ولا إفراط ولا تفريط.

---

(٤٤٧) جامع البيان، الطبري ٥١٦/١٦.

(٤٤٨) الأنوار الساطعات لآيات جامعات، عبد العزيز السلمان ٢٠٠/١.

(٤٤٩) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١٢٦/٢.

(٤٥٠) مفاتيح الغيب، الرازي ١١/٩ باختصار.

(٤٥١) مفهوم البيان في القرآن والحديث، ص٦١، د. فاطمة بوسلامة.

الفصل الحادي عشر: مقاصد الدعوة

المبحث الأول: حقيقة مقاصد الدعوة، وأهميتها

المطلب الأول: حقيقة مقاصد الدعوة

أولًا: المقاصد لغة:

مادة "قصد" لها معانٍ كثيرة في اللغة العربية؛ ومنها: الاستقامة، والسهولة، والعَدْل، والإرادة، والوسطية، والاعتماد، وإتيان الشيء، والتوجه، والنية، والغاية، والتعمد(٤٥٢).

ثانيًا: المقاصد اصطلاحًا:

عرف الشيخ محمد الطاهر بن عاشور المقاصد بقوله: "مقاصد التشريع العامة هي: المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها"(٤٥٣).

وقيل: "بأنها الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"(٤٥٤).

وقيل: "الغايات التي تهدف إليها النصوص من الأوامر والنواهي والإباحيات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفرادًا وأسرًا، وجماعات، وأمة(٤٥٥).

ويتبين من التعاريف أن هناك اتفاقًا بين العلماء على أن علم المقاصد يقوم على:

١- الحكمة العامة للشريعة.

٢- المقاصد والحِكَم الجزئية لأحكام الشريعة.

٣- إعمال المقاصد في فهم النصوص، واستنباط أحكامه، والاجتهاد فيما لا نص فيه.

٤- إعمال المقاصد في معالجة مختلف القضايا الفكرية، والسياسية، والاجتماعية.

ثالثًا: تعريف مقاصد الدعوة:

عرفت مقاصد الدعوة بأنها: عملية بيان هدف الدعوة إلى الله تعالى، وتحديد المطلب الذي يسعى الداعية لتحصيله، ووضعه في إطار شرعي، والعمل لتحقيقه(٤٥٦).

ويمكن من خلال المعنى اللغوي الخروج بتعريفين كذلك:

الأول: الأهداف التي تسعى الدعوة إلى تحقيقها في حياة الناس جميعًا.

الثاني: معرفة، وفهم، وإدراك الأهداف التي من أجلها أُمِرَ الناس بالدعوة إلى الله.

رابعًا: مقاصد الدعوة إجمالًا:

١- تحقيق العبودية لله رب العالمين.

٢- إقامة منهج الله تعالى في كل أمور الحياة.

٣- إيصال الخير للناس كافة.

---

(٤٥٢) انظر: لسان العرب مادة قصد، وكذلك الصحاح للجوهري، والقاموس المحيط.

(٤٥٣) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر ابن عاشور، ص١٦٥.

(٤٥٤) قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي، د. عبد الرحمن إبراهيم الكيلاني، ص٤٦.

(٤٥٥) دراسة في فقه مقاصد الشريعة، د. يوسف عبد الله، ص٢٠.

(٤٥٦) مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثرها في حياة الداعية، سعد بن عبد الله القعود، ص١١.

٤- الوحدة والاجتماع.

٥- إقامة الأخلاق.

٦- إقامة العدل، ومحاربة الظلم.

٧- براءة الذمة، والإعذار إلى الله تعالى.

٨- قيام الحجة على الناس.

المطلب الثاني: أهمية معرفة مقاصد الدعوة

علم مقاصد الدعوة إلى الله له الأهمية البالغة في نجاح دعوة الداعي إلى الله، كما أن له الأثر الكبير والنفع والفائدة التي تعود على الداعية وعلى دعوته.

مقاصد الدعوة وغاياتها هي لب الدعوة وروحها؛ ولذا يقول الإمام الشاطبي: "المقاصد هي أرواح الأعمال"(٤٥٧)، "وإن زلة العالم أكثر ما تكون عند الغفلة عن اعتبار مقاصد الشرع"(٤٥٨).

إن بعض الدعاة يغفل عن استحضار مقاصد الدعوة وهي متعددة، ليتوهم أن للدعوة غاية واحدة؛ هي: استجابة الناس واتباعهم للحق، ويتخذ من ذلك مقياسًا وحيدًا لصحة الدعوات ونجاحها أو خطئها وفشلها، فيبتعد عن كل ما يتصور أنه يؤدي إلى نفرتهم، ويسعى إلى تجميعهم ولو على حساب الحق والحقيقة، أو العكس: فيتخذ كل السبل التي قد تبعدهم من غير تمييز بين ما يصلح لهم وما يصلح لغيرهم.

ومن ذلك تبرز أهمية معرفة المقاصد في النقاط التالية(٤٥٩):

١- أن الاهتمام بمقاصد الدعوة إلى الله له الأثر الكبير في منهج التفكير لدى الداعية إلى الله، بل ومنهج فهم الدين وقواعده، ومراعاة الأولويات، والقضاء على النظرة الناقصة الجزئية، والتوجه إلى النظرة الشاملة العامة.

٢- بالعلم بمقاصد الدعوة يتضح الطريق للداعية إلى الله، فيمضي في دعوته بثبات ويقين، إذ مقصده وهدفه وغايته واضحة أتم الوضوح، وهي مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله، فلا يدرك الداعية إلى الله الشك، أو الريبة، أو الخمول.

٣- بمعرفة مقاصد الدعوة إلى الله يظهر لنا شمول الشريعة وعمومها، وأنها رحمة للبلاد والعباد، وأن مبناها وأساسها الحكم والمصالح للعباد في المعاش والمعاد، وأنها عدل كلها، ورحمةٌ كلها، ومصالحُ كلها، وحكمةٌ كلها، وأنها يسر كلها؛ في أحكامها وتشريعاتها، وفي كل جوانبها، وبذلك يكون الداعية إلى الله ذا ثقة كبيرة في دعوته، وصاحب نظرة بعيدة شاملة في دعوته إلى الله.

٤- أن معرفة مقاصد الدعوة إلى الله، أكبر معين للداعية إلى الله، في ترتيب أولوياته ومشاريعه الدعوية.

٥- أن العلم بمقاصد الدعوة إلى الله، تُقوِّم عمل الداعية إلى الله من الميل أو الهوى، ففيها البيان الشافي له أن يكون مقصده هو هداية العالمين إلى عبادة ربهم، وإقامة دينه في الأرض، فهي بذلك ترشده للإخلاص والصدق، دون نزول إلى طلب الشهرة والرئاسة أو غيرها.

٦- العلم بمقاصد الدعوة إلى الله، تجعل الداعية إلى الله ذا نفس مطمئنة طيبة لإخوانه الدعاة، إذ عرف أنهم يسيرون على مقصد دعوي مستمد من الكتاب والسنة، فلا يقف على الفرعيات التي تختلف فيها الأنظار والفهوم، فتكون سببًا

---

(٤٥٧) الموافقات ٢/٣٤٤.

(٤٥٨) الموافقات ٤/١٧٠.

(٤٥٩) ملخص من: منهج الدعوة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، منشور على الشبكة، ومقال بعنوان: أهداف الدعوة وغاياتها.

للشقاق والتباغض، بل يعترف بفضلهم لمعرفته بمقصدهم، وما يبذلونه من جهد في هداية الخلق، ودلالتهم على الدين القويم.

٧- مقاصد الدعوة هي المعيار الذي يقوّم بها الداعية عمله، فالأعمال الدعوية تصبح ذات قيمة، أو تفقد قيمتها، باعتبار مقاصدها، ومدى فهم الداعية لها، وارتباطه بها في كل خطواته.

٨- تحديد المقاصد يمنع وقوع الخلط بين المقصد والثمرة، فعلى سبيل المثال الاستخلاف والتمكين ليس مقصدًا للدعوة، وإنما هو ثمرة من ثمراتها.

٩- تحديد المقاصد يمنع وقوع الخلط بين الأهداف القريبة عند الدعاة، فيمنع من الفتور أو اليأس عند حصول فشل أو إخفاق في تحقيق هذا الهدف القريب؛ لأنه ما على الدعاة إلا البلاغ.

١٠- معرفة المقاصد يؤدي إلى السلامة من التمزق والصراع الداخلي، أو التوزع والانقسام بين مختلف الغايات وشتى الاتجاهات، ويزيل العصبية، ويعصم الداعية من شهوات نفسه.

١١- معرفة المقاصد تؤدي إلى اشتراك واتحاد بين الدعاة، يساهم في التعاون والتكافل والتآلف والتناصر.

١٢- تحديد المقاصد يؤدي إلى تحديد المنهج الموصل إلى المقصد، بمرحلة وتدرج ووعي وبصيرة وحكمة، فتوضع أهداف مرحلية بعيدة عن الارتجالية والفوضوية التي قد تؤدي إلى القعود أو الفتور.

١٣- إذا علم الداعية المقاصد العظيمة من دعوته؛ هانت عليه كل الصعاب، واجتهد في العمل على تنفيذ أمر الله سبحانه وتعالى.

١٤- التوازن في الأعمال والبرامج الدعوية، فلا يطغى جانب من جوانب الشريعة أو العبادة على جانب آخر، بل يدعو إلى الإسلام كله من غير إفراط ولا تفريط.

١٥- إذا فهم الداعية مقاصد الدعوة؛ تحرك بمرحلية من غير تأخر ولا استعجال.

١٦- فهم مقاصد الدعوة يضبط أفكار الدعاة، ويساعد الدعاة في إدراك مآلات الأفعال، ويجعلهم يتخيرون من الأقوال أنسبها، وينزلونها في خير محلها، على أحسن أحوالها.

١٧- إدراك المقاصد يعين الدعاة على ردِّ الشبهات التي تثار حول الإسلام؛ ببيان منهجه الأصيل، وإدراك مراميه وأهدافه، فتبين صورة الإسلام واضحة.

١٨- إدراك المقاصد يساعد الدعاة على تحقيق أهدافهم، وترشيد مسيرتهم، بأقصر طريق، وأقل وقت وجهد مبذول، وبتقليل من المواجهات.

١٩- يستفيد الداعية من فهمه لمقاصد الدعوة: العمل على الجمع بين أداء الرسالة الدعوية، وأداء الواجب تجاه نفسه وأهله ومهنته، إلى غيرها من حاجاته.

٢٠- فقه مقاصد الدعوة له دور كبير في توجيه الفكر نحو الاعتدال والتوازن في كل القضايا العلمية والعملية.

المبحث الثاني: الانحراف في باب المقاصد وأثره في الدعوة

إذا تأملنا حال تلك الدعوات التي جانبت المقاصد، وألقتها خلفها ظهريًّا، ولم تعمل بها، بل ولم تُلْقِ لأمر المقاصد أي عناية؛ لتقع في المثالب الكبار، والأخطاء الشنيعة، فباتت دعوتهم متشرذمة متحزبة، مجانبة للمنهج الشرعي.

والانحراف في باب المقاصد يأتي في جانبين ما بين إفراط وتفريط(٤٦٠):

المطلب الأول: الإهمال لمقاصد الدعوة

"فالدعوة بلا مقاصد خبط عشواء يترتب عليه مشكلات ومثالب وسلبيات لا تحصر، تعود جل الانتكاسات الدعوية التي نحياها – إن لم نقل كلها – إلى عدم إدراك العلماء والدعاة لهذا الفكر، وعدم تفعيله وتطبيقه في ممارستهم الدعوية والعلمية؛ وبدون إدراكه سنعرض الإسلام بصورة مغلوطة، ونؤخر حركة الإسلام، ونشوه صورة المسلمين، ونعطِّل حركة الإسلام للأمام، فلن ندرك الأولويات ولا المآلات في ممارساتنا، وسوف نسيء كثيرًا للإسلام من حيث أردنا الإحسان، فليست النية الصالحة وحدها تكفي، وإنما لا بد من فقه وعلم وممارسة صحيحة عبر إدراك مقاصد الدعوة، ومقررات الإسلام، وغايات الشريعة الإسلامية"(٤٦١).

ويمكن بيان مخاطر إهمال فقه المقاصد من خلال النقاط التالية:

١. قصور في الفهم والرؤية للقضايا الدعوية النازلة، وبناءً عليه تصدر تصرفات وردود أفعال تؤثر على الدعوة والدعاة والمدعوين.

٢. التحجر والتشدد في المواقف الدعوية.

٣. التفريط أو الإفراط بين العجلة والتسويف؛ لأن غياب المقاصد يؤدي إلى غياب التدرج والمرحلية، أو فقه الأولويات الدعوية.

٤. الإفراط أو التفريط في العمل الدعوي، وذلك بتكبير قضايا مهمة، ولكن يستغرق فيها الدعاة فيتركون قضايا أكثر أولوية وأكثر أهمية؛ منها كمن يركز مثلًا على التشديد على شرب الخمر والمدعو غير مسلم أصلًا، فلا بد من دعوته أولًا للتوحيد، ثم إذا استجاب وقوي الإيمان في قلبه ننهاه عن الخمر.

٥. توسع هوة الخلاف بين الدعاة حتى يتحول إلى تنازع، وتفرق، وتنابز، واقتتال.

٦. ضعف التفاعل مع النوازل المعاصرة، والعمل الدعوي وفق المستجدات القائمة.

٧. نشر الفتن، وزعزعة أمن المجتمعات؛ حيث يؤدي عدم الفهم لمقاصد الدعوة إلى الحماس غير المنضبط في قضية الإنكار بالقوة، أو استخدام شريعة الجهاد في غير موضعها.

المطلب الثاني: الإفراط والتفريط في مقاصد الدعوة

الإفراط في مقاصد الدعوة نابع من الإفراط في مقاصد الشريعة، فقد كَثُر الحديث عن فقه المقاصد في الإسلام، ليس بين أهل الفقه فقط، بل بين بعض الذين يبحثون عما أسموه التجديد، وصرنا نرى اجتهادات جديدة وحديثة في تأويل الدين معتمدةً على فكرة المقاصد بعيدة عن الدليل.

فتجدهم يأخذون مقصدًا واحدًا من مقاصد الشريعة، ويركزون عليه دون سواه، ولا يستطيعون الجمع والتوافق بين

---

(٤٦٠) عقد د. سعد القعود فصلًا كاملًا عن الفهم الخاطئ لمقاصد الدعوة وأثره في الدعوة إلى الله، في رسالته: فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية، وقد أجاد فيها.

(٤٦١) ملخص حوار خاص مع د. وصفي عاشور "شبكة رسالة الإسلام".

غيره من المقاصد.

وعلى سبيل المثال: تجد بعضهم يتوسع في مقصد الدعوة للتوحيد، ويجعلها هي كل اهتمامه – وهذا أمر جيد – ولكن قد يبني عليها عداء مع المجتمع والمدعوين الذين لا يستجيبون فيستحل الدماء المعصومة، مع أن من مقاصد الدعوة الأخرى ما يضبط مفهوم الجهاد وفقهه.

وكذلك من يتوسع في مقصد رفع الظلم وإقامة العدل، فيهمل التوحيد وإقامة العبودية لله تعالى في المجتمع أولًا.

وكذلك جانب آخر وهو مهم جدًّا، وهو التنازل عن مسلمات الشريعة بالنظر للمقاصد، دون النظر للنصوص، فتجد من يفتي بأن تكون صلاة الجمعة يوم الأحد في بلاد الغرب لأنه الإجازة الرسمية للمجتمع هناك، تحقيقًا لمقصد إقامة الدين.

ويرى أحدهم أن المقصد من آية الحجاب هو مجرد الاحتشام، فمتى تحقق ذلك الاحتشام لا يجب التقيّد بالشروط الشرعية التي ذكرها علماء المسلمين لحجاب المرأة المسلمة، وهنا يحصل الخلل الدعوي في المجتمع، فيفسر كل شخص الاحتشام بطريقته، ورؤيته بعيدًا عن النصوص الشرعية واستنباطات الأئمة.

وهذا نابع من الجهل بالشريعة، والجرأة على القول بغير علم، والتبعية للغرب، وإعلاء منطق العقل على منطق الوحي، وقد يستدلون بذلك ببعض الأدلة غير الصحيحة متنًا أو مفهومًا.

ولذا لا بد من أن نتبع مسلكًا وسطيًّا في التعامل مع فقه مقاصد الدعوة بأمرين:

الأول: أن يكون المقصد مما دل عليه القرآن والسنة، وعمل سلف الأمة.

الثاني: لا بد من فهم علاقة مقاصد الدعوة بعضها ببعض، وفقه أولوياتها، ومراحلها.

المبحث الثالث: مصادر مقاصد الدعوة

المصدر الأول للداعية والفقيه بل للمسلم عمومًا هو القرآن الكريم، ويمكننا أن نضع أيدينا على مقاصد الدعوة من خلال قصص الأنبياء في القرآن، وقصص الدعاة والمصلحين؛ عبر التأمل والتدبر والتعمق في آياتها وسورها، وكذلك سيرة النبي ﷺ.

والسنة النبوية كلها بأقوالها وأفعالها وتقريراتها هي المصدر الثاني للتعرف إلى مقاصد الدعوة ومقاصد الشريعة.

يضاف إلى ذلك مطالعة سير ومسيرة المرسلين والمجددين والمصلحين والدعاة على مر العصور، ففي سيرهم عبرة وعظة، كما قال القرآن الكريم: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

وقد أخذ العلماء مقاصد الدعوة من كتاب الله تعالى، ومن سيرة النبي ﷺ في الدعوة، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢].

فالهدف من خلق الجن والإنس هو عبادة الله تعالى، وهذا هو أساس المقاصد.

أما قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥]، فهاتان الآيتان بيَّن الله تعالى فيهما المقصد من الدعوة، ويتمثل ذلك في مقصدين أساسيين:

المقصد الأول: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي﴾، قال ابن كثير ﷺ تعالى: "يقول الله تعالى لعبده ورسوله إلى الثقلين: الإنس والجن، آمرًا له أن يخبر الناس: أن هذه سبيله، أي طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له"(٤٦٢)، أي: "حثُّ الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغبهم في ذلك وأرهبهم مما يبعدهم عنه"(٤٦٣).

المقصد الثاني: ﴿أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾، قال الإمام ابن جرير: أي "إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهو الإسلام"(٤٦٤).

فالمقصد الأول الدعوة إلى توحيد الله، والمقصد الثاني الدعوة إلى التزام شِرْعَةِ الله تعالى، وكل المقاصد بعد ذلك تنبثق من هذين المقصدين، والله تعالى أعلم.

---

(٤٦٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٤٢٢/٢.

(٤٦٣) تيسير الكريم الرحمن، ص٤٠٦.

(٤٦٤) جامع البيان ٣٢١/١٧.

المبحث الرابع: أهم مقاصد الدعوة

المقصد الأول: تحقيق العبودية لله رب العالمين

يمكن بيان هذا المقصد في النقاط التالية:

أولًا: مفهوم تحقيق العبودية لله رب العالمين:

العبودية لله تعالى هي أول مقصد من مقاصد الدعوة، وتعني: إفراد الله تعالى بالعبادة، فلا يُدعى إلا اللهُ وحده لا شريك له.

فالعبادة لغة هي: الذل، والخضوع.

قال الأزهري: "معنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع، يقال: هذا طريقٌ معبَّدٌ إذا كان مذللًا بكثرة الوطء، وبعير معبَّد، إذا كان مطليًّا بالقطران"(٤٦٥).

وقال الجوهري: "أصل العبودية: الخضوع والذل، والتعبيد: التذليل، والعبادة: الطاعة، والتعبد: النسك"(٤٦٦).

وأما العبادة شرعًا، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية، هي: "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة"(٤٦٧).

وقال ابن كثير: "العبادة في الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف"(٤٦٨).

ثانيًا: مقصد تحقيق العبودية في القرآن:

ويتضح هذا المقصد في التوجيهات القرآنية والنبوية التي تُبَيِّنُ ذلك.

فقد بين الله تعالى في كتابه أنه ما خلق الخلق إلا من أجل عبادته وحده، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، "أي: إنما خلقتهم لآمرهم بعبادتي، لا لاحتياجي إليهم"(٤٦٩).

"فهذه الغاية، التي خلق الله الجن والإنس لها، وبعث جميع الرسل يدعون إليها، وهي عبادته، المتضمنة لمعرفته ومحبته، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عما سواه، وذلك يتضمن معرفة الله تعالى، فإن تمام العبادة، متوقف على المعرفة بالله، بل كلما ازداد العبد معرفة بربه، كانت عبادته أكمل، فهذا الذي خلق الله المكلفين لأجله، فما خلقهم لحاجة منه إليهم"(٤٧٠).

وهو أول الأوامر التي يأمر الله بها عباده، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

وأمر الله بعبادته في كثير من المواضع في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: ٩٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت: ٥٦].

والنهي عن الشرك، هو أول ما نهى الله عنه، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ

---

(٤٦٥) تهذيب اللغة.

(٤٦٦) الصحاح للجوهري.

(٤٦٧) العبودية، ابن تيمية، ص٤٤.

(٤٦٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ١/١٣٤.

(٤٦٩) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٧/٤٢٥.

(٤٧٠) تيسير الكريم الرحمن، ص٨١٣.

شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأنعام ١٥١]، **وقال تعالى:** ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣].

ومن أهميته أن الله تعالى أمر به أنبياءه وهم خيرة الخلق، قال تعالى لأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: ٢٦].

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾ [المدثر: ٥]، **وقال:** ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر: ٦٥ – ٦٦].

ولقد كانت مهمة الأنبياء عليهم السلام الأولى هي: الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك، وما بعَث الله نبيًّا إلا أمره بدعوة قومه إلى التوحيد، ونهيهم عن الشرك؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَـٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦]، **وقال تعالى:** ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ولذا كان الأنبياء أول ما يبدؤون دعوتهم لقومهم يأمرونهم بالتوحيد وينهونهم عن الشرك، قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩]، **ونفس هذه القول ورد عن الأنبياء بعده.**

ولقد كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدعون ربهم أن يقيهم الشرك، قال تعالى في دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وبيَّن تعالى أن الشرك ضرره عظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]، **وقال تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦]، **وقال تعالى:** ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾ [المائدة: ٧٢].

ثالثًا: مقصد تحقيق العبودية في السنة:

وهذا رسول الله ﷺ استمرت دعوته في مكة ثلاث عشرة سنة، يدعو للتوحيد، وينهى عن الشرك، وكان يوصي الدعاة الذين يرسلهم بذلك، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، حين بعثه إلى اليمن: "إنك ستأتي قومًا أهل كتاب، فإذا جئتَهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله"(٤٧١).

وقد سُئِل النبي ﷺ: أي العمل أفضل؟ فقال: "إيمان بالله ورسوله"(٤٧٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن أعرابيًّا أتى النبي ﷺ، فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: "تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان"(٤٧٣).

---

(٤٧١) صحيح البخاري، ١٤٢٥، ومسلم، ١٩.

(٤٧٢) صحيح البخاري، ٢٦، ومسلم، ٨٣.

(٤٧٣) صحيح البخاري، ١٣٩٧، ومسلم، ١٤.

وسُئِل: أيُّ الذنب أعظم عند الله؟ فقال: "أن تجعل لله ندًّا، وهو خلقك"(٤٧٤).

"وإنما أُرْسِلت الرُّسل وأُنْزِلت الكتب للأمر بالمعروف الذي رأسه وأصله التوحيد، والنهي عن المنكر الذي رأسه وأصله الشرك"(٤٧٥).

وقد وعى ذلك الصحابة رضوان الله عليهم، فهذا ربعي بن عامر يرد على سؤال رستم قائد الفرس عندما سأله، لماذا جئتم إلى بلادنا؟ فقال ربعي ﷺ: "الله جاء بنا، وهو بَعَثنا لنُخرج مَنْ شاء مِنْ عبادة العباد إلى عبادة الله، ومِنْ ضيق الدُّنيا إلى سعتها، ومِنْ جور الأدْيَان إلى عدل الإسلام"(٤٧٦).

رابعًا: أهمية مقصد تحقيق العبودية لله:

يقول الشيخ السعدي: "والقيام بعبادة الله والاستعانة به هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور، فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما"(٤٧٧).

إن غاية خلق الخلق تتمثل في وظيفةٍ، من قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده، ومن قصر فيها فقد أبطل غاية وجوده، وأصبحت حياته فارغة من القصد والمعنى الأصيل.

وهذه الوظيفة، هي عبادة الله، أي: أن يكون هناك عبدٌ يَعبد، وربٌّ يُعبد، ولن تستقيم حياة العبد إلا على أساس هذا الحق الثابت لله تعالى وحده لا شريك له.

والله سبحانه وتعالى ليس بحاجة إلى عبودية المخلوقات له، فهي لن تزيد في ملكه شيئًا أو تنقص منه شيئًا، ولكنه يريد لعباده أن يعرفوا حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية، لتصح معتقداتهم وحياتهم، فيخرجوا من عبادة العباد إلى عبادته هو وحده، وليعرفوا مَنْ صاحب الخلق والملك والتدبير لهذا الكون فلا يخضعوا إلا له، ولا يطبقوا إلا منهجه وشريعته، فيستشعروا العزة حين يخرون له راكعين ساجدين، يذكرونه ولا يذكرون أحدًا سواه، وفي الوقت نفسه يعمرون الأرض، ويعملون الصالحات قربى إليه سبحانه وتعالى، ومن ثم تصلح حياتهم وترقى.

"وحري بالدعاة أن يوجهوا جهودهم إلى تبصير الناس كيف يوحدون ربهم، وكيف يخلصون دينهم لله، وعليهم أن يجعلوا ذلك هو الأصل والأساس كما كان الرسل من قبل"(٤٧٨).

المقصد الثاني: إقامة منهج الله تعالى في كل أمور الحياة

أولًا: مفهوم مقصد إقامة منهج الله في كل أمور الحياة

الإسلام نظام شامل يتناول كل مظاهر الحياة، فهو إيمان يتمثل في القول والعمل والاعتقاد، وهو شريعة، وعبادة، ومعاملة، وعمران، وهو وعاطفة، وأخلاق.

إن الإسلام له منهجه الإصلاحي المتكامل؛ ذلك المنهج الذي يحقق للعبد سعادته في الدنيا والآخرة، إذا التزم به وأخلص فيه نيته لله ﷻ؛ ولذلك ينبغي على الدعاة أولًا أن يتشبعوا بهذا الفهم عن الإسلام، ولا يحصرونه في اعتقاد وعبادات بعيدًا عن واقع الناس.

---

(٤٧٤) صحيح البخاري، ٤٤٧٧، ومسلم، ٨٦.

(٤٧٥) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" قاله الشيخ: عبد اللطيف بن عبد الرحمن النجدي الحنبلي، ص٥٥٥، ٥٥٦.

(٤٧٦) ينظر القصة بطولها في: تاريخ الرسل والملوك للطبري ٥٢٠/٣، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢٩٧/٢، والبداية والنهاية لابن كثير ٣٩/٧ حوادث سنة خمسة عشر.

(٤٧٧) تيسير الكريم الرحمن، ص٣٩.

(٤٧٨) التوحيد محور الحياة، عمر الأشقر، ص٣٢.

ثانيًا: الأدلة من القرآن على مقصد إقامة منهج الله في كل أمور الحياة

الأدلة على ذلك كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٠٨﴾ [البقرة: ٢٠٨]. "أي: في جميع شرائع الدين، ولا يتركوا منها شيئًا، وألا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه، تركه، بل الواجب أن يكون الهوى، تبعًا للدين، وأن يفعل كل ما يقدر عليه، من أفعال الخير، وما يعجز عنه، يلتزمه وينويه، فيدركه بنيته"(٤٧٩).

ويأمر تعالى نبيه ﷺ، أن يقول ويعلن الدين الشامل المتضمن للعقائد النافعة، والأعمال الصالحة، والأمر بكل حسن، والنهي عن كل قبيح، فقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦٢ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ١٦٣﴾ [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣].

إنه التجرد الكامل لله، إسلام كامل لا يستبقي في النفس ولا في الحياة بقية لا يُعَبِّدَها لله، ولا يحتجز دونه شيئًا في الضمير ولا في الواقع.

وبين الله تعالى أنه نزل في القرآن بيان كل شيء، قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَجِئۡنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل: ٨٩]، وهذا البيان يتطلب العمل والدعوة إليه.

وحذر الله تعالى ممن يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون بالبعض الآخر في قوله: ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٨٥﴾ [البقرة: ٨٥].

فالله تعالى الذي أمر بالصلاة والزكاة في قوله: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ [البقرة: ٤٣]، وأمر بالصيام في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣]، وأمر بالحج في قوله: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ﴾ [البقرة: ١٩٦].

وهو القائل سبحانه في نفس السورة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾ [البقرة: ١٧٨].

وهو القائل: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

وهو القائل: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ١٨٠﴾ [البقرة: ١٨٠].

وهو القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨﴾ [البقرة: ٢٧٨]، وهو القائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وهو القائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [النساء: ٥٨].

---

(٤٧٩) تيسير الكريم الرحمن، ص٩٤.

فنصوص القرآن الكريم لم تفرّق بين فرضية الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وبين الوصية، أو القصاص، أو الجهاد، أو المعاملات المالية، ورد الأمانات، والحكم، والقضاء.

ثالثًا: الأدلة من السنة على مقصد إقامة منهج الله في كل أمور الحياة:

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "هل تدرون من المفلس؟"، قالوا: المفلس فينا – يا رسول الله – من لا درهم له ولا متاع، قال: "إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة، ويأتي قد شتم عرض هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، فيقعد، فيقص هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه من الخطايا، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار"(٤٨٠).

وقد قَرَّرَ ذلك رسول الله ﷺ في خطبة الوداع – التي كانت بمنزلة تقرير شامل لحقوق الإنسان – حين قال ﷺ: "... فإن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، وأول ربا أضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربًا غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله"(٤٨١).

حيث أكَّدت هذه الخطبة النبويَّة جملة من الحقوق؛ أهمُّها: حرمة الدماء، والأموال، والأعراض، والحقوق الزوجية كذلك.

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "اجتنبوا السبع الموبقات"، قالوا: يا رسول الله، وما هن؟ قال: "الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات"(٤٨٢).

إن النبي ﷺ جاء بإصلاح الدين، وإصلاح الدنيا، والجمع بين مصلحة الروح والجسد، وحث على القيام بالأمرين، وأن كل واحد منهما مُمَهِّدٌ للآخر، وَمُعِينٌ عليه، فكان ﷺ يقول في دعائه: "اللهم أصلح لي ديني الذي فيه عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر"(٤٨٣).

رابعًا: أهمية مقصد إقامة الحياة كلها على منهج الله:

والأمثلة كثيرة جدًّا على اهتمام هذا الدين بحق الله وحق العباد، وحق الأفراد والمجتمعات، وحق النساء والرجال، وغيرهم بما لا يخطر على عقول البشر القاصرة، وقوانينهم القاصرة بقصور عقولهم.

والواجب على الدعاة أن يعملوا على تطبيق الإسلام كمنهج حياة، عقيدة وعبادة وأخلاقًا ومعاملات؛ ليحدث لهم التوازن والاعتدال، فلا يتضخم جانب من جوانب الدين على حساب جانب آخر.

---

(٤٨٠) مسند أحمد٨٠٢٩ وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، جامع الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقاق والورع، باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص، برقم: ٢٤١٨ وقال: حديث حسن صحيح.

(٤٨١) صحيح مسلم، ١٢١٨.

(٤٨٢) صحيح البخاري٢٧٦٦، ومسلم، ٨٩.

(٤٨٣) صحيح مسلم، ٢٧٢٠.

"وعندما تغيب شمولية الإسلام وتوازنه عن كثير من الناس، أو لا يتضحان في تصورهم بالقدر الكافي، يخطئون في فهم جوانب من نظام الإسلام، فيغالون فيها أو يقصرون، فينشأ عن خطأ الفهم انحراف في السلوك والأخلاق، وقد كانوا في غنى عن خطأ الفهم، وبمنجاة من انحراف السلوك والأخلاق لو اتضحت لهم شمولية الإسلام وتوازنه"(٤٨٤).

وهذه هي معركة الإسلام الكبرى الآن، فإن المجرمين يريدون حصر الإسلام في المسجد – إن سمحوا بذلك أيضًا – ويريدون حصره في الشعائر دون الشرائع.

(٤٨٤) التوازن الحقيقي– مقال د. ناصر بن سيف السيف، منشور على موقع طريق الإسلام.

المقصد الثالث: إيصال الخير للناس كافة

ويمكن بيان هذا المقصد في الأمور التالية:

أولًا: مفهوم الخير:

قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾، "يعني إلى الإسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده"(٤٨٥).

وقيل: "الخير هو الإسلام، قاله مقاتل، أو العمل بطاعة الله، قاله أبو سليمان الدمشقي، أو الجهاد والإسلام"(٤٨٦).

وقيل: "الْخَيْر يعني إلى الإسلام. ويقال: إلى جميع الخيرات"(٤٨٧).

وقيل: "الْخَيْر وهو ما فيه صلاح دينيّ ودنيويّ"(٤٨٨).

وقيل: "الخير هو العمل الذي يرضاه الله"(٤٨٩).

وقيل: "الخير هو الصلاح في الدين"(٤٩٠).

وقيل: "الخير هو النفع الحسن"(٤٩١).

فالخير: "هو اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله، ويبعد من سخطه"(٤٩٢).

وهو "كل ما يتعلق بالبر والطاعة؛ طلبًا لجزيل الثواب، وهربًا من أليم العقاب"(٤٩٣).

و"مدار الخير هو التوحيد والطاعة"(٤٩٤).

ثانيًا: أدلة مقصد الدلالة على الخير:

كل ما أنزله الله تعالى فهو الخير الذي لا بد وأن يُدعَى الناس له، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [النحل: ٣٠]، فالمتقون يدركون أن الخير هو ما تقوم عليه دعوة الإسلام، من أمر ونهي، وتوجيه وتشريع.

وفعل الخير هو رسالة الأنبياء جميعًا، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء: ٧٣] "يعني: أمرناهم بالأعمال الصالحة، ويقال: بالدعاء إلى الله ﷻ، أي قول لا إله إلا الله"(٤٩٥).

وقال ابن سعدي: "يفعلونها ويدعون الناس إليها، وهذا شامل لجميع الخيرات كلها، من حقوق الله، وحقوق العباد"(٤٩٦).

---

(٤٨٥) جامع البيان ٩١/٧.
(٤٨٦) البحر المحيط ٩٢/٢.
(٤٨٧) بحر العلوم ٢٣٦/١.
(٤٨٨) محاسن التأويل ٣٧٤/٢.
(٤٨٩) جامع البيان ٥٠٥/٢.
(٤٩٠) المحرر الوجيز ٢٢٢/٤.
(٤٩١) مفاتيح الغيب ٤١٢/٦.
(٤٩٢) تيسير الكريم الرحمن، ص١٤٢.
(٤٩٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ٥٩٣/١.
(٤٩٤) فتح القدير ٣٥/٥.
(٤٩٥) بحر العلوم ٤٣٣/٢.
(٤٩٦) تيسير الكريم الرحمن، ص٥٢٧.

وفعل الخير أمر رباني لكل المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

فيرشد الله الأمة المسلمة لأسباب الفلاح، فالعبادة تصل الأمة بالله، وفعل الخير يؤدي إلى استقامة حياة الأمة.

والخلاصة: أن الله تعالى حث على دعوة الناس إلى الخير وهو الإسلام؛ حيث يجمع ما فيه صلاح الناس في دينهم ودنياهم وتعاملاتهم فيما بينهم.

ثالثًا: شمولية مجالات الخير التي هي مقصد الدين:

إنّ ميادين عمل الخير في مجال الدعوة كثيرة جدًّا، انطلاقًا من شمولية هذا الدين لجميع شؤون الحياة، فطالما أن هذا الدين شامل فهو يدعو لكل خير.

والدعوة إلى الخير تتسع لتشمل كل مجالات النشاط الإنساني، الدينية والدنيوية، وما يحقق الخير للفرد والمجتمع، فهناك أعمال خير فردي، وهناك أعمال خير جماعية، وبمجملها تنتظم ضمن دائرة عمل الخير والدلالة عليه.

ومن مجالات الدعوة إلى الخير: الدعوة للتوحيد وعبادة الله تعالى، وإقامة شرع الله تعالى في الواقع لما فيه من الخير للناس، وتعزيز الأخلاق الحسنة بين الأفراد وفي المجتمعات، والدعوة لضبط المعاملات بين الأفراد، سواء داخل الأسرة أو خارجها، وكذلك الدعوة لتحقيق العدل ورفع الظلم، والسعي لتلبية احتياجات الفقراء والمرضى وذوي الاحتياجات الخاصة.

ولقد حث الإسلام على فعل الخير للناس ودعوتهم إليه، وكان من صفات النبي ﷺ التي امتدحته بها أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، هي فعل الخير، فقالت رضي الله عنها: "والله ما يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ، وتُكْسِب المعدوم، وتَقْرِي الضيف، وتُعِين على نوائب الحق"(٤٩٧).

قال ﷺ: "أحب الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله تعالى سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخ في حاجة؛ أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد – يعني مسجد المدينة – شهرًا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه – ولو شاء أن يمضيه أمضاه – ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يتهيأ له، أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام"(٤٩٨).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس"(٤٩٩).

وخير النفع ما كان فيه سعادة الدنيا والآخرة، وهو الخير الذي هو الإسلام، وطاعة الله ﷻ، وطلب رضوانه.

لم تكن الدلالة على الخير لتنحصر يومًا ما في إلقاء كلمة أو درس أو تأليف كتاب، بل هي أوسع من ذلك، فهي تشمل هذا، وتشمل قدرة الداعية على تحرير أبواب الخير، وتخيُّرها، والدخول من خلالها لتبليغ الخير للناس.

وإذا لم يستطع فعل الخير دل عليه غيره ليقوم به، فيحصل هو كذلك على الأجر، كما قال رسول الله ﷺ: "من

---

(٤٩٧) صحيح البخاري، ١٦٠.

(٤٩٨) المعجم الكبير للطبراني ١٢/٤٥٣، برقم: ١٣٦٤٦، وقال الألباني حسن لغيره في صحيح الجامع، برقم: ٢٦٢٣.

(٤٩٩) المعجم الأوسط للطبراني ٦/٥٨، ومسند الشهاب ١/١٠، برقم: ٨١٢٩، وحسنه الألباني في صحيح الجامع، برقم: ٣٢٨٩، والسلسلة الصحيحة، برقم: ٤٢٦.

دلّ على خير فله مثل أجر فاعله"[٥٠٠]، والحديث: "فيه فضيلة الدلالة على الخير، والتنبيه عليه، والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلة تعليم العلم ووظائف العبادات، لا سيما لمن يعمل بها من المتعبدين"[٥٠١].

رابعًا: مفهوم شمولية إرادة الخير للناس كافة:

رسالة الإسلام هي الرحمة للعالمين، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. والمعنى "أن الله رحم العالمين بإرسال سيدنا محمد ﷺ؛ لأنه جاءهم بالسعادة الكبرى، والنجاة من الشقاوة العظمى، ونالوا على يديه الخيرات الكثيرة في الآخرة والأولى، وعلَّمَهم بعد الجهالة، وهداهم بعد الضلالة"[٥٠٢].

قال الرازي: "إنه ﷺ كان رحمة في الدين وفي الدنيا"[٥٠٣].

"ذلك أن الله تعالى أرسل إلى البشر رسولًا ليعتقهم من أسر الأوثان، ويخرجهم من ظلمة الكفر وعمى التقليد إلى نور الإيمان، وينقذهم من النار والعار، ويرفع عنهم الآصار، ويطهرهم من مساوئ الأخلاق والأعمال، ويرشدهم إلى صراط الحق"[٥٠٤].

ولذا فإرادة الخير وإيصاله للناس كافة، وصلاح الفرد والمجتمع، مقصد أساسي من مقاصد الدعوة إلى الله تعالى.

حتى غير المسلمين يصلهم من خير الإسلام الكثير. فهم أولًا لا بد من دعوتهم إلى الإسلام وهو أعظم الخير، وإذا لم يسلموا وبقوا بين المسلمين فإن لهم حقوقًا إنسانية ومجتمعية، شرعها الله ورسوله حفاظًا عليهم وحفاظًا على المجتمع، وأكد على حرمة المساس بها، أو تَنَقُّصها.

المقصد الرابع: الوحدة والاجتماع

من المقاصد المهمة للدعوة إلى الله، هي توحيد الأمة، والبعد عن مواطن الخلاف، وهذا الأمر ظهر جليًّا في توجيهات الله تعالى في كتابه، وتوجيهات نبيه ﷺ لما له من أهمية كبرى في الدعوة إلى الله، "فالأمة المستقرة تُخرّج الأجيال الذين يُعَدُّون لحمل رسالة الإسلام، والقيام بحاجات الأفراد، فنحن بحاجة إلى الفرد الصالح الذي يتربى في بيئة ترفرف عليها السعادة؛ لا النزاع والشقاق، وهنا ينشأ الأفراد في جو نفسي رائع بعيد عن التوتر والقلق، وفي مثل هذه البيئة يتخرّج الدعاة والمصلحون والمبدعون في كل مجالات الحياة الدينية والدنيوية"[٥٠٥].

ويمكن إجمال معالم مقصد الوحدة والاجتماع في الدعوة إلى الله في الأمور التالية:

أولًا: أمر الله تعالى المباشر بعدم التفرق:

قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

"إن في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم صلاح دينهم ودنياهم، وبالاجتماع يتمكنون من كل أمر من الأمور، ويحصل لهم من المصالح التي تتوقف على الائتلاف ما لا يمكن عدها، من التعاون على البر والتقوى، كما

---

(٥٠٠) صحيح مسلم، ١٨٩٣.
(٥٠١) شرح صحيح مسلم، النووي ٣٩/١٣.
(٥٠٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ابن جزي ٤٦/٢.
(٥٠٣) مفاتيح الغيب ١٩٣/٢٢.
(٥٠٤) محاسن التأويل ٢٢٧/٧.
(٥٠٥) الإصلاح بين الناس، أ. د محمد بن عبد العزيز العواجي، ص ٥٨، بحث جامعي، غير مطبوع.

أنه بالافتراق والتعادي يختل نظامهم، وتنقطع روابطهم، ويصير كل واحد يعمل ويسعى في شهوة نفسه، ولو أدى إلى الضرر العام"[٥٠٦].

قال ابن مسعود ﷺ: "عليكم بالجماعة، فإنها حبل الله الذي أمر به، وإن ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة"[٥٠٧].

وقوله: "﴿جَمِيعًا﴾، أي: لا تدعو أحدًا منكم يشذ عنها، بل كلما عثرتم على أحد فارقها – ولو قيد شبر – فردوه إليها، ولا تنظروه ولا تهملوا أمره، ولا تغفلوا عنه، فيختل النظام، وتتعبوا على الدوام، بل لا تزالون كالرابط ربطًا شديدًا حزمة نبل بحبل، لا يدع واحدة منها تنفرد عن الأخرى"[٥٠٨].

فلا يكون الاعتصام إلا بحبل الله تعالى، أي بعهده ونهجه ودينه، ونبذ كل الأهداف والعقائد دونها، ولا يوجد شيء بإمكانه أن يجمع القلوب إلا أُخُوَّةُ الدين؛ حيث تصغر حِيَالَهَا القبلية، ورايات العنصرية، والأطماع الشخصية.

ثانيًا: التذكير بنعمة تأليف القلوب بعد التفرق:

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٣].

الله ﷻ: "ذكرهم نعمة الاجتماع؛ لأن ذلك باعث على شكرها، وهو باعث على إدامة الاعتصام والتقوى"[٥٠٩].

كما أنه تعالى أمرهم: "بذكرها فقال: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ﴾ يقتل بعضكم بعضًا، ويأخذ بعضكم مال بعض، حتى إن القبيلة يعادي بعضهم بعضًا، وأهل البلد الواحد يقع بينهم التعادي والاقتتال، وكانوا في شر عظيم، وهذه حالة العرب قبل بعثة النبي ﷺ، فلما بعثه الله وآمنوا به واجتمعوا على الإسلام وتآلفت قلوبهم على الإيمان كانوا كالشخص الواحد، من تآلف قلوبهم وموالاة بعضهم لبعض"[٥١٠].

وقد منَّ الله تعالى على رسوله بنعمة تأليف القلوب بين المتبعين له بقوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣﴾ [الأنفال: ٦٢ – ٦٣].

وهكذا اجتمعوا وائتلفوا، وازدادت قوتهم بسبب اجتماعهم، ولم يكن هذا بسعي أحد، ولا بقوة غير قوة الله، فلو أنفقت ما في الأرض جميعًا – من ذهب، وفضة، وغيرهما – لتأليفهم بعد تلك النفرة والفرقة الشديدة ﴿مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ﴾؛ لأنه لا يقدر على تأليف القلوب إلا الله؛ بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٣﴾، فمن عزته سبحانه أن ألف بين قلوبهم، وجمعها بعد الفرقة.

ثالثًا: رتَّب الله تعالى على تنازع المسلمين فشلهم وذهاب هيبتهم:

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال: ٤٦]، فقوله:

---

(٥٠٦) تيسير الكريم الرحمن، ص١٤١.
(٥٠٧) مدارج السالكين ٤٥٨/١.
(٥٠٨) نظم الدرر ١٣١/٢.
(٥٠٩) نظم الدرر ١٣١/٢.
(٥١٠) تيسير الكريم الرحمن، ص١٤١.

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ تنازعًا يوجب تشتت القلوب وتفرقها"[٥١١]، "فأشار إلى عظيم ضرر التنازع ببيان ثمرته المُرَّة"[٥١٢]، فإذا استسلم الناس لله ولرسوله؛ لانتفى السبب الرئيس للنزاع بينهم، وما يثير النزاع ليس اختلاف وجهات النظر، وإنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهةٍ يُصرُّ عليها مهما تبين له وجه الحق فيها! فما يتنازع الناس إلا حين تتعدد جهات التلقي والتوجيه، وحين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار.

وبين تعالى أن من أسباب الهزيمة في أُحُدٍ هو التنازع، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢﴾ [آل عمران: ١٥٢].

قال ابن القيم: "تعريفهم سوء عاقبة المعصية والفشل والتنازع، وأن الذي أصابهم إنما هو بشؤم ذلك"[٥١٣].

ولذا بيَّن النبي ﷺ عقوبة الذين يستمرون على المخاصمة، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "تُفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيُغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا، أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا، أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا"[٥١٤].

إذن، "النهي عن التنازع يقتضي بتحصيل أسباب ذلك: بالتفاهم، والتشاور، ومراجعة بعضهم بعضًا؛ حتى يصدروا عن رأي واحد"[٥١٥].

وهل أُخِّرَ المسلمين اليوم في هذه الأوقات، إلا تفرقهم والتعادي بينهم وخَوَرهم، وتقاعسهم عن مصالحهم والقيام بشؤونهم؛ حتى صاروا عالةً على غيرهم.

رابعًا: النهي عن التشبه بالذين تفرقوا:

يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٥﴾ [آل عمران: ١٠٥].

"نهاهم عن التشبه بأهل الكتاب في تفرقهم واختلافهم، فقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ﴾، ومن العجائب أن اختلافهم ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ﴾ الموجبة لعدم التفرق والاختلاف، فهم أولى من غيرهم بالاعتصام بالدين، فعكسوا القضية مع علمهم بمخالفتهم أمر الله، فاستحقوا العقاب البليغ"[٥١٦].

"بين سبحانه وتعالى أن الاجتماع المأمور به إنما هو بالقلوب الجاعلة لهم كالجسد الواحد، ولما كان التفرق ربما كان بالأبدان فقط مع الاتفاق في الآراء، بيَّن أن الأمر ليس كذلك، فقال: ﴿وَٱخۡتَلَفُواْ﴾ بما أثمر لهم الحقد الحامل على الاتصاف بحالة من يظن أنهم جميع، وقلوبهم شتى"[٥١٧].

"قال شيخ الإسلام: هذا التفريق – الذي حصل من الأمة علمائها ومشايخها وأمرائها وكبرائها – هو الذي أوجب تسلط الأعداء عليها، وذلك بتركهم العمل بطاعة الله ورسوله"[٥١٨].

"فينهى تعالى عباده أن يكونوا كاليهود والنصارى في افتراقهم مذاهب، واختلافهم عن الحق بسبب اتباع الهوى،

---

(٥١١) تيسير الكريم الرحمن، ص٣٢٢.
(٥١٢) نظم الدرر ٣/٢٢٤.
(٥١٣) زاد المعاد ٣/١٩٦.
(٥١٤) صحيح مسلم: ٢٥٦٥.
(٥١٥) التحرير والتنوير ١٠/٣٠.
(٥١٦) تيسير الكريم الرحمن، ص١٤١.
(٥١٧) نظم الدرر ١٣٣/٢.
(٥١٨) محاسن التأويل ٣٨١/٣.

وطاعة النفس، والحسد، فالنهي متوجه إلى المتصدين للدعوة أصالة، وإلى أعقابهم تبعًا"(٥١٩).

"وليس فيه دليل على تحريم الاختلاف في الفروع؛ فإن ذلك ليس اختلافًا؛ إذ الاختلاف ما يتعذر معه الائتلاف والجمع، وأما حكم مسائل الاجتهاد، فإن الاختلاف فيها بسبب استخراج الفرائض، ودقائق معاني الشرع، وما زالت الصحابة يختلفون في أحكام الحوادث، وهم مع ذلك متآلفون"(٥٢٠).

ونعى سبحانه في موضع آخر على أهل الكتاب تفرقهم، واختلاف كلمتهم، وتغاير قلوبهم، بل عد هذا من صفات المشركين الذين نُهينا عن التشبه بهم، وأُمرنا بمخالفة هديهم، فقال سبحانه: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٣١ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٣٢﴾ [الروم: ٣١ – ٣٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝١٥٩﴾ [الأنعام: ١٥٩].

خامسًا: التدابير الوقائية لعدم حصول الافتراق والخصومة بين المسلمين:

شرع الله تعالى مجموعة من التشريعات التي تقي من حصول الافتراق بين المسلمين؛ ومنها على سبيل الإجمال:

١- البعد عن أسباب الخلاف والتفرق، من: غيبة، وتجسس، ونميمة، واحتقار، وتفاخر، وتحاسد، وتنابذ بالألقاب، وتدابر.

٢- البعد عن سوء الظن بالمسلمين؛ لأنه رأس كل فتنة، وسبب كل بغضاء وشحناء، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ۝١٢﴾ [الحجرات: ١٢].

٣- الالتزام بهدي الإسلام في المعاملات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ۝١﴾ [المائدة: ١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل ٩٠]، فالمعاملات – كالنكاح، والطلاق، والبيع، والشراء وغيرها – مبنية على العدل والإحسان، وإذا لم يُلتَزم بها تضمنت الظلم والغرر والجهل، وما يترتب على ذلك من خلاف ومنازعات وتفرق بين أفراد المجتمع.

٤- التثبت من الأخبار، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات ٦].

"هذه من الآداب التي ينبغي على أولي الألباب التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر، فعليهم أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردًا، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا ووقوعًا في الإثم، فإن خبره إذا جُعِلَ بمنزلة الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا في الندامة"(٥٢١).

٥- الالتزام بكل ما يؤلف القلوب، ويجمع الكلمة، ويبعد عن التفرق والشقاق؛ مثل التواد والتراحم، والتعاون والتكافل، والإيثار، قال ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم؛ مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو

---

(٥١٩) المصدر السابق ٣٧٦/٢.

(٥٢٠) الجامع لأحكام القرآن ٢٤١/٥.

(٥٢١) تيسير الكريم الرحمن، ص٨٠٠.

تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[٥٢٢]، "فمن شرط الأخوة ألَّا تحوج أخاك إلى الاستعانة بك والتماس النصرة منك، ولا تقصر في تفقد أحواله؛ بحيث يَشْكلُ عليك موضع حاجته، فيحتاج إلى مسألتك"[٥٢٣].

٦- العمل على نصرة المسلمين وعدم خذلانهم، والرد عن أعراضهم، قال ﷺ: "المسلم أخ المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يسلمه"[٥٢٤].

وقال ﷺ: "ما من امرئ يخذل امرأً مسلمًا في موضع تُنتهَكُ فيه حرمته، ويُنتقَصُ فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلمًا في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب نصرته"[٥٢٥].

٧- القيام بحقوق الأخوة الإسلامية والمجتمعية، قال رسول الله ﷺ: "حق المسلم على المسلم خمس: إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه"[٥٢٦]، وفي زيادة عن البراء بن عازب "ونصرة المظلوم، وإبرار القسم"[٥٢٧]، ومنها حفظ السر وستر العورة: قال ﷺ: "لا يستر عبدٌ عبدًا في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة"[٥٢٨]، ومنها إفشاء السلام، قال ﷺ: "لن تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم"[٥٢٩].

وغيرها من أسباب الوقاية من الخلاف والتفرق.

سادسًا: الأمر بالإصلاح بين المسلمين حال التفرق والاختلاف:

وإذا حصل التفرق والاختلاف؛ وجب على المسلمين السعي لجمع الكلمة، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾ [الأنفال: ١]. وقال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١١٤﴾ [النساء: ١١٤].

"أي أصلحوا نفس ما بينكم، وإصلاحها يكون بالوفاق والتعاون والمواساة وترك الأثرة والتفرق، إلى أن قال: وأمرنا في الكتاب والسنة بإصلاح ذات البين، فهو واجب شرعًا يتوقف عليه قوة الأمة وعزتها ومنعتها، وتحفظ به وحدتها"[٥٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٠﴾ [الحجرات: ٩ - ١٠].

قال شيخ الإسلام: "فإن المسلمين لما اقتتلوا؛ كان الواجب الإصلاح بينهم كما أمر الله تعالى، فلما لم يُعمَل بذلك؛

---

(٥٢٢) صحيح البخاري، ٦٠١١، ومسلم، ٢٥٨٦.

(٥٢٣) نظم الدرر البقاعي ١٥٧/٧.

(٥٢٤) صحيح البخاري، ٢٤٤٢، ومسلم، ٢٨٥٠.

(٥٢٥) سنن أبي داود، ٤٨٨٤، وضعفه الألباني ضعيف سنن أبي داود، ٤٨٨٤. وأورده البيهقي: ٧٦٣٢، وحسن إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد، باب فيمن قدر على نصرة مظلوم أو إنكار منكر ٢٦٧/٧.

(٥٢٦) صحيح البخاري، ١٢٤٠. ومسلم ٢١٦٢ مع اختلاف في لفظ الحديث.

(٥٢٧) صحيح البخاري، ١٢٣٩.

(٥٢٨) صحيح مسلم، ٢٥٩٠.

(٥٢٩) صحيح مسلم، ٥٤.

(٥٣٠) تفسير المنار ٥٤٢/٩.

صارت فتنة وجاهلية"[٥٣١].

قال الشوكاني: "يعني كل مسلمين تخاصما وتقاتلا، وتخصيص الاثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيما فوقهما بطريقة الأولى"[٥٣٢].

وبين رسول الله ﷺ عِظَمَ أجر الإصلاح بين الناس، وخطر فساد ذات البين بقوله: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: "صلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة"[٥٣٣].

وعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "ما عمل ابن آدم شيئًا أفضل من الصلاة، وصلاح ذات البين، وحسن خلق"[٥٣٤].

وبين النبي ﷺ أن الإصلاح بين الناس من الصدقة التي يؤجر عليها المسلم، بقوله: "كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة"[٥٣٥].

وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ، أن النبي ﷺ قال له: "يا أبا أيوب، ألا أدلك على صدقة يرضي الله تعالى ورسوله موضعُها؟ قال: بلى، قال: تصلح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقرب بينهم إذا تباعدوا"[٥٣٦].

بل بين ﷺ أن الإصلاح بين الناس أعظم الصدقة، فعن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أفضل الصدقة صلاح ذات البين"[٥٣٧].

حتى أجاز رسول الله ﷺ الكذب للإصلاح بين الناس بقوله: "ليس الكذَّاب الذي يصلح بين الناس يقول أو ينمي خيرًا"[٥٣٨]، وفي زيادة لمسلم وأبي داود: "ولم أسمع يرخص في شيء مما يقول الناس كذب إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها"[٥٣٩].

قال ابن حزم: "وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس؛ لأن ترك الكذب واجب، ولا يسقط الواجب إلا بواجب"[٥٤٠].

ولأهمية الإصلاح بين الناس تأخر النبي ﷺ عن صلاة العشاء ذات يوم، فأقام الصحابة الصلاة، وصلى بهم أبو بكر ﷺ إلى أن حضر رسول الله ﷺ، فتأخر أبو بكر وتقدم رسول الله ﷺ، وهذا التأخر كان بسبب أن رسول الله كان يصلح بين ناسٍ من بني عوف كان بينهم شيء، كما روي ذلك عن سهل بن سعد ﷺ[٥٤١]، فهذا الإصلاح من رسول الله حدث من أجل أن يحافظ على كيان الأمة، وعلى وحدتها.

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "إن رسول الله ﷺ قام فينا خطيبًا كقيامي فيكم، فأمر بتقوى الله، وصلة الرحم، وصلاح ذات البين"[٥٤٢].

---

(٥٣١) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية، ١٧/٣١١.
(٥٣٢) فتح القدير ٥/٦٤.
(٥٣٣) سنن أبي داود،: ٤٩١٩، والترمذي في الجامع ٢٥٠٩ وقال "هذا حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب،٢٦٩٥.
(٥٣٤) شعب الإيمان للبيهقي ١١٠٩١، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ٢٨١٦.
(٥٣٥) صحيح البخاري، ٢٧٠٧. ومسلم، ١٠٠٩.
(٥٣٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٧٩٩٩، والبيهقي في الشعب ١٠٩٤، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٦٤٤.
(٥٣٧) شعب الإيمان للبيهقي١١٠٩٢، وقال الألباني: صحيح لغيره، صحيح الترغيب والترهيب، ٢٨١٧.
(٥٣٨) صحيح البخاري، ٢٦٩٢، ومسلم، ٢٦٠٥.
(٥٣٩) صحيح مسلم، ٢٦٠٥. وأبو داود ٤٩٢١.
(٥٤٠) إحياء علوم الدين ٢/١٩٩.
(٥٤١) أخرج هذه الحادثة كاملة الإمام البخاري، ٢٦٩٠. ومسلم، ٤٢١.
(٥٤٢) شعب الإيمان للبيهقي ١١٠٨٥، وسنن البيهقي: ١٧٧٦٥.

المقصد الخامس: إقامة الأخلاق

إقامة الأخلاق مقصد مهم من مقاصد الدعوة إلى الله، التي ينبغي أن يعيها الدعاة إلى الله تعالى، ويعطونها اهتمامًا كبيرًا، وبيان تلك الأهمية في النقاط التالية:

أولًا: الهدف من بعثته ﷺ هو تحقيق الأخلاق الحسنة:

عن أبي هريرة ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: "إنما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق"(٥٤٣)، وفي رواية: "صالح الأخلاق"(٥٤٤).

"كأن مكارمَ الأخلاق بناء شيَّده الأنبياء، وبُعث النبي ﷺ ليتم هذا البناء، فيكتمل صرح مكارم الأخلاق ببعثته ﷺ.

وقد بيَّن رسولُ الله ﷺ بهذا الأسلوب أهمية الخُلق، بالرغم من أنه ليس أهمَّ شيء بُعث النبيُّ ﷺ من أجله؛ فالعقيدة أهم منه، والعبادة أهم منه، ولكن تلك طريقته ﷺ في بيان أهمية الشيء، رغم وجود ما هو أهم منه؛ ولذلك إن قال قائل: ما وجه أهمية الخُلق حتى يقدَّم على العقيدة والعبادة؟

فالجواب: إن الخُلق هو أبرز ما يراه الناسُ، ويُدركونه من سائر أعمال الإسلام؛ فالناس لا يرون عقيدةَ الشخص؛ لأن محلَّها القلبُ، كما لا يرون كلَّ عباداته، لكنهم يرَوْن أخلاقه، ويتعاملون معه من خلالها؛ لذا فإنهم سيُقيّمون دِينَه بِناءً على تعامله، فيحكُمون على صحتِه من عدمه عن طريق خُلقه وسلوكه، لا عن طريق دعواه وقوله، وقد حدَّثنا التاريخ أن الشرق الأقصى مُمثَّلًا اليوم في إندونسيا والملايو والفلبين وماليزيا، لم يعتنقْ أهلُها الإسلام بفصاحة الدعاة، ولا بسيف الغزاة، بل بأخلاقِ التجَّار وسلوكِهم، من أهل حضرموت وعمان؛ وذلك لما تعاملوا معهم بالصدق والأمانة والعدل والسماحة.

وإن مما يؤسَفُ له اليوم أن الوسيلةَ التي جذبت كثيرًا من الناس إلى الإسلام هي نفسها التي غدَت تصرِفُ الناس عنه؛ وذلك لما فسَدت الأخلاق والسلوك، فرأى الناس تباينًا – بل تناقضًا – بين الادِّعاء والواقع!"(٥٤٥).

ثانيًا: حسن الخلق من أفضل الطاعات التي تُدخل الجنة:

وقد جعل الإسلام أساسَ الخيريَّة، والتفاضل يوم القيامة بحسن الخلق، فعن أبي ثعلبة الخشني، أن رسول الله ﷺ، قال: "إن أحبَّكم إليَّ، وأقربَكم مني في الآخرة مجلسًا، أحاسنُكم أخلاقًا، وإن أبغضَكم إليَّ وأبعدَكم مني في الآخرة أسوَؤُكم أخلاقًا"(٥٤٦).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلُقًا"(٥٤٧)، وعن جابر بن سمرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الفحش والتفحش ليسا من الإسلام، وإنّ أحسن النّاس إسلامًا أحسنهم خُلُقًا"(٥٤٨).

ولذا يقول ابن سعدي: "اعلم أن الدّين كله خلق، فمن زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدين"(٥٤٩).

ولقد جُعِلَ أجره ثقيلًا في الميزان، بل لا شيء أثقلُ منه وجُعِلَ كذلك أجرَه كأجرِ العبادات الأساسية، مِن صيام

---

(٥٤٣) موطأ مالك ١٦٠٩، المستدرك على الصحيحين، ٤٢٢١، الأدب المفرد، البخاري ٢٧٣، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٤٥.

(٥٤٤) مسند أحمد ٨٩٣٩ وعلق شعيب الأرناؤوط بقوله: صحيح، وهذا إسناد قوي، وصححه الألباني في صحيح الجامع، ٢٣٤٩.

(٥٤٥) الأخلاق أهميتها وفوائدها، د. عبد السلام حمود غالب، بحث منشور على شبكة الألوكة.

(٥٤٦) مسند أحمد ١٧٧٣٢، وقال شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره، وجامع الترمذي، ٢٠١٨

(٥٤٧) مسند أحمد ١٠١٠٦، وجامع الترمذي، ١١٦٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وسنن أبي داود، ٤٦٨٢.

(٥٤٨) مسند أحمد ٢٠٨٣١، وقال شعيب الأرناؤوط صحيح لغيره.

(٥٤٩) بصائر ذوي التمييز، السعدي ٥٦٨/٢.

وقيام، فقال: "ما من شيء يوضع في الميزان أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة"(٥٥٠).

بل وبلَغ من تعظيم الشارع لحُسن الخُلق أنْ جعَله وسيلة من وسائل دخول الجنة؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: سُئل ﷺ عن أكثرِ ما يُدخِل الناسَ الجنَّةَ؟ فقال: "تقوى اللهِ وحُسن الخُلق"(٥٥١).

وضمِن الإسلام لصاحب الخُلق دخولَ الجنة، بل أعلى درجاتها، فعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا زعيمٌ ببيت في ربَضِ الجنة(٥٥٢) لِمَن ترَك المِراءَ وإن كان محقًّا، وببيتٍ في وسَط الجنة لِمَن ترَك الكذبَ وإن كان مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنَّة لمن حسُن خلُقه"(٥٥٣).

ثالثًا: تحقيق حسن الخلق من مقاصد تشريع العبادات في الإسلام:

وهذا المقصد من أهم مقاصد الدعوة إلى الله تعالى، وهو كذلك مقصد من مقاصد تشريع العبادات في الإسلام.

ففي الصلاة، يقول الله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت: ٤٥]، "عن الحسن ﷺ: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، فليست صلاته بصلاة، وهي وبال عليه"(٥٥٤).

"والفحشاء: كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتهيها النفوس، والمنكر: كل معصية تنكرها العقول والفِطَر، ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبد المقيم لها، المتمم لأركانها وشروطها وخشوعها؛ يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقل أو تعدم رغبته في الشر، فبالضرورة، مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها"(٥٥٥).

وفي الزكاة، يقول الله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [التوبة: ١٠٣].

"الزكاة إنما أوجبها الله تعالى سدًّا لحاجة المعدم، وتفريجًا لكربة الغارم، وتحريرًا لرقاب المستعبدين، وتيسيرًا لأبناء السبيل، فاستلّ بذلك ضغائن أهل الفاقة، على من فضلوا عليهم في الرزق، وأشعر قلوب أولئك محبة هؤلاء، وساق الرحمة في نفوس هؤلاء على أولئك البائسين"(٥٥٦).

وفي الصيام: قوله ﷺ: "مَن لم يدَعْ قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة أن يدَعَ طعامَه وشرابه"(٥٥٧).

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "قال الله: كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله، فليقل إني امرؤ صائم"(٥٥٨).

وفي الحج، يقول الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّۗ وَمَا

---

(٥٥٠) جامع الترمذي، ٢٠٠٣ واللفظ له، وقال الترمذي ٤٧٩٩. رواه الترمذي والبزار ورجاله ثقات. وقال الألباني في السلسلة الصحيحة ٥٣٥/٢ وسنده جيد.
(٥٥١) جامع الترمذي٢٠٠٤ قال الترمذي: صحيح غريب.
(٥٥٢) ربض الجنة: ما حولها خارجًا عنها، تشبيهًا بالأبنية تكون حول المدن، ينظر: النهاية في غريب الحديث ١٨٥/٢.
(٥٥٣) سنن أبي داود، ٤٨٠٠ وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة ٢٧٣.
(٥٥٤) محاسن التأويل ٥٥٧/٧.
(٥٥٥) تيسير الكريم الرحمن، ص٦٣٢.
(٥٥٦) محاسن التأويل ٤٩٥/٥.
(٥٥٧) صحيح البخاري، ١٩٠٣.
(٥٥٨) صحيح البخاري١٩٠٤، ومسلم، ١١٥١.

تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ [البقرة: ١٩٧].

"هذه الآية فيها حثٌّ على الأخلاق الجميلة، والتمسك بالآداب الحسنة، والاحتراز عما يحبط ثواب الطاعات، والمقصود من جميع العبادات قهر القوى الثلاثة، أعني الشهوانية، والغضبية، والوهمية، فقوله فلا رفث إشارة إلى قهر الشهوانية، وقوله: ولا فسوق إشارة إلى قهر القوة الغضبية التي توجب التمرد والغضب، وقوله: ولا جدال؛ إشارة إلى القوة الوهمية التي تحمل الإنسان على الجدال"(٥٥٩).

هذا في جانب العبادات، أما في جانب المعاملات، فلم يشرع الله تعالى فقه الأسرة وفقه المعاملات والجنايات والقصاص والحدود إلا من أجل ضبط التعاملات بين الناس؛ حتى يسود بينهم الخلق والتعامل الحسن، وجماع ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

رابعًا: حسن الخلق من عوامل بقاء الأمم وتطورها:

ولقد أخبرَ عليه الصلاة والسلام عن أنواع المصائب التي كان يخشَى أن تنزل بأمَّته، وحذَّرَهم من أسبابِ نزولها، فقال: "يا معشر المُهاجِرين: خمسٌ إذا ابتُليتُم بهنَّ، وأعوذُ بالله أن تُدرِكوهن: لم تظهر الفاحِشةُ في قومٍ قطُّ حتى يُعلِنوا بها إلا فشَا فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكن مضَت في أسلافِهم الذين مضَوا، ولم ينقُصوا المِكيالَ والميزانَ إلا أُخِذوا بالسنين وشِدَّة المَؤونَة وجَور السلطان عليهم، ولم يمنَعوا زكاةَ أموالهم إلا مُنِعوا القطرَ من السماء، ولولا البهائمُ لم يُمطَروا، ولم ينقُضوا عهدَ الله وعهدَ رسوله إلا سلَّط الله عليهم عدوًّا من غيرهم فأخَذوا بعضَ ما في أيديهم، وما لم تحكُم أئمتُهم بكتابِ الله ويتخيَّروا مما أنزلَ اللهُ إلا جعلَ اللهُ بأسَهم بينهم"(٥٦٠).

وعن زينب بنت جحش، ﵂ أنها سألت النبي ﷺ، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: "نعم إذا كثر الخبث"(٥٦١).

فالفواحش، والغش في الحقوق، وعدم إعطاء أهل الحق حقهم في الزكاة، ونقض العهد، كل هذه أخلاقيات سيئة تدمر الأمم.

والأمم تضمحل وتندثر إذا ما انعدمت فيها الأخلاق، فساد فيها الكذب والخداع والغش والفساد، فمن أبرز أسباب سقوط الأمم والحضارات انهيار أخلاقها، وأهم أسباب بقاء الدول، تمسكها بالأخلاق الفاضلة، فأمم الظلم والبغي ونقض العهود والتعدي على الأموال والأعراض، أقرب ما تكون إلى التفكك والانهيار.

قال أحمد شوقي:

وَإِنَّما الأُمَمُ الأَخلاقُ ما بَقِيَت ** فَإِن تَوَلَّت؛ مَضَوا في إِثرِها قُدُما(٥٦٢)

- فالأمم تبقى إذا ساد فيها العدل، ورُفِعَ الظلم فيها عن المظلومين.
- الأمم تبقى إذا انتشرت فيها الأمانة، ووسِّدَ الأمر لأهله، وابتعد الناس عن الخيانة.
- الأمم تبقى إذا أحسن وأتقن كل شخص عمله، بعيدًا عن الكذب والخداع والغرر وكل أنواع التعاملات المنهي عنها شرعًا وعرفًا وقانونًا.
- الأمم تبقى إذا ظهرت فيها العفة عن المال وعن الأعراض، وإذا عف اللسان وعفت اليد وعف الفرج.

---

(٥٥٩) مفاتيح الغيب ٥/٣١٩.

(٥٦٠) صحيح البخاري، ٣٣٤٦. ومسلم٢٨٨٠.

(٥٦١) سنن ابن ماجة ٤٠١٩، وحسنه الألباني.

(٥٦٢) ديوان أحمد شوقي ١/٢٥٩.

– الأمم تبقى إذا ظهر فيها الكرم والسخاء والإيثار ورعاية المحتاج، وابتعد الناس عن الأثرة والشح بالمال والجهد والنفس.

ولذا كان من فوائد الأخلاق على الأمة، نشر الأمن والأمان بين الأفراد والمجتمع، الأمان بكل صوره، أمان على النفس والدين والأموال والأعراض.

ومن الفوائد كذلك شيوع الأُلفة والمحبة بين الناس، وبث روح التسامح ونشرها بين الناس، وسيادة التعاون والتكافل الاجتماعي بين المجتمع؛ فالمسلمون أمة واحدة يعطف غنيُّهم على فقيرهم، فالمساهمة في خدمة المجتمع، ورفع معاناته، وتقديم ما يفيد للأمة والبشرية؛ من أهم الأخلاق التي تحيي الأمم.

المقصد السادس: إقامة العدل، ومحاربة الظلم

مفهوم العدل هو: بذل الحقوق الواجبة، وتسوية المستحقّين في حقوقهم(٥٦٣).

وهو من المقاصد المهمة في الدعوة إلى الله تعالى، التي يجب على الدعاة التنبه لها والعمل على تحقيقها، وبيان هذا المقصد في الأمور التالية:

أولًا: العدل ورفع الظلم رسالة الإسلام:

رسالة الإسلام هي تحقيق العدل ورفع الظلم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

إن الهدف والمقصد من إنزال الكتب وإرسال الرسل، هو إقامة العدل بين العبد وخالقه، وبينه وبين الخلق.

فالعدل ميزان الله على الأرض، وهو من القيم الإنسانية الأساسية التي جاء بها الإسلام، وجعلها من مقومات الحياة، بل إن القرآن جعل إقامة العدل بين الناس هو هدف الرسالات السماوية كلها.

وقد أمر الله تعالى بالعدل أمرًا مباشرًا، وذلك في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

لقد ارتضى الله لنا هذا الدين؛ لينشىء أمة دعوتها عالمية إنسانية، لا تعصب فيها لقبيلة أو لأمة أو لجنس، وإنما رابطها الوحيد هو العقيدة وحسب، وخطَّ لها المبادئ التي تكفل تماسك أفرادها، فشرع العدل قاعدة ثابتة للتعامل، لا تميل مع الهوى، ولا تتأثر بالود والبغض، كما توعد الظالمين في القرآن أشد الوعيد، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢]، "هذا وعيد شديد للظالمين، وتسلية للمظلومين؛ حيث أمهل الظالمين وأدرَّ عليهم الأرزاق، وتركهم يتقلبون في البلاد آمنين مطمئنين، فليس في هذا ما يدل على حسن حالهم، فإن الله يملي للظالم ويمهله ليزداد إثمًا، حتى إذا أخذه لم يفلته"(٥٦٤).

ومعلوم أن الظلم من أعظم أسباب العذاب العام، فبسببه هلَكَت الأممُ السالِفة والقرونُ الخالية، وبسببه تسقُط الدولُ، وتهلَك القُرى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾﴾ [الكهف: ٥٩]، ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنبياء: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [هود: ١٠٢ - ١٠٣].

"أي: يقصمهم بالعذاب ويبيدهم، ولا ينفعهم، ما كانوا يدعون، من دون الله من شيء، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور، من أخذه للظالمين، بأنواع العقوبات، ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾، أي: لعبرة ودليلًا على أن أهل الظلم والإجرام، لهم العقوبة الدنيوية، والعقوبة الأخروية"(٥٦٥).

ثانيًا: شمولية العدل في الإسلام:

يقول الشيخ السعدي: "فالعدل الذي أمر الله به يشمل العدل في حقه، وفي حق عباده، فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة؛ بأن يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق

---

(٥٦٣) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، السعدي، ص٢٥٣.

(٥٦٤) تيسير الكريم الرحمن، ص٤٢٧.

(٥٦٥) المصدر السابق، ص٣٨٩.

عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل والٍ ما عليه تحت ولايته، سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي.

والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك؛ فلا تبخس لهم حقًّا، ولا تغشهم ولا تخدعهم ولا تظلمهم. فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحبة، وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع النفع، حتى إنه يدخل فيه الإحسان إلى الحيوان البهيم المأكول وغيره"(٥٦٦).

وقد اعتنى الإسلام بهذا الأمر وفصل فيه تفصيلًا، لا يدع مجالًا لأي أحد أن يظلم ولا يجور على أحد، وذلك في كل مناحي الحياة.

ففي كتابة الديون والتجارات يأمر الله تعالى بالعدل بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِۢبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِۢبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وفي الحكم بين الناس، يأمر الله بالعدل بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾ [المائدة: ٤٢].

وأمر ﷺ بالعدل في الحكم، فعن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا حكمتم فاعدلوا"(٥٦٧).

وفي الإصلاح بين الناس، يأمر الله بالعدل بقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٩﴾ [الحجرات: ٩].

وكذلك أمر بالعدل حتى مع الأعداء بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨﴾ [المائدة: ٨]، وقال تعالى: ﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨﴾ [الممتحنة: ٨].

وبين تعالى أن العدل يكون في الحكم على الآخرين، فقال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ [آل عمران: ٧٥]، وقال: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ ١١٣﴾ [آل عمران: ١١٣].

وأمر بالعدل حتى عند قتال الأعداء بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠].

وأمر بالعدل في استيفاء الحقوق، فقال تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ وَٱلۡعَيۡنَ بِٱلۡعَيۡنِ وَٱلۡأَنفَ بِٱلۡأَنفِ وَٱلۡأُذُنَ بِٱلۡأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾ [المائدة: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠﴾ [الشورى: ٤٠].

وأمر رسول الله ﷺ بالعدل بين الأولاد، فعن النّعمان بن بشير ﷺ، قال رسول الله ﷺ: "فاتّقوا الله واعدلوا بين

---

(٥٦٦) المصدر السابق، ص٤٤٧.

(٥٦٧) مجمع الزوائد ١٩٧/٥ واللفظ له، وقال: رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات. وذكره الألباني في صحيح الجامع ١٩٤/١، وقال: حسن، وكذلك في الصحيحة، ٤٦٩.

أولادكم"(٥٦٨).

ومن صور العدل التي أمر الله بها في مواضع كثيرة في القرآن: العدل في الأموال، ورفع الظلم، وعدم بخس الناس حقوقهم، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾ [الرحمن: ٨ – ٩].

وتوعد من يظلم في الميزان بقوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ١ – ٦].

وبين الله تعالى في كتابه أن الأنبياء كانوا يعتنون بهذا الأمر، ومن ذلك ما ورد في قصة شعيب عليه السلام مع قومه الذين انتشر فيهم الظلم المالي وبخس الحقوق، فقال لهم: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨٥﴾ [الأعراف: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۝٨٥﴾ [هود: ٨٥]، فعد الظلمَ في الأموال إفسادًا في الأرض.

ثالثًا: دعوة النبي ﷺ أمته للعدل:

بما أن من مقاصد الدعوة العدل، فقد نبه إليه النبي ﷺ تنبيهًا عظيمًا، وشدد فيه.

فقد بايع النبي ﷺ صحابته على العدل وقول كلمة العدل، فعن عبادة بن الصّامت ﷺ قال: "بايعنا رسول الله ﷺ على: السمع والطاعة في المنشط والمكره، وألا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم"(٥٦٩).

وبين فضل الإمام العادل، ومن يتصفون بالعدل يوم القيامة، فقال ﷺ: "سبعة يظلّهم الله – تعالى – في ظلّه يوم لا ظلّ إلّا ظلّه: ... – وذكر منهم –: الإمام العادل"(٥٧٠).

وبين رسول الله ﷺ عظم مقام أهل العدل يوم القيامة، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنّ المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرّحمن – عزّ وجلّ – وكلتا يديه يمين، الّذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا"(٥٧١).

بل بين أن أحب الناس إلى الله يوم القيامة، هم أهل العدل، فعن أبي سعيد الخدريّ ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "إنّ أحبّ النّاس إلى الله يوم القيامة، وأدناهم منه مجلسًا: إمام عادل، وأبغض النّاس إلى الله، وأبعدهم منه مجلسًا: إمام جائر"(٥٧٢).

رابعًا: تحذير النبي ﷺ من عاقبة الظلم، ووجوب رفعه:

بين النبي ﷺ أن الله تعالى حرم على نفسه الظلم وحرمه على خلقه، ففي الحديث القدسي: "يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ

---

(٥٦٨) صحيح البخاري، ٢٥٨٧.
(٥٦٩) صحيح البخاري، ٧١٩٩، ومسلم، ١٧٠٩.
(٥٧٠) صحيح البخاري، ٦٦٠، ومسلم، ١٠٣١.
(٥٧١) صحيح مسلم، ١٨٢٧.
(٥٧٢) جامع الترمذي، ١٣٢٩، وقال: حديث حسن غريب، وقد حسنه السيوطي في الجامع الصغير، ٢١٧٤.

الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا"(٥٧٣).

وبين خطورة الظلم يوم القيامة، فعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "اتقوا الظّلم؛ فإنّ الظّلم ظلمات يوم القيامة"(٥٧٤).

وأوصى النبي ﷺ معاذًا وهو يستوفي الحقوق بعدم الظلم، بإخباره أن دعوة المظلوم حتمًا مستجابة، فقال رسول الله ﷺ: "وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ"(٥٧٥)، وقال: "ثَلاَثَةٌ لاَ تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الْغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ"(٥٧٦).

وحذر من استدراج الله للظالمين، فعن أبي موسى الأشعريّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنّ الله ليملي للظّالم حتّى إذا أخذه لم يفلته"، ثمّ قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢](٥٧٧).

وأمر النبي ﷺ بالتحلل من أصحاب المظالم تخفيفًا من الحساب يوم القيامة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلّله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيّئات صاحبه فحمل عليه"(٥٧٨).

ونهى الإسلام وشدد على أنواع كثيرة من الظلم؛ ومنها ظلم الخدم والعبيد، وأنه سيحاسب عليه يوم القيامة، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من ضرب مملوكه سوطًا ظلمًا اقتصّ منه يوم القيامة"(٥٧٩).

ومن الظلم قتل النفس بغير حق، وأن من سن القتل ظلمًا عليه وزر ذلك إلى يوم القيامة، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تقتل نفس ظلمًا إلّا كان على ابن آدم الأوّل كفل من دمها؛ لأنّه كان أوّل من سنّ القتل"(٥٨٠).

وكذلك الظلم في أخذ حقوق الغير، نهى عنه الشرع نهيًا عظيمًا حتى ولو كان قيد شبر، فعن عائشة ﷺ قالت: إنّ النّبيّ ﷺ قال: "من ظلم قيد شبر من الأرض طوّقه من سبع أرضين"(٥٨١).

خامسًا: الأمر بالأخذ على يد الظالمين، ورفع الظلم:

فقد بين النبي ﷺ أجر قول كلمة الحق للظالمين، فعن أبي سعيد الخدريّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إنّ أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر"(٥٨٢)، "وإنما كان أفضل لأن ظلم السلطان يسري في جميع من تحت سياسته، وهو جم غفير، فإذا نهاه عن الظلم فقد أوصل النفع إلى خلق كثير"(٥٨٣).

---

(٥٧٣) صحيح مسلم، ٢٥٧٧.
(٥٧٤) صحي البخاري ٢٤٤٧، ومسلم، ٢٥٧٨ واللفظ له.
(٥٧٥) صحيح البخاري، ٤٣٤٧، ومسلم، ٢٧.
(٥٧٦) جامع الترمذي، ٣٥٩٨ وقال: هذا حديث حسن.
(٥٧٧) صحيح البخاري، ٤٦٨٦. ومسلم، ٢٥٨٣.
(٥٧٨) صحيح البخاري، ٢٤٤٩.
(٥٧٩) الترغيب والترهيب، ٣٠٣/٤، أخرجه البزار ٩٤٤٦، والطبراني في المعجم الأوسط، ١٤٤٥، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ١٦٨/٤ باختلاف يسير
(٥٨٠) صحيح البخاري، ٣٣٣٥، ومسلم، ١٦٧٧.
(٥٨١) صحيح البخاري، ٢٤٥٣. ومسلم، ١٦١٢.
(٥٨٢) جامع الترمذي، ٢١٧٤ واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن غريب، وسنن أبي داود ٤٣٤٤، وسنن ابن ماجة، ٤٠١١، وصححه الألباني.
(٥٨٣) مرقاة المفاتيح ٢٤١٢/٦.

وحذر النبي ﷺ من الخوف من الظالمين، الذي يمنع الناس من قول كلمة العدل والإنكار على الظلم، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا رأيتم أمّتي تهاب الظّالم، أن تقول له إنّك أنت ظالم فقد تودّع منهم"(٥٨٤).

وفي رواية: "إذا رأيت أمتي لا يقولون للظالم منهم أنت ظالم؛ فقد تودّع منهم"(٥٨٥).

"أَي اسْتَوَى وجودهم وعدمهم، وخذلوا، وخلى بَينهم وَبَين مَا يرتكبون من الْمعاصِي، أَصله من التوديع وَهُوَ التّرْك"(٥٨٦).

وقال رسول الله ﷺ: "إن الناسَ إذا رأوا الظالمَ فلم يأخُذوا على يديه أوشكَ أن يعُمَّهم الله بعقابٍ"(٥٨٧).

وعن البراء بن عازب ﷺ أنّ رسول الله ﷺ مرّ بناس وهم جلوس في الطّريق فقال: "إن كنتم لا بدّ فاعلين فردّوا السّلام، وأعينوا المظلوم، واهدوا السّبيل"(٥٨٨).

---

(٥٨٤) أخرجه الإمام أحمد ٦٥٢١

(٥٨٥) مسند أحمد ٦٧٧٦، وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٥٨٦) التيسير بشرح الجامع الصغير ٩٨/١.

(٥٨٧) سنن أبي دود، ٤٣٤٠، وجامع الترمذي، ٢١٦٨، وقال: هذا حديث صحيح.

(٥٨٨) مسند أحمد ٤٣٧١٨ وجامع الترمذي، ٢٧٢٦، وقال: هذا حديث حسن غريب، ومعناه في الصحيح.

المقصد السابع: براءة الذمة، والإعذار إلى الله

براءة الذمة والإعذار إلى الله، من المقاصد الخاصة بالداعية؛ حتى يُخْرِجَ نفسه من عقوبة ترك الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الأمر يتضح في الأمور التالية:

أولًا: مفهوم براءة الذمة، والإعذار إلى الله:

الجملة الأولى: براءة الذمة:

التعريف اللغوي: براءة: بَرِئتُ إليك من كذا: أي أنا بريء منه، فلا عتبَ لكَ عليَّ، ويقال: برئتُ منك ومن الدُّيون والعيوب براءةً، والبُرء: الشفاء، والبراءة: الخلو(٥٨٩).

الذمة: الذَّمُّ نقيض المدح، يسمى أَهلُ العهد أَهلَ الذِّمَّةِ وهم الذين يؤدون الجزية، والعَهْد يسمَّى ذِمامًا لأن الإنسان يُذَمُّ على إضاعته منه، الذِّمَّةُ أَهل العقد، وقال أَبو عبيدة الذِّمّةُ الأَمان، والذمة: الضَّمانِ، والحُرْمَةِ، والحق(٥٩٠).

اصطلاحًا: فمن خلاف التعريفات اللغوية يتبين القول بأن براءة الذمة في الدعوة إلى الله هي: "خروج الآمر من عهدة التكليف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما قال تعالى في صالحي القوم الذين اعتدى بعضهم في السبت: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾﴾، وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الذاريات: ٥٤]، فدل على أنه لو لم يخرج من العهدة، لكان ملومًا"(٥٩١).

الجملة الثاني: الإعذار إلى الله:

التعريف اللغوي: الإعذار: "من قوله تعالى: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾، والمَعْذِرةُ اسمٌ على مَفْعِلة من عَذَرَ يَعْذِر أُقِيم مُقام الاعتذار، فيكون المعنى نَعْتَذِرُ مَعْذِرَةً بوَعْظِنا إيَّاهم إلى ربنا"(٥٩٢)، "وأعذَر فلانٌ إذا أبْلَى عُذْرًا فلم يُلَمْ"(٥٩٣).

اصطلاحًا: الإعذار إلى الله: "القيام بالدعوة إلى الله طلبًا للعذر وعدم الملامة.

فلما كانت الدعوة إلى الله واجبًا وأمانة في عنق كل مسلم يحملُ علمًا، وأمكنه الله من نشره وإبلاغه، كان ولا بد أن تُؤَدَّى هذه الأمانة على أتم وجه وأحسن حال.

ثانيًا: دليل المقصد:

هذا المقصد صمام أمان لمن يأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر، سواء كان ذلك في الدنيا أو الآخرة، فالداعية إذا أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، حتى ولو لم يستجيب المدعو؛ يحصل له فائدتان:

الأولى: براءة الذمة أمام الله تعالى، **والثانية:** النجاة من العذاب.

وهذان الأمران ذُكِرَا في كتاب الله تعالى في قصة أصحاب السبت، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ

---

(٥٨٩) انظر: لسان العرب

(٥٩٠) انظر: لسان العرب

(٥٩١) إشراقات قرآنية من سورة العصر، مقال د. عبد العزيز بن عبد الله الصالح، مجلة البيان العدد: ١٦٠.

(٥٩٢) لسان العرب.

(٥٩٣) مقاييس اللغة.

ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٥﴾ [الأعراف: ١٦٤ – ١٦٥].

قال ابن كثير: "يخبر تعالى عن أهل هذه القرية أنهم صاروا إلى ثلاث فرق: فرقة ارتكبت المحذور، واحتالوا على اصطياد السمك يوم السبت، وفرقة نهت عن ذلك، وأنكرت واعتزلتهم. وفرقة سكتت فلم تفعل ولم تنهَ، ولكنها قالت للمنكرة: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ﴾؟ أي: لم تنهون هؤلاء، وقد علمتم أنهم هلكوا واستحقوا العقوبة من الله؟ فلا فائدة في نهيكم إياهم. قالت لهم المنكرة: ﴿مَّعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾، أي: فيما أخذ علينا من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٦٤﴾، أي: ولعل بهذا الإنكار يتقون ما هم فيه ويتركونه، ويرجعون إلى الله تائبين، فإذا تابوا تاب الله عليهم.

ثم قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾، أي: فلما أبى الفاعلون المنكر قبول النصيحة، أي: ارتكبوا المعصية، ﴿أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ١٦٥﴾، فنص على نجاة الناهين وهلاك الظالمين، وسكت عن الساكتين؛ لأن الجزاء من جنس العمل، فهم لا يستحقون مدحًا فيمدحوا، ولا ارتكبوا عظيمًا فيذموا"(٥٩٤).

ثالثًا: حكم الساكت عن النهي عن المنكر:

العلماء متفقون على هلاك العصاة ونجاة المنكرين، ولكن اختلفوا في الساكتين الذين قالوا للمنكرين: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا﴾.

هل هم من الهالكين، أم من الناجين؟

يوجد قولان:

القول الأول: أن الساكتين كانوا من الناجين: لقول ابن عباس ﷺ: "فأرى الذين نهوا قد نجوا، ولا أرى الآخرين ذُكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها ولا نقول فيها؟ قال: قلت: جعلني الله فداك، ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه، وخالفوهم وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ﴾، قال: فأمر لي، فكسيت ثوبين غليظين"(٥٩٥).

القول الثاني: أن الساكتين كانوا من الهالكين: لقول ابن عباس ﷺ: "كانوا أثلاثًا: ثلث نهوا، وثلث قالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ﴾، وثلث أصحاب الخطيئة، فما نجا إلا الذين نهوا، وهلك سائرهم"(٥٩٦)، قال ابن زيد: "نجت الناهية، وهلكت الفرقتان، وهذه أشد آية في ترك النهي عن المنكر"(٥٩٧).

قال ابن كثير: "وهذا إسناد جيد عن ابن عباس، ولكن رجوعه إلى قول عكرمة في نجاة الساكتين أولى من القول بهذا؛ لأنه تبين حالهم بعد ذلك، والله أعلم"(٥٩٨).

قال أبو حيان: "والأمة القائلة: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ﴾، هم من فريق الناهين الناجين، وإنما سألوا إخوانهم عن علة وعظهم وهو لا يجدي فيهم شيئًا البتة، إذ الله مهلكهم أو معذبهم، فيصير الوعظ إذ ذاك كالعبث كوعظ المكاسين، فإنهم يسخرون بمن يعظهم، وكثيرٌ ما يؤدي إلى تنكيل الواعظ"(٥٩٩)، وعلى هذا فهم قد كرهوا ما عليه قومهم من المعصية.

---

(٥٩٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/٤٩٤.
(٥٩٥) جامع البيان ١٣/١٨٩، الدر المنثور ٣/٥٨٩، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/٤٩٥.
(٥٩٦) جامع البيان ١٣/١٩٣، الدر المنثور ٣/٥٨٨، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ٥/١٦٠١، برقم: ٨٤٦١، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/٤٩٦.
(٥٩٧) معالم التنزيل ٣/٢٩٤.
(٥٩٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣/٤٩٦.
(٥٩٩) البحر المحيط

وفي رواية عكرمة المتقدمة أنه قال لابن عباس: "ألا ترى أنهم قد كرهوا ما هم عليه، وخالفوهم وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، فهم لم ينكروا الإنكار من المنكرين، وإنما أنكروا أن هؤلاء القوم لا ينفعهم هذا الإنكار اجتهادًا منهم، وليس رضاء بالمعصية، ولا مداهنة في الحق.

قال ابن سعدي: "وأما الفرقة الأخرى التي قالت للناهين: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، فاختلف المفسرون في نجاتهم وهلاكهم، والظاهر أنهم كانوا من الناجين؛ لأن الله خص الهلاك بالظالمين، وهو لم يذكر أنهم ظالمون، فدل على أن العقوبة خاصة بالمعتدين في السبت، ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، فاكتفوا بإنكار أولئك، ولأنهم أنكروا عليهم بقولهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، فأبدوا من غضبهم عليهم، ما يقتضي أنهم كارهون أشد الكراهة لفعلهم، وأن الله سيعاقبهم أشد العقوبة"(٦٠٠).

إذن، فالذين كانوا ينهون عن السوء، في نجاة عن السوء، والأمة العاصية يحل بها العذاب الشديد، والأمة الثالثة فقد سكت النص عنها، تهوينًا لشأنها؛ لأنها قعدت عن الإنكار الإيجابي، ووقفت عند حدود الإنكار السلبي، فاستحقت الإهمال، وإن لم تستحق العذاب.

فلعل الفئة الثالثة لم تُؤْخَذْ بالعذاب؛ بسبب أن الفرقة الثانية أنكرت إنكارًا عمليًّا، ولو اكتفوا كلهم بالإنكار القلبي لما نفعهم.

<u>وبناء على ما سبق، نخرج بفائدتين:</u>

الفائدة الأولى: يجب على الدعاة أن يكون عندهم إيجابية، ومبادرة في تغيير المنكر.

الفائدة الثانية: أن يبتعد الدعاة عن السلبية في إنكار المنكر، المتمثلة في التسويف وإلقاء اللوم على الغير، أو النظرة التشاؤمية من المجتمع، التي تدعو إلى سوء الظن، فهذه وغيرها من المظاهر السلبية التي يجب على الدعاة أن يتخلوا عنها، نصرةً لدين الله، ونجاة من عذابه، وفوزًا بجنته.

رابعًا: فوائد الإعذار إلى الله وبراءة الذمة:

الإعذار إلى الله تعالى يحصل عندما يقوم الداعية إلى الله تعالى باستفراغ الجهد في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ولو لم تحصل الاستجابة، فإذا قام الداعية بذلك حصلت فوائد، أولها تعود عليه، وثانيها تعود على المجتمع والعاصي خصوصًا.

فالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر يقي من وقوع العذاب على الأمة؛ حيث إن المُنْكَرَ لو انتشر في المجتمع ولم يوجد من ينكره، فقد أُذِنَ بنزول العذاب، فعن عدي بن عُميرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إنَّ الله لا يعذِّب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه، فإذا فعلوا ذلك عذَّب الله العامة والخاصة"(٦٠١).

ففي النهي عن المنكر حفظ للمجتمع كله من الهلاك، وقد مثل النبي ﷺ مثلًا يوضح هذا المعنى بقوله: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا، ولم نؤذِ من فوقنا! فإن

---

(٦٠٠) تيسير الكريم الرحمن، ص٣٠٦- ٣٠٧.

(٦٠١) مسند أحمد: ١٧٧٦٥، قال شعيب الأرناؤوط: حسن لغيره. وقال الهيثمي: رواه أحمد من طريقين إحداها هذه، والأخرى عن عدي بن عدي، حدثني مولى لنا وهو الصواب، وكذلك رواه الطبراني، وفيه رجل لم يسمَّ، وبقية رجال أحد الإسنادين ثقات. انظر: مجمع الزوائد ٥٢٧/٥.

يتركوهم وما أرادوا، هلكوا جميعًا، وإن أخذوا على أيديهم، نجوا ونجوا جميعًا؟"(٦٠٢).

وقال السعدي: "أَنْجَيْنَا من العذاب الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ، وهكذا سنة الله في عباده، أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الآمرون بالمعروف، والناهون عن المنكر"(٦٠٣).

ومن فوائد الإعذار إلى الله وبراءة الذمة، بث الرجاء والأمل في حصول التقوى والرجوع للحق، قال ابن السعدي: ﴿قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾، أي: لنعذر فيهم، ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٦٤﴾، أي: يتركون ما هم فيه من المعصية، فلا نيأس من هدايتهم، فربما نَجَع فيهم الوعظ، وأثَّر فيهم اللوم، وهذا المقصود الأعظم من إنكار المنكر ليكون معذرة، وإقامة حجة على المأمور المنهي، ولعل الله أن يهديه، فيعمل بمقتضى ذلك الأمر والنهي"(٦٠٤).

فالمقصود من قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٦٤﴾، أي: لعل النصح يؤثر في تلك القلوب العاصية، فيثير فيها وجدان التقوى.

خامسًا: الداعية غير مطالب بهداية الناس:

الله سبحانه وتعالى إله عادل، خلق الخلق وهو أعلم بهم، فعلم من يصلح للهداية، فهداه للحق، وعلم من لا تنفعه الموعظة والهداية، فلم يكتب له ذلك، ولم يكلف الله تعالى عباده الدعاة غير البلاغ، أما هداية التوفيق فهم ليسوا مكلفين بها؛ لأنه ليس في طاقتهم، والله تعالى يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ولذلك قال شيخ الإسلام في قول الله تعالى: ﴿قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾: "أي نقيم عذرنا عند ربنا، وليس هداهم علينا، بل الهداية إلى الله"(٦٠٥).

وقال الشيخ عبد الرحمن البيتي: "إن الله سبحانه وتعالى لم يطالبنا بالنتيجة عند دعوة الناس، بل أمرنا بالبلاغ وبذل السبب، والله سبحانه من وراء ذلك، وسواء تغير المنكر أم لم يتغير، كفاك أنه إبراء للذمة أمام الله، ولا يعني هذا أن يتعذر المحتسب بأقل جهد لترك الاحتساب، بل الواجب بذل الجهد والطاقة بكل ما يستطيعه، فهذا هو المطلوب، وأما النتائج فأمرها إلى الله سبحانه وتعالى"(٦٠٦).

سادسًا: حكم إنكار المنكر عند من يعلم أنه لا يقبل منه:

العلماء من السلف والخلف متفقون على وجوب إنكار المنكر، ولكن اختلفوا في بعض المسائل التطبيقية لفقه الإنكار، ومنها مسألة الإنكار على من يُعْلَم منه عدم الانتفاع، ويمكن إجمال أقوالهم في ذلك في قولين(٦٠٧):

القول الأول: لا يجب الاحتساب، بل يستحب عند عدم رجاء الانتفاع، فإذا كان مرجوًّا وجب الاحتساب، والدليل: قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ٩﴾ [الأعلى: ٩]، قال ابن كثير: "ذكّر حيث تنفع التذكرة"(٦٠٨).

القول الثاني: يجب الاحتساب سواء نفع أو لم ينفع؛ لأنه قيام بواجب شرعي، فلا يتوقف على انتفاع الغير به، ولأن على المسلم أن يؤدي ما عليه، وليس أن يقوم الغير بما عليه.

---

(٦٠٢) صحيح البخاري ٢٣٦١.

(٦٠٣) تيسير الكريم الرحمن، ص٣٠٦- ٣٠٧.

(٦٠٤) المصدر السابق، ص٣٠٦.

(٦٠٥) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢٠٤/٣.

(٦٠٦) إضاءات على طريق المحتسبين، ص٦.

(٦٠٧) انظر هذه المسألة في: جامع البيان ٢٤/٣٧٢، وروح المعاني ٣٠/١٠٧، وأضواء البيان ٦/١٤٢، والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٢٠، والبحر المحيط ٨/٤٥٤-٤٥٦، وتيسير الكريم الرحمن ص٩٢٠، وانظر مجموع فتوى شيخ الإسلام ١٦/١٦٦- ١٧٠، وأصول الدعوة لعبد الكريم زيدان جمعًا لا بأس به في هذه المسألة، انظر ص١٩٩-٢٠١.

(٦٠٨) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٨/٣٨٠.

ويقول الشيخ السعدي: "﴿فَذَكِّرۡ﴾ بشرع الله وآياته ﴿إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩﴾، أي: ما دامت الذكرى مقبولة، والموعظة مسموعة، سواء حصل من الذكرى جميع المقصود أو بعضه، ومفهوم الآية أنه إن لم تنفع الذكرى، بأن كان التذكير يزيد في الشر، أو ينقص من الخير؛ لم تكن الذكرى مأمورًا بها، بل منهيًّا عنها"(٦٠٩).

(٦٠٩) تيسير الكريم الرحمن، ص٩٢٠.

المقصد الثامن: قيام الحجة على الناس

من المقاصد المهمة إقامة الحجة على الناس، فإذا لم تقم الحجة على الناس، لم يقم الداعية بواجب البيان، ولم يستوجب على الجاهل العقاب، وبيان ذلك في الأمور التالية:

أولًا: مفهوم إقامة الحجة:

تعريف الحجة:

"**الحجة:** في كلام العرب ما يقصد به إثبات المخالف؛ بحيث لا يجد منه تفصيًا؛ ولذلك يقال للذي غلَب مخالفه بحجته قد حَجَّه.

والاحتجاج: هو إتيان المحتج بما يظنه حجة ولو مغالطة، يقال: احتج، ويقال حَاجَّ إذا أتى بما يظنه حجة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فالحجة: لا تطلق حقيقة إلاّ على البرهان، والدليل الناهض المُبَكِّت للمخالف، وأما إطلاقها على الشبهة فمجاز لأنها تُورَد في صورة الحجة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ [الشورى: ١٦]، فهم يأتون بحجة أي بما يشبه الحجة"(٦١٠).

والحجة في لغة العرب تطلق على: العُذْر، الدَعْوَى، الذَرِيعَة، البُرْهان، الدَلِيل، وعند أهل القانون تطلق الحجة على: الصَكّ، والسَنَد، والوَثِيقَة.

معنى إقامة الحجة:

قال الله تعالى عن سبب إرسال الرسل: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥].

قال ابن كثير: "الله تعالى أنزل كتبه، وأرسل رسله بالبشارة والنذارة، وبيَّنَ ما يحبه ويرضاه مما يكرهه ويأباه لئلا يبقي لمعذرٍ عذر"(٦١١).

قال ابن عاشور: "فإرسال الرسل لقطع عذر البشر إذا سئلوا عن جرائم أعمالهم، واستحقّوا غضب الله وعقابه، فعلم من هذا أنّ للنّاس قبل إرسال الرسل حجّة إلى الله أن يقولوا: ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [القصص: ٤٧].

فلمّا بعث الله الرسل لقطع الحجّة؛ علمنا أنّ الله حين بعث الرسل كان بصدد أنْ يؤاخذ المبعوث إليهم، فاقتضت رحمته أن يقطع حجّتهم ببعثة الرسل وإرشادهم وإنذارهم؛ ولذلك جعل قطع الحجّة علّة غائيّة للتبشير والإنذار: إذ التبشير والإنذار إنَّما يبيّنان عواقب الأعمال؛ ولذلك لم يعلّل بعثه الرسل بالتنبيه إلى ما يرضي الله وما يسخطه"(٦١٢).

وعلى هذا فإقامة الحجة هي: بيان الحق للناس كلٌ بحسبه، قطعًا للعذر إذا سألهم عن أوامره هل التزموا بها، وعن نواهيه هل كفوا عنها، فإذا لم يجيبوا كانت الحجة عليهم.

---

(٦١٠) التحرير والتنوير ٤٧/٢.

(٦١١) مقال بعنوان إشراقات قرآنية من سورة العصر، د. عبد العزيز بن عبد الله الصالح، مجلة البيان العدد: ١٦٠.

(٦١٢) التحرير والتنوير ٣٩/٦.

عن سعد بن عبادة ﷺ قال: "لو رأيت رجلًا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح"، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: "تعجبون من غيرة سعد! والله لأنا أغير منه، والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين"(٦١٣).

يقول الشيخ ابن باز: "ففي بعث الرسل إقامة الحجة، وقطع المعذرة؛ حتى لا يقول قائل ما جاءنا من بشير ولا نذير، فالله سبحانه وتعالى بعث الرسل إقامةً للحجة، وقطعًا للمعذرة، وهداية للخلق، وبيانًا للحق، وإرشادًا للعباد إلى أسباب النجاة، وتحذيرًا لهم من أسباب الهلاك"(٦١٤).

ثانيًا: كيف تُقام الحجة:

تقام الحجة بإرسال الرسل، وقيام العلماء والدعاة بواجب الدعوة إلى الله وإرشاد الناس، قال تعالى: ﴿مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾ [الإسراء: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ ٥٩﴾ [القصص: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١١٥﴾ [التوبة: ١١٥].

يقول الشيخ محمود عبد الحميد: "ذلك لأن من أهداف بعثة الرسل أن ينذروا الكافرين والمعاندين؛ حتى لا يكون لهم عذر عند الله تعالى يوم القيامة، وأتباع الرسل يقومون بهذه المهمة بعد لحوق الرسل بربهم، حتى لا يكون للمعاندين منهم حجة أمام الله ﷻ يوم القيامة"(٦١٥).

وإقامة الحجة كذلك تكون بالبراهين والحجج التي جاءت في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ، وبالأدلة العقلية التي تدل على صدق الرسول ﷺ، وعلى ما جاء به من عند الله سبحانه، فإذا بلغ المدعو ذلك فقد قامت عليه الحجة.

ثالثًا: ما يترتب على إقامة الحجة:

"فالمدعو إما أن يستجيب للدعوة، فيهتدي ويتحقق بذلك الهدف الأول من أهداف الدعوة وهو تعبيد الناس لله، وإما أن تكون الحجة قد قامت عليه وانقطع عذره عند الله تبارك وتعالى.

فالداعي إلى الله إن لم يتحقق هدفه الأول، ويهتدي من يدعوه إلى الله – تبارك وتعالى – فلا يظنن أن عمله قد ذهب سدى، بل قد أدى واجبه الحقيقي وهو إقامة الحجة لله، وقطع العذر عن هذا المعاند أمام ربه يوم القيامة"(٦١٦).

"وما كان الله ليعذب أحدًا قبل إقامة الحجة عليه، والحجة إنما قامت برسله وكتبه، وبهم اسْتُحِقَّ الثواب والعقاب، وبهم قام سوق يوم الدين، وسيق الأبرار إلى النعيم والفجار إلى الجحيم"(٦١٧).

وهكذا "بين سبحانه وتعالى أن الرسل بعثوا مبشرين ومنذرين، مبشرين من أطاعهم بالنصر والتأييد والجنة والكرامة، ومنذرين من عصاهم بالخيبة والندامة والنار"(٦١٨).

رابعًا: واجبات الدعاة المتطوعين والرسميين في إقامة الحجة:

---

(٦١٣) صحيح البخاري، ٦٩٨٠. ومسلم، ١٤٩٩.
(٦١٤) مجموع فتاوى ابن باز ١٠٧/٣.
(٦١٥) الدعوة السلفية، محمود عبد الحميد العسقلاني، ص٨٤.
(٦١٦) المصدر السابق، ص٨٤.
(٦١٧) مدارج السالكين ٣٢/١.
(٦١٨) مجموع فتاوى ابن باز ١٠٧/٣.

يقول الله تعالى في محكم آيات التنزيل: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

إن واجب الدعاة والعلماء – سواء من كان منهم مُعيَّنًا لأمر الدعوة رسميًّا أو محتسبًا – أن يقوموا بما قام به الرسل جميعًا، وخاتمهم محمد ﷺ من واجب الدعوة كما أمر الله تعالى في هذه الآية، فلا يجوز للأمة أن تتخلف عن ذلك، بل وجب عليها أن تقوم بالبلاغ حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، وألَّا يكون لأحد عذر أمام الله بأنه لم يأتيه بشير ولا نذير.

ولكن على الدعاة أن يعرفوا أولًا حدود إقامة الحجة، فيأخذوا الناس بالرفق ويَتَخوَّلُوهم بالموعظة الحسنة، ويقدموا الأهم فالمهم من أمور العقيدة والتوحيد، ويتدرجوا في ذلك حتى لا ينفر المدعون من أول لقاء، إلى أن يَمُنَّ الله عليهم بتمام الحجة، وتمام البلاغ.

الفصل الثاني عشر: أصول الدعوة

مقدمة: أصول الدعوة، ومكانة الدعاة

الدعاة، هم أفضل الخلق بعد المرسلين الذين يقومون مقامهم بالدعوة والتذكير في أممهم، ويخلفونهم بالبشارة والنذارة والتبليغ في أقوامهم، يُصلحون مِنْ أمْرِ الدين ما فسد، ويُحيون من معالم السنن ما اندثر، هم أولى الناس بالنبيين، وأحرى الورى بدعاء إمام المصلحين ﷺ بنضارة الوجوه والفقه في الدين، أولئك الأقلّون عددًا، والأعظمون عند الله أجرًا، أولئك الدعاة إلى الله، على بصيرة بالإسلام عقيدة وشريعة، علمًا وعملًا، وبصيرة بالناس على تنوع أصنافهم، واختلاف أحوالهم، وبصيرة بالدعوة وأصولها، وطرائقها، وأسبابها، ووسائلها ومعوقاتها.

يقيمون بنيان دعوتهم على أصول راسخة، ومنطلقات ثابتة، وملامح وسمات بينة، يهتدون بهدي الأنبياء في الدعوة عامة، ويقتفون أثر المصطفى ﷺ وأصحابه خاصة، يحققون توحيدًا وإخلاصًا، وينشرون علمًا وفقهًا، ويتبعون أسلافًا وآثارًا، وعلى أساس من ذلك كله يربون جيلًا، ويقيمون معروفًا، ويهدمون منكرًا، ويجاهدون عدوًّا، ويجمعون الدين علمًا وعملًا.

وقد كان من شأن الدعاة في أول الأمر أن يتلقوا علم الدعوة تأصيلًا وتنظيرًا مع عملها ممارسة وتطبيقًا، وذلك بالمشافهة للشيوخ تارة، وبالممارسة بحضرة الكبار ورعايتهم تارة أخرى.

ولم تقم بالأسلاف حاجة إلى إفراد علم الدعوة بتصنيف وتأليف، ثم تطاول العهد، واتصل – عن زمن السلف وهديهم – البُعد، وانحسر سلطان الإسلام، وتقلصت دولته، وخلفت خلوف أضاعت الواجبات، واتبعت الشهوات، ووقعت في الشبهات، وأخلدوا إلى السبات، فلم يستفيقوا إلا على استلاب ملكهم، وتقويض خلافتهم.

وَهَبَّ المصلحون الغرباء، والرواد من الدعاة والعلماء، يحدون بالأمة من جديد، ويبعثون فيها روح التجديد، فكتب الفضلاء يشخصون الداء ويصفون الدواء، ومسَّت الحاجة إلى تدوين علم الدعوة تأصيلًا وتنظيرًا، كشفًا لما قد يحيط بأصول الدعوة من جهالة، وتوضيحًا لما قد يعتري مفهوماتها من غموض، وتصحيحًا لما قد يطرأ على مناهجها ووسائلها من اضطراب.

وما من شك أن من حق الناس على الدعاة في كل عصر ومصر أن يبينوا لهم أصول دعوتهم، وأن يجلوا لهم عظيم غايتهم، وأن يوضحوا لهم نبيل أهدافهم. وصحيح وسائلهم، كل ذلك ببيان يفهمه العامة قبل الخاصة، ويدركه القروي قبل الحضري، إذ بقدر وضوح الغايات، ونبل الأهداف، وصحة الأصول، ومشروعية الوسائل؛ تتحقق الاستجابة، ويُنتفع بالذكرى.

ولقد قامت الجهود العلمية المعاصرة على قدم وساق تخدم قضية الدعوة، ولا جرم أن كان علم الدعوة في العصر الحديث في أوله قاصرًا محدودًا، غلبت فيه العاطفة على التقعيد، ثم هو يوشك أن تجتمع أوصاله وتأتلف أجزاؤه،

ويقوى فيه جانب التأصيل، ولقد خرجت كتب تحمل اسم "أصول الدعوة"[٦١٩]، وأخرى تحمل اسم "فقه الدعوة"[٦٢٠]، وصنفت مداخل لعلم الدعوة أيضًا[٦٢١]، ووجهت رسائل للدعاة[٦٢٢]، وغير ذلك من الرسائل والبحوث المفيدة[٦٢٣].

(٦١٩) انظر على سبيل المثال: أصول الدعوة، لفضيلة الدكتور/ عبد الكريم زيدان.

(٦٢٠) انظر على سبيل المثال: فقه الدعوة إلى الله، لفضيلة الدكتور/ علي عبد الحليم محمود.

(٦٢١) انظر على سبيل المثال: المدخل إلى علم الدعوة، لفضيلة الدكتور/ محمد أبو الفتح البيانوني، ومدخل إلى علم الدعوة، لفضيلة الدكتور/ عبد الرب نواب الدين.

(٦٢٢) انظر على سبيل المثال: رسالة إلى الدعاة، لفضيلة العلامة الشيخ ابن عثيمين، وأخرى مثلها لسماحة العلامة الشيخ ابن باز – عليهما رحمة الله.

(٦٢٣) معالم في أصول الدعوة، الدكتور محمد يسري، ص٥-٧.

المبحث الأول: مفهوم علم أصول التعريف بالإسلام والدعوة، وحكم تعلمه

المطلب الأول: حقيقة علم أصول الدعوة

الأصُول أساس الشيء، وما يستند إليه الشيء، وقاعدة الشيء، وما ينبني عليه غيره، إن إضافة كلمة "أصول" إلى "الدعوة" يعطى معنى: القواعد والأسس التي يقوم عليها بنيان الدعوة إلى الله تعالى ودين الإسلام.

وبناءً عليه، فإن علم أصول الدعوة هو: "علم بقواعد وأحكام وأسباب وآداب يُتَوَصَّلُ بها إلى تمام تبليغ الإسلام للبشر عامة، وتعليم وتربية المستجيبين كافة، وتحقيق التمكين لهذا الدين".[٦٢٤]

ومما تجدر ملاحظته:

١- أن "العلم بالقواعد والأحكام والأسباب والآداب"، لا يُغْفِل نوازل الدعوة المعاصرة، من حيث القضايا والأدوات والإمكانيات والملكات، كما يستوعب تاريخ الدعوات، ومنهجية العلماء، وطريقة المجددين المصلحين في الدعوة والإصلاح.

٢- أهمية علم الداعي بقضايا المجتمع التي تتعلق بالمدعو في آن واحد.

٣- الدعوة إلى الله تُعْنَى بأمَّتَي الإجابة والدعوة معًا، فالدعوة تتجه إلى أهل الإسلام وأهل الكتاب، وكل من انتسب إلى دين، كما تتجه إلى من لا يتدين بدين أصلًا، فنطاق الدعوة هم البشر والناس كافة.

٤- والدعوة تُعنى بالتربية والإعداد والتكوين، وتزكية المقبلين، وبناء الكوادر الدعوية والعلمية والعملية.

٥- وإذا كان التمكين لهذا الدين من الجوانب العملية في الدعوة؛ فإنه يقتضي بذل كل سبب مشروع لتحقيق هذا الهدف، فتأتي:

أولًا: الأسباب المعنوية، من: الإخلاص، والتجرد، وسلامة المعتقد، وصدق الاتباع، وصحة العلم.

ثانيًا: الأسباب المادية، من: العناية بالتربية، والأمر والنهي، والبصيرة بالواقع، والتفاعل الصحيح مع قضايا الأمة، والحرص على الوحدة والاجتماع والتآلف، والشمول والتكامل.

[624] أصول الدعوة - جامعة المدينة - المجلد 1 - الصفحة 132 - جامع الكتب الإسلامية.

المطلب الثاني: موضوع علم أصول الدعوة

إن موضوع علم أصول الدعوة هو: "الإسلام من حيث: كيفية تبليغ رسالته، وقواعد وأحكام السعي لتكون كلمة الله هي العليا، فالإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه".

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، فالإسلام هو طريق الله الذي نصبه لعباده على ألسن رسله، وجعله موصلًا لعباده إليه، ولا طريق لهم إليه سواه، بل الطرق كلها مسدودة إلا هذا الطريق، وهو إفراده بالعبودية، واتباع رسوله ﷺ.

وعلم أصول الدعوة حين يدرس تبليغ الرسالة الخاتمة، ووراثة النبي ﷺ في دعوة أمته، والقيام بمهمته؛ يعني ما يلي:

<u>أولًا: الدعوة</u>: وذلك من حيث الجوانب التالية:

١- **المضمون والمقصود:** وهو بيان الإسلام بمراتبه، وأركانه، وشرائعه، وأخلاقه، وأنظمته، وخصائصه، ومقاصده، ومحاسنه.

٢- **من حيث ما يجب في بلاغ الدعوة:** من قواعد حاكمة، وضوابط لازمة، وأولويات مرتبة، ومآلات مرعية.

٣- **من حيث ما يعرض للدعوة:** من مشكلات ومعوقات، وما يتعلق بها من أحكام وآداب، وما يستَجِدُّ بساحتها من النوازل، واستنباط أحكامها الشرعية.

٤- **من حيث ما يُتَوَصَّلُ به لتحقيق أهداف الدعوة:** من الوسائل والأساليب المشروعة.

<u>ثانيًا: الداعي</u>:

فيُعنى علم أصول الدعوة بما يجب على الداعي من واجبات في نفسه وفي غيره، وما يليق أن يتحلى به من الصفات، وما يلزمه أن يتخلى عنه من الآفات، وما يتعين عليه التزامه والانضباط به في جميع ما يتعلق بالدعوة من أعمال وممارسات.

<u>ثالثًا: المدعو</u>:

فيعنى علم أصول الدعوة بالمدعو؛ من جهة: تعريف الداعية بأصناف المدعوين، وكيفية دعوتهم.

<u>رابعًا: وسائل الدعوة وأساليبها</u>:

فيُعنى ببيان وسائل الدعوة، وأساليبها الشرعية، وضوابطها، وكيفية الاستفادة منها، والأحكام الخاصة بها.

المطلب الثالث: أسماء علم أصول الدعوة، وعلاقته بالعلوم الأخرى

تعددت أسماء هذا العلم وتنوعت، وذلك لشرفه وعلو منزلته، إذ إن كثرة الأسماء تدل على عظم قدر المسمى، ومن أشهر الأسماء المعاصرة ما يأتي:

أولًا: علم الدعوة:

وهو أعم أسماء هذا العلم وأوسعها، وأشملها وأكثرها تناولًا واستعمالًا، وباسمه صُنِّفَت كتبٌ كثيرة[٦٢٥]، من أهمها على سبيل المثال: "المدخل إلى علم الدعوة"، لفضيلة د. محمد أبو الفتح البيانوني؛ حيث عرفه بقوله: "هو مجموعة من القواعد والأصول التي يُتوصَّل بها إلى تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه وتطبيقه"[٦٢٦].

وعلى هذا الاسم درج كثير من الكُتّاب والدعاة المعاصرين.

ثانيًا: أصول الدعوة:

فتدخل أدلة الدعوة ومصادرها وأركانها دخولا أوليًّا، ثم يمتد نطاق هذا المصطلح ليشمل: أحكامًا وآدابًا تتعلق بالدعوة في وسائلها، ونوازلها المتصلة بقضية البلاغ.

وصنيع من كتب في أصول الدعوة من العلماء والدعاة يُوحِي بهذا المعنى الواسع، كما في كتاب أصول الدعوة[٦٢٧]، لفضيلة د. عبد الكريم زيدان؛ حيث شمل كتابه كثيرًا مما يتصل بأصول الدعوة وموضوعها ووسائلها وآدابها، وما يتصل بالداعي، والمدعوين من مسائل، وإن خلا الكتاب من تعريف اصطلاحي دقيق لهذا العلم.

ثالثًا: مناهج الدعوة:

وهذا اصطلاح يتناول: خطط الدعوة ونُظُمها، وقد يتوسع في مفهومه فيتناول الأهداف والأصول والقواعد، كما فعل كل من:

١- د. محمد سرور في كتابه: "منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله"[٦٢٨]؛ حيث قال عن مقصوده عن هذا المصطلح: "قَصَدتُّ الأصول والأهداف التي كانت تجمع بين أنبياء الله جميعًا، وهذا الذي يعنيه كثير من الكتاب في عصرنا، وكما يقولون: "لا مشاحة في الاصطلاحَات""[٦٢٩].

٢- وأ. د. عبد الرحيم المغذوي في كتابه "الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية"؛ حيث عرف مناهج الدعوة بأنها: "عملية بناء متكاملة لطريقة الدعوة المستقيمة، تشتمل على الأصول والمحتويات، والأساليب والوسائل الموصلة للدعوة، والمعينة لعمل الداعية في مخاطبة الناس، مع مراعاة الظروف الملائمة والأحوال المناسبة"[٦٣٠].

رابعًا: فقه الدعوة:

وعُرِّف بأنه: استنباط وفهم تاريخ الدعوة، وأسبابها، وأركانها، وأساليبها، ووسائلها، وأهدافها، ونتائجها، استنباطًا وفهمًا على ضوء الكتاب والسنة، وفهم السلف الصالح، يُمَكِّن الدعاة إلى الله تعالى من عرضها بأحسن طريقة، وأكثر ملاءمة لمن توجه إليهم الدعوة في مختلف بيئاتهم، ومتباين ألسنتهم، ولغاتهم، ومتعدد أجناسهم[٦٣١]، عملًا بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٠٨﴾ [يوسف: ١٠٨].

---

(٦٢٥) ينظر: مدخل إلى علم الدعوة، أ. د عبد الرب نواب، والمدخل إلى علم الدعوة، ص٦٨، د. حسين عماد علي.

(٦٢٦) المدخل إلى علم الدعوة للبيانوني، ص١٩.

(٦٢٧) كتب د. على جريشة كتابًا بنفس العنوان، وقد ألف د. محمد يسري كتابين بهذا العنوان: الأول: مبادئ في أصول الدعوة، ومعالم في أصول الدعوة، وغيرهما.

(٦٢٨) كتب الشيخ ربيع بن هادي المدخلي كتابًا بنفس العنوان.

(٦٢٩) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله ١/٣٦.

(٦٣٠) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د. عبد الرحيم المغذوي، ١/٧٠.

(٦٣١) انظر: فقه الدعوة إلى الله، د. علي عبد الحليم محمود ١/١٨.

وهو من أشمل هذه الاصطلاحات موضوعًا، والتي على أساسها تم تصنيف كتب كثيرة؛ من أهمها: "فقه الدعوة إلى الله" للدكتور علي عبد الحليم محمود، "وفقه الدعوة" للدكتور جمعة الخولي، "وفقه الدعوة" لبسام العموش، "وفقه الدعوة وفقه النصح والإرشاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" لعبد الرحمن الميداني.

وقام مجموعة من الباحثين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بإعداد مشروع رسائل ماجستير بعنوان: فقه الدعوة من صحيح البخاري.

وأبواب هذا العلم قد أُفردت بالتصنيف والدراسة على أنها علوم مستقلة في كليات الدعوة وأقسامها وبرامجها بجامعات العالم الإسلامي اليوم.

تنبيه: الفرق بين علم الدعوة، والقيام بالدعوة:

الفرق بينهما، هو أن علم الدعوة يمثل المنهج والتوجيه والتدريب على الدعوة، أما القيام بالدعوة، فيمثل التطبيق لعلم الدعوة، فهو نقل العلم الشرعي إلى العمل الميداني الدعوي، مع مراعاة المنهج القويم، والتوجيهات المنهجية الدعوية، وتطبيق المهارات التي تعلمها الداعية إلى الله من خلال دراسة علم الدعوة.

المطلب الرابع: حكم تعلُّم علم أصول الدعوة

إن حكم تعلم هذا العلم ينبني على حكم الدعوة نفسها، ومن أمعن النظر عَلِمَ أنه ما قام دين ولا انتشر إلا بالدعوة، ولا تداعت أركانُ ملةٍ بعد قيامها، وتلاشت إلا بترك الدعوة والتعليم والتذكير.

وقد تبين لنا(٦٣٢) أنه قد دلت نصوص الكتاب والسنة على وجوب الدعوة إلى الله – بمعناها العام – على كل مسلم ومسلمة، كل حسب وسعه، والوسع يشمل: الوسع العلمي، والمالي، والبدني، والقدرة على أداء الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة.

فالعلماء متفقون في الجملة على وجوب الدعوة إلى الله، ولكنهم اختلفوا في نوعية الوجوب، هل هو على التعيين؟ أم على الكفاية؟

وفي الجمع بين القولين، قال شيخ الإسلام: "وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه، إذا لم يقم به غيره، فما قام به غيره سقط عنه، وما عجز لم يطالب به"(٦٣٣).

وتأسيسًا على ما تقدم، فإن ممارسة الدعوة إلى الله تعالى واجبة وجوبًا عينيًّا، يتفاوت بحسب كل مُكلف، ولأن العلم يجب أن يكون قبل القول والعمل، ففرض على كل داعية أن يتعلم من علم أصول الدعوة ما يقيم دعوته صحيحة، موافقة للهدي والسمت الذي كان عليه الدعاة الأوائل عليهم صلوات الله وسلامه، قال سبحانه وتعالى: ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠].

والقاعدة الفقهية تنص على أن: "ما لا يقوم الواجب إلا به، فهو واجب".

ولذلك على كل داعية أن يستقي من علم "أصول الدعوة" ما لا يسعه أن يجهله من هدي النبي ﷺ في الإصلاح والتغيير، وأن يدرك سنن الله الحاكمة في التمكين والاستخلاف.

ثم إنه يجب على بعض الدعاة الفقهاء أن يقوموا بفرض الكفاية من الاجتهاد الذي يهيئهم للنظر في النوازل الدعوية، ويُمَكِّنُهُم من استنباط الأحكام الشرعية، وتحقيق المصالح المعتبرة وتكميلها، ودفع المفاسد أو تقليلها، والموازنة بين الإيجابيات والسلبيات، دعمًا وتسديدًا لمسيرة الدعوة، وحفظًا وترشيدًا لجهود العاملين"(٦٣٤).

قال ابن القيم: "إذا كانت الدعوة أشرف مقامات العبد وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، ولا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي"(٦٣٥).

والخلاصة:

١- "أن حكم تعلم علم أصول الدعوة مُتفرِّع عن حكم الدعوة؛ وهو الوجوب بأنواعه.

٢- درجة حكم علم أصول الدعوة تتبع درجة حكم الدعوة العيني أو الكفائي، أو دوران الحكم وتغيره من الكفائي إلى العيني.

٣- ينصرف الوجوب الكفائي في حكم تعلم علم أصول الدعوة إلى علم الأمة الإسلامية بهذا المنهج ومعرفته، وانتداب الدعاة إلى القيام بمتطلباته.

٤- ينصرف الواجب العيني في ظروف معينة؛ وهي:

---

(٦٣٢) ينظر في هذا الكتاب في الحديث عن حكم الدعوة.

(٦٣٣) مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥/١٦٦.

(٦٣٤) مبادئ في أصول الدعوة باختصار وتصرف يسير، ص٣٢ باختصار.

(٦٣٥) مفتاح دار السعادة ١/١٥٤.

- التعيين من قِبَل ولي الأمر للدعوة إلى الله.
- العلماء والدعاة الذين انتصبوا للدعوة.
- عند تغير الأحوال، وظهور الحاجة إلى دعاة صادقين ملتزمين بمنهج الدعوة القويم"[٦٣٦].

ومقتضيات هذا الوجوب:

١- "الالتزام بهذا العلم الدعوي، والتمسك به، وعدم إهماله، أو تركه، أو التغافل عنه.

٢- العلم والتعليم والفقه بهذا العلم، وطلبه من مظانه الصحيحة.

٣- العمل بهذا العلم، وتطبيقه وتنفيذه على أرض الواقع بين الناس.

٤- عدم المساس به وبأحكامه، أو الابتداع فيه"[٦٣٧].

(٦٣٦) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية ١/٨٧ بتصرف يسير، وينظر ما بعدها من صفحات للاستزادة، وللاستزادة بالتفصيل ينظر كتاب: مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر للشيخ علي المرشد، ص٧٣، والدعوة الإسلامية، د. أحمد غلوش، ص٢٣٣، والدعاة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، د. صابر أحمد طه، ص٢٠.

(٦٣٧) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية ١/٩١ بتصرف يسير.

المطلب الخامس: فضل دراسة علم أصول الدعوة

فضائل علم أصول الدعوة كثيرة، فإن له ما للقيام بالدعوة من فضائل، ويظهر فضل دراسة علم أصول الدعوة خاصة في النقاط التالية:

أولًا: قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [يوسف: ١٠٨]، فالدعوة إلى الله لا بد أن تكون على بصيرة من جهتين؛ الأولى: بصيرة بما يدعو إليه، والثانية: بصيرة بالطرق والوسائل والأساليب الدعوية، وضوابط ذلك.

ثانيًا: بتعلم أصول الدعوة يَتَحَصَّلُ الداعية على عظيم الأجر وجزيل الفضل، فأجور الدعاة مضاعفة أبدًا، والدعاة الفقهاء بأصول الدعوة يترقون في مقامات الأنبياء تعلمًا وتعليمًا، قائمين على حدود الله، يحفظون الدين من الوهن، ويجددون أركانه، ويرعون سفينة المجتمع أن تغرق في بحار الشهوات أو الشبهات.

ثالثًا: بتعلم أصول الدعوة يتوصل إلى تحقيق الحكمة الدعوية، المأمور بها قرآنًا وسنة، وتتحقق البصيرة بسبيل الدعوة وأساليبها ووسائلها، ويتوصل إلى أحكام الله تعالى في النوازل الملمة، ومناهج التغيير ووسائله ومسائله المستجدة.

فإذا كان الدعاة ورثة الأنبياء في التزكية والبلاغ، فإن الدعاة العلماء في الذروة من هذه المنزلة، وفي الحديث: "من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين"(٦٣٨).

رابعًا: إذا كان طلب العلم محمودًا ومعدودًا في سبيل الله، فإن طلب العلم الذي يتوقف عليه تبليغ الدين وإقامته من أعظم الجهاد، قال ﷺ: "أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر"(٦٣٩).

خامسًا: إذا كان جهاد الدعوة بالكلمة له فضل كبير، فإنه لا يدرك أمانة الكلمة ولا فقهها إلا الدعاة العلماء بهذا العلم النفيس، قال الله ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣].

سادسًا: قال ابن القيم: "وإذا كانت الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها، فهي لا تحصل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لا بد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلى حد يصل إليه السعي"(٦٤٠).

سابعًا: إذا كانت الدعوة إلى الله من أشرف الأعمال وأنفعها عند الله، فإن علم أصولها من أشرف العلوم وأنفعها للداعي وللمدعوِ على حد سواء، وكل فضل ثبت للدعاة عمومًا، فأرباب العلم والبصيرة بأصول الدعوة وفقهها به أولى وأحرى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١١﴾ [المجادلة: ١١].

ثامنًا: تعلم هذا العلم من أعظم سبل الوحدة والائتلاف، ونبذ الفرقة والاختلاف، وصلاح ذات البين، وما قد يوجد من مظاهر الفرقة والتخالف بين الدعاة مرده إلى أمور كثيرة؛ من أهمها: غياب أو ضعف العلم الشرعي الأصيل، وكذا علم أصول الدعوة وفقه ممارستها، وخفوت نور الربانية في الصدور، وضعف التحقق بالأخلاق النبوية والشمائل السلفية، فلا غنى عن غلبة روح التأصيل العلمي، والتفريق بين المقبول والمردود من الخلاف، والمحكم والمتشابه من النصوص، والقطعي والظني من الدلالات.

---

(٦٣٨) صحيح البخاري، ٧١، ومسلم، ١٠٣٧.

(٦٣٩) سنن أبي داود، ٤٣٤٤ واللفظ له، سنن ابن ماجة، ٤٠١١، جامع الترمذي، ٢١٧٤، سنن النسائي، كتاب البيعة، ٤٢٠٩.

(٦٤٠) مفتاح دار السعادة، ابن القيم ١/١٥٤.

ولذلك، على الداعية أن يلم بقضايا الدعوة، أهدافًا وموضوعات وأسلوبًا، سواء فيما هو فرض عين على كل مكلف ومخاطب بالدعوة، أو ما كان يختص ببعض الدعاة دون بعض.

المبحث الثاني: علم أصول الدعوة، نشأته ومصادره وكتبه وثمرته ومسائله

المطلب الأول: نشأة علم أصول الدعوة، ومصادره، وكتبه:

المطلب الأول: نشأة علم أصول الدعوة:

يمكن بيان معالم نشأة علم أصول الدعوة في النقاط التالية:

أولًا: مرحلة صدر الدعوة:

لما قام الأنبياء والمرسلون، وأتباعهم بالدعوة إلى الله، ثم ختم الله تعالى الرسل بنبينا محمد ﷺ، فقام يدعو إلى الله، تاليًا آياته، ومعلمًا أحكامه، ومزكيًا أتباعه، فكانت النتيجة أن تخرج من مدرسته الصحابة رضوان الله عليهم بعدما تفقهوا بعلمه، وتأدبوا بأدبه، فأنجز الله لهم وعده بأن أظهر دينه، وأعلى كلمته، وأعز أهله، ولقد اقتفى التابعون آثار الأسلاف، فنشروا الإسلام، وبلغوا فيه كل مبلغ، وصرفوا جل جهودهم في حفظ العلم وإتقان العمل.

ثانيًا: مرحلة بداية التأليف العام:

وهذه المرحلة تبدأ من زمن الإمام الزهري (١٢٤هـ) ومن بعده، فَعِلْمُ الدعوة كان في مصنفاتهم ضمنًا، ولم يُفرد بكتاب معين لا باسمٍ ولا رسمٍ.

وعندما بسط الإسلام نوره على الدنيا، ودانت له الأرض؛ اتجهت العلوم وجهة التأصيل والتقعيد، فكان علم الدعوة أبوابًا منثورة في كتب السنة ودواوينها، وفي كتب التفسير وكتب السير النبوية، وتاريخ الخلفاء الراشدين ومن بعدهم، وتاريخ الفتوحات الإسلامية، وكذلك تراجم الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

ولم يجتمع من ذلك علمٌ – بالمعنى الاصطلاحي للعلم – لأن مبعث تأصيل العلوم وإفرادها بالتصنيف هو: الحاجة إليها، ولم تكن الدعوة إذ ذاك عملًا مهجورًا، ولا أمرًا مستورًا، وإنما كان المجتمع الإسلامي كله ناشطًا بالدعوة إلى الله، تسرى روحها في أوصاله، وتتنفس رحيقها جنباته.

مع التنبيه إلى أنه أفردت أبواب الزهد بكتب مستقلة في موضوعات دعوية، كالزهد للإمام ابن المبارك (ت١٨١هـ)، والزهد للإمام أحمد (ت٢٤١هـ).

ثالثًا: مرحلة التأليف في بعض موضوعات الدعوة:

وهذه مَرْحَلَةٌ تَدَاخَلَت فيها مجموعة من المؤلفات والتصنيف في الدعوة:

مثل الجمع بين السير والتراجم والدعوة إلى إصلاح النفوس، كما فعل أبو نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) في كتابه "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء".

والتصنيف في الوعظ والتذكير، والمخاطبة بما يرقق القلوب، ويزهد في الدنيا، ويرغب في الآخرة، وعلاج النفوس، وأُفْرِدَتْ في ذلك كتب، فألف الإمام ابن حزم (٤٥٦ هـ) كتابيه "علل النفوس ومداواتها"، و"الأخلاق والسير"، كما صنفت كتب في الحسبة وأحكامها وآدابها ككتابي "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" لابن الخلال (٣١١هـ)، "والأحكام السلطانية للماوردي" (٤٥٠هـ)، وكذلك "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" لابن تيمية (ت٧٢٨هـ)، و"معالم القربة في أحكام الحسبة" لابن الإخوة الشافعي (ت٧٢٩هـ).

وقد تواكب مع هذا الاتجاه اتجاه آخر يُعنى بمقارنة الأديان والرد على المخالفين في أصل الدين، وإظهار محاسن

الدين، ككتاب "الملل والنحل لابن حزم" (٤٥٦هـ)، و"الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام" للإمام القرطبي (٦٧١هـ)، وكتاب "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" لابن تيمية، و"هداية الحيارى" لابن القيم.

كما صُنِّفَتْ كتب تهتم بالعلم، وأدب العلماء وطلاب العلم، الذين هم الدعاة والمعرفون بالإسلام بلا شك، فاشتملت تلك المؤلفات على آداب الدعاة، ووسائل وأساليب الدعوة، ومناهج الدعوة؛ فقد ألف الإمام الآجري (٣٦٠هـ) كتابين هما: كتاب "أخلاق حملة القرآن"، وكتاب "أخلاق العلماء"، وألف الخطيب البغدادي (٤٦٣هـ) أربعة كتب، وهي: "اقتضاء العلم العمل"، "والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع"، وكتابه "الفقيه والمتفقه"، "وشرف أصحاب الحديث"، وألف الإمام ابن عبد البر كتاب "جامع بيان العلم وفضله" (٤٦٣هـ).

وكذلك "التبيان في آداب حملة القرآن" للنووي (٦٧٦)، وكتاب "تذكرة السامع والمتكلم" لابن جماعة (٧٣٣)، "وتدريب الراوي" للسيوطي (٩١١).

رابعًا: مرحلة التأليف المتخصص:

وبقى الأمر مقاربًا حتى خَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ أضاعوا الواجبات، واتبعوا الشهوات، وأهملوا العلم والعمل على مختلف المستويات، فما استفاقوا إلا على استلاب دولتهم، وزوال خلافتهم، وتفرق شملهم، وتغير حالهم، إلا أن السبات وإن طال، فلا بد من يقظة، والغفلة وإن استمرت، فلا بد من صحوة.

وهنا تنادى المصلحون من كل جانب ليعود المسلمون إلى سابق عهدهم، وسالف مجدهم، وعادت الدعوة لتبعث الأمة من جديد، فكتب الدعاة العلماء يشخصون الداء ويصفون الدواء، وبرزت الحاجة إلى هذا العلم بإلحاح؛ نظرًا لما اكتنف الأمة من جهالة، وما أحاط بالعمل الدعوي من غموض في بعض مفاهيمه، وخلل في بعض أصوله، واضطراب في مناهجه، وقصور في أساليبه، وجمود في وسائله، وخطورة في نوازله، وعقبات عملية في طريقه تهدف إلى وأْدِه وتشويهه وتعويقه.

فقامت نهضة دعوية وتيارات إسلامية، وعُرفت المؤسسات الدعوية والإعلامية، وتأسست الكليات الدعوية والأقسام العلمية في الجامعات الشرعية لخدمة علم الدعوة.

فحصلت نقلة نوعية ضخمة في علم أصول الدعوة، كانت في أولها عاطفة وحماسًا، وإن لم يخل من تأصيل وتقعيد، حتى كان فقهًا وتقعيدًا، فلا عجب أن يستفيد اللاحق من السابق؛ فيؤصل للدعوة مناهجها، ويضبط وسائلها وأهدافها، ويبصرها بمواضع الزلل، ومكامن الخلل، ومواطن الرشد، وأسباب العلاج[٦٤١].

استمداد علم أصول الدعوة

إن علم أصول الدعوة يمتد ليشمل ما يحيط بما يلي:

١- تبليغ رسالة الإسلام للبشر عامة.

٢- تعليم وتربية المستجيبين كافة.

٣- تحقيق التمكين لهذا الدين خاصة.

لذا فهو يستمد مادته من:

---

(٦٤١) هنا اقتصرنا على توصيف حال النشأة المعاصرة، ولم نذكر كتبًا معاصرة نظرًا لأن هذه الكتب كتبت في وقت متقارب جدًّا؛ ولذا سيتم عرض المؤلفات المعاصرة ضمن المبحث التالي.

١- العلوم الشرعية.

٢- ما في الماضي والحاضر من تجارب، ودعوات، ومحاولات.

٣- ما في الواقع من أسباب، ووسائل، ومجالات، وفرص.

ولقد تنوعت مصادر وروافد هذا العلم المبارك بتعدد تعلقاته، وفيما يلي بيان لأهم مصادره ومراجعه من خلال:

المطلب الثاني: مصادر علم الدعوة:

أولًا: القرآن الكريم:

فهو كتاب الدعوة الأول، ولا غنى عن كتب التفسير المعتمدة عند أهل السنة والجماعة، ومختصراتهما، والرسائل التي عُنِيت بتفسير آيات الدعوة وجمعها وعرض تفسيرها بصورة موضوعية.

ثانيًا: كتب السنة المطهرة:

السنة، هي الديوان الشارح لكتاب الله تعالى، ويلحق بهذا كتب الشروح، وشروح الأحاديث المتعلقة بموضوعات الدعوة.

ثالثًا: كتب العقيدة الصحيحة:

فلا بد للداعية أن يحيط بأركان الإيمان وحقيقته ومسائله ونواقضه، وما يتضمن ذلك من الرد على المبتدعة والمنحرفين، والرد على الملاحدة والدهريين وغيرهم من المخالفين، وما لا يسع أن يجهله من مسائل الاعتقاد، وأهم من ذلك اتقاد حرارة الإيمان في الجنان، وذلك بالعناية بأعمال القلوب وآثار العبادات، كما ينبغي أن تصرف العناية إلى كتب المتقدمين، ولا غنى عن كتب المتون وشروحها الجامعة لأصول أهل السنة والجماعة.

رابعًا: كتب الأخلاق الإسلامية العليا:

الأخلاق العليا هي فرائض وفضائل في هذا الدين الحنيف، وتأتي بعد علم الإيمان، فالقرآن المكي ما عُني بشيء بعد العقيدة عنايته بالأخلاق؛ لذلك يتعين على الداعية أن يحيط علمًا بالأخلاق الفاضلة، وأن يتحقق بها عملًا وسمتًا وهديًا، وأن يتعلم كيف يعلمها ويربي غيره على رعايتها، والسلوك عليها، وتزكية النفوس عن طريقها.

خامسًا: كتب السيرة النبوية، والتاريخ، والتراجم:

إن سيرة النبي ﷺ والصحابة ﷺ، فيهما البيان لمنهجه العملي ﷺ في الدعوة إلى الله، فهي القدوة، وفيها الأسوة، ومنها تؤخذ العبرة.

ثم إن في تاريخ الدولة الإسلامية الراشدة من الحوادث والنوازل ما يضيء طريق أهل الدعوة في كل زمان ومكان، ويبصرهم هديَ خير القرون والتي أشار النبي ﷺ باتباعها، بقوله: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ..."(٦٤٢).

فالسيرة هي التطبيق العملي والممارسة الفعلية لهذا العلم المبارك، فهي خلاصة منهاج النبي ﷺ في الدعوة والإصلاح؛ لذلك ينبغي على الداعية مطالعة كتبها وكتب التاريخ، مع الاهتمام بالدراسات الدعوية والتربوية في السيرة النبوية والدراسات التاريخية للدول والحركات الإصلاحية.

---

(٦٤٢) الراوي: عبد الله بن مسعود/صحيح البخاري، ٦٤٢٩.

سادسًا: كتب الأحكام ومداخلها:

ينبغي على الداعية أن يكون على علمٍ بأحكام العبادات، وما لا غنى عنه من أحكام المعاملات، وما لا يسع جهله من مناهج وطرائق الاستنباط والاستدلال، وقواعد الفقه ومقاصد الشريعة وقضاياها الكلية، مع الإلمام التام بمحاسن أنظمة الإسلام التشريعية والمالية والسياسية والاجتماعية، ويمكنه الرجوع في ذلك إلى الكتب التي تتناول آيات وأحاديث الأحكام وشروحها، والمتون الفقهية وحواشيها، والقواعد الأصولية والفقهية، مع العناية بالدراسات الفقهية الجادة حول موضوعات الدعوة ونوازلها في مختلف الميادين.

سابعًا: كتب تجارب الدعاة، وتصرفات العلماء:

وتعد تلك التجارب والوقائع مصدرًا مهمًّا في أصول الدعوة؛ حيث يقف الداعية على اجتهادات العلماء وأهل الدعوة – السابقين والمعاصرين – فيما طرأ من مشكلات، وما واجههم من عقبات، وفتاوى أهل العلم في ذلك، ومواقف الطوائف المشتغلة بالدعوة من هذه القضايا جملة، ويدخل في هذا دراسة الواقع زمانًا ومكانًا وأحوالًا؛ ليتمكن من ترجيح الراجح من الأقوال، وتقدير المصالح والمفاسد.

ثامنًا: كتب علوم العصر، والوسائل المستجدة لتنمية المهارات:

مثل علوم الإدارة، وفنون الاتصال، ووسائل التأثير، وأساليب الخطاب المناسب لزمانها ومكانها، ومنهاج البحث العلمي، والدراسات الميدانية، والدراسات المستقبلية وتقييدها بقيود الشرع وضوابطه.

المطلب الثالث: كتب الدعوة، ومناهجها، وفقهها، وتاريخها، وأصولها

كتب الدعوة هي بيت القصيد، وسوف نُعنى بإيراد طائفة منها، لا على سبيل الحصر، مع العناية بالكتب الجامعة والمعاصرة قدر الإمكان، ومع الحرص على التنوع في موضوعاتها والاستفادة ممن كتبوا.

وهذه المصنفات والكتب مرتبة على حروف الهجاء على النحو التالي:

١. إتقان العمل الدعوي ضرورة دعوية، د. حمود جابر مبارك الحارثي.
٢. أثر التخطيط المستقبلي في دعوة غير المسلمين في ضوء السنة النبوية – د. نزار محمود قاسم.
٣. أخلاقيات الداعية وأثرها على المدعو، علي بن عبد العزيز الراجحي.
٤. إدارة العمل الدعوي، شحاتة محمد صقر.
٥. أسباب نجاح الدعوة الإسلامية في العهد النبوي، عبد الله بن محمد آل موسى.
٦. استدراكات على مسيرة الدعاة، أ. يحيى سليمان العقيلي.
٧. أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل.
٨. الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، أ. د عبد الرحيم المغذوي.
٩. أسس منهج السلف في الدعوة إلى الله، فواز بن هليل السحيمي.
١٠. أسلوب خطبة الجمعة، أ. د عبد الله بن ضيف الله الرحيلي.
١١. أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، أ. د حمود الرحيلي.
١٢. أصول الدعوة، د. عبد الكريم زيدان.
١٣. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. خالد بن عثمان السبت.

١٤. الانفرادية في العمل الدعوي أسبابها، ومظاهرها، وسُبل الوقاية منها، د. أحمد مرتضى.
١٥. أهداف الدعوة ومنطلقاتها، د. محمد أحمد إسماعيل المقدم.
١٦. أهمية أسلوب المدح في الدعوة إلى الله وضوابطه، د. حمود جابر مبارك الحارثي.
١٧. أهميَّة الأناة وأثرها في الدعوة إلى الله، د. حمود جابر مبارك الحارثي.
١٨. أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، على بن نفيع العلياني.
١٩. بحوث المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة والدعاة، الجامعة الإسلامية ١٣٩٧هـ.
٢٠. تاريخ الدعوة في زمن الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين، جميل المصري.
٢١. تاريخ الدعوة بين الأمس واليوم، آدم عبد الله الألوى.
٢٢. تبصرة الهداة بشأن الدعوة والدعاة، عبد الله بن صالح القصير.
٢٣. التدرج في دعوة النبي ﷺ، إبراهيم عبد الله المطلق.
٢٤. التدريب الدعوي، مقرر دراسي وفق مفردات الجامعة الإسلامية، د. سلطان الحصين.
٢٥. تذكرة الدعاة، البهي الخولي.
٢٦. التمكين للدعوة في ضوء الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، هشام العارف.
٢٧. التوحيد أولًا يا دعاة الإسلام، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.
٢٨. التوريث الدعوي، د. محمد موسى الشريف.
٢٩. جراح على طريق الدعوة، ياسر برهامي.
٣٠. جوانب دعوية من سير علماء الدعوة السلفية بنجد، د. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف.
٣١. الحركة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب، حسن قاري الحسيني.
٣٢. الحسبة، أ. د فضل إلهي.
٣٣. حكمة الدعوة، رفاعي سرور.
٣٤. الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، أ. د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني.
٣٥. خصائص الدعوة الإسلامية، محمد أمين حسن.
٣٦. خصائص تبليغ الدعوة إلى الله، نذير محمد مكتبي.
٣٧. الخطابة وإعداد الخطيب، د. عبد الجليل عبده شلبي.
٣٨. الخلاصة في فقه الدعوة، د. علي بن نايف الشحود.
٣٩. خواطر على طريق الدعوة. جراح وأفراح، محمد حسان.
٤٠. الداعية البصير «أخلاقه وصفاته ومنهجه» في ضوء الكتاب والسنة الصحيحة، وأقوال علماء سلف الأمة، د. علي بن عبد الله الصياح.
٤١. الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية، عبد الحميد بن باديس.
٤٢. دعوة الإسلام، سيد سابق.
٤٣. الدعوة الإسلامية، أحمد غلوش.
٤٤. الدعوة الإسلامية بين الفردية والجماعية، سليمان مرزوق المنار.

٤٥. الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، أ. د محمد الراوي.
٤٦. الدعوة الإسلامية، محمد خير رمضان.
٤٧. الدعوة الفردية منهج سلفي وضرورة واقعية، وليد كمال شكر.
٤٨. دعوة النبي ﷺ للأعراب، د. حمود جابر مبارك الحارثي.
٤٩. الدعوة إلى الله، أبو المجد نوفل.
٥٠. الدعوة إلى الله توجيهات وضوابط، د. عبد الله الخاطر.
٥١. الدعوة إلى الله، توفيق الواعي.
٥٢. الدعوة إلى الله في ميادينها الثلاثة، لمحمد بن حامد الغامدي.
٥٣. الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، الشيخ عبد العزيز بن باز.
٥٤. الدعوة إلى الله، محمد حسين يعقوب.
٥٥. دعوة أهل البدع، د. خالد بن أحمد الزهراني.
٥٦. الدعوة قواعد وأصول، أ. د جمعة أمين عبد العزيز.
٥٧. الدعوة والداعية رؤية معاصرة، د. منقذ بن محمود السقار.
٥٨. الدعوة والداعية، على محمد جريشة.
٥٩. دليل أولويات الخطاب الوعظي للجاليات المسلمة في أوروبا، د. محمد سعيد بكر.
٦٠. دور المربي في الدعوة الفردية، د. هشام عبد القادر عقدة.
٦١. دور المنهج الرباني في الدعوة الإسلامية، د. عدنان النحوي.
٦٢. رسالة إلى أئمة المساجد وخطباء الجوامع، عبد الله بن جار الله الجار الله.
٦٣. رسالة إلى حامل الدعوة، هشام عبد القادر عقدة.
٦٤. رسالة في الدعوة إلى الله، الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين.
٦٥. ركائز الدعوة في القرآن، د. محمد إبراهيم شقرة.
٦٦. ركائز الدعوة، د. مجدي الهلالي.
٦٧. سبيل الدعوة الإسلامية، محمد أمين المصري.
٦٨. السلوك وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، أ. د فضل إلهي.
٦٩. سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية – منهاجًا وسيرة، د. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني.
٧٠. الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، الشيخ محمد الصالح العثيمين.
٧١. الضغوط النفسية في حياة الداعية، عوض بن محمد مرضاح.
٧٢. طريق الدعوة الإسلامية، جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين.
٧٣. عالمية الدعوة الإسلامية، على عبد الحليم محمود.
٧٤. عدة الداعية المسلم الشريف، حمدان راجح الهجاري.
٧٥. عشرون دليلًا على فضل الدعوة، د. سلطان العمري.

٧٦. العلاقة المثلى بين العلماء والدعاة ووسائل الاتصال الحديثة على ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني.
٧٧. علم الدعوة إلى الله، محمد سعد الشهراني.
٧٨. العلماء هم الدعاة، أ. د. ناصر بن عبد الكريم العقل.
٧٩. عوامل النصر والتمكين في دعوات المرسلين، أحمد بن حمدان الشهري.
٨٠. فصول في الدعوة والإصلاح، عليّ الطنطاوي.
٨١. فصول في الدعوة والثقافة الإسلامية، حسن عيسى عبد الظاهر.
٨٢. فقه الأولويات في الدعوة إلى الله تعالى، جهرة بنت صالح الطريفي.
٨٣. فقه الدعوة إلى الله، على عبد الحليم محمود.
٨٤. فقه الدعوة في إنكار المنكر، عبد الحميد البلالي.
٨٥. فقه الدعوة في صحيح البخاري، أ. د سعيد بن على بن وهف القحطاني.
٨٦. فقه الدعوة، جمعة الخولي.
٨٧. فقه الدعوة والإعلام، عمارة نجيب.
٨٨. فقه دعوة الأبناء في ضوء وصايا لقمان، د. الجوهرة بنت صالح الطريفي.
٨٩. فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية، سعد بن عبد الله بن سعد القعود.
٩٠. فن نشر الدعوة زمانًا ومكانًا، محمد زين الهادي.
٩١. في النفس والدعوة، رفاعي سرور.
٩٢. قواعد قرآنية لفهم الدعوة، حمزة بن فايع الفتحي.
٩٣. كيف ندعو الناس، عبد البديع صقر.
٩٤. كيف ندعو إلى الإسلام، فتحي يكن.
٩٥. كيفية دعوة الوثنيين في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن وهف القحطاني.
٩٦. كيفية دعوة أهل الكتاب في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن وهف القحطاني.
٩٧. كيفية دعوة عصاة المسلمين في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن وهف القحطاني.
٩٨. المتساقطون على طريق الدعوة كيف؟ ولماذا؟ فتحي يكن.
٩٩. مجالات الدعوة في القرآن وأصولها، عاطف عبد المعز الفيومي.
١٠٠. المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبو الفتح البيانوني.
١٠١. المرأة المسلمة المعاصرة، إعدادها ومسؤولياتها في الدعوة، أحمد محمد البابطين.
١٠٢. المستطاب في أسباب نجاح دعوة محمد بن عبد الوهاب، عبد الرحمن بن يوسف الرحمة.
١٠٣. المسؤولية الدعوية تجاه المريض النفسي، د. الجوهرة بنت صالح الطريفي.
١٠٤. المسؤولية الدعوية تجاه حماية الشباب من الفتن، د. الجوهرة بنت صالح الطريفي.
١٠٥. مشكلات الدعوة والداعية، لفتحي يكن.
١٠٦. معالم الدعوة في القصص القرآني، عبد الوهاب بن لطف الديلمي.

١٠٧. معالم في أصول الدعوة، د. محمد يسري.
١٠٨. المعلم الداعية، عبد الرحمن بن محمد الهرفي.
١٠٩. المفصل في فقه الدعوة إلى الله، علي بن نايف الشحود.
١١٠. مفهوم الحكمة في الدعوة في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد بن وهف القحطاني.
١١١. مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة – مفهوم، ونظر، وتطبيق، د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني.
١١٢. مقومات الداعية الناجح، د. علي بادحدح.
١١٣. مكانة الدعوة إلى الله وأسس دعوة غير المسلمين، أ. د عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.
١١٤. من صفات الداعية، محمد الصباغ.
١١٥. منارات في طريق الدعوة، د. سلطان العمري.
١١٦. مناهج الدعوة وأساليبها، المستشار على جريشة.
١١٧. مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فاروق السامرائي.
١١٨. منهاج الرسول ﷺ في تصحيح الأخطاء، د. علي بن نايف الشحود.
١١٩. منهاج النبوة في الدعوة إلى الله، مهدي بن إبراهيم مبجر.
١٢٠. منهج ابن القيم في الدعوة إلى الله، أ. د أحمد عبد العزيز الخلف.
١٢١. منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الله، د. عبد الله الحوشاني.
١٢٢. منهج إعداد الدعاة والمربين، أحمد بن عبد العزيز المصلح.
١٢٣. منهج الدعوة المعاصرة في ضوء الكتاب والسنة، د. عدنان بن محمد آل عرعور.
١٢٤. منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية، علي بن جابر الحربي.
١٢٥. منهج الدعوة إلى الله لأمين أحسن إصلاحي، تعريب سعيد الندوي.
١٢٦. منهج الدعوة والتربية والتوجيه في سورة إبراهيم، د. وسيم فتح الله.
١٢٧. المنهج السلفي معالم على طريق الدعوة والتمكين، عاطف عبد المعز الفيومي.
١٢٨. المنهج القويم للداعية الحكيم، د. عبد المجيد البيانوني.
١٢٩. منهج في إعداد خطبة الجمعة، أ. د صالح بن عبد الله بن حميد.
١٣٠. مواقف التابعين وأتباعهم في الدعوة إلى الله تعالى، أ. د. سعيد بن وهف القحطاني.
١٣١. مواقف الصحابة ﷺ في الدعوة إلى الله، أ. د. سعيد بن وهف القحطاني.
١٣٢. مواقف العلماء عبر العصور في الدعوة إلى الله، أ. د. سعيد بن وهف القحطاني.
١٣٣. مواقف النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، أ. د. سعيد بن وهف القحطاني.
١٣٤. الموعظة الحسنة للعلماء وأثرها في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، محمد المرحوم.
١٣٥. هذه الدعوة ما طبيعتها، عبد الله ناصح علوان.
١٣٦. وجوب تبليغ الدعوة، د. عبد الله ناصح علوان.
١٣٧. الوجيز في مقومات الداعية، السيد مختار.

١٣٨. وسائل الدعوة إلى الله تعالى وأساليبها، حسين محمد عبد المطلب.
١٣٩. الوسائل المشروعة والممنوعة في الدعوة إلى الله، محمد أزهري حاتم.
١٤٠. وقفات تربوية ودعوية، د. عبد الرحمن بن سعيد الحازمي.

المبحث الثالث: نسبة علم أصول الدعوة، وثمرته، ومسائله:

المطلب الأول: نسبة علم أصول الدعوة

إنَّ نسبةَ وعلاقة علم "أصول الدعوة" بغيره من العلوم، وارتباطه بغيره من الفنون، لنسبةٌ دقيقة من حيث إن عناصر هذا العلم مشتقة من أصول علوم إسلامية مختلفة(٦٤٣).

فالداعي إلى الله، الدارس لهذا العلم، ينبغي أن يكون لديه الآتي:

١- معرفة صحيحة بالمسائل الاعتقادية.

٢- إلمام وافٍ بالأحكام الشرعية العملية، وطرائق استنباطها، وأصول الاجتهاد والفقه الدعوي.

٣- دراسة تاريخ الدعوة ومناهجها وأساليبها ووسائلها وعقباتها، وما يرتبط بالواقع من دراسات تمس هذا التخصص.

فلا غنى عن اجتماع العقيدة والشريعة والمنهج والسيرة والتاريخ والأسلوب العلمي الأمثل لتتحقق البصيرة، وبذلك كله يكتمل بنيان هذا العلم.

وعلى ذلك، فإن علاقة علم أصول الدعوة، بغيره من العلوم هي: العموم والخصوص الوجهي، فهو أعم من جهة كثرة موارده وروافده وعلاقاته، وأخص من جهة ميدانه ألا وهو الدعوة والتربية.

وتأسيسًا على ما سبق، فإن العلاقة بين العالم المتخصص والداعية المربي حين يمارس كل منهما التعليم والدعوة هي العموم والخصوص الوجهي، **فدائرة العالم** أعم وأوسع من جهة درايته، واشتغاله بعلوم الوسائل والآلات كأصول الحديث وأصول الفقه وعلوم اللغة ونحو ذلك، **ودائرة الداعية** أعم وأوسع من جهة درايته واشتغاله بتاريخ وواقع الدعوات وأساليب التربية ووسائل التأثير والتعبير وطرائق الإدارة وفنون الاتصال ونحو ذلك، **مع التنبيه** إلى أن العلماء عُنوا بالدعوة وقضاياها وعلومها وأسبابها، وكانوا أولى الناس بالدعوة، وأقدر الخلق على الهداية، وكانت الدعوة بهم أسعد، ومسالك الإصلاح والتغيير بهم أرشد، إذ العلماء الفقهاء – على التحقيق – هم الدعاة، فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء، بهم يَهْتَدِي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وطاعتهم أفرض من طاعة الأمهات والآباء(٦٤٤).

وهنا لا بد من التنبيه إلى:

علاقة علم أصول الدعوة بالعلوم الأخرى(٦٤٥):

إنّ معيار نجاح الدّعاة إلى الله يتوقّف على مِقدار ما يُحصّله الدعاة من عُلوم، وما يَتزوّدون به من مَعارف؛ تُربّي عُقولهم، وتَسمو بأفكارِهم، وتُوقِظ في قُلوبِهم ينابيع الخَير، ولن يَتسنَّى لهم ذلك إلاّ بكثرة الاطّلاع، واتّساع الثقافة، اللّذَيْن يُؤدّيان إلى دِقّة الفَهْم، وعُمق الفِكر.

لذا، فعلْم الدّعوة مُرتَبط بالعُلوم الأخرى ارتباطًا وثيقًا، كارتباط الرأس بالجَسد، فالعلوم المُختلفة والمَعارف المُتنوّعة هي روافِد للتّعريف بالإسلام، وشَرْح أحكامه، ودَعوة الناس إليه.

---

(٦٤٣) ملخص من منهج جامعة المدينة العالمية مادة الدعوة وأصولها منشور على المكتبة الشاملة، وكذلك مبادئ في أصول الدعوة، د. محمد يسري بتصرف وزيادة في بعض الأفكار.

(٦٤٤) مبادئ في علوم أصول الدعوة، ص٤٩ وما بعدها باختصار وتصرف وزيادة.

(٦٤٥) سيأتي الحديث عن العلوم التي يحتاجها الداعية، وعلاقتها بالدعوة بتوسع في الكتاب الثالث الخاص بتأهيل الدعاة، عند الحديث عن التأهيل العلمي للداعية.

والدّاعي إلى دين الله، والآمر بالمَعروف والناهي عن المُنكر، لا بدَّ وأن يَكون:

١- عالِمًا بما يَدعو إليه، أو يأمر به من مَعروفٍ، أو يَنهى عَنه من مُنكر.

٢- عالِمًا بالأسلوب الذي يَستَخدمه، وبالعلوم التي تُفيده في ميادين الدّعوة الأخرى.

إذن لا بد وأن يجتمع في الداعية العلم بما يدعو إليه، والعلم بكيفية إيصاله؛ وذلك لعدة أسباب:

١- الحذر من أن يَدعوَ إلى باطِل، وهو يَحسبه حقًّا؛ فيكون ضَررُه على الدِّين أشدّ من ضَرر الصامتِين، وخَطرُه أعظمَ من خَطر أعداء الدِّين، ولا سيما إذا اتُّخذ قُدوةً فيما يَدعو إليه من باطل في سلوكه الخاص.

٢- الحَذر أن يَتخذَ أسلوبًا مُنفِّرًا؛ وهذا ضَرره أكثر من نَفعه.

٣- إن لم يَكن عَالِمًا، فسوف يَستدلُّ على ما يَدعو إليه أو يَنصح به بأدلّةٍ باطلةٍ، فيَحْصُل من دَعوته ضَررٌ أكثر من النَّفع، فيُسيء من حَيث يتوقّع منه الإحسان.

٤- خَشية أن يُسأل غير العالم عن مَسألة، فيُفتي فيها بغَير علْم، فيَضِلّ ويُضِلّ.

وهكذا يتضح لنا العلاقة الوطيدة بين علْم الدعوة، والعلوم الأخرى، والارتباط العميق بينهم.

المطلب الثاني: ثمرة دراسة علم أصول الدعوة

إن الثمرة الإجمالية من تعلم هذا العلم، هي تحقيق غايات الدعوة والدعاة وأهدافهم في الدنيا؛ من استفاضة البلاغ والهداية، وتحقيق النصر والتمكين، وفي الآخرة من الفوز بالجنة والنعيم المقيم، ويجمع ذلك كله مرضاة رب العالمين.

ويمكن عرض هذه الثمرات بناء على الحيثيات التالية:

أولًا: بالنسبة للدين:

١- إقامة الدين، وذلك بالعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية، وبسط سلطانها، والحكم بها والتحاكم إليها، والموازنة بين مختلف المصالح في هذا السبيل.

٢- اتخاذ المواقف المناسبة من المنكرات القائمة دفعًا أو تقليلًا، مع النظر إلى العواقب والمآلات.

٣- تقويم الفكر المنحرف، ودحض العقائد والأفكار الزائفة، ومحاربة الزيغ عن الصراط المستقيم في شتى صوره.

ثانيًا: بالنسبة للمجتمع المسلم:

١- العمل على استفاضة البلاغ في الأمة، والمجتمعات الإسلامية، ونشر العلم بين أبنائها، وإظهار السنة وقمع البدعة.

٢- إقامة الحجة على الناس أجمعين، والتمييز بين الجاهلين والمعاندين؛ حتى تستبين سبيل المجرمين، وأن يعامل كل بما يليق بحاله.

٣- ترشيد السعي لتحرير المقدسات الإسلامية، وبعث الأمة في مواجهة أعدائها.

٤- الأخذ بأسباب القوة المادية والمعنوية؛ ومن ثم حصول النصر المبين، وتحقيق العزة والتمكين لمجتمعات المسلمين.

ثالثًا: بالنسبة إلى الدعوة ذاتها:

١- حماية الدعوة من إلحاق الضرر بها من داخلها أو خارجها، واستبانة سبيل المجرمين، ورد كيد الكائدين.

٢- اتخاذ القرارات الملائمة بشأن أولويات الدعوة في حدود الزمان والمكان؛ مما يعين على تحقيق الأهداف.
٣- العمل على تكامل الأعمال الدعوية، والتنسيق بينها، والجمع بين مجهوداتها، والإصلاح بين أربابها.

رابعًا: بالنسبة إلى الدعاة:

١- تعلم أصول العمل التربوي الفردي والجماعي، وممارسة التربية والتزكية بمراحلها وخصائصها وضوابطها؛ مما يحقق وجود الإنسان الصالح.
٢- تحصيل البصيرة في حال المدعوين على اختلاف أصنافهم وأحوالهم، ومعاملة كلٍّ بما يليق.
٣- تحقيق البصيرة في كيفية الدعوة بعرض الإسلام بشموله عقيدة وشريعة، دينًا ودولة، وانضباط الدعاة بالعمل الطموح المثمر في حدود الممكن بدون إفراط أو تفريط.

وإذا كان الهدف والغاية من سعى الدعاة هو: مرضاة رب الأرض والسموات، فإن الإحاطة بعلم أصول الدعوة وفقهها وآدابها وأحكامها، وما يحل من وسائلها وأساليبها، لجدير بأن يسدد خطى العاملين، ويحقق ركني الصواب والاتباع في العمل، ليتحقق القبول، ومن ثم يأتي وعد الله تعالى لعباده المؤمنين بالنصر والتمكين، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧].

المطلب الثالث: مسائل علم أصول الدعوة

إن مسائل علم أصول الدعوة كثيرة ومتعددة؛ وذلك لكونه يتعلق بعلوم وفنون كثيرة، ويستمد من روافد متنوعة، كعلم الإيمان والأخلاق، والفقه والأحكام، والسيرة والتاريخ والتراجم، وعلوم الإدارة والتخطيط والواقع ومستجداته، والإعلام ووسائله.

وفيما يلي عرض مقترح لمباحث هذا العلم ومسائله:

الجانب الأول: مبادئ علم أصول الدعوة:

وفيه: التعريفات الخاصة بعلم الدعوة، وموضوع علم الدعوة وحكمه وفضله، ونشأته ونسبته ومصادره وثمرته ومسائله.

الجانب الثاني: موضوع الدعوة:

وفيه: خصائص الإسلام ومقوماته، وأركان الإسلام والإيمان، والأخلاق، ومحاسن الشريعة الإسلامية، وأصول التلقي، وقواعد الاستنباط في الإسلام، والنُظُم الإسلامية.

الجانب الثالث: الداعية:

وفيه: صفات الداعية، وتكوينه، وواجباته، ومشكلاته، وآفاته، وواجبات الدعاة فيما بينهم، وتأهيل الدعاة.

الجانب الرابع: المدعو:

وفيه: حقوق المدعو، وواجباته، ومشكلاته، وأصناف المدعوين، وكيفية دعوتهم.

الجانب الخامس: تاريخ الدعوة، وسير الدعاة:

وفيه: دعوة الأنبياء، ومنهج الدعوة في العهد النبوي، وعهد الخلفاء الراشدين والصحابة، وكبار التابعين وتابعيهم، ومن سلك سبيلهم المستقيم إلى يوم الدين.

الجانب السادس: مناهج الدعوة:

وفيه: التعريف بمناهج الدعوة، وأنواعها، ومعالمها، وأهداف الدعوة، والقضايا الدعوية المتعلقة بفقه الدعوة.

الجانب السابع: أصول ومنطلقات الدعوة:

وفيه: الحديث عن التوحيد الخالص، والاعتقاد الصحيح، والإخلاص والاتباع، والعلم والتربية والتزكية، والوعي والبصيرة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد، والشمول والتكامل، والوحدة والائتلاف، والعالمية والواقعية والحكمة، واستفاضة البلاغ، والتخطيط.

الجانب الثامن: بيئة الدعوة:

وفيه: منظمات الدعوة ومؤسساتها، وأعداء الدعوة، ومشكلات الدعوة، وحاضر العالم الإسلامي، والنوازل في الساحة الدعوية.

الجانب التاسع: أساليب الدعوة، ووسائلها:

وفيه: التعريف بالوسائل والأساليب وخصائصها، وأنواعها، وضوابطها.

الجانب العاشر: إدارة الدعوة:

وفيه: مبادئ علم الإدارة والتخطيط، وأسس التنفيذ والمتابعة والتدريب، والبحوث والتطوير، والدراسات الميدانية، واستشراف المستقبل.

المطلب الرابع: تقسيم علم أصول الدعوة، وموضوعه

أولًا: تقسيم علم أصول الدعوة:

قام الدكتور عبد الكريم زيدان ﷾ بتقسيم علم أصول الدعوة إلى أربعة أصول:

الأصل الأول:

الدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، والمقصود بالدعوة إلى الله، الدعوة إلى دينه؛ وهو الإسلام: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عمران: ١٩]، الذي جاء به محمد من ربه سبحانه وتعالى، فالإسلام هو موضوع الدعوة وحقيقتها، وهو أصلها الأول.

الأصل الثاني:

لقد بَلَّغَ الرسول الكريم هذا الإسلام العظيم أحسن تبليغ وأكمله، وظل يدعو إلى الله منذ أن أكرمه الله بالرسالة إلى حين انتقاله إلى جوار ربه الكريم، ولهذا أرسله الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥]، فهو ﷺ الداعي الأول إلى الإسلام، فالداعي إذن هو الأصل الثاني للدعوة.

الأصل الثالث:

رسول الله ﷺ كانت رسالته عامة إلى جميع البشر، عربهم وعجمهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨]، فالمدعو إلى الإسلام إذن هو الأصل الثالث للدعوة.

الأصل الرابع:

قام رسول الله ﷺ بالدعوة إلى الإسلام بالوسائل والأساليب والمناهج التي أوحى بها الله إليه، والثابتة في القرآن والسنة

النبوية الكريمة، وهذه الوسائل والأساليب وما يتصل بها هي الأصل الرابع للدعوة.
إذن، أصول الدعوة أربعة: موضوعها، والداعي، والمدعو، والوسائل[٦٤٦].

ثانيًا: موضوع الدعوة

إن موضوع الدعوة هو الإسلام الذي أوحى الله تعالى به إلى رسوله محمد ﷺ في القرآن والسنة المطهرة، وعلى هذا الأساس لا بد من بيان تعريفه، وأركانه، وخصائصه، وأنظمته، ومقاصده.

ولقد قام الشيخ عبد الكريم زيدان ﷺ بتقسيم هذا الباب إلى خمسة فصول:

الفصل الأول: تعريف الإسلام.

الفصل الثاني: أركانه.

الفصل الثالث: خصائصه.

الفصل الرابع: أنظمته.

الفصل الخامس: مقاصده.

وهذه كلها سنذكرها بشيء من التفصيل إن شاء الله ضمن موضوعات الخطاب الدعوي في كتابنا القادم عن: منهجية التعريف بمحاسن وخصائص الإسلام وقيمه وأخلاقه، أما في السطور التالية فسنعرض قطوفًا من محاسن هذا الدين الحنيف.

(٦٤٦) أصول الدعوة، الدكتور عبد الكريم زيدان، ص٥.

المبحث الثالث: الأصول الرئيسة للتعريف بالإسلام لغير المسلمين، وصورة دعوتهم

المطلب الأول: الأصول الرئيسة للتعريف بالإسلام لغير المسلمين

الأصول الرئيسة للتعريف بالإسلام لغير المسلمين أربعة:

١ – التعريف بالله.

٢ – دلائل النبوة.

٣ – التعريف بإعجاز القرآن.

٤ – التعريف بمحاسن الإسلام.

الأصل الأول: التعريف بالله:

وينقسم إلى أربعة مستويات:

١ – دلائل وجود الله.

٢ – التعريف بربوبية الله.

٣ – التعريف بألوهية الله.

٤ – التعريف بأسماء الله وصفاته.

ولأن أكثرية غير المسلمين لا يؤمنون بوجود الله تعالى؛ لذا لا بد من إثبات وجوده، ثم إثبات وحدانيته، ثم إثبات أن هذا الإله الواحد الذي خلق كل شيء، ومالك كل شيء، ويدبر الكون، هو وحده المستحق للعبادة، ثم إثبات أن هذا الرب له من الأسماء والصفات العظيمة، وأنه ليس كمثله شيء؛ وهو ما يسمى: توحيد الأسماء والصفات، وأن هذا الرب الخالق أنزل شرائع، وأرسل رسلًا ورسالات.

تنبيه: الذي ينكر وجود الله، لا ينفع معه إثبات دلائل النبوة، ولا إثبات محاسن الإسلام، ولا إعجاز القرآن؛ لأنه ينفي الأصل.

أولًا: دلائل وجود الله تعالى:

دل على وجود الله تعالى: الشرع، والفطرة، والعقل:

١ – فأما أدلة الشرع فكثيرة؛ منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [يونس: ٣].

٢ – وأما دلالة الفطرة على وجود الله تعالى:

فهو الافتقار الذاتي الموجود داخل نفس كل إنسان؛ ويظهر ذلك عند الابتلاءات والشدائد؛ حيث يلجأ الإنسان عند المصائب والمخاطر إلى نداء الله تعالى، والاستغاثة به كائنًا من كان ذلك الإنسان مؤمنًا أو غير مؤمن.

ففي الشدة تبدو فطرة الناس جميعًا كما هي في أصلها الذي خلقها الله عليه، وعندما تمر المحنة، وتأتي العافية والنعمة، يعودون إلى مخالفة فطرتهم مرة أخرى، وقد كرر الله تعالى هذا المعنى كثيرًا في كتابه الكريم؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [يونس: ١٢].

٣ – وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى:

فلأن هذه المخلوقات – سابقها ولاحقها – لا بد لها من خالق أوجدها؛ إذ لا يمكن أن تُوجِدَ نفسها بنفسها، ولا يمكن أن تُوجَدَ مصادفة.

فهي لا يمكن أن تُوجِدَ نفسها بنفسها؛ لأن الشيء لا يخلق نفسه؛ لأنه قبل وجوده كان عدمًا؛ فكيف يكون خالقًا؟!

ولا يمكن أن تُوجَدَ مصادفة؛ لأن كل حادث لا بد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع المحكم، والتناسق المتآلف، والارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنع منعًا باتًّا أن يكون وجودها مصادفة.

وإذا لم يمكن أن تُوجِدَ هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن تُوجَدَ مصادفة؛ تعيَّن أن يكون لها موجِدٌ؛ وهو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي والبرهان القطعي في سورة الطور؛ حيث قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الطور: ٣٥]؛ يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقوا أنفسهم؛ فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى؛ ولهذا لما سمع جُبَيْرُ بن مطعم ﷺ رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور، فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور: ٣٥ – ٣٧]، وكان جبير يومئذ مشركًا، قال: "كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ، وَذَلِكَ أَوَّل مَا وَقَرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي"(٦٤٧).

ولنضرب مثلًا يوضح ذلك: فإنه لو حدثك شخص عن قصر مشيد، أحاطت به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، ومُلِئَ بالفرش والأسرة، وزُيِّن بأنواع الزينة، وقال لك: إن هذا القصر قد أوجد نفسه، أو وُجِدَ هكذا مصادفة بدون مُوجِد؛ لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثه سفهًا من القول؛ أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع بأرضه وسمائه وأفلاكه البديع الباهر المحكم المتقن قد أوجد نفسه، أو وُجِدَ مصادفة بدون مُوجِد؟!

وقد فهم هذا الدليل العقلي أعرابي يعيش في البادية؛ فلما سئل: بمَ عرفت ربك؟ قال: البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على السميع البصير؟!

ثانيًا: التعريف بربوبية الله:

معنى الإيمان بربوبية الله تعالى أن نؤمن بأن الله تعالى هو الخالق الرازق الملك المالك، وهو المدبر لهذا الكون.

– فنؤمن بأن الله تعالى هو الخالق، ولا خالق سواه:

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

والبشر عاجزون عن الخلق.

---

(٦٤٧) أخرجه البخاري، برقم: ٤٠٢٣، ٤٨٥٤.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج: ٧٣].

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾﴾ [الأحقاف: ٤].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [النحل: ٢٠].

- ونؤمن بأنه سبحانه الرازق الرزاق، لا رازق سواه سبحانه وتعالى:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾ [العنكبوت: ٦٢].

وأما غير الله تعالى، فلا يملكون رزقًا لأحد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت: ١٧].

- ونؤمن بأنه سبحانه ملك هذا الكون ومالكه، لا مالك لهذا الكون سواه سبحانه وتعالى:

قال جل شأنه: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ﴾ [فاطر: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [الجاثية: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك: ١].

أما غير الله سبحانه وتعالى فلا يملكون شيئًا في هذا الكون؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: ١٣]، والقطمير هو الغلاف الرقيق الذي يكون على نواة التمر.

- ونؤمن بأنه سبحانه مدبّر هذا الكون، وهو المتصرف فيه، لا مدبر لهذا الكون سواه سبحانه وتعالى:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١].

ثالثًا: التعريف بألوهية الله تعالى:

معنى الإيمان بألوهية الله تعالى هو إفراده تعالى بالعبادة.

فلا يعبد العبد سوى الله تعالى، ولا يصرف العبادة لغيره سبحانه وتعالى، ويكفر بما يُعبد من دون الله من الطواغيت، وهذه هي الغاية من خلق الإنس والجن؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦].

وهذا هو حق الله تعالى على العباد؛ لأن الله تعالى هو الذي خلقنا ورزقنا ودبَّر شؤون حياتنا، فكان حقه علينا ألا نعبد سواه سبحانه وتعالى.

وقد أمر الله ﷻ بذلك، فقال: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وفي حديث معاذ بن جبل ﷺ: أن النبي ﷺ قال له: "يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ؟" قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: "حَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا"(٦٤٨).

فهذا أمر بالسعي؛ والأمر للوجوب.

(٦٤٨)أخرجه البخاري٧٣٧٣، وأخرجه مسلم، ٥٩.

رابعًا: التعريف بأسماء الله وصفاته:

توحيد الأسماء والصفات يعني: إفراد الله تعالى بأسمائه التي سمى بها نفسه، وصفاته التي وصف بها ذاته في كتابه الكريم، والتي أخبر بها رسوله ﷺ في سنته المطهرة.

إن هذا الأصل في التوحيد ليبيّن للعبد سبيل التعرف على ربه، والتأدب معه في الحدود التي ارتضاها سبحانه لمقامه.

ويقتضي الإيمان بأسماء الله وصفاته مراعاة القواعد العشر التالية:

أولها: لا تُستمد أسماء الله تعالى وصفاته إلا من كتاب الله وسنة رسوله؛ لأنها غيب، والغيب لا يُعلم إلا من الوحي، قال الله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ١ - ٤].

ثانيها: التسليم بأن جميع أسماء الله تعالى حسنى في منتهى الحسن، وبأن صفاته كاملة في منتهى الكمال، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقال ﷺ: "إن الله جميل يحب الجمال"(٦٤٩).

ثالثها: يجب إثبات أسماء الله تعالى وصفاته كما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله دون تحريف، ولا تشبيه، ولا نفي، مع تفويض كيفيتها إلى الله.

إن تفسير غنى الله سبحانه وتعالى في الآية: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ۝٦﴾ بالقدرة هو تأويل لا يجوز، والقول بأن غناه سبحانه وتعالى مثل غنى أغنى الناس فهو تشبيه لا يجوز، والزعم بأن الله غني من غير غنى فهو نفي وتعطيل لا يجوز، وإن هذا التأويل يعارض قول الله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى: ١١].

ففي قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ نفي الشبيه عن الله، وفي قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ إثبات لأسماء الله تعالى وصفاته.

إن الفهم الصحيح للآية: ﴿وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ۝٦﴾ يقتضي التسليمَ بأن الله غني غِنًى مطلقًا ليس كغنى خلقه الذي يتسم بالمحدودية والحاجة له سبحانه.

رابعها: لا يجوز تخيل صورة الله سبحانه وتعالى؛ لأن تخيلها تشبيه لله بخلقه؛ فالإنسان لا يمكن أن يتصور شيئًا لم يره، قال العلماء: "كل ما خطر على بالك، فالله خلاف ذلك"(٦٥٠).

خامسها: لا يجوز اشتقاق أسماء الله تعالى من صفاته، بينما يجوز اشتقاق صفاته تعالى من أسمائه.

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]؛ لا يجوز لنا هنا أن نشتق من صفة "الاستواء" اسم "المستوي".

أما في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٦٤﴾ [الحج: ٦٤] فيجوز لنا إضفاء صفة الغنى على الله؛ لأنها جاءت متضمنة في اسم الغني؛ ولأن أسماءه سبحانه وتعالى أتت دالة على كماله.

سادسها: لا يجوز حصر أسماء الله ﷻ في تسعةٍ وتسعين اسمًا لوجود دليل من السنة نَصَّ على أن هناك أسماء

---

(٦٤٩) أخرجه مسلم ١٤٧.

(٦٥٠) الأساس في السنة وفقهها – العقائد الإسلامية، سعيد حوى ٢/ ٦٢٠.

أخرى استأثر الله تعالى بعلمها وحده دون غيره.

لقد دأب رسول الله ﷺ على القول في دعائه: "أسألك اللهم بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك..."[٦٥١].

إن هذا الدعاء ليشير إلى وجود أسماء استأثر الله بعلمها وحده، ولهذا يُحمل الحديث النبوي: "لله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها دخل الجنة"[٦٥٢] على أن عدد هذه الأسماء جاء على سبيل الذكر لا الحصر.

سابعها: إن للهِ تعالى صفات ذاتية، وأخرى فعلية.

أما صفات الله الذاتية فهي الصفات اللازمة لذاته؛ كصفة البركة، والحياة، والعلم.

وأما صفات الله الفعلية، فهي صفات تابعة لمشيئته؛ كصفة الاستواء على العرش، وصفة الرضى، وصفة الغضب، فهو يفعلها متى شاء، ويدعها متى شاء.

ثامنها: لا يجوز أن يُفرَد الله تعالى بصفات كالمكر، والاستهزاء، والخداع لما فيها من تنقيص منه سبحانه؛ بل يعمد إلى مقابلتها بأفعال المخلوقين.

وإنها لا تطلق على الله إلا فيما سيقت فيه من الآيات، كقوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾ [آل عمران: ٥٤]، **وقوله:** ﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ١٤ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥﴾ [البقرة: ١٤]، **وقوله:** ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢].

تاسعها: لا يجوز التفصيل في الصفات التي نفاها الله عن ذاته؛ لما يحمله ذلك من سوء أدب في حق الله ﷻ، ويسمى كل ما نفاه الله عن ذاته صفات سلبية لما فيها من نقص؛ كنفي الولد والنوم؛ قال تعالى: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣﴾ [الإخلاص: ٣]، وقال سبحانه: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فمثلًا إذا قال إنسان لملِك أنت لست فقيرًا ولا ضعيفًا ولا ذليلًا، ولو كنت ذلك لما صرت ملكًا، فلا شك أن مثل هذه الأوصاف لا تلاقى بالترحاب.

عاشرها: إذا أطلقنا على الله اسم "الصانع" و"المقصود"، فإن ذلك يعد حقًّا في ذاته سبحانه؛ لأنه في حقيقة الأمر هو صانع الكون، والمقصود بالعبادة والرجاء؛ ولو لم يرد دليل مباشر في الكتاب والسنة على ذلك؛ لذا فقد سمى العلماء ما كان حقًّا في ذات الله ولم يرد به نصٌّ إخبارًا.

الأصل الثاني: دلائل النبوة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: "والآيات والبراهين الدالَّة على نبوَّة محمد ﷺ كثيرة... ويسمِّيها مَن يسمِّيها من النُّظَّار (معجزات)، وتسمَّى (دلائل النبوَّة)، و(أعلام النبوَّة)، ونحو ذلك، وهذه الألفاظ إذا سُمِّيت بها آيات الأنبياء، كانت أدلَّ على المقصود من لفظ (المعجزات)"[٦٥٣].

ومهما يكن من أمرٍ، فإن قولنا: (دلائل النبوة) أصبح لفظًا شائعًا مُستعمَلًا عند العلماء الذين كتبوا في هذا

---

(٦٥١) المعجم الكبير، الطبراني ١٠/ ١٦٩.

(٦٥٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٦٢/١.

(٦٥٣) الجواب الصحيح لِمَن بدَّل دين المسيح ٤/٦٧.

الموضوع، والمعجزات هي من دون شكٍّ من دلائل النبوَّة.

إن المعجزة ظاهِرَة تكرَّرت في حياة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لتكون دليلًا على صِدْقِ دعواهم، وقد قصَّ القرآنُ الكريم علينا كثيرًا من أنباء المعجزات التي جاءت مُصَدِّقة لرسل الله المتقدِّمين من أمثال: ناقةِ صالح، وعصا موسى، وركوبه البحر، وإحياءِ عيسى الموتى، وإبرائه الأَكْمَه والأَبْرَص.

ولا بُدَّ في المعجزة من أن تتوافَرَ فيها ثلاثة أمور:

١ – أنها أمر خارِق للعادة، غير جارٍ على ما اعتاد الناس من سنن الكون والظواهر الطبيعية؛ ولذا فهي غير قابلة لتفسيرها على نحو ما يجري عادَةً في الحياة.

٢ – أنها مقرونة بالتحدِّي، تحدِّي المكذِّبين أو الشاكِّين، ولا بُدَّ أن يكون الذين يُتَحدَّونَ من القادِرين على الإتيان بمثل المعجزة إن لم تكن من عند الله، وإلا فإن التحدِّي لا يُتَصوَّر؛ إذ إننا لا نستطيع تصوُّرَ بطل في المُلاكَمة يتحدَّى طفلًا؛ لأن هذا الطفل عاجِزٌ عن مقابلته.

وفي ذلك ردٌّ لزعم أبي إسحاق النظَّام من أنَّ العرب سُلِبوا القدرةَ على الإتيان بمثل القرآن مع إمكانهم ذلك.

٣ – أنها أمر سالِم عن المُعارَضَة، فمتى أمكن لأحدٍ أن يُعارِضَ هذا الأمر ويأتي بمثله، بَطلَ أن يكون معجزة.

والمعجزة على نوعين: حسيَّة وعقليَّة.

والمُلاحَظ: أن أكثر معجزات الأنبياء السابِقين كانت حسيَّة، في حين نجد أنَّ المعجزة الكبرى التي جاء بها نبيُّنا محمد ﷺ عقليَّة، ونعني بهذه المعجزة القرآنَ الكريمَ، وهناك معجزات أخرى حسيَّة للنبي ﷺ جاء في الصحيح أخبارُها وهي كثيرة.

ولعلَّ مَرَدَّ ذلك إلى أن هذه الشريعةَ آخِرُ الشرائع، وستبقى أَبَدَ الدَّهْرِ إلى يوم القيامة، ومن أجل ذلك فقد خُصَّت بالمعجزة العقليَّة الباقِيَة؛ ليراها ذوو البصائر في كلِّ العصور ومهما تقدَّم الزمان.

ومِنْ ثَمَّ فإن معجزات الأنبياء السابقين ﷺ قد انقرَضَتْ بانقراض أزمانهم، فلم يشاهدها إلا مَن حضَرَها، أما معجزةُ القرآن فباقيةٌ مستمرَّة إلى يوم القيامة.

وبنحوٍ من هذا الذي ذكرنا، فسَّر العلماء قوله ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: "ما من الأنبياء نبيٌّ إلا أُعطِيَ ما مثلُه آمَنَ عليه البَشَرُ، وإنما كان الذي أُوتِيتُه وَحيًا أَوْحاهُ الله إليَّ، فأرجو أن أكونَ أكثرَهم تَبَعًا يوم القيامة"(٦٥٤).

نعم، إن القرآن الكريم هو أعظم دلائل نبوَّة نبيِّنا محمد ﷺ الذي كان قومه يَصِفُونه قبل النبوَّة بالصادق الأمين، وقد لبث فيهم أربعين سنةً لم يسمعوا منه شيئًا مثل القرآن، ثم أوحى الله إليه هذا الكتابَ فبلَّغهم رسالة الله؛ يقول تعالى: ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٧﴾ [يونس: ١٦ – ١٧].

(٦٥٤) صحيح البخاري: ٤٩٨١، ومسلم، ١٥٢.

وكان القرآن مُعجِزًا للعرب ذوي الفصاحة وأُولي البلاغة، تحدَّاهم فلم يقدر أحدٌ منهم على معارَضَتِه، وقد قرَّر القرآن أن مجرَّد سماع العرب لآياته حُجَّة كبرى عليهم، وكفى بهذا دليلًا على إعجازه؛ قال الله تعالى في صَدَدِ الردِّ على طلبهم المعجزات، مشيرًا إلى أنَّ هذا الكتابَ يُغني عن كلِّ معجزة: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ۝٥٠ أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [العنكبوت: ٥٠ - ٥١].

فأخبَرَ سبحانه: أنَّ الكتاب الكريم الذي أنزلَه، والذي يُتلى عليهم هو آيةٌ من آيات الله، كافٍ في الدلالة على صدق نبوَّة هذا النبي الكريم، قائمٌ مقام معجزات كثيرة، فلماذا يطلب هؤلاء القوم الآيات؟ أَوَلا يكفيهم هذا الكتاب الذي يَفوقُ كلَّ معجزات الأنبياء السابقين في الدلالة على نبوَّته؟!

ويقول تعالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]؛ ذلك لأن العربيَّ إذا سمع كلام الله وتذوَّقه، قادَه ذلك الكلام إلى الإيمان إن كان من المنصفين؛ لأنه لا يسمعه مُتَذوِّق مُنصِف إلا وينتهي به إلى الإيمان.

هذا؛ وقد أيَّد الواقع التاريخيُّ ذلك، فقد حدثتنا كتبُ السيرة أن مجرَّد سماع العربي للقرآن كان يُوقِفه على المعجزة العظمى، ويحمله ذلك على الإيمان، وأدرك ذلك كفَّار قريش، فكانوا يَنْهَون عن سماع القرآن، كما حكى الله سبحانه ذلك عنهم؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ۝٢٦﴾ [فصلت: ٢٦].

وكانوا يسعَوْن جهدهم للحيلولة بين رسول الله ﷺ وبين مَن يأتي من وفود العرب إلى مكَّة، ومن ذلك ما جاء في "سيرة ابن هشام" من إسلام الطُّفَيل بن عمرو الدَّوْسِيّ: "قَدِم الطُّفَيْلُ مكَّة، ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجلٌ من قريش، وكان الطُّفَيْلُ شَريفًا شاعرًا لبيبًا، فقالوا له: يا طُفَيل، إنك قَدِمتَ بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا[٦٥٥]، وقد فرَّق جماعَتَنا وشتَّت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرِّق بين الرجل وبين أبيه، وبين الرجل وبين زوجته، وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمَنَّه ولا تسمعَنَّ منه شيئًا، قال الطُّفَيل: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعتُ ألاَّ أسمعَ منه شيئًا، ولا أكلِّمَه، وحشَوْتُ في أذني حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفًا[٦٥٦]؛ فَرَقًا من أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه، فغدَوتُ إلى المسجد فإذا رسولُ الله ﷺ قائم يصلِّي عند الكعبة، فقمت منه قريبًا، فأبى الله إلا أن يُسمِعَني بعضَ قوله، فسمعت كلامًا حسنًا، فقلت في نفسي: واثكلَ أمِّي! والله إني لَرجلٌ لبيب شاعر، ما يخفى عليَّ الحسنُ من القبيح، فما يمنعني أن أسمعَ من هذا الرجل ما يقول؟! فإن كان الذي يأتي به حسنًا قبلته، وإن كان قبيحًا تركته، فمكثت حتى انصَرَف رسول الله ﷺ إلى بيته، فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد، إنَّ قومك قد قالوا لي كذا وكذا، فوالله ما برحوا يخوِّفونني أمرَك حتى سددتُ أذني بكُرْسُفٍ لئلاَّ أسمع قولك، ثم أَبَى الله إلا أن يُسمِعَني قولك، فسمعت قولًا حسنًا، فاعرِضْ عليَّ أمرك، فعرض عليَّ رسولُ الله ﷺ وتلا عليَّ القرآن، فلا والله ما سمعت قولًا قطُّ أحسن منه، ولا أمرًا أعدل منه، فأسلمتُ وشهدت شهادةَ الحق"[٦٥٧].

ونتوقَّع أن أمثال هذه الحادثة كثيرٌ، لقد كان القرآن الكريم من أعظم دلائل نبوَّته صلوات الله وسلامه عليه.

الأصل الثالث: التعريف بإعجاز القرآن:

---

(٦٥٥) أي: اشتدَّ أمره بنا.

(٦٥٦) الكُرْسُف: القطن.

(٦٥٧) سيرة ابن هشام، تحقيق السقا وزميليه ٢/٢٢- ٢٣، والرَّوض الأُنُف ٢/١٣٠، والبداية والنهاية ٣/٩٨.

القرآن الكريم هو كتاب الله الذي أُحْكِمتْ آياته، وأُتقِنَتْ فصوله، وأُبدِعَتْ جمله، واخْتِيرَتْ كلماته، وعلا أسلوبه، واتفقت معانيه، وائتلفت مبانيه؛ فلا ترى فيه عوجًا ولا أمتًا، ولا تجد فيه اختلافًا ولا تناقضًا، يقول الله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢].

ومن ثم كان القرآن الكريم مناط أنظار العلماء، وموضع عنايتهم في القديم والحديث، وإن تعددت جهات نظرهم إليه، وتباينت مشاربهم منه.

لقد أنزل الله هذا الكتاب فأعجز به سائر البشر، ووقفوا منه في كل زمان ومكان موقف المبهوتين الذين بهرهم أسلوبه، وأخذت بمجامع قلوبهم جزالته، واستولت على نفوسهم عظمته، حتى إن بعضهم كان يعترف بقوة القرآن الكريم، وعظيم سلطانه على النفوس حينما يثوب إلى رشده، ويخلع رداء العصبية الجاهلية عن نفسه.

وليس أدل على إعجاز القرآن الكريم من نزوله على رسول الله ﷺ في جزيرة العرب حين نبوغهم في صنعة الكلام، ونظم الشعر، وترسيل الرسائل، ونسج الخطب، وتفوقهم في أساليبها وتنسيقها، وجولاتهم الكثيرة المتتالية في ربوع القول، وأفانين الحديث، بل كانت إجادة القول غاية فخرهم، ونهاية شرفهم، ومنتهى ما تصبو إليه نفوسهم، وكانت لهم أسواق يقيمونها يقصد إليها الناس من كل صوب، ويؤمونها من كل حدب؛ يتبارون في إنشاد الشعر وإلقاء الخطب، متفانين في ذلك إلى حد كبير، حتى ظهر ذلك الفرقان العظيم والذكر الحكيم، على يد ذلك الأمي الكريم، الذي يعلمون عنه تمام العلم أنه لم يتلقَّ عن أستاذ، ولم يجلس إلى فيلسوف، ولم يقرأ سفرًا، ولم يكتب سطرًا، فأخرس ألسنتهم، وأخمد أنفاسهم، فلم يجدوا حينئذ جوابًا!.

سب آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى، وسفه أحلامهم، وجهَّلهم غاية التجهيل، وطلب إليهم أن يعارضوه فما استطاعوا، مع شدة حرصهم على معارضته، والتماس الوسائل قريبها وبعيدها لإبطال دعوته، فتحداهم أن يأتوا بمثله كما قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور: ٣٤] وأمهلهم طوال الأيام فما نطقوا؛ فتنزل معهم إلى عشر سور حيث قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾﴾ [هود: ١٣]، وانتظرهم فبهتوا وما تكلموا؛ فتنزل معهم إلى سورة واحدة من سوره، فقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤] فخارت قواهم، وضلت أفكارهم، وانسدت المسالك أمامهم، وغدوا بعد ذلك صاغرين.

ولو أنهم كانوا يقدرون على معارضته لفعلوا، وخلصوا أنفسهم وأهليهم وأموالهم من سلطته، والخضوع لدعوته إن طوعًا وإن كرهًا، لا سيما وتأليف الكلام الجيد أمر سهل عليهم؛ إذ إنه عادتهم في لسانهم، ومألوف خطابهم، وهم أحرص الناس على إطفاء نوره الساطع، وإخفاء أمره الصادع، شأن كل عدو مع عدوه؛ فكيف إذن لا يعارضون بألسنتهم، وميسور عاداتهم، وهو أيسر لهم وأهون عليهم لو وجدوا لذلك سبيلًا؟ استطال عليهم بأنواع المذام، والقوم أولو حمية وعصبية، ورماهم من وقت لآخر بالعجز عن مباراته، والضعف عن مجاراته، والقوم ذوو أنفة وإباء، ومع ذلك لم يتحرك منهم ساكن، ولا قام واحد منهم في وجهه، ولا حدث نفسه أن يقوم، فحكم لنفسه حكمًا قاطعًا حيث قال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

سبحان الله! ألا فلينظر القارئ الكريم إلى هذه الثقة بالنفس، وهذا الشموخ الذي لا يدانيه سواه، هل يطيقه ويقدر

عليه إلا من أحاط بقدر الناس وقواهم خبرًا، ووسع كل شيء علمًا؟

هل مثل ذلك القضاء القاطع بأنهم لن يستطيعوا مهما تضافروا واستظهر بعضهم ببعض أن يأتوا بشيء من مثله، هل مثل ذلك القضاء يمكن أن يكون قضاء بشريًّا؟

كلا! إنما ذلك قضاء العليم الخبير الذي لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم.

إذن، فالقرآن الكريم كلام الله تعالى، أنزله على خير خلقه، وصفوة رسله؛ ليكون آيته الكبرى، ومعجزته العظمى، المؤيدة لدعوته، الشاهدة بصدق نبوته، ولا يعقل أن يؤيده بدليل يتلاشى أمام البحث، ويذهب سدى عند النقد الصحيح.

وإذا كان القرآن قد أعجز سائر العرب مع تضافرهم وتظاهرهم، وكثرة عددهم، وفصاحة لسانهم، وقوة بيانهم، وطول زمان معارضتهم، فلأن يكون لغيرهم أشد إعجازًا وأقوى مباراة وأعظم نضالًا، وهل يتطاول نحو هذا الحمى ذلك الأعجمي الألكن، أو الصبي الذي لا يكاد يبين؟ بلى إن القرآن الشريف فوق طاقة جميع المخلوقين، وأعلى بكثير مما قد تصل إليه قدرهم، ولا عجب، فهو تنزيل من جبار الأرض والسماء الذي إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون(٦٥٨).

الأصل الرابع: التعريف بمحاسن الإسلام:

إن الدين الإسلامي الذي جاء به محمد ﷺ أكمل الأديان وأفضلها، وقد حوى من المحاسن ما يشهد لله تعالى بالكمال المطلق وسعة العلم والحكمة، ويشهد لنبيه ﷺ أنه رسول الله حقًّا، وأنه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٤].

ومحاسن الدين الإسلامي عامة في جميع مسائله ودلائله، وفي أصوله وفروعه، وفيما دل عليه من علوم الشرع والأحكام، وما دل عليه من علوم الكون والاجتماع، والأمثلة على ذلك كثيرة:

١ – إن دين الإسلام مبني على أصول الإيمان المذكورة في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ۝١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦] فهذه الأصول العظيمة التي أمر الله عباده بها هي الأصول التي اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وهي محتوية على أجلِّ المعارف والاعتقادات من الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه على ألسنة رسله، وعلى بذل الجهد في سلوك مرضاته، فدين أصله الإيمان بالله، وثمرته السعي في كل ما يحبه ويرضاه، وإخلاص ذلك لله.

٢ – شرائع الإسلام الكبار: الصلاة، الزكاة، صوم رمضان، وحج البيت، فالذي يتأمل **الصلاة** يجد أنها من أفضل الأعمال، ومع ذلك لا تجب في اليوم والليلة إلا خمس مرات، من لم يستطع القيام يصل قائمًا، فإن لم يستطع فقاعدًا، فإن لم يستطع فعلى جنب، يتطهر بالماء، فإن عدمه أو تضرر باستعماله تطهر بالتراب، وأما **الصيام** فإنه يصوم المقيم القادر، فإن كان مريضًا أو على سفر فعدة من أيام أخر.

والزكاة فيها إصلاح حال الفقراء، وسد حاجة المسكين، وقضاء دين المدين، والتخلق بأخلاق الكرام من السخاء والجود ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٦٠﴾ [التوبة: ٦٠].

(٦٥٨) المصدر: مجلة كنوز الفرقان؛ العدد: ٤٤؛ السنة: الأولى.

وفي الحج بذل الأموال وتحمل المشقات؛ طلبًا لرضا الله، وفيه التعظيم والخضوع التام لله، والتذكر لأحوال الأنبياء والمرسلين والأصفياء والمخلصين، وتقوية الإيمان بهم، وشدة التعلق بمحبتهم، والتعارف بين المسلمين، والسعي في جمع كلمتهم، واتفاقهم على مصالحهم الخاصة والعامة مما لا يمكن تعداده، فإنه من أعظم محاسن الدين، وأجل الفوائد الحاصلة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨].

٣ – ما أمر به الشارع وحث عليه من وجوب الاجتماع والائتلاف، ونهيه وتحذيره عن التفرق والاختلاف، على هذا الأصل الكبير من نصوص الكتاب والسنة شيء كثير، قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

لقد كان المسلمون في صدر الإسلام من استقامة الدين، وصلاح الأحوال، والعزة التي لم يصل إليها أحد سواهم؛ إذ كانوا مستمسكين بهذا الأصل، قائمين به حق القيام، موقنين أشد اليقين أنه روح دينهم، يزيد هذا بيانًا وإيضاحًا قول عمر ﷺ: "إنا كنا أذل قوم، فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به؛ أذلنا الله"(٦٥٩).

٤ – أن دين الإسلام دين رحمة وبركة وإحسان، وحث على منفعة الإنسان، فما عليه هذا الدين من الرحمة وحسن المعاملة والدعوة إلى الإحسان، والنهي عن كل ما يضاد ذلك، هو الذي صيره نورًا وضياءً بين ظلمات الظلم والبغي وسوء المعاملة، وانتهاك الحرمات، وهو الذي جذب قلوب من كانوا قبل معرفته ألد أعدائه حتى استظلوا بظله الظليل، وهو الذي عطف وَحَنَا على أهله حتى صارت الرحمة والعفو والإحسان تتدفق من قلوبهم على أقوالهم وأعمالهم، وتتخطاهم إلى أعدائهم، حتى صاروا من أعظم أوليائه، فمنهم من دخل فيه بحسن بصيرة وقوة وجدان، ومنهم من خضع له ورغب في أحكامه وفضلها على أحكام دينه لما فيها من العدل والرحمة، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وفي الصحيحين من حديث أسامة بن زيد ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ"(٦٦٠).

٥ – أن من محاسن الدين الإسلامي أنه ما حرم شيئًا عليهم إلا عوضهم خيرًا منه، مما يسد مسده ولا يغني عنه، كما بين ذلك ابن القيم ﷺ في كتابه القيم روضة المحبين: "حرم عليهم الاستقسام بالأزلام، وعوضهم منه دعاء الاستخارة، وحرم عليهم الربا، وعوضهم التجارة الرابحة، وحرم عليهم القمار وعوضهم منه أكل المال بالمسابقة بالخيل والإبل والسهام، وحرم عليهم الحرير، وعوضهم منه أنواع الملابس الفاخرة من الصوف والكتان والقطن، وحرم عليهم شرب المسكرات، وعوضهم عنه بالأشربة اللذيذة والنافعة للروح والبدن، وحرم عليهم الخبائث من المطعومات، وعوضهم عنها بالمطاعم والطيبات"(٦٦١).

٦ – دين الإسلام هو دين الحكمة ودين العقل والفطرة والصلاح والفلاح، يوضح هذا الأصل ما هو محتوٍ عليه من الأحكام الأصولية والفروعية التي تقبلها الفطر والعقول، وتنقاد لها بوازع الحق والصواب، وما هي عليه من الأحكام

---

(٦٥٩) مستدرك الحاكم ١/٢٣٦-٢٣٧، وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٦٦٠)صحيح البخاري، ١٢٨٤، وصحيح مسلم، ٩٢٣.

(٦٦١) روضة المحبين، ابن القيم، ص٨.

وحسن الانتظام، وأنها صالحة لكل زمان ومكان، فأخباره كلها حق وصدق، لم يأتِ – ويستحيل أن يأتي – علم سابق أو لاحق بما ينقضها أو يكذبها، وإنما العلوم الحقَّة كلها تؤازرها وتؤيدها، وهي أعظم برهان على صدقها، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣].

وقد حقق المحققون المنصفون أن كل علم نافع – ديني، أو دنيوي، أو سياسي – فقد دل عليه القرآن دلالة لا ريب فيها، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨].

فليس في شريعة الإسلام ما تحيله العقول، وإنما فيها ما تشهد العقول الزكية بصدقه ونفعه وصلاحه، وكذلك أوامره ونواهيه كلها عدل لا ظلم فيها، فما أمر بشيء إلا وهو خير أو راجح، وما نهى إلا عن الشر الخالص، أو الذي مفسدته تزيد على مصلحته، وكلما تدبر اللبيب أحكامه ازداد إيمانًا بهذا الأصل، أو علم أنه تنزيل من حكيم حميد، قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [هود: ١]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

وهذا الدين قد أكمله الله، فلا يحتاج إلى زيادة أو استدراك من البشر إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ومن فوائد معرفة هذا العلم – محاسن الدين –:

١ – أن الاشتغال في هذا الموضوع الذي هو أشرف المواضيع وأجلها من أفضل الأعمال الصالحة، فمعرفته والبحث عنه والتفكير فيه، وسلوك كل طريق يحصل إلى معرفته خير ما شغل العبد به نفسه، والوقت الذي ينفق في ذلك هو للعبد لا عليه.

٢ – أن الناس يتفاوتون في الإيمان وكماله تفاوتًا عظيمًا، وكلما كان العبد أعرف بهذا الدين، وأشد تعظيمًا له وسرورًا به وابتهاجًا، كان أكمل إيمانًا وأصح يقينًا، فإنه برهان على جميع أصول الإيمان وقواعده.

٣ – أن من أكبر الدعوة إلى دين الإسلام شرح ما احتوى عليه من المحاسن التي يقبلها ويتقبلها كل صاحب عقل وفطرة سليمة، فلو تصدى للدعوة إلى هذا الدين رجال يشرحون حقائقه، ويبينون للخلق مصالحه؛ لكان ذلك كافيًا كفاية تامة في جذب الخلق إليه لما يرون من موافقته للمصالح الدينية والدنيوية، ولصلاح الظاهر والباطن من غير حاجة إلى التعرض لدفع شبه المعارضين، والطعن في أديان المخالفين، فإنه في نفسه يدفع كل شبهة تعارضه؛ لأنه حق مقرون بالبيان الواضح، والبراهين الموصلة إلى اليقين، فإذا كشف عن بعض حقائق هذا الدين صار أكبر داعٍ إلى قبوله ورجحانه على غيره.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ: "فعلى جميع الأمة – حكماء، وعلماء، وتجارًا، وغيرهم – أن يبلغوا عن الله وعن رسوله ﷺ هذا الدين، وأن يشرحوه للناس بشتى اللغات الحية المستعملة بأساليب واضحة، وأن يشرحوا محاسن الإسلام وحكمه وفوائده وحقيقته؛ حتى يعرفه أعداؤه، وحتى يعرفه الجاهلون فيه، وحتى يعرفه الراغبون فيه"(٦٦٢).

وقال أيضًا: "والله لو عرفه الناس اليوم، ولو عرفه العالم على حقيقته؛ لدخلوا فيه أفواجًا اليوم، كما دخلوا فيه أفواجًا بعدما فتح الله على نبيه مكة عليه الصلاة والسلام"(٦٦٣)(٦٦٤).

---

(٦٦٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ عبد العزيز بن باز ﷺ ٤٥٣/٢.

(٦٦٣) كلمة في المؤتمر الأول للدعوة والدعاة المنعقد في المدينة النبوية عام ١٣٩٧هـ.

(٦٦٤) الدر المختصرة في محاسن الدين الإسلامي للشيخ عبد الرحمن السعدي ص٣٨٩–٣٩٥؛ والضياء اللامع من الخطب الجوامع للشيخ ابن عثيمين ﷺ ٢٠٥/١–٢٠٦؛ ومن

المطلب الثاني: صورة دعوة غير المسلمين

هناك أصناف كثيرة وأديان متفرقة لمن هم على غير الإسلام، وفي داخل كل دين منهم: انقسامات وفرق متشعبة، وهنا سنحاول أن نعرض أصول الديانات العالمية الموجودة، والتي هي ثلاثة:

١ – أهل الكتاب (اليهود، والنصارى).

٢ – الوثنيون (عباد: الأصنام، والأشجار، والأحجار، والأشخاص، والكواكب والنجوم، والحيوانات، والأزمان).

٣ – الملحدون.

أولا: أهل الكتاب:

١ – الديانة اليهودية:

اليهودية: هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم ﷺ، والمعروفون بالأسباط من بني إسرائيل الذين أرسل الله إليهم موسى ﷺ مؤيدًا بالتوراة؛ ليكون لهم نبيًّا.

واليهودية ديانة يبدو أنها منسوبة إلى يهود الشعب، وهذه بدورها قد اختُلف في أصلها، وقد تكون نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب، وعممت على الشعب على سبيل التغليب(٦٦٥).

واليهودية: مصطلح حادث يطلق على الديانة الباطلة المحرفة عن الدين الحق الذي جاء به موسى ﷺ.

ولعل هذا هو التعريف الصحيح لليهودية، ومن خلاله يتبين الخلل في بعض التعريفات التي تقول: إنها الدين الذي جاء به موسى ﷺ، أو: إنها دين موسى ﷺ.

وهذا خطأ؛ إذ موسى ﷺ لم يجئ باليهودية، وإنما جاء بالإسلام – بمفهومه العام – الذي يعني الاستسلام لله وحده؛ فهو دين جميع الأنبياء من لدن نوح إلى محمد ﷺ.

قال الله ﷻ عن إبراهيم ﷺ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقال تبارك وتعالى عن موسى ﷺ: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤]، وقال عن عيسى ﷺ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: ٥٢].

فهذا هو الإسلام العام الذي جاء به جميع الأنبياء، أما الإسلام الخاص فهو: شريعة القرآن التي جاء بها محمد ﷺ(٦٦٦).

وهذا الإسلام الخاص يشترك مع كافة الشرائع بالتوحيد والأصول، ويختلف في تفصيل بعض الشرائع.

ومن خلال ما مضى يتبين أن اليهودية ديانة باطلة مُحرَّفة عن الدين الحق الذي جاء به موسى ﷺ(٦٦٧).

٢ – الديانة النصرانية:

محاسن الدين الإسلامي للشيخ عبد العزيز السلمان ص٨٣–٨٤.

(٦٦٥) الموسوعة الميسرة للندوة العالمية للشباب الإسلامي، ص١٨٠.

(٦٦٦) انظر: التدمرية، ابن تيمية، ص١٧٥–١٩٦.

(٦٦٧) رسائل في الأديان والفرق والمذاهب، محمد الحمد، ص٦٢، ٦٣.

النصرانية تعتبر امتدادًا لليهودية ومكملة لها؛ لأن عيسى ﷺ أُرْسِلَ إلى بني إسرائيل مجددًا في شريعة موسى ﷺ، ومصححًا لما حرفه اليهود من الدين المنزل على موسى ﷺ في التوراة، وليحل لهم بعض الطيبات التي حُرِّمتْ عليهم، ومبشرًا بمحمد ﷺ رسولًا يأتي من بعده.

قال تعالى عن عيسى ﷺ: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٨ - ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾﴾ [الصف: ٦].

لكن غالب بني إسرائيل (اليهود) كذَّبوا عيسى ﷺ، وأنكروا رسالته وحاربوا أتباعه، ولمَّا رفعه الله إليه حرَّفوا الدين الذي جاء به، وحاولوا طمسه بمكرهم ودسائسهم، ولم تمضِ ثلاثة قرون على الديانة النصرانية حتى تحوَّلتْ تمامًا عن مسارها الصحيح المتمثل في التوحيد إلى الشرك المتمثل في التثليث، وتبدَّلت نصوصها وأحكامها، كما فعلوا بدين موسى ﷺ من قبل.

فالنصرانية الحاضرة صنعة اليهود، تسير في ركابهم؛ لذلك نرى النصارى لا يزالون يعترفون بكتاب اليهود (التوراة)، ووصايا الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى ﷺ رغم تحريف اليهود، ويسمونها (العهد القديم)، بالإضافة إلى كتابهم الإنجيل المحرَّف الذي يسمونه (العهد الجديد).

أما اليهود فهم ينكرون كل ما عدا التوراة، إلا ما ورد عن علمائهم ومفسريهم ويسمونه (التلمود)، وهو مقدم عندهم على التوراة.

والنصارى يكفِّرون اليهود؛ لتكذيبهم عيسى ﷺ، واليهود يكفِّرون النصارى؛ لأنهم يرونهم مبتدعين، ودينهم باطل؛ لأن عيسى ﷺ بزعمهم ساحر كذاب.

قال الله تعالى عن الفريقين: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [البقرة: ١١٣].

وَيُطْلَقُ على اليَهود والنصارى معًا (أهل الكتاب) إشارة إلى أن أديانهم سماوية منزلة من الله تعالى إليهم بكتاب، وأحيانًا يطلق على أحدهما، والكتاب هو التوراة المنزلة على موسى ﷺ، والإنجيل المنزل على عيسى ﷺ، وقد ورد هذا الإطلاق في الكتاب والسنة.

ومع أن اليهود والنصارى يكفِّر بعضهم بعضًا، إلا أنهم يجتمعون على الكيد للإسلام، والإضرار بالمسلمين، وقد ذكر الله عنهم ذلك في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾ [البقرة: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة: ١٠٥].

والذين كفروا من أهل الكتاب هم من لم يسلم من اليهود والنصارى.

وأهل الكتاب مكلفون بإقامة التوراة والإنجيل معًا، لكنهم كفروا بهما، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة: ٦٨].

ومن إقامة التوراة والإنجيل: الإيمانُ بمحمد ﷺ حيث بشَّرت به هذه الكتب، واتِّباعُ الإسلام الذي نَسَخَ ما قبله من الأديان(٦٦٨).

ثانيا: الوثنية:

يُرَاد بها: عبادة الأوثان والتعلق بها، وَيُشَار بهذا المصطلح إلى الأديان الأرضية التي تعبد الأصنام، كمشركي العرب، والهند، واليابان ونحوهم، بخلاف أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

والقرآن والسنة: فيهما النهي عن عبادة الأوثان، والأمر بعبادة الله وحده، قال الله تعالى: ﴿فَٱجۡتَنِبُواْ ٱلرِّجۡسَ مِنَ ٱلۡأَوۡثَٰنِ وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾ [الحج: ٣٠]، وقال تعالى: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ [المدثر: ٥].

قال أبو سلمة: والرجز: الأوثان(٦٦٩).

وقال تعالى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١٦ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ۝١٧﴾ [العنكبوت: ١٦، ١٧].

وقال: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٥﴾ [العنكبوت: ٢٦].

وفي قصة هرقل مع أبي سفيان، قال هرقل: "وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلاَةِ وَالصِّدْقِ وَالعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ"(٦٧٠).

وعن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ مُلْكَ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ... وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ"(٦٧١).

وبوب البخاري في صحيحه: "باب تغيير الزمان حتى تعبد الأوثان"، ثم ساق حديث أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ، قال: "لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الخَلَصَةِ"، وَذُو الخَلَصَةِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ(٦٧٢).

والمقصود: أن الوثنية – وهي عبادة الأوثان – كانت منتشرة في جزيرة العرب، وهي الآن في بعض البلاد، كالهند واليابان ودول من أفريقيا.

وفي الحديث أنها ستعود إلى جزيرة العرب في آخر الزمان، قبل قيام الساعة.

والأديان الشرقية: تتشابه مع الديانات العالمية الأخرى في عدد من الخصائص التي تجمعها، إلا أنها تتجاذبها نزعتان مختلفتان تمام الاختلاف، فيما يتعلق بالإله، وهاتان النزعتان هما نزعتا الوحدانية، وتعدُّد الآلهة.

---

(٦٦٨) الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، د. ناصر العقل ود. ناصر القفاري، ص٦٥.

(٦٦٩) رواه البخاري معلقًا، باب قوله: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ من كتاب التفسير من صحيحه.

(٦٧٠) صحيح البخاري، ٧.

(٦٧١) رواه أبو داود، ٤٢٥٢، والترمذي، ٢٢١٩ والحديث صححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٦٧٢) رواه البخاري٧١١٦.

فَقَلَّمَا نجد دولة من الدول، أو شعبًا من شعوب الديانات الشرقية، لا تتمثل إلهًا لكل قوى الطبيعة النافعة والضارة، يستنصرونه في الشدائد، وَيَلْجَئُونَ إليه في الملمَّات، ويتضرعون إليه؛ ليبارك لهم في ذرياتهم وأموالهم، ولم يصل هؤلاء إلى عبادة هذه الظواهر دفعة واحدة، وإنما مروا بمراحل انتهت بهم إلى عبادتها، ولقد كثرت الآلهة عندهم – لا سيما عند الهندوس – كثرة كبيرة، وكانوا يسمون إلههم بكل اسم حسن، ويصفونه بكل صفة كاملة، ويخاطبونه باسم (رب الأرباب)، أو (إله الآلهة) توقيرًا وتعظيمًا وإجلالًا.

وفي القرن التاسع قبل الميلاد، استطاع بعض كهنة تلك الدول اختصار الآلهة، فقد جمعوا الآلهة في إله واحد، وقالوا: إنه هو الذي أخرج العالم من ذاته.

ثم ظهرت حركات عقلية آمنت بالتناسخ، وظهرت حركات أخرى آمنت بالإله أساسًا لفلسفة الدين، وعندما فتح محمود الغزنوي الهند، وأخضعها للحكم الإسلامي، قدَّم أروع الأمثلة على سماحة الدين الإسلامي، عندما ترك الحرية للهنود فيما يعبدون، وانتشر الإسلام في الهند، ومنها انتقل إلى دول شرقية أخرى تركت لها حرية العبادة كذلك، ولكن الناس كانت تجد في عقيدة التوحيد ملاذها، فاندفعت إليها عن حب ورضا.

ومن الحقائق المتعلقة بالأديان الشرقية: أن كثيرًا من هذه الديانات ربما بدأت كديانات توحيد سماوية؛ إعمالًا لقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [فاطر: ٢٤]، ولكن التحريف لحق هذه الأديان، كما لحق غيرها، ودليل ذلك أن فكرة التوحيد كان لها وجود بشكل أو بآخر في هذه الديانات، كما أن بعض كتب هذه الأديان انطوت على إشارات إلى نبوة الرسول ﷺ، ومبعثه؛ ولذا فإن هذه الموسوعة عندما تشير إلى حقائق هذه الأديان في الوقت الحاضر، فإنها لا تنفي عن أصل نشأتها إمكانية أن تكون ديانات توحيد قبل أن يلحقها التحريف، وتتطرق إليها الوثنية.

وَمِنْ أَبْرَزِ الأديان الشرقية المعاصرة:

١ – الصابئة المندائيون:

وتعدُّ من أقدم الديانات التي تعتقد بأن الخالق واحد، وهي بهذا الوصف تعتبر من الديانات السماوية، ويعتبر أتباعها أتباع دين كتابي.

٢ – الهندوسية:

وتسمَّى أيضًا البرهمية، وهي ديانة وثنية يعتنقها معظم أهل الهند، وليس في الهندوسية دعوة إلى التوحيد، بل إنهم يقولون بأن لكل طبيعة – نافعة أو ضارة – إلهًا يُعبد، ثم قالوا بوجود آلهة ثلاثة، من عبد أحدها فقد عبدها جميعًا؛ وهي براهما، وفشنو، وسيفا.

٣ – الشنتوية:

وهي ديانة ظهرت في اليابان منذ وقت طويل، وقد بدأت بعبادة الأرواح، ثم قوى الطبيعة، ثم عبادة الإمبراطور مؤخرًا؛ حيث يعتبرونه من نسل الآلهة.

٤ – الطاوية:

وهي إحدى أكبر الديانات الصينية القديمة التي تستلزم العودة إلى الحياة الطبيعية، مع ضرورة الإيمان بوحدة الوجود؛ إذ الخالق والمخلوق شيء واحد.

٥ – الجينية:

وهي ديانة منشقة عن الهندوسية، وتدعو إلى التحرر من كل قيود الحياة، والعيش بعيدًا عن الشعور بالقيم؛

كالعيب، والإثم، والخير، والشر.

٦ – الكونفوشيوسية:

وهي ديانة أهل الصين، وتدعو إلى إحياء الطقوس، والعادات، والتقاليد الدينية التي ورثها الصينيون عن أجدادهم، مع إضافة بعض آراء الحكيم كونفوشيوس إليها، وهي تقوم على عبادة الإله الأعظم، وعبادة أرواح الآباء والأجداد، وتقديس الملائكة.

٧ – البوذية:

وهي الديانة التي ظهرت في الهند بعد البراهمية (الهندوسية)، وهي تدعو إلى التصوف والخشونة، ونبذ الترف والمناداة بالتسامح، ويعتقد البوذيون أن بوذا هو ابن الإله عندهم، وأنه مخلِّص البشرية من مآسيها.

٨ – السيخية:

وهي ديانة السيخ الذين هم جماعة دينية هندية، تدعو إلى دين جديد، تزعم فيه شيئًا من الديانتين الإسلامية والهندوسية تحت شعار (لا هندوس ولا مسلمين).

٩ – المهاريشية:

وهي نِحلة هندوسية دهرية ملحدة، انتقلت إلى أمريكا وأوروبا داعية إلى طقوس كهنوتية بغية تحصيل السعادة الروحية.

ثالثا: الإلحاد:

أولًا: تعريف الإلحاد:

هو مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق سبحانه وتعالى، فيدَّعِي الملحدُون بأنَّ الكون وُجِدَ بلا خالقٍ، وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت.

ومما لا شك فيه أن كثيرًا من دول العالم الغربي والشرقي تعاني من نزعة إلحادية عارمة، جسدتها الشيوعية المنهارة، والعلمانية المخادعة(٦٧٣).

المراد بالإلحاد الذي نحن بصدده:

كل فكر يتعلق بإنكار وجود خالق هذا الكون سبحانه وتعالى، سواء أكان عند المتقدمين من الدهرية، أو عند من جاء بعدهم من الشيوعيين الماركسيين؛ بمعنى أن وصف الإلحاد يشمل كل من لم يؤمن بالله تعالى، ويزعم أن الكون وجد بذاته في الأزل نتيجة تفاعلات جاءت عن طريق المصادفة دون تحديد وقت لها، واعتقاد أن ما وصل إليه الإنسان منذ أن وُجِدَ وعلى امتداد التاريخ من أحوال في كل شؤونه إنما وُجِدَ عن طريق التطور، لا أن هناك قوة إلهية تدبره وتتصرف فيه.

ولا ريب أن الإلحاد فكرة شيطانية باطلة لا يقبلها عقل ولا منطق، غَذَّاهَا اليهود لتحطيم حضارات وأديان العالم كلهم لإقامة حكمهم في الأرض كلها كما دونوه في كتبهم.

وقد يسأل سائل فيقول وما مصلحة اليهود من وراء ظهور الإلحاد؟ والجواب هو إضافة إلى ما سبق، فإن اليهود يبغضون ديانات العالم كله، والعالم يبغضون ديانة اليهود، فإذا تمكن اليهود من إبعاد الناس عن حضاراتهم ودياناتهم،

---

(٦٧٣) المصدر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

واستبدلوا بذلك الإلحاد؛ فإنه سيسهل حينئذ أن يتقارب اليهود مع غيرهم، وسيسهل قيادتهم أيضًا إلى تحقيق المخططات اليهودية التي تنتظر التنفيذ.

ولم يكن أحد من البشر منذ أن أوجدهم الله تعالى مستيقنًا حقيقة إنكار وجود الله تعالى، ولم يظهر في شكل مذهب أو دول، وإنما كان ظهوره في شكل نزعات لبعض الأشرار الشواذ، إلى أن ظهرت الفلسفة الإلحادية الحديثة المنحرفة على يدي "ماركس" ورفاقه من اليهود الماسون الذين كانوا وراء إشعال هذه الفتنة الإلحادية لمآرب سياسية، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ [النمل: ١٤].

وقد علا شأن الإلحاد في عهد "ماركس" وعهد من جاء بعده علوًّا كبيرًا إلى عهد آخر رئيس لما كان يسمى بالاتحاد السوفيتي، وهو "ميخائيل جورباتشوف"، فأراد الله ﷻ أن يظهر كذب الملاحدة، فإذا بالشيوعية – التي تمثل قمة الإلحاد تموت في عقر دارها – وإذا بالشعوب المقهورة تعود إلى الاحتفال والاحتفاء بالأديان، وتعلن ما كانت تخفيه من حب الله وأنبيائه ورسله، ورجعوا إلى المساجد والكنائس وسائر المعابد معلنين رفضهم الفكر المادي الإلحادي، وفي بعض تلك الدول التي كانت تعلن الشيوعية والإلحاد شنقوا تماثيل بعض أقطاب الإلحاد الشيوعي تشفيًا منهم؛ مما يدل دلالة صريحة على أن فكرة الإلحاد فكرة طارئة سخيفة لا مكان لها إلا في قلوب فئة من شواذ الناس ماتت نفوسهم وانحرفت فطرهم وكابروا عقولهم، ومن الغريب أن يسند الملاحدة إلحادهم إلى العلم، وهو كذب مبين(٦٧٤).

ثانيًا: أقسام الإلحاد:

ينقسم الإلحاد إلى قسمين؛ هما: الإلحاد القديم، والإلحاد الحديث. فما حقيقة كل منهما، وما الفرق بينهما؟

عرفنا مما سبق أن الإلحاد كان له وجود في أكثر من مكان في الأرض بعد الانحراف الذي أصاب البشرية، وينبغي أن ندرك أن بين الإلحاد القديم والإلحاد الحديث فرقًا ظاهرًا؛ وذلك يتبين من خلال ما يأتي:

١ – إن الإلحاد بمعنى إنكار وجود الله تعالى أصلًا لم يكن ظاهرة منتشرة في القديم، وإنما كان شائعًا الشرك مع الله تعالى تحت حجج مختلفة مع اعترافهم بوجود الله تعالى، وأنه الخالق المدبر، وقد أثبت الله تعالى ذلك في كتابه فقال عن إقرارهم بخلق الله للكون: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [العنكبوت: ٦١].

وقال تعالى عن إقرارهم بإنزال المطر من عند الله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وقال تعالى عن إقرارهم بأن الرزق كله من الله، وأن أعضاء الإنسان هي من خلق الله، وأن الحياة والموت بيد الله، وأن التدبير كله لله ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس: ٣١]، وهكذا يتبين من تلك الآيات البينات أن الإلحاد في الزمن القديم إنما كان في إشراكهم مع الله آلهة أخرى من صنعهم، يتقربون بها إلى الله بزعمهم، وهذا هو الشرك في توحيد الربوبية الذي لا يدخل الشخص به وحده في الإسلام والإيمان ما لم يضم إليه توحيد الألوهية.

٢ – وأما الذين أسندوا كل شيء إلى الدهر فهم قلة قليلة جدًّا بالنسبة لغيرهم ممن يؤمنون بالله تعالى، وقد أخبر الله عنهم في كتابه الكريم.

---

(٦٧٤) المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي ١٠٠٣/٢.

٣ – أما الإلحاد المادي الحديث، فقد قام على إنكار وجود الله أصلًا، وقد زعم أهله أنهم وصلوا إليه عن طريق العلم والبحث المحسوس، وعن طريق التجربة والدراسة، وزعموا أن الدين لا يوصل إلى ذلك، وقطعًا هذا كذب، فلا يوجد تناقض بين العلم وبين الإيمان بالله، وأن العلم يدعو إلى الإيمان بوجود الله تعالى في أكمل صوره.

وهكذا يتضح أنه مع القول بوجود عبادة المادة في كل زمان وفي كل مكان، إلا أن تلك المادة كانت سطحية بدائية، وأن أوروبا حينما أخذت الإلحاد تميزت بتفصيل وتقنين وتنظيم، ودراسة هذا الاتجاه المادي الملحد، وأحلته محل الدين ومحل الإله بطريقة سافرة مقننة، وهي نقلة لم تكن فيما مضى قبلهم(٦٧٥).

ثالثًا: أسباب ظهور الإلحاد:

لظهور الإلحاد أسباب كثيرة كغيره من الظواهر الأخرى، ولا شك أن أكبر الأسباب هو إغواء إبليس لمن اتَّبَعَهُ؛ فقد أقسم على أن يُبْعِدَ الناس عن ربهم وَيُغْوِيهِم عن اتِّبَاعِ أمره وشرعه ﷻ، ثم أُضِيفَ إلى ذلك أسباب أخرى هي من صنع الإنسان، كالرغبة الجامحة عند البعض في الانفلات التام عن الدين وأوامره ونواهيه؛ لتحقيق رغباته الشهوانية المختلفة، وبعض تلك الأسباب يعود إلى أمور سياسية كحب اليهود السيطرة على العالم، وبعضها يعود إلى طغيان الديانات المحرفة وعلى رأسها النصرانية التي هي صورة عن الوثنية حيث جاءت بأفكار لا يقبلها عقل ولا يقرها منطق، وفوق ذلك طغيان الرهبان والبابوات الذين وصلوا إلى حد لا يطاق من إذلال الناس واستعبادهم مما جعلها أغلالًا يتمنى أصحابها الخروج عنها إلى أي وجهة تكون؛ فتلقفهم الملاحدة فأخرجوهم من الرمضاء إلى النار.

وبعض تلك الأسباب يعود إلى ظهور مذاهب فكرية كانت هي الأخرى كابوسًا ثقيلًا جعل الناس يلهثون إلى التشبث بأي حركة أو فكر، كالرأسمالية التي أشعلت في النفوس حب الأنانية، والجشع المادي والحقد والبغضاء؛ مما سهل الأمر على الملاحدة للوصول إلى قلوب الناس والتضليل عليهم بأن في النظام الإلحادي الجديد كل ما يتمنوه من السعادة والعيش الرغيد، وقد قيل:

يُقضى على المرء في أيام محنته * حتى يرى حُسْنًا ما ليس بالحُسْنِ

وكان هذا الحال في الوقت الذي عمَّ الجهل بالله تعالى وبدينه القويم، وكان للأحوال الاقتصادية التي يمر بها الناس نصيب الأسد في تقبل الناس للإلحاد؛ حيث انعدمت – في المذهب الرأسمالي، ونظام الإقطاع، وسيطرة البابوات والأباطرة – صفة الرحمة والعطف على الفقراء، فازداد الأغنياء غنًى، وازداد الفقراء فقرًا وذلًّا.

فاستغل الملاحدة تلك الأوضاع للتأثير على الناس بأن الأمر موكول إلى تصرفات الناس، وليس هناك إله مدبر له؛ فازداد نشاط دعاة الإلحاد وأظهروا أنفسهم بمظهر المنقذ للفقراء، والساهر على مصالحهم، والمهتم بمشاكلهم، والمتصدي للقضاء على كل الأنظمة الفاسدة والطبقات المتجبرة، وبعد أن قوي أمر الملاحدة، واستولوا على الحكم في روسيا وغيرها، وجهوا مدافعهم وبنادقهم إلى صدر كل من يأبى الدخول في ملتهم، فأثخنوا في الأرض، وأدخلوا شعوبهم في الإلحاد راغبين وراهبين.

ومما ساعد على انتشار الإلحاد أيضًا ما وصل إليه الملاحدة من اكتشافات علمية هائلة مكنهم الله منها استدراجًا لهم، وإقامة للحجة عليهم على ضوء قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت: ٥٣]، فكلما تم لهم اكتشاف جديد، فسروه على أنه من بركةِ تَرْكِهِ للإله وللدِّين،

(٦٧٥) المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي ١٠٠٨/٢.

وانطلاقهم أحرارًا من ذلك؛ فاغتر بهم كثير من الجهال، وظنوا أن ذلك صحيح، وأن هذه الحياة التي يعيشها العالم اليوم – من تقدم مادي، وصناعات مختلفة، وانفتاح تام على الشهوات والمتع المختلفة – إنما هي دليل في نظر من لا يعرفون الدين الصحيح على أن الإنسان هو مالك هذا الكون وحده، وهو الذي ينظم حياته كما يريد.

ولم يترك دعاة الإلحاد أي فرصة لأتباعهم لالتقاط أنفاسهم ومدارسة أوضاعهم والتفكر الصحيح في خلق هذا الكون، وما فيه من العجائب التي تنطق بوجود الخلاق العظيم لهذا الكون، وقد قيل: "إن أحد الملحدين تحدى أي مؤمن بالله يناظره، فانبرى له أحد المؤمنين، واتفقوا على تحديد موعد للمناظرة، وحينما جاء وقت المناظرة تأخر المؤمن من الوصول، ففرح الملحد وأخذ يصول ويجول ويتحدى، وبعد وقت حضر المؤمن بعد أن انكسرت قلوب المؤمنين وملأها الهم والغم، فسأله الملحد: لماذا تأخرت عن الوصول؟! فقال له: إن بيني وبينكم هذا البحر ولم أجد سفينة، وبينما أنا كذلك إذ نبتت شجرة في البحر، وامتدت أغصانها وجذوعها وكبرت، ثم تكسرت بعض أجزائها لتصنع منها قاربًا حملني إليكم، فقال الملحد: هذا كلام لا يُعقل، فقال له المؤمن: إذا كنتم لا تصدقون بوجود قارب صغير بدون موجد، فكيف تصدقون بوجود هذا الكون وما فيه دون موجد؟! ثم قال المؤمن للملحد: أنت بلا عقل؟! فقال الملحد: لا، إن لي عقلًا، فقال له المؤمن: أين هو منك؟ قال لا أدري، فقال المؤمن: شيء في جسمك تؤمن به ولا تراه، ولا تريد أن تؤمن بالله حتى تراه، فانقطع الملحد".

وأما عن أسباب ظهور الإلحاد في ديار المسلمين:

فإنه يعود كذلك إلى أسباب كثيرة؛ من أهمها حالة الانبهار بظهور هذه الماديات التي ظهرت على أيدي غير المؤمنين بالله تعالى، وما أصاب قلوب ضعفاء الإيمان من الاندهاش برونق تلك الحضارة الزائفة الزائلة التي أخبر الله عنها بقوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم: ٧].

وانساق المنهزمون المغرمون بتلك الحضارة إلى التصديق بأن لا وجود لأي مُدبِّر للعالم غير العالم نفسه، خصوصًا وأن المغلوب دائمًا يقلد الغالب، ويجب أن يتظاهر بصفاته ليجبر النقص الذي يحس به أمامه، وكان الأحرى بهؤلاء المنهزمين أن يعتزوا بدينهم، ويضاعفوا الجهد والعمل؛ ليستغنوا عن منة الملاحدة عليهم، وحينما رأوا ما هم عليه من الضعف أمام ما تنتجه المصانع الكافرة؛ ألقوا باللوم على الإسلام، فعل العاجز المنقطع، أو الغريق الذي يمسك بكل حبل، وجهلوا – أو تجاهلوا – أن الإسلام يأمر بالقوة والعمل بما لا يدانيه أي فكر أو مذهب، والآيات في كتاب الله تعالى، والأحاديث في سنة المصطفى ﷺ على هذا أشهر من أن تُذكر(٦٧٦).

وهناك أمورٌ عامةٌ وَجَبَ التنبيه عليها في هذا الباب؛ وهي إجمالًا:

١ – لا يلزم للداعية أن يتعلم معالم دعوة هؤلاء كلهم، ولكن على الدعاة أن يحصل بينهم تنوُّع وشمول وتكامل في دراسة هذه الأديان؛ ليكون لدينا متخصصون في دعوة أهل كل دين، مع أهمية المعرفة المجملة بباقي الأديان الأخرى المخالفة للإسلام.

٢ – لا بد للدعاة أن يدرسوا كيفية دعوة أهل الأديان المنتشرة في بلادهم، أو التي توجد لها دعوات أو منظمات تدعو لاعتناقها في منطقة عملهم الدعوي.

٣ – نذكر هنا معالم عامة لدعوة أصحاب تلك الأديان، ولن نتطرق للتفصيل في عقائد وشرائع تلك الأديان،

(٦٧٦) المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي ١٠١١/٢.

وكيفية الرد على شبهاتهم؛ حيث إن ذلك لأهل التخصص في العقيدة والأديان.

٤ – لا يصلح لدعوة أصحاب الأديان المختلفة إلا أهل الاختصاص، مع الإتقان والفهم للدين الإسلامي أولًا، ثم للدين الذي سيتم دعوة أهله حتى لا تكون فتنة للداعي والمدعو؛ حيث إن هذا الأمر يحتاج إلى علم، وخبرة ودربة، وشخصية مميزة في الإقناع، والتأثير، وحسن الحوار والجدال(٦٧٧).

(٦٧٧) مَوْسُوعَةُ دَلِيلِ الدَّاعِيَة، المَدعُوون، أ. د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العواجي، ص١٧٩.

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فهذه خاتمة فيها نتائج البحث، وبعض التوصيات:

بعد هذا العرض التأصيلي لعلم الدعوة، توصلت إلى نتائج كثيرة، يمكن إبراز أهم ما جاء فيها في النقاط التالية:

١. مادة "الدعوة" تدور على النداء، والحث، والحض، والتمني، والطلب، والزعم.

٢. تنوعت عبارات المؤلفين في تعريف الدعوة إلى الله اصطلاحًا، وذلك لتنوع المعايير والمشارب والتوجهات والأفهام، وجميع التعاريف تركز على: الدعوة إلى الإسلام، وإلى الخير ونبذ الشر، وفن استخدام الوسائل المناسبة.

٣. يوجد مفاهيم دعوية يمكن أن تكون مراحل للدعوة؛ وهي على الترتيب، التعرف بالإسلام، ثم تعاليم الإسلام، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكذلك التربية والتزكية، والتوعية الدينية.

٤. الدعوة واجبة على كل مسلم ومسلمة كل حسب وسعه، العلمي، والمالي، والبدني، مع القدرة على أداء الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، وتجب عينًا إذا كانت وظيفة للداعية تم تكليفه بها من قِبَلِ ولي الأمر أو من ينيبه، وإذا كان صاحب علم، ولا يقدر أحد غيره على الدعوة.

٥. للدعوة إلى الله ثمرات عظيمة تعود على الدين والدنيا، وعلى الدعوة والداعية والمدعو والمجتمع، فمن ثمرتها على الدعوة: تحقق علة الخلق، وحصول التمكين في الأرض، وإقامة الحق وإزالة الباطل، ومن ثمرتها على الداعي: تحقيق امتثال أمر الله وأمر رسوله بالدعوة، وهذا طريق الفلاح والفوز بجنّة الرّحمن، وإبراءً للذمة والمعذرة لله تعالى، ومن ثمرتها على المدعو: هداية الناس فينجون من الضلال والشقاء، وحصول رحمة الله للمدعوين، والمغفرة والسعادة الأخروية، وبها تستقيم حياة الناس، أما ثمرتها على المجتمع فتكون بنزول الخيرات والبركات، وظهور العدل وزوال الظلم، وظهور الإصلاح وتقليل الإفساد، وحصول الوحدة والاجتماع والأمن والاستقرار.

٦. لا بد للدعوة من أهداف وغايات ومقاصد تسعى إلى تحقيقها في حياة الناس جميعًا، لا بد للدعاة من معرفتها وفهمها وإدراكها، ويمكن إجمال تلك المقاصد في: تحقيق العبودية لله رب العالمين، وإقامة منهج الله تعالى في كل أمور الحياة، وإيصال الخير للناس كافة، والوحدة والاجتماع، وإقامة الأخلاق والعدل ومحاربة الظلم، وبراءة الذمة والإعذار إلى الله تعالى، وقيام الحجة على الناس.

٧. علم أصول الدعوة هو علم بقواعد وأحكام وأسباب وآداب يُتوصل بها إلى تمام تبليغ الإسلام للبشر عامة، وتعليم وتربية المستجيبين كافة، وتحقيق التمكين لهذا الدين.

٨. وموضوع علم أصول الدعوة هو: الإسلام من حيث: كيفية تبليغ رسالته، وقواعد وأحكام السعي لتكون كلمة الله هي العليا، فالإسلام يعلو ولا يُعلى عليه.

٩. تعددت أسماء علم أصول الدعوة؛ وهي: علم الدعوة، وأصول الدعوة، ومناهج الدعوة، وفقه الدعوة.

١٠. وعلم الدعوة يمثل الفكر الذي سيتحرك الداعية به لنقل ما تعلمه للناس، والقيام بالدعوة هو عملية التطبيق والتحرك بهذا الفكر لتوصيل العلم والهدى للناس.

١١. الدعوة إلى الله لا بد أن تكون على بصيرة من جهتين؛ الأولى: بصيرة بما يدعو إليه. والثانية: بصيرة بالطرق والوسائل والأساليب الدعوية، وضوابط ذلك.

١٢. إن علم أصول الدعوة يستمد مادته من: العلوم الشرعية، وما في الماضي والحاضر من تجارب ودعوات ومحاولات، وما في الواقع من أسباب ووسائل ومجالات وفُرص.

١٣. الثمرة الإجمالية من تعلُّم علم أصول الدعوة هي: تحقيق غايات الدعوة والدعاة وأهدافهم في الدنيا، من استفاضة البلاغ والهداية، وتحقيق النصر والتمكين، وفي الآخرة من الفوز بالجنة والنعيم المقيم، ويجمع ذلك كله مرضاة رب العالمين.

١٤. مسائل علم أصول الدعوة كثيرة ومتعددة، فهناك مسائل متعلقة بموضوع الدعوة والداعية، والمدعو، وتاريخ الدعوة وسير الدعاة، ومناهج الدعوة، وأصول ومنطلقات الدعوة، بيئة الدعوة، وأساليب الدعوة ووسائلها، وإدارة الدعوة.

١٥. وآمل من إخواني القراء والباحثين والمهتمين بالعلم وأهله المسارعة في تصحيح الخطأ، أو زيادة البيان، أو بيان بعض المقترحات، ولا يبخلوا على إخوانهم بما تجود به قريحتهم من أفكار ومعلومات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا إلى يوم الدين.

تَوْصِيَّات:

وفي نهاية الدراسة، أتوجه للباحثين في مجال تأهيل الدعاة – ولا سيما المعرفين بالإسلام لدعوة غير المسلمين، والعناية بالمسلمين الجدد، وإلى الجامعات والأكاديميات والمراكز الدعوية – بالتوصيات التالية:

١ . ضرورة إعداد المواد العلمية والتدريبية الخاصةِ بالتعريف بالإسلام، على أن تكون هذه المواد موضوعة بمنهجيةٍ دقيقة، ومرسومة بمهنية واحترافية وجودة عالية للتخصص.

٢ – ضرورة تأهيل المعرفين بالإسلام بمناهج مكتملة، والتي حسب تجربة الباحث تتكون من المواد التالية:

أ- **منهجية وأصول التعريف بالإسلام** (مفهوم التعريف بالإسلام، التأصيل والقضايا المنهجية، وصفات المعرف بالإسلام، والمنهج النبوي في الدعوة إلى الله تعالى).

ب- **البناء الإيماني للمعرف بالإسلام.** (فبدون عقيدة راسخة يُخشى أن يكون ضرر المعرف بالإسلام أكثر من نفعه على نفسه وعلى الدعوة).

ت- **الحوار مع أصحاب الأديان** – مقارن الأديان (خاصة: الحوار مع النصارى).

ث- **الخطاب الدعوي للمعرف بالإسلام، أو موضوع الدعوة** (مهارات عرض جمال الإسلام، وتشريعاته، ومحاسنه، وخصائص ومقاصد الإسلام، وتعاليم الإسلام...).

ج- **مهارات التعريف بالإسلام بالقرآن الكريم.**

ح- **مهارات التعريف برسول الله** ﷺ (إثبات نبوته، أقوال المنصفين من غير المسلمين عنه، شمائله، سيرته، أحاديثه، ذكر دقة نقل علم الحديث، وذكر دعوة الرسل عليهم السلام).

خ- **أساليب، ووسائل، وميادين التعريف بالإسلام.**

د- **قضايا العناية بالمسلمين الجدد.**

ذ- **البناء الأخلاقي والتزكوي للمعرف بالإسلام.**

ر- **مهارات دعوة الملاحدة، وإبطال شبهاتهم حول الإسلام.**

ز- المهارات الأساسية للتعريف بالإسلام:

(العلم الشرعي، المهارات الشخصية، صقل مهارات الداعية إلى الله في التقنيات الحديثة، الذكاء الاصطناعي للدعوة، مهارات الحوار مع المستهدفين، مهارات الخطاب الجماهيري، مهارات البحث والعرض والتقديم، مهارات استحضار الأدلة، سرعة البديهة، الأفكار والوسائل الدعوية ليطبقها المعرف وينشرها بين المسلمين...).

٣ – شمولية التدريب الدعوي للمجالات الدعوية الكافية من حيث الوسائل والأساليب، ومن حيث الجانب العلمي والإيماني والسلوكي، والفكري، والمهاري.

٤ – تحليل الحاجة الدعوية للتأهيل، فالتأهيل بدون تخطيط يعتبر هدرًا للموارد، وإضاعة للجهود والطاقات.

٥ – التأهيل والتدريب عملية مستمرة قبل الدخول في الدعوة وأثنائها، وكل برنامج دعويّ يحتاج لتأهيل خاص به، وكل مرحلة دعوية تحتاج لتأهيل خاص بها.

٦ – هناك برامج لتأهيل الدعاة لا بد من التذكير بها ومتابعتها؛ وهي البرامج الإيمانية والأخلاقية؛ لقول الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥].

٧ – لا بد من أن تشمل برامج تأهيل الدعاة على تطبيقات ميدانية، وتقييم هذه البرامج وتقويمها من خلال الواقع العملي والنزول الميداني.

٨ – لا بد من المراجعة المستمرة لبرامج ومجالات تأهيل الدعاة، والتجديد في الوسائل والأساليب والمناهج حسب متطلبات العصر والبيئة.

٩ – السعي إلى إقناع الجامعات الإسلامية حول العالم لفتح أقسام لتأهيل المعرفين بالإسلام.

١٠ – ضرورة تكثيف البحث العلمي في مجال التعريف بالإسلام وقضايا المسلمين الجدد، وفتح قنوات الاتصال بين الدعاة الباحثين وبين الجامعات الإسلامية.

١١ – إعداد مناهج محكمة، وتحويل المادة العلمية إلى حقائب تدريبية لتسهيل التطبيق الميداني.

١٢ . إقامة ملتقيات ومؤتمرات لصالح قضايا التعريف بالإسلام؛ لتبادل الخبرات، وتوطيد العلاقات بين الجهات العاملة في الميدان.

١٣ – العناية بالمسلمين الجدد تحتاج إلى مضاعفة الجهود، والجهود الحالية في جميع أنحاء العالم تجاههم غير كافية.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وآله وصحبه.

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **الكتب:**

١) أحكام التعامل مع غير المسلمين، خالد الماجد.

٢) الأحكام السلطانية للفراء، أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، صححه وعلق عليه: محمد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢١هـ.

٣) الأحكام السلطانية، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي، الناشر: دار الحديث، القاهرة.

4) أخلاق العلماء، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية.

٥) الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

7) أسباب زيادة الإيمان ونقصانه، د. عبد الرزاق البدر، مكتبة دار القلم والكتاب، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

٨) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية (دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر)، أ. د. عبد الرحيم بن محمد المغذوي، دار الحضارة، الرياض، ط ٢، ١٤٣١هـ.

9) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، أ.د حمود الرحيلي.

10)أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط٩، ١٤٢١هـ.

١١)أصول الدعوة، مناهج جامعة المدينة العالمية، جامعة المدينة العالمية.

١٢)الأصول العلمية والعملية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أ. د عبد الرحيم بن محمد المغذوي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١٠م.

١٣)إضاءات على طريق المحتسبين، عبد الرحمن بن حسن البيتي، شوال ١٤٢٧هـ.

١٤)أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٥)إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية، دار الجيل، بيروت.

١٦)الأنوار الساطعات لآيات جامعات، عبد العزيز السلمان، كتاب منشورة في موقع صيد الفوائد.

١٧)أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي، المحقق: يحيى مراد، دار الكتب العلمية، الطبعة: ٢٠٠٤م – ١٤٢٤هـ.

١٨)أهمية الدعوة، محمود شيت خطاب، الناشر الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط١.

١٩)بحر العلوم، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

٢٠) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، مكتبة المعارف، بيروت.
٢١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المحقق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
٢٢) البصيرة في الدعوة، د. عزيز بن فرحان العنزي، تقديم: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، الناشر: دار الإمام مالك، أبو ظبي، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٢٣) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، المحقق: عبد الكريم بن رسمي آل الدريني، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٤) تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك، المؤلف: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي الطبري، الناشر: دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.
٢٥) تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني، تحقيق: د. فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الثقافة بتفويض من رئاسة المحاكم الشرعية بقطر، ط٣، ١٤٠٨هـ.
٢٦) التحرير والتنوير = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
٢٧) التسهيل في علوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي، المحقق: د. عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
٢٨) تطريز رياض الصالحين، فيصل المبارك، دار العاصمة، تحقيق: عبد العزيز الزير، ط١، ١٤٢٣هـ.
29) التعريف بالإسلام، الدكتور عبد الله الغامدي، دار القبس، ١٤٣٩هـ.
٣٠) التعريفات، على بن محمد بن على الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
٣١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي، تحقيق: مجدي فتحي السيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
٣٢) تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ.
٣٣) تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، تحقيق: أسامة الطيب، مكتبة نزار مصطفي الباز، مكة المكرمة، ١٤١٧هـ.
٣٤) تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
٣٥) تفسير المنار، رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٧٣م.
٣٦) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، ط١.
٣٧) تفسير جزء عم، محمد بن عثيمين، مؤسسة ابن عثيمين الخيرية، ١٤٢٣هـ.
٣٨) تفسير سورة الذاريات، محمد بن عثيمين، مؤسسة ابن عثيمين الخيرية، دار الثريا للنشر، وتفسير السورة ضمن مجموعة سور في مجلد واحد.

٣٩)تفسير سورة العصر، عبد العزيز بن عبد الفتاح القارئ، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٤هـ.
٤٠)تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضى، دار الأضواء، بيروت.
٤١)تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، مطبعة الدار المصرية للتأليف والنشر والترجمة، القاهرة، سنة ١٩٦٦م.
٤٢)التوحيد محور الحياة، د. عمر الأشقر، دار النفائس، عمان، ١٤١١هـ.
٤٣)التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ.
٤٤)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن سعدي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
٤٥)التيسير بشرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي القاهري، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٤٦)جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير الطبري، تحقيق د: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
47)جامع الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ.
٤٨)جامع الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.
٤٩)جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، عرَّب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
٥٠)جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ.
51)الجامع الكبير، أو جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، المحقق: مختار إبراهيم الهائج، عبد الحميد محمد ندا، حسن عيسى عبد الظاهر، الأزهر الشريف، القاهرة، ط٢، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
52) جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد البر النمري، دار الفكر، بيروت، لبنان.
٥٣)الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
٥٤)جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة، الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
٥٥)جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، محقق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
56)الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، محمد بن تيمية الحراني، تحقيق: علي بن حسن عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمد، دار العاصمة، السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ.
٥٧)حاجة الدعوة إلى فقه مقاصد الشريعة، محاضرة للدكتور: محمد بن إبراهيم النملة، منشورة على اليوتيوب.
٥٨)حاشية السندي على سنن ابن ماجه = كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجة، محمد بن عبد الهادي التتوي، أبو

الحسن، نور الدين السندي، الناشر: دار الجيل، بيروت.
٥٩) حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان الشافعي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٦٠) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، المحقق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
٦١) الحسبة (تعريفها، ومشروعيتها، وحكمها)، د. فضل إلهي، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان، ط١، ١٤١٠هـ.
٦٢) الحسبة، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني، حققه وعلق عليه: علي بن نايف الشحود، ط٢، ١٧جمادى الأولى ١٤٢٥هـ.
٦٣) الحسبة، د. عبد الرحيم المغذوي.
64) حضارة العرب، غوستاف لوبون، دار العالم العربي، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
٦٥) الدعاة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة، د. صابر أحمد طه، ١٤٢١هـ.
٦٦) الدعوة الإسلامية (أصولها، ووسائلها، وأساليبها في القرآن)، د. أحمد غلوش، الرسالة، بيروت.
٦٧) الدعوة الإسلامية: الوسائل والأساليب، محمد خير رمضان يوسف، ط٢، الرياض: دار طويق، ١٤١٤هـ.
٦٨) الدعوة الإصلاحية في بلاد نجد على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب، د. عبد الله بن محمد المطوع، دار التدمرية، ط٣، ١٤٢٤هـ.
٦٩) الدعوة السلفية، محمود عبد الحميد العسقلاني، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٥م.
٧٠) الدعوة إلى الله (الرسالة، الوسيلة، الهدف)، د. توفيق الواعي، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر.
٧١) الدعوة إلى الله خصائصها ومقوماتها، د. أبو المجد سيد نوفل، مطبعة الحضارة العربية، مصر، ط١، ١٣٩٧هـ.
٧٢) الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٤، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٧٣) الدعوة والإنسان، د. عبد الله الشاذلي، ط١، المكتبة القومية الحديثة، طنطا.
٧٤) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، محمد علي بن علان، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٢٥هـ.
٧٥) الذريعة إلى مكارم الشريعة، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م.
٧٦) روح البيان (تفسير حقي)، إسماعيل حقي البروسوى، دار الفكر بدون تاريخ.
٧٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٧٨) الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، دار المنهاج، مصر، ط ١، ١٤٢٦هـ.
٧٩) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

80)سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، الصالحي محمد يوسف الصالحي، تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد، القاهرة، ١٤١٤هـ.
٨١)السلسلة الصحيحة، محمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
82)السنة، أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال أبو بكر، دار الراية، الرياض، ١٤١٠هـ.
83)سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد ابن ماجة القزويني، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ.
٨٤)سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية، الرياض، ١٤١٩هـ – ١٩٨٩م.
85)السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
86)سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
87)السنن الكبرى للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ.
٨٨)السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
٨٩)سنن النسائي، عبد الرحمن بن أحمد النسائي، اعتناء فريق بيت الأفكار الدولية، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ – ١٩٨٩م.
٩٠)السياسة الشرعية، شيخ الإسلام بن تيمية، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.
91)سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٦، ١٤٠٩هـ.
٩٢)سيرة ابن هشام، محمد عبد الملك بن هشام، تحقيق مصطفى السقا، مؤسسة علوم القرآن، دمشق بيروت، ودار القبلتين للثقافة الإسلامية، جدة.
93)السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، على محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الشارقة، ط١، ١٤٢٢هـ.
94)الشباب الإسلامي المعاصر، وضرورة الاجتهاد الدعوي، يونس صوالحي، مؤتمر الشباب وبناء المستقبل، القاهرة، ١٤٢٧هـ.
٩٥)شرح الأربعين النووية لابن عثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٣٥هـ.
٩٦)شرح سنن ابن ماجة، السيوطي، عبد الغني الدهلوي، قديمي كتب خانة، كراتشي.
٩٧)شرح صحيح البخاري لابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.
٩٨)شعب الإيمان، أبو بكر أحمد بن الحسيني البيهقي، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٩٩) الشوقيات = ديوان شوقي، أحمد شوقي، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨.
١٠٠) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، يناير ١٩٩٠.
101) الصحوة الإسلامية، ضوابط وتوجيهات، الشيخ محمد بن صالح العثيمين، مدار الوطن للنشر والتوزيع، ١٤٣٣هـ.
١٠٢) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢.
١٠٣) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، اعتناء أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ – ١٩٨٩م.
104) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، اعتناء: أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ.
105) صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط٥.
106) صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد الألباني، تعليق وفهرسة: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
١٠٧) صحيح الجامع الصغير وزياداته، محمد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
108) الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، الشيخ مصطفى العدوي، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.
١٠٩) صحيح سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
١١٠) صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
111) صحيح سنن أبي داوود، محمد ناصر الدين الألباني، تعليق وفهرسة: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
١١٢) صحيح سنن النسائي: ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربية لدول الخليج الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
113) صحيح سنن النسائي، ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربية لدول الخليج الرياض، ط٣، ١٤٠٨هـ.
١١٤) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري، اعتناء أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٩هـ – ١٩٨٩م.
١١٥) صيد الخاطر، ابن الجوزي، تحقيق: محمد محيي الدين الأصفر، دار الإشراق، ط١، ١٤١١هـ.
١١٦) طبقات ابن سعد الكبرى، محمد بن سعد الزهري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.
١١٧) العبودية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، المكتب الإسلامي.

١١٨) غرائب القرآن ورغائب الفرقان = تفسير النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
١١٩) فتاوى نور على الدرب، الشيخ ابن باز، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.
١٢٠) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محب الدين الخطيب، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٧هـ.
١٢١) القاموس المحيط، للفيروزآبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ.
١٢٢) قواعد المقاصد عند الإمام الشاطبي عرضًا ودراسة وتحليلًا، د. عبد الرحمن بن إبراهيم الكيلاني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الفكر بدمشق.
١٢٣) القول البين الأظهر في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن الراجحي، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات.
١٢٤) الكامل في التاريخ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
١٢٥) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، دار المعارف، بيروت.
١٢٦) الكفاية في علم الرواية، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، المحقق: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم حمدي المدني، الناشر: المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
١٢٧) الكليات: معجم المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م.
١٢٨) اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
١٢٩) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط١.
١٣٠) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار السعادة، القاهرة، ودار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤٠٢هـ.
١٣١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، لبعض علماء نجد الأعلام، الناشر: دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٣٤٩هـ.
١٣٢) مجموعة فتاوى الشيخ ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله بن باز، طبعة: الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض.
١٣٣) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب، عبد الرحمن بن قاسم الحنبلي، الرئاسة العامة لشؤون الحرمين الشريفين.
١٣٤) محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون

السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
١٣٥) محاضرات ندوة بعنوان إعمال المقاصد في العمل الدعوي، نظمها المركز الثقافي الإسلامي بلندن ومؤسسة الفرقان للتراث، وذلك أيام السبت والأحد والاثنين ٢١ /٢٢/ ٢٣ ذو القعدة ١٤٣٦هـ، الموافق لـ ٥ /٦/ ٧ سبتمبر ٢٠١٥م، منشورة على اليوتيوب.
١٣٦) المحيط في اللغة، الصاحب بن عباد تحقيق: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
١٣٧) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.
١٣٨) مدارج السالكين، ابن القيم الجوزية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.
١٣٩) المدخل إلى علم الدعوة، تأليف: حسين عماد علي عبد السميع، ١٤٣٣هـ.
١٤٠) مدخل إلى علم الدعوة، للأستاذ د. عبد الرب نواب الدين، دار العاصمة للنشر والتوزيع.
١٤١) المدخل إلى علم الدعوة، محمد أبى الفتح البيانوني، مؤسسه الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٥.
١٤٢) مرشد الدعاة، محمد نمر الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر.
١٤٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.
١٤٤) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.
١٤٥) المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١، ١٤١٨هـ.
١٤٦) مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، علي بن صالح المرشد، مكتبة لينة دمنهور، مصر، ط١، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
١٤٧) مسند الإمام أحمد، بإشراف المحقق الشيخ شعيب الأرنؤوط، الموسوعة الحديثية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ –١٩٩٧م.
١٤٨) مسند البزار، المنشور باسم البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد المعروف بالبزار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م.
١٤٩) مسند الشافعي، عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، الرافعي القزويني، المحقق: وائل محمَّد بكر زهران، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.
١٥٠) مسند الشهاب، حمد بن سلامة بن جعفر القضاعي المصري، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ – ١٩٨٦م.
١٥١) مسند الطيالسي، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصري، المحقق: د. محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر، مصر، ط١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م.
١٥٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية،

بيروت.
١٥٣) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
١٥٤) معالم في أصول الدعوة، د. محمد يسري، دار السير للنشر والتوزيع، القاهرة.
١٥٥) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد الطبراني، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
١٥٦) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط٢، ١٤٠٤هـ.
١٥٧) المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، الإسكندرية.
١٥٨) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١٥٩) مفتاح دار السعادة، ابن القيم، بيروت، دار الكتب العلمية.
١٦٠) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
١٦١) مفهوم البيان في القرآن والحديث، (رسالة دكتوراه) للباحثة فاطمة بوسلامة، من جهود معهد الدراسات المصطلحية بفاس، المغرب.
١٦٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر ابن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٦٣) المنهاج شرح صحيح مسلم (شرح النووي)، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
١٦٤) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، د. ربيع بن هادي المدخلي.
١٦٥) منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، الدكتور: عدنان عرعور، جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنة النبوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٦٦) الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
167) موسوعة دليل الداعية، أ.د. محمد العواجي، المدينة المنورة ١٤٤٤هـ، ضمن المشاريع العلمية لمركز الدار للدراسات والاستشارات التعليمية والتربوية، تحت إشراف معهد البحوث والدراسات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، إشراف أ.د محمد بن عبد العزيز العواجي أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
١٦٨) موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، مصر.
١٦٩) نضرة النعيم في مكارم وأخلاق الرسول الكريم، إعداد مجموعة من المتخصصين، دار الوسيلة، جدة، ط١، ١٤١٨هـ.

١٧٠) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، بهاء الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٧١) النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

١٧٢) هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، علي محفوظ، دار الاعتصام، ط٩، ١٣٩٩هـ.

- **الرسائل، والأبحاث، والدراسات:**

١) الأخلاق أهميتها وفوائدها، د. عبد السلام حمود غالب، بحث منشور على شبكة الألوكة.

2) أدب الخلاف، د. منقذ بن محمود السقار، بحث منشور على موقع صيد الفوائد.

٣) الإصلاح بين الناس، أ. د محمد بن عبد العزيز العواجي، بحث جامعي غير مطبوع.

4) تأهيل المبتعثين في البلاد غير الإسلامية للتعريف بالإسلام، عبد الرحمن السيد مصطفى رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية، ١٤٣٥هـ.

5) السنن الإلهية وأثرها في تغيير حال الأمة، عبد الله الحاشدي، بحث منشور على موقع نور سورية.

6) السنن الإلهية وأثرها في فهم الواقع، بحث منشور على شبكة الألوكة.

٧) فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية، د. سعد القعود، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

٨) مبادئ علم أصول الدعوة – دراسة تأصيلية، للدكتور محمد يسري، دار اليسر القاهرة.

9) المصالح والمفاسد في الدعوة... تفاوتها وتزاحمها وتعارضها، د. أكرم بن مبارك الحضرمي، بحث منشور على شبكة الإنترنت.

١٠)مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثرها في حياة الداعية، كلية الدعوة أصول الدين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، وقد نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ١٤٣٢/٦/١٩هـ، وأجيزت بتقدير ممتاز، للباحث سعد بن عبد الله القعود.

١١)منهج الدعوة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، منشور على الشبكة.

- **المقالات:**

١) إشراقات قرآنية من سورة العصر د. عبد العزيز الصالح، مجلة البيان العدد: ١٦٠.

٢) إشراقات قرآنية من سورة العصر، د. عبد العزيز الصالح، مجلة البيان العدد: ١٦٠.

٣) التذكير باليوم الآخر، صالح بن فوزان الفوزان، خطبة منشورة على موقع الخطباء.

٤) تفعيل مقاصد الشريعة في العمل الدعوي، الشيخ د. أحمد السعدي، مقال منشور على موقعه الرسمي.

٥) التوازن الحقيقي، مقال للدكتور: ناصر بن سيف السيف، منشور على موقع صيد الفوائد.

٦) غايات الدعوة إلى الله تعالى ومقاصدها، الشيخ عبد الله بن صالح القصير، مقال منشور على شبكة الألوكة.

7) نبذة عن إدارة التوعية الإسلامية. مقال تعريفي منشور في موقع وزارة التعليم بالمملكة العربية السعودية.